

التَّيُوزِيَّةُ
تَارِيخُ دِينِ زَائِف

الشيخ عبد الواحد تحيي



مَنْزِلَةُ الْحَاكِمِ

المحتويات

6	عن مصطلح الثيوزوفية.....
10	1 سيرة مدام بلافاتسكى.....
15	2 أصول الجمعية الثيوزوفية.....
27	3 الجمعية الثيوزوفية والصليب الوردى.....
36	4 مسألة الماهاتمات.....
50	5 جمعية البحوث والشئون النفسية.....
59	6 مدام بلافاتسكى و سولوفيوف.....
66	7 قوة الإيحاء عند مدام بلافاتسكى.....
71	8 آخر سنوات مدام بلافاتسكى.....
78	9 مراجع أعمال مدام بلافاتسكى.....
85	10 البوذية الجوانية.....
91	11 المسائل الأساسية في تعاليم الثيوزوفية.....
102	12 الثيوزوفية والأرواحية.....
114	13 الثيوزوفية والأديان.....
121	14 قسم الثيوزوفية.....
127	15 سيرة مسز بيسانت.....
131	16 رئاسة مسز بيسانت.....
139	17 فيرلمان الأديان.....
145	18 الجوانية المسيحية.....
150	19 الدوقة دى بومار.....
158	20 ماشيخ المستقبل.....
168	21 حكاية آل كيون.....
178	22 أنثروبوصوفيا رودلف شتاينر.....
190	23 محفل نجمة المشرق وملحقاته.....
196	24 الكنيسة الكاثوليكية القديمة.....
202	ملحق 1.....
211	ملحق 2.....
213	25 الثيوزوفية والماسونية.....
221	26 المنظمات الملحقة بالجمعية الثيوزوفية.....
233	27 الأخلاقية الثيوزوفية.....
240	28 الثيوزوفية والبروتستنتية.....
244	29 الدور السياسى للجمعية الثيوزوفية.....
258	30 الخاتمة.....

264عروض الكتب
264 <i>Histoire des Sociétés politique secrètes au XIX et au XX siecle</i>
264 <i>L'Instructeur du Mond, Krishnamurti</i>
266 <i>Le Mystecism Intégral.</i>
267 <i>Swedenberg et les phénomène psychique</i>
267 <i>L'Influence invisible</i>
268 <i>L'Evangile de Saint Jean</i>
269 <i>Les Trois prochaines années</i>
269 <i>Mythes et Mysteres Egyptienes</i>
270 <i>L'Apparition des Sciences naturelles</i>
270 <i>Le Maitre parl</i>
270 <i>A Search in Secret Egypt</i>
272 <i>Le Secret de la Grand Pyramide au la fin du Mond adamique.</i>
273 <i>L'Evagile de Saint Luc.</i>
274 <i>Théories et pocédés radiesthésques</i>
274 <i>Le Mors au aux dents</i>
276 <i>I Protocoli dei Savi Anziana di Sion</i>
278 <i>Comment je crois en Dieu.</i>
279 <i>Le Yoga de l'Occident</i>
280 <i>Le Clef des Grands Mystères</i>
281عروض المقالات

عن مصطلح الثيوزوفية

إن أول أمر نحتاج إلى تبريره صوغ عنوان هذه الدراسة بكلمات مهجورة، فلماذا كان مذهب الثيوزوفية *Thiosophism* وليس تطبيق المنظور الثيوزوفى *Theosophy*؟¹ ذلك أن الكلمتين لهما عندنا معنيان مختلفان تماما، حتى بالمخاطرة ببعض 'الألفاظ المستحدثة *neologism*' أو ما يبدو كذلك، فمن المهم فضُّ الاضطراب الناشئ عن تشابه الكلمات، وتزداد أهمية ذلك لأنه عائق في طريق أشخاص بعينهم من مصلحتهم بقاء الخلط حتى يصدِّق الناس أنهم على اتصال بتراث بعينه، وهو أمر لن يلاحيه أحد على نحو مشروع.

والواقع فيما يسمى 'الجمعية الثيوزوفية *Theosophical Society*' أن كلمة ثيوزوفى *Theosophical* تسمية عامة لمذاهب من النوع ذاته، أو على الأقل صادرة عن التوجه ذاته، ولذا كان من الأوفق أن نحتفظ بالمعنى التاريخي للكلمة، ودون الدخول في تفاصيل تتعلق بطبيعة السمات التي تتصف بها، فإننا نقول إن السمة الأصلية السائدة بينها هي الصبغة الجوانية للدين، حتى لو كانت إلهاماً سرارياً مخصوصاً، ويدعون أنها من أصول تراثية غربية، وأساسها المسيحية دائماً في صورة أو أخرى، ومنهم على سبيل المثال جاكوب بوهم و جيتشل و وليم لو و سويدنيرج و لوى كلود دى سان مارتان وإيكهارتهاوزن، ولا ندعى أننا نطرح قائمة كاملة لهم بل الأسماء المعروفة منهم فحسب.

1 وقد كان العنوان الفرنسى الأصل لهذا الكتاب *Le Theosophisme, Histoire d'une Pseudo-Religion*، و فى الانجليزية تعنى كلمة *Theosophy* الجمعية الثيوزوفية التى أذشأتها مدام *H.P.Blavaski* و *H.S.Olcott*، فى حين تعنى *theosophy* الكتاب الأسرارىين الذين ذكرهم جينو فيما يلى من قاعدة تصغير الحرف الأول أو تكبيره، ولم يلزم إذن استخدام كلمة فرنسية 'محدثة'، راجع أيضا كتاب الشيخ 'الإنسان ومصيره فى الفيدانتا'. ترجمات تراث واحد قيد النشر.

والمنظمة التي تسمى حالياً 'الجمعية الثيوزوفية' التي ننوي دراستها بالكامل لا تنتمي إلى أية مدرسة لها صلة حتى غير مباشرة بأى مذهب من هذا النوع، ومؤسستها مدام بلافاتسكي قد تكون قد قرأت أعمالاً بعينها لبعض الثيوزوفيين وخاصة جاكوب بوهم، وربما انتقت بعض هذه الأفكار لتحشرها في كتاباتها مع رهط من عناصر مختلفة الأصول، لكن ذلك كل ما يمكن قوله حالياً في هذا الصدد، وعموماً فإن النظريات التي دفع بها قادة الجمعية المذكورة ليس فيها شيء من السمات التي وصفناها، ناهيك عن ادعاء الجوانية، ويقدمون أنفسهم كذباً على أنهم من أصول شرقية، ولو تصادف أن رأى بعض الناس ضرورة إضافة 'مسيحية زائفة' لها طبيعة مخصوصة فلا زال صحيحاً أن توجهها الأصلي كان "معاداة المسيحية"، وقد اعتادت بلافاتسكي على قول "إن غايتنا ليست استعادة المسيحية الأولى بل كنس المسيحية من على ظهر الأرض"²، ومنذ ذلك الحين فهل تغيرت الأمور كما تبدو للرؤية السطحية؟ وقد يبرر حذرنا ملاحظ أن الداعية العظمى للجوانية المسيحية هي مسز بيسانت، والتي أعلنت أنه "يلزم قبل أى شيء آخر أن نصارع روما وكهنتها ونحارب المسيحية في العالم أجمع ونطرد الرب من السماء"³، ولا ريب أن مذهب الثيوزوفية وآراء رئيسة الجمعية الحالية قد 'تطورت' *evolved*، ولكن من الجائز ألا تكون 'المسيحية الجديدة' *neo-Christianity* إلقاعاً، فكل شيء متوقع في مثل هذه الحالات، ونعتقد أن الأطروحة التي نقدمها هنا سوف تبرهن على خطئنا لو صدقنا إخلاص أناسي يوعزون بحركات على منوال الذين نتحدث عنهم هنا.

وأيّاً كان أمر هذا المقال الأخير فإننا نقول بوضوح أن بين مذهب الجمعية الثيوزوفية أو ما يسمى كذلك وبين الثيوزوفية بمعنى الكلمة بون شاسع، فليس بها أخوة حتى على مستوى الأفكار، وهكذا ننكرها بالجملة نكيال محض عندما يدعون أنها استمرار لجمعيات على منوال 'الجمعية الفيلاذلفية' *Philadelphian Society* التي قامت في لندن حوالى نهاية القرن التاسع عشر⁴، والتي انتمى إليها إسحاق نيوتن، أو 'أخوة أولياء الله' *Fraternity of the Friends of God*

2 تصريح لآلفريد الكساندر منشور في مجلة *The Medium and Daybreak*, London 1893 p.34.

3 خطبة ختام مؤتمر بروكسل للمفكرين الأحرار، بروكسل 1880.

4 *The Key to Theosophy*. by H.B.Blavasky, Pasadina, CA: Theosophical University Press,

التي قيل إنها نشأت في ألمانيا في القرن الرابع عشر على يد الأسراري جون تاوولر *John Tauler*، والذي ادعى البعض أنه كان سلفاً للوثر⁵، وربما كانت هذه التوكيدات بلا أساس أكثر مما ادعى الشيوزوفيون أن لهم صلة بالأفلوطينية الجديدة *Neoplatonism*⁶، وعلى أساس أن بلافالتسكي قد اغتصبت شذرات من نظرية أفلوطينة دون أن تفهمها.

والحق إن المذاهب التي اعتنقتها الجمعية الشيوزوفية حديثة بكاملها، وتختلف من كافة النواحي عن الشيوزوفية الحققة، ولا يصحُّ التخليط بينهما إلا بدواعي عدم الأمانة أو الجهل، فعدم الأمانة ووظيفة رؤوس هذا المجتمع والجهل نصيب الذين يشكلون أغلبية من أتباعهم، وكذلك لا بد لنا من التسليم بجانب مما يدفع به مناؤوهم حيث إنه يفتقد المعطيات، ومن ثم يرتكب خطراً ويلا بتصديق قاداته، مثل أن يمثلوا مظاهر تراث شرق أصيل وليس كذلك على الحقيقة، وسوف نرى أن الجمعية الشيوزوفية تدين باسمها لطوارئ عارضة، وبدونه تكون قد اكتسبت اسماً آخر، فأعضاؤها ليسوا شيوزوفيون على أي نحو كان ولكنهم كانوا 'متشورفين' لو أحببت، أما عن الفوارق بين الاثنين فهي قائمة على الدوام في الإنجليزية، حيث تستخدم كلمة *'Thiosophism'* بمعنى مذهب الجمعية، ويبدو هذا الفارق لدينا مهما كما يجب أن يكون في الفرنسية كذلك رغم طبيعتها الغريبة، ولذا كما متحفظون لطرح الأسباب التي تزيد عن مسألة الكلمات.

لقد تحدثنا حتى الآن كما لو أن هناك حقاً مذهب شيوزوفي، لكن حقيقة الأمر لو اتُّخذت كلمة 'مذهب' بمعناها الحق حتى لو أردنا تسمية شيء محدد *definite* فلا مفر من التسليم بانعدام وجود شيء من هذا القبيل، وما يطرحه الشيوزوفيون باعتباره مذهباً لهم يبدو بعد فحص جاد يطفح بالتناقضات، زد على ذلك أن الاختلاف قد يقوم بين أعمال كاتب وآخر كما يقوم بين أعمال الكاتب ذاته، فالاختلافات جسيمة في النقاط البالغة الأهمية، وقبل

.....

1972, verbatim reprint of original 1888 edition, pp17-18. ED.

5 *Modern World Movements. by Dr. J.D. Buck 1836-1916, Life and Action, Chicago, May, June 1913.*

6 *The Key to Theosophy, pp 1-12.*

أى شىء نبدأ بتمييز حقتين رئيسيتين، وتناظرا تصريحان لمدام بلافاتسكى ومسز بيسانت، ومن الصحيح أن الشيوزوفيين المحدثين غالباً ما يحاولون التعيم على التناقض، فيفسرون تعاليم مؤسسيتهم على طريقتهم، ثم الادعاء بأنها كانت مفهومة خطأ في بدايتها، لكن التخالف لازال حقيقيا، وسوف نفهم عن طيب خاطر أن دراسة هذه النظريات المتبرئة لا ينفصم عن تاريخ الجمعية الشيوزوفية ذاتها، ولذا لم يبدُ من الصواب تقسيم العمل الحالى إلى قسمين مختلفين، أحدهما تاريخي والآخر مذهبي، وهو ما ينبغى عمله فى أحوال طبيعية أخرى.

1 سيرة مدام بلافاتسكى

ولدت هيلينا بيتروفا هان *Helena Perovtrova Hahn* في 12 أغسطس 1813 في إيكاتيرينسلو *Ekaterinslaw*، وهي ابنة الكولونيل بيتر هان *Peter Hahn* وكانت أمها هيلينا فاديف *Helena Fadeef* الابنة الكبرى للمشير أليكسيس هان فون روتينشترن، وهي أسرة ألمانية من ماكليمبيرج استوطنت في روسيا، وكانت أمها ابنة المستشار الخاص للأميرة هيلينا دولجوروكى، ولم تنس التي أصبحت فيما بعد مدام بلافاتسكى أصلها النبيل الذى ناقض جلاقتها على نحو غريب، فحتى عندما كانت طفلة كانت مزعجة لا تُحتمل، وتغضب لأقل سبب مما استحال معه تعليمها تعليماً جاداً رغم ذكائها الباهر، ويقول صديقها أولكوت "إنها كانت تُسبُّ بما يجعل بحاراً يبحر نجلاً"، وقد كان ذلك شأنها طوال حياتها، وتزوجت في سن السادسة عشر من الجنرال نيسيفور بلاتسكى الذى كان متقدماً في السن، وذهبت مع زوجها إلى إقليم إيرفان حيث كان نائباً للمحافظ، ولكنه ترك لها المنزل عند أول عصيان لها، ويقال إن زوجها توفي بعد زمن وجيز من تركها، ولكننا نعتقد أنه عاش خمس عشر سنة بعد ذلك، وتذكر بلافاتسكى أنه أمضى معها أياماً قلائل في مدينة تفليس *Tiflis* عام 1863، وعلى كل فإن هذا أمر بلا أهمية، وقد بدأت بلافاتسكى تعيش مغامراتها الفائقة عام 1848 أثناء سفرها إلى آسيا الصغرى برفقة صديقتها الكونتيسة كيسليف حيث التقت بقبطى أو ربما كان إلهاماً أسرارياً ولو كانت أسرارية غريبة بعض الشيء، ويقال إنها تنتمى بكاملها إلى التراث الغربى، وداًئماً ما كانت المسيحية أساساً لها بصورة أو أخرى، ومن هذا النوع نجد أعمال جاكوب بوهم و جيشتل و وليم لو و جين لييد و سويدنبرج و لوى كلود دى سان مارتان و إيكهارتهاوزين، ولا نقصد هنا ذكر تعداد كامل بل اقتصرنا على أشهرهم فحسب.

ولا تنتمى المنظمة التي تسمى حالياً 'الجمعية الثيوزوفية *Theosophical Society*' إلى أية مدرسة حتى بشكل غير مباشر ولا إلى مذاهب من هذا النوع، والذى نوى هنا الاقتصار على دراسته، وربما كانت مؤسسها مدام بلافاتسكى على شيء من العلم بأديان ثيوزوفية بعينها

وخاصة أعمال جاكوب بوهم، وربما انتقت بعض هذه الأفكار التي حشرتها في كتاباتها مع عناصر أخرى من أصول متنوعة، وهذا هو كل ما يمكن قوله في هذا الصدد، وعموماً فإن النظريات التي اعتنقتها الجمعية الثيوزوفية ليس فيها سمات تشابه ما وصفنا عاليه، ناهيك عن بعض ادعاء على الجوانية، كما أنها عزيت خطأً إلى أصول شرقية، ولو كان بعض الناس يعتقدون أنها مسيحية زائفة ذات طبيعة غريبة إلا أنه يبقى صحيحاً أن الميل الأصلي للسيدة بلافاتسكي كان مناهضاً للمسيحية بوضوح، فقد صرحت قائلة "إن غايتنا ليست استعادة الهندوسية بل كنس المسيحية من على ظهر الأرض"¹، فهل تغيرت الأمور كما يتوهم المنظور السطحي؟ وقد يبررُ حذرنا عندما لاحظنا أن مسز بيسانت *Mrs Besant* الداعية العظيمة 'للجوانية المسيحية' هي المرأة التي صرحت بأن "صراعنا ليس إلا ملاحاة روما وكهنتها، ومحاربة المسيحية في العالم أجمع، وطرد الرب من السماء"²، ولا شك أن مذهب الجمعية الثيوزوفية وآراء المسمى بولس ميتامون *Paulus Metamon* الذي ادعى أنه ساحر، لكنه كان يبدو كنوع من الحواة أو الدجالين، وقد استمرت في رحلتها مع هذا الشخص وسافرت معه إلى اليونان و مصر، وقد كانت مواردنا على وشك النفاذ فعادت إلى أوروبا، ثم نجدها عام 1851 في لندن تُعَلِّمُ عزف البيانو على سبيل توفير العيش، وقد ادَّعى أصدقاؤها أنها جاءت إلى هذه المدينة مع أبيها لدراسة الموسيقى، ولكن ذلك غير صحيح، ففي ذلك الوقت كانت صلاتها بعائلتها قد انعدمت ولم تجرؤ على العودة إلى روسيا، والتقت في لندن بالأرواحيين *spiritists*³ والدوائر الثورية، وعلى الخصوص ماتسيني *Mazzini*، وفي عام 1862 أصبحت عضواً في التجمع الكاربوناري المسمى 'أوروبا الشابّة *Young Europe*'.

وقد جرى لها قصة غريبة في هذه الفترة، وقد يكون من الأوفق ذكرها باختصار، فقد جاءت بعثة خاصة من نيبال إلى لندن عام 1845، وادَّعت بلافاتسكي أنها قد تعرفت على أحد

1 تصريح لآلفريد ألكساندر منشور في *The Medium and daybreak*، لندن، يناير 1893 ص. 23.

2 المحاضرة الختامية لمؤتمر المفكرين الأحرار *Free-Thikers* في بروكسل في سبتمبر عام 1880.

3 وهنا تعرفت على دوجلاس هوم *Duglas Home* وسيط نابليون الثالث، وسوف نلتقي به فيما بعد.

أعضائها، والذي كانت تراه إلى جانبها دائماً منذ طفولتها ليعاونها عندما تقع في مشكلة، وقد كان اسم هذا الحارس 'مهاتما' موريا الذي تنبأ بالمستقبل الذي ينتظرها، ومن المفترض أن بلافاتسكي سافرت إلى الهند و التبت حيث ادّعت أنها مكثت ثلاث سنوات تتعلم على يد 'معلمين masters' للعلوم الغيبية *occult sciences* وتهذيب ملكات النفس⁴ على الأقل كما ورد عن كونستانس فاتشمايستر⁵.

ولم تسافر بلافاتسكي إلى الهند قبل عام 1878، وحتى ذلك الحين لم يكن وارداً ذكر أي مهاتما، وسوف يطرح ما يلي برهاناً على ذلك.

فحوالى عام 1958 قررت العودة إلى روسيا، وتصالحت مع أبيها وعاشت معه حتى 1863، وفي أثناء ذلك سافرت إلى القوقاز حيث التقت بزوجها، ونجدها بعد ذلك ببرهة في إيطاليا، وربما استدعاها ما يسمى النظام الكاربوناري، وفي عام 1866 كانت ترافق غاريبالدي في حملته، وقاتلت في فيتيربو ثم في ميمتانا حيث أصيبت بجرح بالغ وتُركت في الميدان باعتبارها قتيلة، إلا أنها استعادت حياتها وسافرت إلى إيطاليا للاستشفاء، وكانت في ذلك الوقت تحت نفوذ شخص باسم فيكتور ميخال *Victor Michal*، وهو منوم مغناطيسي وأرواحي *spiritist*⁶، وأحياناً ما يُحرّف اسمه إلى *Martial* و *Marchal*⁷، فيختلط بشخصية قس اسمه

4 وما نقول هنا يستحيل ملاحظته كما حاول البعض، فقد كان تأكيد أولكوت أنها حاولت أن تصل إلى التبت عن طريق بهوتان أو نيبال عام 1845 حتى لو كانت المحاولة قد جرت إلا أن تاريخها يقطع بوجودها في لندن وليس في آسيا، ولكن على كل فقد فشلت المحاولة، كما أن المرء لا يملك اعتبار الإشارة إلى 'المهاتمات' من خطاب نُشر في مجلة *Spiritual Scientist* عدد أكتوبر 1875، والذي أكّدت فيه مدام بلافاتسكي معرفتها الشخصية عن وجود مدارس غيبية في الهند وآسيا الصغرى وبلاد أخرى، وقالت،

"إن القبالة الحقة لا يحتكم عليها إلا قليل من فلاسفة الهند والتبت والشرق الأوسط، أما من هم وأين يعيشون فلست محولة بإفشاءها،... وكل ما يمكن قوله إن لهم وجود وأن القيادة كلفتني بالتصريح عنها عند يقظة الإنسانية.

5 *Lotus Blue. June, 1894, cf. Reminiscence of H.B. Blavasky, by Constance Wachtmeister, ch. 8.*

6 *The Occult World, p,30.*

7 *Born in Grenoble in 1824 , died in Paris 1889.*

مارشال، والذي كان هو أيضاً على علاقة بالتنويم والبحث النفساني، وكان ميكال صحفياً كما كان ماسونياً مثل صديقه ريفال المعروف باسم آلان كارديك، وكان مُدرِّساً سابقاً ثم مديراً لمسرح *Folies Margny*، ومؤسس الأرواحية الفرنسية⁸، وقد كان ميكال هو الذي درَّب ملكات بلافاتسكي على الوساطة الروحية، وفي الأيام التالية كان يتحدث دائماً بشيء من الرعب عن 'فصام الشخصية' الرهيب الذي تمتعت به مدام بلافاتسكي في هذه الحقبة وما تلاها من إنشاء جمعيتها⁹، ونذكر ذلك لأنها أنكرت أنها كانت أرواحية طوال حياتها¹⁰، ويجوز للمرء أن يتساءل متى كانت تكذب في أيهما.

وأياً كان الأمر فقد مارست بلافاتسكي وظيفة الوساطة في القاهرة من 1870-1872، حيث التقت مع ميثامون مرة أخرى، وبعونه ومساعدة زوجين فرنسيين باسم كولومب يملكا فندقاً، والذي سنتناوله فيما بعد، وأنشأت فيه 'نادى المعجزات' *miracles club*، وأعلن عنه في مجلة الأرواحيين هكذا،

"أنشئ في القاهرة مؤخراً جمعية الأرواحيين بإدارة مدام بلافاتسكي، وهي روسية يُعاونها عدد من الوسطاء، وتتعقد جلساته مرتين أسبوعياً في مساء الثلاثاء والجمعة، والحضور مقصور على أعضاء الجمعية، وبغرض تأسيس مكتبة للأدبيات الأرواحية وغيرها بمشاركة الجمعية، إضافة إلى تأسيس جريدة بعنوان *The Spiritualist Review of Cairo* والتي ستصدر مرتين في الشهر في أوله والخامس عشر منه"¹¹.

ولم تحقق هذه المغامرة نجاحاً، وصدر عليها حكم بالاحتيال، وهو ما حدث لها عدة مرات في أميريكاً حيث زاوت مهنتها¹² ذاتها، وليس ذلك مما يندر بين الوسطاء المحترفين،

8 *Light, London, Aug. 28, 1879 and May 27, 1899.*

9 *For more on Kardek and his connection with spiritism see our book The Spiritist Falacy*

10 *Epecially in her letter to A.N. Aksakoff 1874-1875, published by Solovioff.*

11 عن مصطلحا *spiritist, speritual* راجع كتابنا *The Spritist Fallacy*.

12 *21 Mind and Matter, Philadelphia, 1880*، وقدمت هذه المجلة براهين على 'الألاعيب' *tricks* التي تعتمد عليها مدام بلافاتسكي، وورقة قرئت على كونجرس شيكاغو أعدها إيميت *William Emmet* الذي تحمل إعداد جرد 'لاقتباسات' مدام بلافاتسكي في كتابها *Isis Unveiled*.

رغم أننا لا نعلم أن كل ما في الظاهرة من أسس الروحانية مزيف، وإلى جانب أن هذه الوقائع مستقلة تماماً عن التفسير العبثي الذي يسبغها عليها الأرواحيون، فهم يمثلون لها بعمليات احتيال، ويحيط الشك بكل من ينتجون هذه الظواهر ويتخذونها مهنة، وحتى في حالة الوساطة الحقيقية قد تدخل المصلحة وتدفع إلى الغش لسبب أو آخر، فالظاهرة الحقيقية لا يمكن أن تُنتج، وقد كان الحال كذلك عن وسطاء مشاهير مثل السيدة بالادينو *Eusapia Paladino*، وربما صدق على مدام بلافاسكي خاصة في أول أمرها حينما انكشفت كحثة، وأسرت بترك القاهرة وعادت إلى باريس، وحاولت السكن مع أبيها ولكنها لم يتفقا، ومن ثم سافرت إلى أميركا حيث أسست جمعيتها بعد عامين.

2 أصول الجمعية الشيزوفية

عندما سافرت مدام بلافاتسكى إلى أميركا وصلت نيويورك في 7 مايو 1873، وادعت أنها 'محكومة *controlled*' أو بتعبير الأرواحيين الفرنسيين 'مهديّة *guided*' بروح تسمى جون كينج، والعجيب أن هذا الاسم يوجد في تجمعات عدد من الوسطاء الأرواحيين الزائفين في الآن ذاته، وقد انكشفوا في ذلك الحين¹³، وكما لو كانوا جميعاً يعملون بالإلهام ذاته، وما له مغزى في هذا الصدد ما كتبتة بلافاسكى عام 1875،

"لقد أرسلتُ من باريس إلى أميركا لأتفقد حقيقة الظواهر وكشف أغاليط النظرية الأرواحية.¹⁴

فن الذي أرسلها؟ لقد كانوا 'المهمات' كما صرحت فيما بعد، ولكنها لم تذكر شيئاً عن أين تلقت تكليفها، أفي الهند والتبت أم في باريس؟.

ومن ناحية أخرى يبدو أن بلافاتسكى فور وصولها إلى أميركا قد طفقت تسأل كل من تقابله عما إذا كان يعرف أحداً باسم أولكوت *Olcot*¹⁵، وأخيراً التقت بهذا الأولكوت في 14 أكتوبر 1874، مزرعة *Chittenden* في ولاية فيرمونت، ومقر عائلة *Eddy*، التي كانت تعيش

13 وهم الأخوان دافيدبورت 1865، والزوجان هولمز في فيلادلفيا 1875، وفيرمان في باريس 1875، وهيرن في لندن، ووليامز في لاهاي 1878، إلى آخره، ولتتذكر أيضاً الآنسة فلورنس كوكس كاني كنج وسيطة وليم كروكس الشهيرة، فهل هذا التشابه في الأسماء مصادفة؟ ولنشر أيضاً إلى أن الاثنان الأخيران قد انضما إلى الجمعية الشيزوفية عام 1883، وقد كان عضواً في مجلس إدارة محفل لندن.

14 خطاب إلى ستانتون موزيس، مجلة *Light*، 9 يوليو 1892، وتقول مدام بلافاتسكى مرة أخرى "لقد أرسلت إلى أميركا لتجريب قدراتي النفسية"، والتي نعلم أنها جربتها في القاهرة.

15 راجع ما جاء في ذكر الكونتيسة فايتشمايستر عاليه.

فيها تجسّدات الأرواح وغيرها من الظواهر من النوع ذاته، وقد ولد *Henry Steel Olcott* 2 أغسطس 1832، في أورانج نيو جيرسي، وهو ابن مزارعين محترمين، وبدأ حياته مهندساً زراعياً، ثم في الشرطة العسكرية أثناء الحرب الأهلية، ووصل إلى رتبة كولونيل التي كانت سهلة في الولايات المتحدة، وعندما انتهت الحرب اتجه إلى الصحافة مراسلاً لعدة صحف، *The New York Sun . New York Graphic*، وقد كتب عن ظاهرة مزرعة *Chittenden*¹⁶، وربما وجدت بلافاتسكي في هذه المقالات إشارة إلى أين يقيم شريكها في المستقبل.

ولكن من الذي أوحى إلى مدام بلافاتسكي بالاتصال بآلكوت، وهو رجل ليس له باع في عالم الأرواحية *spiritist world*؟ فما هو مفتاح هذا اللغز لو تركنا موضوع 'المهاتمات' جانبا؟ وهي فرضية لن يمكن الدفاع عنها بجديّة، وليست أكثر من تفسير بعد وقوع الواقعة، فقد كان أولكوت يعرف جون كينج لو صدّقنا ما يلي، وهو ما كتبه عام 1876 عن 'الروح *spirit*' إلى ويليم ستانتون موزيس، وهو أرواحي انجليزي معروف باسم أوكسون *M.A. Oxon* "وكان يظهر في لندن غالبا، وقد قابلته هناك عام 1880"، كما جاء في الخطاب الذي نشره ويليم ستانتون موزيس في صحيفته¹⁷، وبه تأكيدات يصعب أخذها بجديّة، ونعجب ما إذا كان أولكوت يحاول استغفال الغير أم استغفال نفسه؟ ومن ناحيتنا لا نصدّق أنه كان دائماً ساذجاً كما يجب أن يظهر، وكما اعتقدت جمعية البحوث النفسية في لندن عام 1884، ولم يكن تماماً تحت سيطرة بلافاتسكي كما كان غيره على شاكلة *Judge* و *Sinnett*، كما أنه يقول عن نفسه "لست تلميذاً مجتهداً ولا مغفلاً مُصدّقاً"، ويُعرّف دوره "بالنهيق لكي يلفت النظر"، وهكذا كان إخلاصه مشكوك في أمره، وأياً كان الأمر فالحقيقة تطفو على السطح أحياناً

16 وقد جُمعت مقالات أولكوت عن ظاهرة مزرعة *Chittenden* في كتاب بعنوان 'ناس من عالم آخر *People from Other World*'، أما عن دور أولكوت في الحرب الأهلية وما بعدها، والتي حذفناها وتلقينا اللوم لذلك، فهي أن دوره كان الإبلاغ عن المتهمين بالترحُّج من التجارة في السلاح والتحقيق معهم، وهذه الوظيفة لا تُسند إلا لمن كانت نزاهته فوق الشك، والحق إن الحذف لم يكن مقصوداً من ناحيتنا، ولكن إن كان الأرواحيين يجدون في وظيفة 'البصاص' مهنة 'شريفة' فنأسف لأننا على عكس رأيهم في هذه النقطة.

Light, July 9 and 23, 1892. 17

رغم كل التوهّمات التي تكتنفها، فنقرأ خطاباً مؤرخاً بعام 1875 يقول فيه "حاول انتهاز فرصة مقابلة خاصة مع جون كينج، فهو متعمّد، وتُخفى تفاهة موعظته أموراً خطيرة"، ولا زال ذلك أمراً غامضاً، وفي خطاب آخر هو ذاته الذي أشار فيه أولكوت إلى علاقته الخاصة مع جون كينج عندما قال عنه إنه ليس إلا 'تجسّداً' *materialization*، ويقول إن هذا الجون كينج عضو محفل ماسوني مثل أولكوت ذاته، إضافة إلى الرسالة إلى المجل ستانتون موزيس، وكما ذكرنا عاليه أن فيكتور ميكال أول المنومين المغناطيسيين *magnetizer* عند مدام بلافاتسكى.

ولعل مناسبات أخرى تتيح لنا الإشارة إلى العلاقة بين الجمعية الأرواحية وفروع الماسونية المتنوعة، لكن المسألة هنا أن اسم جون كينج يُطلق على من لا بد أن يكتّم هويته ويظل مجهولاً، فهل هو الذي استضاف بلافاتسكى ودير جمعيتها مع أولكوت؟ وهو على الأقل أمرٌ محتملٌ للغاية، وفي هذه الحالة لا بد من التسليم بأن هذا الشخص الغامض يعمل لحساب حزب أشد غموضاً، وسوف يثبت ذلك فيما يلي عند ذكر حالات مُشاكلة، إلا أننا لا ندّعي الإجابة على سؤال من كان جون كينج؟ لكننا سنلاحظ أن أولكوت قد كتب فقرة في كتابه 'أوراق من يوميات قديمة' يصف فيها 'ظاهرة' أنتجت بلافاتسكى في إبريل عام 1875، وهي عبارة عن شكل تدّعي أنه مرسوم بوسائل غيبية في كراستها، ويحتوي على جوهرة ماسونية الصليب الوردى، ويصل بين اسم جون كينج واسم هنرى دى مورجان، وهذان الاسمان مكتوبان على الشكل المذكور¹⁸، وقد يكون ذلك برهاناً لكننا لا نرغب في استغلاله، فقد كان هناك في الواقع بروفييسور دى مورجان رئيس جمعية الرياضيات *Mathematical Society* فى لندن، وكان مهتماً بالظواهر النفسية *psychism*، ولكننا لا نعتقد أنه المقصود هنا، ومن ناحية أخرى تتحدث مدام بلافاتسكى فى خطابها إلى سولويفوف فى فبراير 1886 عن *M...* الذى تدعى "أنه خانها ودمرها بقول أكاذيب لوسيطها هووم الذى دمر سمعتها منذ عشر سنوات

18 أما عن هوية جون كينج مع هنرى دى مورجان فمن العجيب ملاحظة أن كاتى زوجة وليم كروكس تدعى كذلك أنها عاشت فى الهند باسم *Annie Owen Morgan*، ومن ثم تبدو المقارنة أقرب مما افترضنا، أما رئيس جمعية الرياضة فى لندن فقد كان اسمه *August de Morgan*.

مضت"، ويجوز افتراض أن الحرف الأول M يشير إلى الشخصية ذاتها، ولا بد أن نستنتج أن هنرى دى مورجان هذا لو كان ذلك اسمه حقاً قد هجر وسيطه الأسبق حوالى 1875 أو 1876، أى فى الوقت الذى أقامت فيه 'نادى المعجزات' فى فيلادلفيا والذى كان مصيره على منوال مصير محاولتها فى القاهرة وللأسباب ذاتها فى الحاليتين، وهو إثبات احتيال بلافاتسكى المتكرر¹⁹.

والواقع أن جون كينج لم يعد له ذكر فى ذلك الحين، واعتري بلافاتسكى تغير غريب، وهى قرينة لتوكيد ما طرحنا تواء، وكان السبب الرئيس فى هذا التغير لقاءها بجورج فيلت George G.Felt، والذى قدمه إليها صحفى باسم ستيفنز، وكان فيلت يدعى أنه معلم فى الرياضة وعالم فى المصرىات Egyptologist²⁰، وكان عضواً فى جمعية سرية باسم 'الأخوة الهرمسية بالأقصر Hermetic Brotherhood of Luxur'، واختصارها 'HP of L'²¹، ورغم أنها قامت

19 لقد ادعى البعض أن مدام بلافاتسكى تزوجت من أحد مواطنيها كان وسيطاً هو الآخر وأصغر منها سنًا، ولكنها تركته وسافرت إلى نيويورك، والمفترض أنها رفعت دعوى طلاق قيل إنها استغرقت ثلاث سنوات، ولم تتمكن من تأكيد هذه الوقائع من مصادر أخرى، فهناك معلومات أخرى تجعلها عندنا بعيدة الاحتمال، كما أن حياتها كانت مغامرة بما يكفى ولسنا بحاجة إلى إدماج قصص رومانسية مغلوطة، على منوال علاقتها بمغنى اسمه ميتروفيتش، وقد تكون حقيقة إلا أنها مسألة حياتها الشخصية ولا علاقة لنا بها، وقد نشر لاکور جاييه Lacour Gayet فى الفيجارو عدد 16 سبتمبر 1921 بعنوان 'حياة مدام بلافاتسكى فى التجوال'.

وقد كنا نأمل فى اعتبار الزواج الثانى لمدام بلافاتسكى والطلاق مجرد أكاذيب وتشهير، لكن الثيوزوفيون أنفسهم قد أولوا هذه المسألة اهتماماً غامراً، وأشاروا إلينا أن أولكوت يتحدث فى كتابه 'أوراق من يوميات قديمة' عن حيازته للوثائق التى ترتبط بهذه المسألة، ولو كانت تلقى ضوءاً على الجانب المؤسف من شخصيتها فإننا لن نعترض، ويبدو أن الزواج قد جرى فى فيلادلفيا فى 3 إبريل 1875 حينما كان جنرال بلافاتسكى لازال حياً، وأن الطلاق لم يحدث أصلاً من زوجها الأرمنى الثانى الشاب الذى يسمى Bettalay، كما أن فاركوهار J.N. Faquhar يقول إنها سجلت سنّها 36 عاماً فى حين كانت على الحقيقة 43 عاماً، وأخيراً التقت أثناء إجراءات الطلاق بالمحامى چادچ W.Q. Judge الذى كان موكلاً لصالحها فى القضية.

20 'أوراق من يوميات قديمة' فى مجلة Theosophist, Nov., Dec, 1892.

21 ولا ينبغى خلط اسم 'الأخوة الهرمسية بالأقصر Hermetic Brotherhood of Luxur' بجمعية أخرى بالاسم ذاته Hermetic Brotherhood of Light التى تأسست حوالى عام 1885 فى شيكاغو.

بدور مهم في إنتاج أول ظاهرة روحية في أميركا فقد كانت هذه الجمعية تناقض النظريات الأرواحية *spiritist theories* بموجب أن تعاليمهم تدعى أن هذه الظواهر لا تحدثها أرواح الموتى ولكنها قوى يحكمها ناس أحياء، وقد كان أن صرفت بلافاتسكي جون كينج نظراً لاحتلالها 'بروح' *spirit* تسمى نفسها بالاسم المصري القديم سيراييس، والتي اختزلت فيما بعد إلى مجرد أمر 'عنصري' *elemental*، وفي ذلك الحين كان دوجلاس هوم يهاجم مدام بلافاتسكي علناً في كتابه 'أحداث في حياتي' *Incidents in My Life*، ومن ثم أعلنت بلافاتسكي بكذب واضح "إنني لم أكن ولن أكون في حياتي وسيطاً محترفاً"، وقالت "لقد كرست حياتي بأكملها لدراسة القبالة اليهودية والغيبية والعلوم الغيبية"²²، وقد كان ذلك رداً على فيلت الذي صنّفها مع أولكوت والأخوة الهرمسية بالأقصر بالانضواء في جمعية أسرارية، وكانت تقول قبل ذلك ببرهنة "لكن ذلك لا يعني أنني كنت أبولونيوس التياني في رداء امرأة"²³، وبعد هذا التصريح الذي يناقض قصتها الأسبق عن 'تعميدها' تضيف أن "جون كينج قد ارتبط بها منذ زمان قديم قبل أن يبدأ في الاستغراق في 'التجسد' *materializing* في لندن"، ولا شك أن هذه 'الروح' هي التي كان من المفروض أن تحميها منذ الطفولة قد تحولت إلى 'مهاتما' موريا، ومن ثم طفقت تتحدث عن جون كينج باحتقار شديد،

"إن الشبيه يقع على شبيهه، فهناك عديد من الرجال والنساء الصالحين الذين عرفتهم قد أمضوا سنوات من حياتهم في حماية 'أرواح' بلا جسد أو أرواح 'كوكبية' *planetary*، ولكن ليست هذه الأرواح على شاكلة جون كينج ولا إيرنست اللذان يمثلان في قاعة المحاضرات"²⁴، وسوف نلتقي مع إيرنست في سياق الحديث عن ليدبيتر *Leadbeater* الذي ادّعى أن الحماية الغيبية التي تمتعت بها بلافاتسكي في شبابها كانت مدداً من 'جنّيات' *fairies* وأرواح الطبيعة، ويحتاج الثيوزوفيون إلى الموافقة على رواياتهم! ولكنها اتبعت أهواءها، فما الذي يمكن أن نفهمه عن 'طهارة' بلافاتسكي وروحانيتها في الوقت الذي كان يسيطر عليها جون كينج؟

22 خطاب مؤرخ في 25 يونيو 1876م.

23 خطاب مؤرخ في 12 إبريل 1875، راجع كتاب أولكوت 'Old Dairy Leaves'.

وحتى نعود إلى هذا الموضوع ثانية لنقل إن مدام بلافاتسكي وأولكوت قد انفصلا بعد تأسيس 'الأخوة الهرمسية بالأقصر *HB of L*' بفترة طويلة، وأنهما طُرِدَا منها قبل سفر بلافاتسكي إلى أميريكَا بفترة وجيزة²⁵، وأهمية هذه الملاحظة ترجع إلى الوقائع الأسبق التي عادة ما تؤدي إلى أخطاء واضحة، وذلك مثل دراسة نُشرت من بضع سنوات²⁶ للدكتور فيراند *Dr. J. Ferrand*، والذي كتب ما يلي فيما يتعلق ببنية تراتب أعضاء الجمعية الثيوزوفية، "فهناك تنظيم سرى آخر أعلى سلطة من قادة مدرسة الثيوزوفية الشرقية *Oriental Theosophical School* يتشكل من بين القادة أنفسهم، ولا تُعرف أسمائهم لكنهم يوقعون قراراتهم بحروف '*HB of L*'".

ونحن نعرف تماماً كل ما يتعلق بشعار '*HB of L*'، ونؤكد أن الشعار ليس له علاقة رسمية ولا غير رسمية بالجمعية الثيوزوفية²⁷ كما نعرف الجمعيات²⁸، زد على ذلك أن امتلاكنا للوثائق

25 كتاب ألفه هاريسون *C.G.Harrison* بعنوان 'العالم المتعالى *Trancendental World*' نُشر في إنجلترا عام 1894، ويبدو أنه يحتوى على مرجع إلى هذا الحدث والعداوة التي اشتعلت بين '*HB of L*' وبين الجمعية الثيوزوفية، لكن المعلومات التي تضمنتها تتعلق بالأصل الغيبي *occult* للجمعية الثيوزوفية، وهو خيال جاح بطبيعته وليس عليه برهان من أية جهة يمكن ذكرها هنا.

26 'The Doctrine of Theosophy, its past present Its Future', in *Review of Philosophy*, Aug. 1913. Pp.14-52. The passage mentioned here is taken from p.28.

27 وقد أكد ثيوزوفيون بعينهم بإصرار بالغ على التدليل على البرهنة على أهميتها عندهم أن '*HB of L*' كانت 'تقليداً' أو 'تزييفاً' للجمعية الثيوزوفية، وهو ما يعنى أنها أسست في تاريخ لاحق، ولا بد إذن من الإشارة إلى أن '*H B of L*' قد تم الاعتراف بها ظاهرياً في عام 1870، أى إن هذا العام قد شهد ميلاد 'الدائرة الخارجية' التي تولى رئاستها ماكس ثيون *Max Theon* عام 1873، والذي كان يُفترض أنه 'داعية للذهب' الذي سُميت تراثاً كونياً '*Cosmic Tradition*'، وقد بلغنا مؤخراً خبر موتها، وقد كان بالتأكيد ابن بولس ميثامون، راجع حاشية 2 باب 2، أما الصور المبكرة فقد كانت على صراع دائم مع الجمعية الثيوزوفية وكذلك مع محافل الصليب الوردى الانجليزى التي سنعود إليها لاحقاً، فقد كانت '*H B of L*' بلا شك تسعى في هذه المنظمات التي عُرفت بأسماء شتى على منوال 'أخوة إيوليس *Fraternity of the Eulis*' التي أسسها راندولف *P.B. Randolph*، وحتى المنظمة الغامضة التي تسمى 'مُحفل أنسايريه *Order of Ansairih*'، والتي تواصلت معها 'أخوة إيوليس'، والتي فصلناها في كتابنا 'خطل الأرواحيين *The Spritist Fallacy*'، part 1, ch.2، أضف إلى ذلك أن بارليه *F.Ch.Barlet* قد سلم لنا وثائق غير منشورة، وقد كان الممثل الرسمي لفرنسا بعد أن كان أحد مؤسسى أول فرع في فرنسا للجمعية الثيوزوفية، وقد

تبرهن قطعياً على ما نقول هنا، وخاصة خطاب من أحد وجهاء 'HB of L' بتاريخ يوليو 1887 يقول فيه "إن الجوانية البوذية" أى 'المذهب الثيوزوفى' موصوف "كمحاولة للاستغلاق على العقل الغربى"، كما يقال مع أمور أخرى إن "الراهب الحق لا يُعلم مذهب الفعل Karma ولا مذهب التناسخ reincarnation"، والتي أكدها كُتَّاب الجوانية البوذية وأعمال ثيوزوفية أخرى، وأنه "ليس فى تلك الأعمال المذكورة، ولا نجد على صفحات مجلة Theosophist منظوراً جوانياً للمسائل المهمة"، وربما كان فصل 'HB of L' بين المذهبيين إلى دائرة برانية ودائرة جوانية قد

.....

انفصل عنها عام 1888 بعد خلاف مع بعض أصدائه فى مجلة Lotus، وبدأت العداوة بين الجمعية المذكورة و'HB of L' على نحو واضح عام 1886 حول مخطط لإنشاء مستوطنة زراعية فى أميرىكا بأعضاء من 'HB of L'، وفى هذا التاريخ وجدت مدام بلافاتسكى فرصة مناسبة للانتقام من إقصائها عام 1878، وناورت بحيث نجحت فى منع بورجون T.H.Burgyne السكرتير العام للطريقة من دخول الولايات المتحدة، وارسلت إلى السلطات وثائق تثبت أنه محكوم عليه بتهمة الاحتيال، لكن دافيدسون Peter Davidson الذى حمل لقب 'الأستاذ الإقليمي الأعظم للشمال'، وذهب إلى الإقامة مع عائلته فى لودزفيل بولاية جورجيا حيث مات منذ بضع سنوات، وبعد أن استغرقت أخوة H B of L فى سبات عميق أسس طريقة سماها 'الصليب والثعبان' اقتباساً عن رمز الثعبان البرونزى التوراتى، والتي نشرت عن متحدث رسمى فى مجلة The Morning Star، وقد كان دافيدسون هو الذى كتب الخطاب الذى نوهنا عنه إلى بارليه، وها هنا مقتطف من الخطاب ذاته،

"... كما يجب ملاحظة أنه منذ وصول مدام بلافاتسكى وكولونيل أولكوت إلى الهند فإن الجمعية الثيوزوفية لم تكن مطلقاً بحاجة إلى إلهام مما يسمى 'الأخوات الأصيلة' فى الهيمالايا، بل لجأت إلى طريقة متدنية تنتمى إلى الثقافة البوذية، وأنا أتحدث إليكم عن أمرٍ أعلمه بثقة تامة، ولكن لو عندكم شكوك فيما أقول فإن الكساندر الكورنى Alexander of Corfu يحتكم على عدة خطابات من مدام بلافاتسكى تعترف فيها صراحة بما أبلغتكم به."

وغالبا ما كانت الطريقة المشار إليها هى 'ماها بودهى ساماج' وهى التى يرأسها القس سومانجالا الرئيس الأكبر لفيداودايا باريفانا فى كولومبو، وبعد عام كتب ديفيدسون خطاباً ملغزاً آخر قال فيه "إن الراهب الحق والمهاتما الحق كما لو كانا قطبا مغناطيس رغم أن كثيراً من المهاتمات أعضاء فى جمعيتنا لأسباب مهمة."

28 وربما كان من أغرب الأمور أن تنشر مجلة Theosophist إعلاناً عن مجلة غيبية فى جلاسيو يدعو الذين يرغبون فى عضوية أخوة غيبية لا تغتر بمعرفتها بل تعلم مجاناً كل من لا ينتمى إلى 'HB of L'، وربما كانت الكلمات غير مباشرة ولكنها تنويه واضح عن الإجراءات العكسية للجمعية الثيوزوفية الذى تعرض لكثير من النقد فى مجلة Occult Magazine عدد يوليو أغسطس عام 1880.

أوحت إلى بلافاتسكى بفكرة إنشاء جمعيتها بقسم 'البرانية' وقسم الجوانية، ولكن هاتان المنظومتان كانتا في صراع لا ينفصُّ حول كثير من النقاط الجوهرية، وخاصة ما تعلق بمذهب 'HB of L' الذى كان يلاحى التناسخ بوضوح، وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما يلى فى سياق حديثنا عن فقرة من كتاب *Isis Unveiled*، والتي تبدو كما لو كانت إيماءًا بها، وهو العمل الذى كتبه بلافاتسكى فى الوقت الذى نتحدث عن حالياً.

ولنعد الآن إلى مسار الأحداث، ففي 20 أكتوبر 1875 أى أقل من شهرين بعد ظهور سيراييس على المسرح 'بجمعية البحوث الروحية *Spiritual Investigations*' التى تأسست فى نيويورك، وكان أولكوت رئيس مجلس إدارتها، وكان نائبا فيلت و د. بانكوست *Dr. Seth Pancoast*، واكتفت بلافاتسكى بالوظيفة المتواضعة للسكرتيرة، وسوف نذكر من أعضائها جادج *William Q. Judge*، والذى قام بدور مهم فيما بعد فى الجمعية الثيوزوفية، و سوثيران *Charles Sotheran* الذى كان من أكبر وجهاء الماسونية الأمريكية، ونضيف فى هذا الشأن الجنرال بايك *Albert Pike* الذى كان 'الأستاذ الأعظم' للمحافل الاسكتلندية لجنوب الولايات المتحدة، والذى كان على صلة بمدام بلافاتسكى فى الوقت ذاته، لكن كل هذه العلاقات لم يكن لها عائذ، ويبدو فى هذه الحالة أن بايك قد أدرك فوراً بنظره الثاقب من هى تلك التى يتعامل معها، وحيث إن أمامنا فرصة لقول المزيد عنه، فقد كانت سمعة آلبرت بايك ككاتب ماسونى مُبالغ فيها، فإن شطراً كبيراً من عمله الرئيسى 'أخلاقيات الماسونيون المحدثون وعقائدهم *Morals and Dogma of Freemasonry*' مُختلس من كتاب الغيبى الفرنسى إيلفاس ليفى *Eliphas Levy, Dogme et Ritual de la Haute Masonry*.

وفى 17 نوفمبر عام 1875 تغير اسم الجمعية المقصودة بعد اسبوعين من مولدها إلى 'الجمعية الثيوزوفية' بمقترح من أمين صندوقها نيوتن *Henry J. Newton*، وهو أرواحى ثرى لا علم له بالثيوزوفية، ولكنه كان مسروراً بذلك الاسم دون أن يعرف لماذا، وإذن فقد كانت هذه التسمية اعتباطية حيث إنها قُبلت لمجرد إدخال السرور على قلب عضو ثرى فحسب، وهناك أمثلة شتى لأثرياء خضعوا لإغراء قادة الجمعية الثيوزوفية بالمساهمة بمعونات للجمعية لحسابهم الشخصى وحساب جمعيتهم مع بذل وعود بعرض كل أنواع الأعاجيب، وقد كان ذلك هو السبب الوحيد الذى منع تسمية فيلت 'جمعية المصريين *Egyptological Society*'، وبعد أن ألقى محاضرة عن 'القبالة المصرية' وعد بإلقاء ثلاثة محاضرات أخرى، ثم اختفى عن الأنظار

وترك أوراقاً متنوعة للسيدة بلافاتسكى، وما من شك في أن رسالته قد أنجزت، أما عن نيوتن فلم يمر وقت طويل لكي يستقيل من الجمعية بعد أن لاحظ هو والقاضي ويستبروك R.B. Westbrook احتيال بلافاتسكى بمساعدة مسز فيليبس Mrs Philips وخادمتها²⁹.

وقد بدأ إعلان مبادئ الجمعية الثيوزوفية الأولى كما يلي،

"إن اسم الجمعية الثيوزوفية يفسر أهدافها حسب رغبة أعضائها، والذين يأملون في معرفة طبيعة القوى الفائقة Supreme Powers وسماتها والأرواح الأسمى Highest Spirits عن طريق إجراءات حيوية، كذا، أى بتعبير آخر كانوا يأملون في الغوص في الفلسفات القديمة بأكثر مما قام به العلم الحديث، ويكتسبون القدرة على البرهنة لأنفسهم ولغيرهم على وجود كون غير منظور، وطبيعة سُكَّانه إن كان مسكوناً، والقوانين التي تحكمهم وعلاقتهم بالإنسان".

وهذا برهان على أن الجمعية الثيوزوفية لا تدرى شيئاً عن الثيوزوفية من واقع التعريفات الاعتبائية لها في معجم وبستر Webster's Dictionary،

"ادعاء العلاقة بالرب والأرواح الأسمى ومن ثم تحصيل علوم تفوق الإنسان بإجراءات عضوية على شاكلة الأفلوطينيين القدماء أو العمليات الكيماوية لفلاسفة النار الألمان".

ونقتبس مرة أخرى من إعلان المبادئ ما يلي،

"وبصرف النظر عن الآراء الشخصية لأعضائها فليس للجمعية عقيدة تفرضها ولا عبادة تنشرها... ويبدأ مؤسسوها من الأمل لا من اليقين بالوصول إلى أهدافها في تحقيق رغباتهم في تحصيل الحقيقة أياً كان مصدرها، ولا يدفعهم إلا إخلاصهم، ولن يثنى عنهم عن ذلك عائق مهما عَظُم".

وهذه على الحقيقة لغة الذين يبحثون وليس الذين يعرفون، فكيف يتصالح ذلك مع الادعاءات الفائقة للسيدة بلافاتسكى؟ فيتضح أكثر فأكثر أن التعميد الذي تلقته في التبت

29 وقد ذُكرت الاتصالات في مقال لكولمان William Emmtit Coleman في Chicago Congress, 1893.

اختراعاً محضاً، ورغم اتهامات الكونتيسة فالشمبايستر *Wachtmeister* فلم تدرس بلافاتسكى في مصر أسرار 'كتاب الموتى' الذي ربما كان فيلت أول من ذكره لها.

وأياً كان فبعد فترة قصيرة احتل سيراييس مركز جون كنج، ثم احتل مكانه 'أخ' كشميرى، فإذ حدث على الحقيقة؟ فقد توسط تشينتامون *Hurrychud Chintamon*³⁰ بين أولكوت و بلافاتسكى وعقدا 'تحالفاً دفاعياً وهجومياً'³¹ مع آريا ساماج، وهو تجمع أنشأه سوامى دايداندا ساراسواتى في الهند عام 1870، وكانت جمعيتهم الشيوزوفية قسماً من هذا التجمع، وحينما نُشرَ كتابها *Isis Unveiled* شوهدت الحقيقة كما هو ديدنها غالباً، فقد كتبت عن ذلك ما يلي،

"وقد أُسبغ على رتبة رئيس الرقابة *Arch Auditor* في المحفل الماسونى الرئيسى في الهند، ويُقال إنه أنشئ قبل المسيح"³².

وقد كانت آريا ساماج لازالت حديثة العهد وليس لها سمة ماسونية أياً كانت، كما أن الماسونية لا وجود لها في الهند إلا ما حمله الانجليز منها معهم، وكانت غاية آريا ساماج "استعادة بساطة الدين الفيدي البدائى"، وعلى منوال كثير من المنظمات التى تشكّلت في هذا البلد أثناء القرن التاسع عشر، وعلى الأخص آريا ساماج وفروعها المختلفة قد بدأت بروح "الإصلاح" بما يضاهاى البروتستنتية الغربية، ألم يسمّ سوامى دايداندا ساراسواتى "لوثر الهند *Luther of India*"³³؟، ولا يملك مثل هذا الرجل أن يكون مُلهماً بالتراث الهندوسى، وقد ذهب

30 ويبدو أن التشابه بين اسمى *Chintamon* و *Metamon* قد سبب بعض الاضطراب، ولا نرى احتمال وجود تفسير آخر للدفع الغربية التى وردت في مقال يطفح بالزيف في مجلة *Ocult Review, London, May 1925*، حيث قدموا هذا التشينتامون إنه كان الرأس الخفية في منظومة 'HB of L'

31 خطاب من مدام بلافاتسكى إلى شقيقتها، 2 أكتوبر عام 1877.

32 خطاب مؤرخ في 2 أكتوبر عام 1877.

33 مقال كتبه لالتشانند جوبتا في مجلة *Indian Review, Madras, 1913*.

البعض إلى قول "إن أفكاره الفلسفية لا تربو عن أفكار هربرت سبنسر"³⁴، وهو ما نعتقد من قبيل المبالغة.

ولكن لماذا أراد دايداندا سواراسواتي أن يرتبط بمدام بلافاتسكي وجمعيتها؟ ففي إعلان مبادئ الجمعية الثيوزوفية بتاريخ 17 نوفمبر 1875 بعد أن كتب "إن آريا ساماج قد قامت ببداية صريحة جادة لتنقية الدين الهندي من تراكم وعثاء قرون من الكهنة المتآمرين وما نفثوا فيه"، وأضاف،

"إن المؤسسين يرون أن كل محاولات الوصول إلى العلم المطلوب مرفوضة في البلاد الأخرى فيتجهون إلى الهند حيث تمتاح منها كافة الأديان والفلسفات".

ولو كانت براهما ساماج منقسمة على نفسها في ذلك الحين ولم تستجب لهذه المقترحات فقد قبلتها آريا ساماج، وكما قلنا توّاً إن هاتان المنظومتان قامتتا على الأصول ذاتها وتكاد غاياتهما أن تتطابق، وقد كان عند بلافاتسكي سبباً آخر لهذا التحالف،

"إن البراهمة جميعاً سواءً أكانوا أرثوذكسيون أم غير ذلك يرفضون الأرواح والوسطاء وأية علاقة بالموثى بأية صورة كانت"³⁵.

وهذا التوكيد صحيح تماماً، ولا صعوبة لدينا في تصديق أن هذا التحالف مستحيل ما لم تكن بلافاتسكي قد ادعت كراهتها للروحانية منذ ارتباطها بمنظمة 'HB of L'، ولو كان البراهمة قد اعتبروا مثل هذا الاتفاق سلبياً محضاً فذلك نظراً لنقص الضمان، ولم يكن الأمر كذلك مع 'الآخرين'، أو على الأقل واحد منهم هو دايداندا سواراسواتي الذي كان يوصف في ذلك الحين بأنه "من أنبل الإخوان الأحياء"³⁶، والواقع أن خطابات المنقولة على نحو طبيعي قد تحولت عندها إلى 'رسائل نجمية astral' أرسلها 'المهاجمات' المبجلين من التبت، إلا أن سواراسواتي وضع نهايةاً للتحالف مع الجمعية الثيوزوفية عام 1882 وأنكر بلافاتسكي التي كان قريباً

34 'الفلسفة الفيديّة'، هار نارايانا، المقدمة ص. XLI.

35 خطاب مذکور بتاريخ 15 أكتوبر عام 1887.

36 خطاب إلى ستاتون موزيس، 1876.

منها كما لو كان 'حاوياً' يُعلن "إنها لا تعرف شيئاً عن العلوم الغيبية لليوجيين القدامى، وما تسميه ظواهرًا ليس إلا عمل حواة بإعداد جيد ومهارة حركية"،³⁷ والحق إن هذا صحيح . وهذا موضع مناسب لذكر من سَمَّتهم بلافاتسكي 'مرشديها الروحيين'، جون كينج و سيرايبس و 'الأخوة الكشميرية'، وهو ما يعبر باختصار عن النفوذ الذي عمل عليها بالتتابع، وقد كان ذلك هو السقطة الحقيقية لحياتها الجامح الذي أحاطت به نفسها، وحتى الآن لم يعد ذكر لهذه العلاقات التي وُجِدَت في البداية طوال حقبة بين الجمعية الثيوزوفية وبعض المنظمات السرية، وقد أهمل هذا الجانب من تاريخها رغم دلالاته الفصيحة، ونستنتج من كل ما طرحنا أن بلافاتسكي كانت 'موضوعاً' أو أداةً في يد أفراد أو جماعات من الغيبيين تستغل شخصيتها كغطاء، كما كان لها حكم على أفراد كأدوات تحت يدها، ويفسر ذلك احتياها لكنه ليس عذراً له، والذين يصدِّقون أنها افتعلت كل ذلك بمبادرة منها يكادوا أن يكونوا مخطئين على منوال الذين صدِّقوا دعاواها عن 'المهاتمات'، ولازال هناك أمر قد يلقي ضوءاً جديداً على 'النفوذ' المذكور، ونعني عضوً في الصليب الوردى أو أحد محافله لها كان له صلوات وثيقة بالجمعية الثيوزوفية، وعلى عكس ما قلنا سلفاً.

37 وقد مات ديداندا ساراسوتى 30 اكتوبر 1883.

3 الجمعية الثيوزوفية والصليب الوردى

كتب أولكوت إلى ستانتون موزيس عام 1876 إنه "قد سُجِّلَ رسمياً طالباً في الأخوة *Brotherhood*" وأنه "كان لفترة طويلة على اتصال بريدى بقادتها"، وأنهم كتبوا إليه "عن أمور لا نتصور بلا فاتسكى أنه يعرفها"، فأى نوع هذا من 'الأخوات'؟ إنها ليست 'HB of L' بالتأكيد، ولا يمكن أن تكون آريا ساماج التي سوف يتم التحالف معها في العام التالي، كما لا يُحتمل أن يكون 'المِحْفَلُ الأبيض العظيم *The Great White Lodge*' أو 'أخوة التبت'، فالمصطلحات مستخدمة على نحو غامض يترك مجالاً لاضطراب لاحق سواءً أكان مقصوداً أم لم يكن، ففي خطاب آخر إلى المراسل ذاته يبدو أن موزيس قد وافق على الالتحاق بالجمعية التي ينتمى إليها أولكوت، ونقرأ ما يلي،

"... ومع تحياتي أرجو أن تسأل الإمبرطور *Imperator* ما إذا كان يمكن أن يقوم بأمر ما على نحو نفسى *psychological*، كذا، حتى يمنع بلا فاتسكى من السفر إلى الهند، حيث إننى أشعر بقلق من هذا الأمر، ولا أملك أن أقوم به بنفسى،... فالتشهير بها الذى يدور هنا وفى أوروبا قد أصابها بإحباط شديد... حتى إننى أخشى أن نفقدها، وقد يكون ذلك أمراً هيناً للأرواحى *Spiritualist* لكنه مهم لثلاثتنا،... فاسأل الإمبرطور عما اقترحتة عليك،... فهو يبدو كروح حكيمة وربما كان كذلك من القادرين على الفعل، فاسأله إن كان يمكن أن يساعدنا،... وعندنا حالياً مسز تومسون الأرملة الثرية التي تساوى سبعة ملايين دولار، والتي تمهد الأرض الآن لمدام بلا فاتسكى، وهذه السيدة قد توفر لها النقود وما يلزم للسفر إلى الهند حتى نتيح لها الدراسة والرؤية بنفسها، ولا تنسى الإمبرطور"¹.

1 فيما يتعلق بخطاب أولكوت إلى ستانتون موزيس لا نعتقد أن من الضروري التفكير في الاعتراضات التي طرحها الثيوزوفيون الذين يرون أنها مثيرة للشغب، ويدعون أن كولونيل

ولدينا الآن برهانٌ رسميٌّ على أن مدام بلافاتسكي لم تذهب إلى الهند قبل إقامتها في أميريكَا، وقد رغبت في الذهاب إلى الهند لشعورها بالحاجة إلى "الدراسة والرؤية بنفسها"، كما أنه برهان على أنها لم 'تتعمد أصلاً'، ولم تصل إلى النقطة التي تستوعب فيها قناعات ثابتة متجانسة، وقد ظهر في ذلك الوقت نفوذ من أولكوت و ستانتون يعارض سفرها إلى الهند، وهكذا يتبين أن النفوذ الفعال لم يكن من قِبَل آريا ساماج ولا أي من المنظمات الشرقية، وإلا لماذا قال أولكوت "لكنه مهم لثلاثتنا"؟ فهو ومن كتب إليه اثنان فقط، ولا بد أن ثالثهما كان الإمبراطور الذي طلب معونته بالحاح، فمن كان ذلك الشخص الغامض؟ فالواضح أنها كانت 'الروح' التي يستحضرها ستانتون موزيس لتظهر في الحلقة التي يديرها مع صديقه د. سبير *Dr. Speer*، لكن من الغريب الذي يبدو مفتاحاً لكثير من الأمور أن 'الروح' التي اتخذت اسم الإمبراطور أو لقبه هي لقب رئيس الجمعية السرية الانجليزية في محفل الفجر الذهبي للأجانب *Order of the Golden Dawn in the outer*.

وتدعى هذه المنظمة أنها 'جمعية لدراسة أعلى ما في السحر العملي' وبغرض يتوازي مع غاية الصليب الوردى *Rosicrucanism* الحقة، ومسموح للنساء بعضويتها بالتساوي مع الرجال، وتظل العضوية سرّية، وهناك ثلاثة رؤساء تنفيذيين، الإمبراطور *Imperator* والوزير الأكبر *Praemonstrator* والمستشار *Concellarius*، وهو نظام قريب الشبه بنظام *Societas Rosincruciana in Anglia* أي جمعية الصليب الوردى في إنجلترا، والتي أسسها روبرت وينتورث ليتل *Robert Wentwerth Little* عام 1867، وبها تسعة مراتب مقسمة على ثلاثة مقامات، وقادتها ثلاثة على منوال 'الفجر الذهبي'، ويحمل أعضاؤها لقب ماجوس *Magus*²، ولا تقبل لعضويتها إلا الماسونيين الذين بلغوا مرتبة 'الأستاذ *Master*'، وعددهم مقصور على

.....

أولكوت كان يُقلد أفكار السيدة تومسون وليس مدام بلافاتسكي، ولا يغير ذلك شيئاً من الأمر، ونقول فحسب إن هذا الخطاب لا معنى له لو أن بلافاتسكي كانت في الهند قبل هذه المرة، وعلى كلٍ فإن أولكوت لم يكن ليقصّر في الإشارة إلى مراسله بأن رأى السيدة تومسون ليست أمراً واقعياً.

In 1901 its leaders were W.Wynn Westcott, Supreme Magus, J.Lewis Thomas. Senior 2
Substitute Magus, S.L. Macgregor Mathers Junior Subtitle Magus.

144 عضواً، بخلاف أعضاء الشرف، ولها أربعة 'كليات' في لندن ونيويورك وريستون ومانشستر، وقد قامت مؤسسة مماثلة في اسكتلندا منذ 1877، وأخرى في أميركا عام 1880، وهما فرعان من الجمعية الإنجليزية، رغم انفصال إدارتهما.

وقد نُشر خطاب من كونت ماجريجور ماثرز *Macgregor Mathers* الذي كان سكرتيراً للكلية المتروبوليتانية *Metropolitan College* التابعة لجمعية الصليب الوردى *Socitas Rosincruciana* وعضو المجلس الأعلى لانجلترا موجهاً إلى مدير مجلة *Lucifer* الثيوزوفية عام 1889، يقول فيه ضمن أمور أخرى،

"... إن هذه الجمعية تدرس التراث الغربي، ... والمعرفة التي تُعدُّ من أهم الضرورات اللازمة لأعلى المعمدين الذين يحافظون على سريتها، وكافة الأعضاء يُبقون على مراتبهم سرّاً، وتتمتع الجمعية الثيوزوفية بالصدقة معها،... أما دارسو الهرمسية في محفل 'الفجر الذهبي' فهم ممثلوها للأجانب *in the outer*.

والغاية الرئيسية من وراء نشر هذا المانيفيستو كان إنكار 'محفل الندى والنور' *Order of the Dew and Light* و'جمعية الصليب الوردى' وأعضائهما الذين كان معظمهم أرواحيين *spiritists*³، والذين اتهموا بمزاولة 'السحر الأسود' كعادة متفشية في الدوائر الثيوزوفية كما سنرى لاحقاً، ويحمل خطاب ماجريجور هذه الشعارات، *Sapiens dominabitur astris* و *Deo duci* و *comite ferro* و *Non omnis moriar* و *Vincet Omnia veritas*، والعجيب إن الأخير هو شعار محفل 'H B of L'، والعدو اللدود للجمعية الثيوزوفية وجمعية الصليب الوردى *Societas Rosincruciana*⁴، وينتهي الخطاب بهذه الكلمات "نشر بأمر المستشار الأكبر في لندن"، ثم تبعها هذا اللغز "سبع رهبان يتكلمون على أكسير الحياة، ولا زالوا أحياءً يجتمعون كل سنة في مدينة مختلفة"، فهل كان الامبراطور في محفل 'الفجر الذهبي' أحد هؤلاء الرهبان

Lucifer, June 15, 1889. 3

4 وقد كان محفل 'H B of L' يفهم أتباع الصليب الوردى على نحو خاص مشتق أساساً من راندولف *P.B. Randolph* و'أخوة إيوليس'، وقد نُشر كتاب بعنوان *The Temple of Rosy-Cross* في فيلادلفيا عام 1882، وقد كتبه دود *F.B. Dowd* عضو محفل 'H B of L'.

السبعة؟ وذلك أمر جائز، ثم إن لدينا مؤشرات أخرى لتوكيده، ولكن ربما منع الأمين الأكبر *Spere Aude* التصريح بنشر مزيدٍ من تلك الإلهامات⁵.

وقد مات كاتب الخطاب منذ بضع سنوات مضت، وكان الأخ الأكبر لشخص آخر باسم ماجريجور ممثلٍ محفلٍ 'الفجر الذهبي' للخارج في فرنسا، وكذلك كان عضواً في الجمعية الثيوزوفية، وفي عام 1899 و 1903 كان هناك بعض اللغط في باريس حول محاولة ماجريجور وزوجته لإحياء عبادة إيزيس برعاية الكاتب الغيبي جول بوا *Jules Bois*⁶، وهي محاولات خيالية رغم أنهم حققوا بعض النجاح على سبيل حب الاستطلاع، ونضيف أن مسز ماجريجور هي 'الكاهنة العظمى أنارى' أخت هنرى بيرجسون، ونشير إلى ذلك كمعلومات ثانوية دون أن نقصد استنتاج أى أمر منها، رغم أن هناك أكثر من جانب للتشابه بين الثيوزوفية والفلسفة البرجسونية⁷ وقد ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، فقد كتب بيكول *George Pecoul* مقالاً جاء فيه،

5 وفي عام 1894 نُشر كتاب باسم 'المستشار الأكبر' *Spere Aude, Fra. R.R and A.C.* بعنوان "علم الخيمياء الروحية والمادية *The Science of Spiritual and Material Alchemy*"، والذي احتوى على عدد من الأخطاء التاريخية وترجمات من رسالة ميزاريف *Aesh Mezarft* عن القبالة لم يُذكر فيها تحقيق إيفاس ليفي بعزوها إلى أبراهام اليهودى الذى يُقال إنه قد عمّد نيكولاس فلاميل *Niclas Flamel*.

6 وقد كان بوا *Jules Bois* عضواً في محفلٍ 'الفجر الذهبي' والذي تأمر أثناء الحرب وأدين بتلقى معونات للدعاية لألمانيا، وبقي في أميريكاً ليلقى سلسلة محاضرات، كما أنشأ جمعية للدراسات النفسية في نيويورك، وعاد إلى فرنسا عام 1927، إلا أن كثيراً من الأحداث القريبة تروح في غياهب النسيان، وكان من بين الشخصيات المرموقة الكونتيسة إديثا لوليتا دى لاندزفيلد الابنة غير الشرعية لملك بافاريا لويس الأول، ولولا مونتيير ريببة البابا بيوس التاسع، وكانت صديقة حميمة للسيدة بلافاتسكى، وكانت تمضى معظم وقتها في باريس حيث كانت تعيش مع السيدة ماجريجور التي تزلت واستقرت في لندن، ويبدو أنها كانت على علاقة سيئة بأخيها، وقد قيل لنا إنها كانت تتحدث باستخفاف عن أعماله الفلسفية بنبهة احتقار.

7 وفي مقال نُشر في *Theosophical Bulletin* عدد يناير فبراير مارس 1918 يبدو شيفرييه *G.Chevrier* مهتماً باستطلاع التماهى بين البرجسونية والثيوزوفية.

"...إن بين نظريات الجمعية الثيوزوفية وبين نظريات بيرجسون تشابه غريب، ويعجب

المرء ما إذا كانا يمتاحا من مصدر واحد، وما إذا كان بيرجسون وأولكوت وليديتر و بلافاتسكى وآنى بيسانت جميعاً تلامذة لمهاتما كوت هوومى.. أو غيره، وأنا أطرح هذا السؤال لانتباه الباحثين فحسب،... وربما أدى حله إلى كشف الأصل المُلغز لحركات بعينها وطبيعة 'النفوذ' الذى تعرّضوا له جميعاً، وغالباً دون وعى منهم، ومن ثم أصبحوا بذواتهم عملاء للنفوذ الفكرى والروحي المقصود⁸."

وتتفق مع بيكول بالطبع فيما تعلق 'بالنفوذ'، ونعتقد أن دورهم جسيم لا يتطرق إليه الشك كما يجرى الظن، كما أننا لم نشك في علاقة البرجسونية بحركات 'الأرواحية الجديدة- neo-spiritualist'⁹، ولن ندهش عندما نجد أن بيرجسون قد اقتفى أثر وليم جيمس ومن ثم وقع أخيراً في الأرواحية، وبهذا الصدد فقد توفرت براهين في آخر كتب بيرجسون 'الطاقة الروحية *Energie Spirituelle*' أعترف فيه "بأن الخلود ذاته لا يمكن إثباته تجريبياً، فسيكون ذاك أمراً جُللاً، وسوف يعنى قاعدة تجريبية لحساب احتمال دوام حياة بعدد 'س' من السنوات"، أليس ذلك هو ما يحاول الأرواحيون عمله؟ وقد سمعنا من سنوات قليلة أن بيرجسون قد انكبّ عملياً على 'تجارب' من هذا النوع مع عدد من العلماء المرموقين من بينهم بروفيسور دارسونفال *D'Arsonval* ومدام كورى *Mme Curie*، ونحب أن نعتقد أن نواياه قد اتجهت إلى دراسة هذه الأمور بأكبر قدر من 'العلمية'، ولكن كيف 'صبأ' إلى مذهب الأرواحية علماء مثل وليم كروكس ولامبروزو بعد أن بدأوا على هذا المنوال؟ ولن يمكن تكرار ما يكفى عن مدى خطورة معالجة هذه الأمور، وبقيناً لن ينفع العلم ولا الفلسفة لضمان تناولها بلا حصانة.

ولنعد إلى مذهب الصليب الوردى *Rosencrucianism* الذى ظهر فى الصورة لأول مرة وكان موضوع هذا الاستطراد، وسنشير إلى مقالاته فى مجلة *Theosophist* وفى كتبه التى جاء

8 *Les Lettres, Dec.1920, pp.669-70.*

9 *The Vahan* مجلة القسم الانجليزى من الجمعية الثيوزوفية الذى امتدح محاضرات بيرجسون فى إنجلترا.

فيها عن أولكوت أن بلافاتسكي تزين بجوهرة الصليب الوردى، "وأنها تلتقتها من راهب"، ولكن عندما كان أولكوت تحت نفوذ محفل 'H B of L' كان يكنُّ احتقاراً جمًّا لأعضاء الصليب الوردى الحديث، وكتب إلى ستانتون موزيس عام 1875،

"إن أخوة الصليب الوردى كفرع فعال للطريقة الحققة التي ماتت منذ كالياسترو Cagliostro كما ماتت الماسونية مع رين Wren¹⁰، ولم يتبق غير مجرد قوقعة.

وهنا تشير كلمات "فرع فعال للطريقة الحققة" إلى تعاليم 'H B of L' حيث يُقال،

"إن مصطلح الصليب الوردى لا يشتمل على الطريقة بكاملها، ولكن على الذين تلقوا التعاليم في نظامها المحكَّم، وليست إلا كلمة مرور يتلاعب بها الإخوة لتضليل العالم".

وليس مرامنا هنا طرح التناقضات عن الأصول الحقيقية والزائفة في تاريخ الصليب الوردى، فهذه مُعميات حقيقية لم يسبق حلها على نحو مرضى، والكُتاب الذين يدعون أنهم أعضاء في الصليب الوردى لا يعرفون أكثر من غير الكُتاب في المحفل ذاته.

وقد كان يخطر ببالنا عند كُتابة الكلمات الأخيرة للدكتور فرانز هارتمان *Dr. Franz Hartman* الذي لعب دوراً مهماً في الجمعية الثيوزوفية، لكن بلافاتسكي لم تكن على أفضل علاقة به، وكما سنرى فيما تعلق بمسألة جمعية البحوث الطبيعية *the Society of Physical Research*، وقد ولد هارتمان عام 1838 في دونافورث في بافاريا، وادَّعى أنه عضو في الصليب

10 توفي كريستوفر رين *Christopher Wren* آخر أستاذ عظيم للماسونية الانجليزية القديمة عام 1702، وقد استغل البروتستنت الخمس عشر سنة التي انصرفت من وفاته حتى قيام محفل المجلِّترا الأعظم الجديد عام 1717 خير استغلال، فقد انهمكوا في تشويه التفاسير التي أدت إلى صياغة تلك الدساتير التي نُشرت عام 1733، وقد عمد القس أندرسون *Anderson* وديساجويه *Desagolier* مؤلفا الدساتير إلى التخلص من كل الوثائق القديمة التي استطاعوا جمعها حتى لا يلحظ أحد التغييرات التي حشروها، وكذلك لأن تلك الوثائق تحتوى على عبارات محرَّجة مثل القسَم بالولاء "للرب والكنيسة المقدسة والملك"، وهو دليل على الأصل الكاثوليكي للماسونية، ولذا كتب جوزيف دى مايستر *Joseph de Maister* في تقريره إلى دوق برونسفيك عام 1782 "تشير كل الأمور إلى أن الماسونية المعتادة فرع من أصل طيب قد انفصل عنه وربما فسد"، كما أن عبارة أولكوت قد توحى إلى أنه عرف شيئاً عن هذا الانحراف، لكنه أمر لا تعلمه الأغلبية الساحقة من الماسونيين 'المحدثين' بمن فيهم أعضاء البلاد الأنجلوساكسونية.

الوردى، وفي فرع غير الجمعيات الانجليزية المذكورة عليه، ولو نحن صدقنا قوله إنه وجد في مدينة كيمبتين *Kempton* أخوة حقيقية للصليب الوردى، وقد اشتهرت هذه المدينة ببيوتها المسكونة بالأرواح عام 1920، والحق إننا نعتقد إن هذه أسطورة يحاول تمريرها ليضفي مظهرًا لأساسٍ جادٍ لوجود "طريقة جَوَانِيَّة في الصليب الوردى" التي كان يدعو إليها، وقد نشر هذا الهارتمان عديدًا من الأعمال¹¹، والتي لم تستقبلها جمعية الصليب الوردى الانجليزية بحماس رغم أنهم كانوا ثيوزوفيون بدورهم، وقد انكبوا على كتاب بعنوان 'بروناوس في معبد الحكمة' يشتمل على تاريخ أتباع الصليب الوردى الحقيقيين والزائفين، وقدم له بأسرار الفلسفة الهرمسية مع إهداء للدوقة دى بومار، وفي بوسطن عام 1887 نشر الفرع الأمريكي 'محفّل الفجر الذهبي في الخارج' كتابًا لهارتمان بعنوان 'مغامرات بين أعضاء الصليب الوردى' يحتوى على وصف لدير ثيوزوفى في جبال الألب، ويقول الكاتب إن هذا الدير مرتبط بطريقة 'أخوة الصليب الذهبي والوردى'، وأن رئيس الدير يسمى الإمبراطور *Imprator*، ويعيد ذلك إلى الذهن محفّل 'الوردة والصليب الذهبي *Golden Rose-Cross*'، والذي أسسه القس الساكسونى صمويل راينختر المعروف باسم سنسيروس ريناتوس عام 1714، وقد كان ذلك الاسم موروثًا عن منظمة قديمة للصليب الوردى لو صدقنا أساطير بعينها، ويعود أصلها إلى بداية العالم، ونجد في مجلد كليبيوس فيرييتاس *Clipieus Verititas* الذى يعود إلى 1618 قائمة مؤرخة للأباطرة منذ عهد آدم عليه السلام! وقد تواترت المبالغات والأساطير وسلاسل النسب الخيالية بين الجمعيات السرية بما فيها الماسونية، والتي تُرجع سفر مصرائيم إلى آدم كذلك، وما يثير أكثر من ذلك في الحديث عن عام 1714 أن كاتبًا غيبياً يقول "إن هناك حديث موثوق يقول إن الامبراطور لازال حيًا، وأن أعماله قد اتجهت إلى السياسة"¹²، فهل هذا الشخص هو ذاته رئيس محفّل الفجر الذهبي؟ والواقع أن 'أخوة الصليب الذهبي والوردى' التي ظن البعض أنها سياسية لم

11 ونذكر هنا عناوين أهم كتبه إضافة إلى ما اقتبس منه في السياق، 'الرموز السرية للماسونية' وهو تحقيق كتاب قديم وتفسيره، 'حياة جوشوا نبي الناصرة' وهو دراسة غيبية ومفتاح للتوراة، ويحتوى على تاريخ متعمد ما سونى والسحر الأبيض والأسود، 'العلوم الغيبية في الطب'، و'مبادئ الهندسة التنجيمية'، و'فن التنجيم بالثقيب عند كورنيليوس أجرينيا وغيره'.

12 *Histoire des Rose-Crois, by Sedir, p103, note.*

توجد طوال زمان طويل، وحلَّ محلها عام 1780 محفل "الإخوة الآسيويون للمعمدون"، وقد قام مركزهم في فيينا، وكان رؤسائه يسمون "آباء وإخوة السبع كئاس الخفية في آسيا"¹³ تنويها إلى بداية يوم الساعة *Apocalypse*،...

ولا نملك إلا العجب عما إذا كان 'الرهبان السبعة' عند ماجريجور هم خلفاؤهم، وأياً كان الأمر فن المؤكد أن كثيراً من الادعاءات المتعلقة بمذهب الصليب الوردى *Rossincrucianism* لازالت تفرض على أعضائها قسم الولاء للامبراطور.

وتبين نتيجة رواية هارتمان الرومانسية أن غايته متحيزة وغير منصفة، ففي سبتمبر من عام 1889 قامت في سويسرا شركة مساهمة باسم *Fraternitas* بغرض تأسيس وإدارة مؤسسة ثيوزوفية رهبانية كما توهم، وقد عاون هارتمان د. بيودا *A. Pioda* وكونتيسة فالتشمايستر التي جاء ذكرها فيما تقدم، وهي سويدية الأصل، وكانت صديقة حميمة لمدام بلافالسكى، أما عن 'محفل الصليب الوردى الجوانى' فقد كان الإبتداع الثانى لهارتمان، ويبدو أن له علاقة حميمة بمحفل 'المستنيرين الألمان *Illuminati Germaniae*'، والذي أسسه وأعاد تنظيمه ليوبولد إنجيل *Leopold Engel* من درسدن، وقام فيه بدور سياسى مشبوه للغاية، ومن الواضح أن ذلك المحفل الأخير قد اتخذ اسمه من استنارية فايشاوبت *Weishaupt*، رغم عدم وجود ارتباط مباشر بينهما، كما كان له صلة ما 'بمحفل الصليب الوردى الجوانى' ومحفل آخر باسم 'تمبلار المشرق *Eastern Templars*' التي أسسها د. كيلنر *Dr. Karl Kellner* عام 1895، وبعد وفاته عام 1905 توسعت على يد ريوس *Theodore Reus*، وهو ثيوزوفى سنلتقى به لاحقاً، حتى ليبدو أن 'محفل الصليب الوردى الجوانى' قد أصبح 'الدائرة الباطنية' لمنظومة 'تمبلار المشرق'.

ولا ينبغى الخلط بين هذه الارتباطات وبين المؤسسة الحديثة التي أسسها الألمانى شتاينر *Rudolf Steiner* والتي سنتناولها لاحقاً، والحق إن مذهب الصليب الوردى لم يعد له اليوم أية

13 ولندكر فى هذه النقطة خطأ ملحوظا وقع فيه بابوس، فمقد صادف نصا كتبه فرودسكى *Wronski* عن 'الأخوة الآسيويون للمعمدون' فتوهم أنها منظومة شرقية حقيقية، وأن 'الأخوة' كانوا هم 'المهاتمات' الذى ظن أنها تعنى 'المراتب الأعلى للكنيسة البراهمية'، *Glossaire des principaux termes de la Science Occult, p1052.*

معانٍ محددة، ويسمى بعضهم نفسه 'أخوة الصليب الوردى' وبعضهم يسمى نفسه 'أتباع الصليب الوردى' *Rosencrusians*، ولكن لا رابط بينهما ولا بين منظومات قديمة بالاسم ذاته، وقل مثل ذلك عن الذين يسمون أنفسهم 'تمبلار'، وبدون اعتبار لأن هناك مراتب ماسونية في محافل كثيرة تسمى 'الصليب الوردى' أو أى اشتقاق منها، ويمكننا ذكر قائمة طويلة من الجمعيات السرية التي لا تتسم بشيء مشترك غير أسماءها المميزة¹⁴ كما هو الحال في الماسونية، ولذا يتعين الحرص في التعامل مع أتباع الصليب الوردى حتى لا نصف أحدهم بسمات الآخر، ولا نخلط بين جماعة منهما وأخرى قد لا تعرفها قط.

14 وسوف نذكر واحدة فقط من هذه الجمعيات، وتسمى *A.M.O.R.C.* اختصاراً لعبارة *Ancient Mystic Order of Rosy-Cross*، والتي أنشئت في 1916م بغرض إنقاذ الحضارة، كذا، وبين أيدينا نشرة دورية تعلن عن فرع فرنسي تحت التأسيس، وسوف يصل مبعوث خاص من الولايات المتحدة في 21 مايو 1921 لتدشين العمل، وعلى رأس هذه المنظمة 'الإمبراطور' ولكنه بالطبع ليس 'إمبراطور الفجر الذهبي'، وليس لها علاقة بالثيوزوفية رغم أن بعض أعضائها صرح بأنه أحصى قليلاً منهم.

ويبدو أن *A.M.O.R.C.* لم تلاق نجاحاً في فرنسا، إلا أن رئيسها سافر إلى فرنسا في 12 يوليو 1927، حيث استقبله المجلس الأعلى للمشرق الأعظم في فرنسا رسمياً في *Grand College des Rites*، وتزداد غرابة هذا الأمر حين نعلم أن ليس له علاقة بمنظمات الماسونية الأمريكية، ويعتبر الصليب الوردى المذكور 'خارجاً عن النظام'.

4 مسألة الماهاتمات

لقد تركنا مدام بلافاتسكي عام 1867 حينما كانت تفكر في السفر إلى الهند، ولم يُقيَض لها ذلك إلا في 18 نوفمبر عام 1878، ويبدو أنها أصرت عليه بعد الهجمات المبررة التي تعرضت لها، وكتبت ما يلي عن كتاب دوجلاس هوم 'أحداث في حياتي' *Incidents in My Life*،

"... ولذلك سأذهب إلى الهند إلى الأبد لأتخلص من العار والحزن، وأحتاج إلى الذهاب إلى حيث لا يعرف اسمي أحد، فقد دمر حقد هوم سمعتي في أوروبا"¹.

وقد كانت تُكنُّ كراهية مريرة للوسيط الذي فضح ألاعيبها بإيعاز من شخصية غامضة *M...*، والذي أطلقت عليه كُنية 'كالفن الأرواحية *Calvin of Spiritism*'، وقد كتبت بعد ذلك بفترة طويلة عن مخاطر الوساطة،

"...أنظر إلى ماضي حياة دوجلاس هوم، فقد كان عقله غارقاً في الحقد والمرارة، ولم يكن لديه كلمة طيبة عن أى شخص لديه ملكات نفسية، فإنه يُشهر بالوسطاء الآخرين حتى ينتهوا إلى نهايات مريرة"².

وقد خطر للسيدة بلافاتسكي للأسباب ذاتها أن تذهب إلى استراليا وتغير اسمها نهائياً³، وربما تخلت عن هذه الفكرة عام 1878، فقد أصبحت مواطنة أمريكية طبيعية، وأخيراً قررت الذهاب إلى الهند الذي كان رغبته الأولى، وهكذا قررت أن تسافر لمصلحتها لا لصالح جمعيتها، ورغم معارضة أولكوت أخذته معها وهجر أسرته حتى يتبعها، والواقع أنها كتبت عن أولكوت قبل ثلاث سنوات "إنه ليس ثرياً على الإطلاق، ولن يترك وراءه غير أعماله الأدبية،

1 خطاب في 6 نوفمبر 1877.

2 *The key to Thiosophy, p. 105.*

3 خطاب في 25 يونيو 1896.

وعليه أن ينفق على زوجته وعدة أطفال"⁴، ولم نسمع عنهم شيئاً بعد ذلك، ويبدو أن أولكوت ذاته لم يعد مشغولاً بأمرهم.

وسكنت بلافاتسكى ورفيقها لدى وصولهما إلى الهند في بمباى، ثم انتقلت عام 1882 إلى آديار بالقرب من مدراس حيث تقع قيادة الجمعية الثيوزوفية ولا زالت قائمة حتى اليوم، وتأسس 'قسم جوانى'، وتضاعفت الظواهر الخيالية على نحو مدهش على منوال الطرق وصليل الأجراس الخفية و'تجسيد' كل الأشكال، و'ترسيب' الحروف التي ترسلها وسائل النجوم *Astral means*، وستجد شتى الأمثلة من هذا القبيل في كتاب سينيت عالم الغيبية *A.P. Sinnett, 'The Occult World'*، وربما كان أكثر الجميع إسهاماً في نشر الثيوزوفية في أوروبا، لكنه انخدع حقاً بالأعيب بلافاتسكى التي لم تقتصر على ترسيب الحروف بل احتوت كذلك على رسوم وتصوير، ولا شك أن التصوير قد نتج عما يسمى التصوير الوسائطي الذي ابتدعته بلافاتسكى في فيلادلفيا، وباعته بأسعار خيالية للذين انخدعوا به، وكان من بينهم جنرال لبيت *General Lippitt* الذي مات مجنوناً، كما أن هذه الظواهر لم تكن جديدة تماماً، فقد صلصلت 'الأجراس النجمية' في أميركا قبل إلكوت وبارون في مقاطعة بالمز، وللعجب أنها سُمعت في إنجلترا في بيوت د. سبيير و ستانتون موزيس، وربما في أحد المرات التي جعلت أولكوت يقول أن "ستانتون موزيس وبلافاتسكى ملهمان أيضاً بالذكاء ذاته"⁵، وربما كان كذلك الامبراطور اللغز الذي ذكرناه آنفاً، إلا أن ستانتون كتب إلى صديقه وليم أوكسلي قبل مماته "ليست الثيوزوفية إلا هلاوس"⁶.

وظهر على المسرح في هذه الفترة 'ماهاتمات' التبت، وأصبح إنتاج الظواهر يعزى إليهم، وخاصة إلى كوت هوومى لاي سينج، وهو أستاذ *Master* بلافاتسكى الجديد، وقيل إن الغيبين يتخذون اسماً جديداً بعد تعميدهم⁷، ولكن إذا كان اسمه أصلاً كوت هوومى تبتياً أو

4 خطاب في 25 مارس 1895.

5 *Theosophist*, Dec. 1893.

6 *Light*, October 8, 1892.

7 *The Occult World*, p.84.

منغولياً فإن لاي سينج بالتأكيد هندوسى من طبقة الكشطريا أو السيخ، ومن الصحيح أن تغيير الاسم أمر شائع فى الجمعيات السرية فى الشرق والغرب، وفى 1714 نقرأ فى لوائح محفل 'الصليب الوردى الذهبى' *Golen Rose-Cross* ما يلى "على كل الإخوة تغيير اسمائهم الأولى وأسماء أسرهم بعد قبولهم، وسيفعلون الأمر ذاته لو غيروا بلادهم"، وهذا مثل واحد فحسب بين كثير غيره، وهو أمر يسهل على بلافاتسكى الوعى به، وفيما يلى ما قاله سينيت عن كووت هوومى فيما تعلق بمراسلاته معه،

"ويمكن أن أفسر هنا ما علمته فيما بعد أنه من البنجاب وانجذب إلى الدراسات الغيبية منذ حادثته، ثم أرسل إلى أوروبا بتدخل قريبه الذى كان غيبياً بدوره لكى يتعلم العلوم الغربية، ومنذ ذلك الوقت صار تام التعميد فى معرفة المشرق الأعظم"⁸.

وقيل فى وقت لاحق إنه قد تحقق بتعميده الكامل فى سياق تجسده السابق، لكن المعلمين *Masters* يحفظون كل صور تناسخاتهم السابقة، ويُقال إن كووت هوومى يعرف حوالى ثمانمئة، ومن الصعوبة مصالحة كل هذه التوكيدات المتنوعة.

والمهاتمات أو 'معلموا الحكمة' هم أعلى مقامات 'المحفل الأبيض الأعظم' *Great White Lodge*، أى البنية الغيبية التى تحكم العالم سراً كما يقول الثيوزوفيون، ومن المسلم به فى البداية أنهم كانوا خاضعين لرئيس أعلى واحد⁹، ويبدو الآن أن الرؤساء قد أصبحوا سبعة على منوال الرهبان السبعة فى الصليب الوردى، والذين يحتكمون على أكسير الحياة، ويمثل هؤلاء السبعة 'المراكز السبعة للإنسان السماوى' الذى تشكل عقله بيد مانو وقلبه بيد بودهيساتفا الذى يرشد جنس بنى الإنسان¹⁰، واتحاد مفهوم ما مانو و بودهيساتفا اللذان لا ينتميا إلى التراث ذاته، فالأول براهمى والثانى بوذى، مما يصير مثلاً للطريقة 'الكهربائية' التى جعلت منها الثيوزوفية ما تسميه مذهبا، وفى البدء كان يمكن تسمية المهاتمات باسم 'الإخوان *Brothers*'، أما الآن

⁸ *The Occult World*, pp.83-84.

⁹ *Esoteric Buddhism*, p.54.

¹⁰ *L'Occultism dan la Nature*. by C.W. Leadbeater, p. 276 of the French translation.

يفضلون 'الرهبان'، وهو اصطلاح انتخه الثيوزوفيون من لغة الصليب الوردى، والتي تعنى المعمدين الذين بلغوا أعلى المراتب فى بنيتهم الباطنية، ويقول د. فيراند *Dr. Ferrand* فى المقال الذى ذكرناه إنه يرى أن "من الأوفق التمييز بين 'المهاتمات' وبين 'المعلمين *Masters* والرهبان *Adepts*"، ويعتقد فيراند أنهم القادة الحقيقيين للجمعية الثيوزوفية¹¹، لكن ذلك خطأ، فهم يتواضعون بحيث يسمون أنفسهم مجرد تلاميذ، أما الثيوزوفيون فيعتقدون أن المهاتمات والرهبان هما الشئ ذاته، وهو ما اقترحه د. فرايز هارتمان¹²، كما انطبق عليهم لقب معلم¹³ *Master*، وكان ذلك يُطبَّق على العموم، لكن ظهرت بعض التحديدات فيما بعد، فيرى ليدبير "إنه ليس كل الرهبان معلمين"، والحق إن المرء لا بد أن يسبغ لقب 'معلم' على من كان مثل كوت هومى، وقليل من الآخرين، "الذين يستوفون شروط خاصة لقبول التلاميذ الجديرين بهذا الشرف"¹⁴.

وتحتل مسألة 'المهاتمات' مكانة معتبرة من تاريخ الجمعية الثيوزوفية وحتى تعاليمها، ويمكن أن نتضح أكثر بعد ما أوجزناه آنفاً، والحق إن هذه المسألة أشد تعقيداً مما كنا نعتقد، ولا يكفى قول إن المهاتمات قد وُجدوا فى خيال مدام بلافاتسكى وشركائها فحسب، وربما كان اسم كوت هومى اختراعاً محضاً وربما كان قناعاً لنفوذ حقيقى، لكن من المؤكد أن ملهمو بلافاتسكى الحقيقيين أياً كانوا لم يكونوا كما وصفتهم، ومن منظور آخر فإن كلمة مهاتما فى السنسكريتية لم تعن مطلقاً ما يُسبغ عليها من معان، فهذه الكلمة تعنى مبدئاً ميتافيزيقياً ولا ينبغى أن تُطلق على إنسان، وربما كانت ملاحظة سوء استعمالها قد أدت إلى هجرها تماماً أو يكاد، أما عن الظواهر التى قيل أنها نتجت بتدخل 'المعلمين *Masters*' فقد كانت من نوع ما ظهر فى 'نادى المعجزات' فى القاهرة و فيلادلفيا ونيويورك، وقد أيد ذلك بحث د. ريتشارد هودجسون كما سنرى لاحقاً، أما 'الرسائل المترسبة *precipitated messages*' فقد كانت من

11 *Revue de Philosophie, Aug. 1913, pp. 15-16.*

12 *In the Pronaos of the Temple of Wisdom, p.102.*

13 *The Key to Theosophy, p.289.*

14 *L'Occultisme dans la Nature, pp.15-16.*

فبركة بلافاتسكى بايعاز من دامودار ك. مافالانكار، وهو براهمانى أنكر طبقته علنا إضافة إلى بعض الآخرين، وكما قال هيوم *Alen O. Hume* عام 1883 الذى بدأ فى التعاون مع سينيت فى تحرير كتاب *Esoteric Buddhism* ثم تراجع بعد اكتشاف عدة تناقضات فى خطابات كوت هوومى المزعومة، والتي كانت أساسا لذلك الكتاب، كما أن سينيت ذاته قد اعترف أنه،

"كلها تمسّ القراء بالهند كلما قل تصديقهم إلا ببرهان إيجابى على أصالة مكاتبات كوت هوومى ... قد كتبها مواطن هندى"¹⁵.

وقد اكتشف مع انفصال آريا ساماج أن أحد الخطابات المذكورة منقولة بحذافيرها من عدد يونية 1881 من مجلة *Occult World*¹⁶، والذي كان نسخة من محاضرة ألقاها بروفيسور هنرى كيديل *Henry Kiddle* من نيورك فى ليك بليزانت فى أغسطس عام 1880، ونشرت فى الشهر ذاته فى مجلة الأرواحيين *Banner of Light*، وقد كتب كيديل إلى سينيت يسأله عن تفسير، لكن سينيت لم يأبه بالرد، وفى الوقت ذاته كانت تقوم فروع للجمعية الثيوزوفية فى لندن وباريس، وتفجرت الفضيحة عام 1883 بعد أن نفذ صبر كيديل الذى قرر أن يعلن احتجاجه¹⁷، وهو ما أدى على الفور إلى عدة استقالات غاضبة فى فرع لندن خصوصاً، وكان من بينهم ماساى *C.C.Massey* رئيسه حينذاك، و ستانتون موزيس، و برسيغال *E.W.Persival* و مابل كولينز *Mabel Collins* مؤلف 'نور على الطريق' *Light on the Path*¹⁸ و 'بوابات الذهب' *Golden Gates*، ود. وايلد *George Wyld* الذى كان أول رئيس لفرع لندن ذاته، والذي انسحب منه فى مايو 1882 لأن بلافاتسكى قالت فى مقال فى مجلة *Theosophist* "ليس هناك رب شخصى ولا لاشخصى"، ورد عليها بأنه "لو لم يكن هناك رب لما

15 *The Occult World*, pp88-89.

16 p. 102.

17 *Light*, Sept. I, 188

18 وقد ظلت مسألة أصل 'نور على الطريق' غامضة ولم تتضح مطلقاً، وقد ادعت ميبل كولنز أنها قرأت هذه الرسالة على حوائط قصر تزوره روحياً، كذا، أما مدام بلافاتسكى فقد قالت "إن الكاتب الحقيقى كان 'راهبا' باسم هيلاريون *Hilarion*".

كان هناك تعاليم ثيوزوفية"، كما استقال كذلك عدد كبير من الأعضاء الذين التحقوا بالجمعية الثيوزوفية بلا حذر عندما نعى إليهم معلومات عن قادتهم وقيمة تعاليمهم.

وقد أدت هذه الوقائع على الأقل مؤقتاً إلى استبدال كووت هوومي 'بمهاتما' آخر باسم موريا، وهو ذاته الذي ادعت بلافاتسكى أنها التقت به في لندن عام 1851، والذي اتصلت به مسز بيسانت بعد ذلك ببضع سنوات، ولو صدقنا ليدبيتر فقد كان هناك علاقة وثيقة بين موريا ومدام بلافاتسكى وكولونيل أولكوت، ويحكى في هذا الصدد عن أمر يُفترض أنه حدث منذ بضعة آلاف من السنين في أتلانتيس، حيث كان هؤلاء الثلاثة معا¹⁹، وقد كان موريا كما وصفه سينيت 'فائق الشهرة'، أما بلافاتسكى فقد كانت تسميه 'الجنرال'، ولا يُشار إليه بالحروف الأولى من اسمه في ملاحق الطبعة الجديدة من مجلة *Occult World*، وها هنا الأسباب التي قيلت،

"من الصعب أحياناً معرفة ما ينبغي كيف ننادى الإخوة حتى لو كنا نعرف اسمائهم الطبيعية، فن أفضل استخدامها أقل ما يمكن حتى لا تصبح سبباً للضيق بإفصاحها عن حقيقة التلميذ لو بلغت حد الاحتقار عند المازلين"²⁰.

كما قالت مدام بلافاتسكى "أما عن أفضل الثيوزوفيين فينبغي عليهم الامتناع عن ذكر أساتذتنا بحيث لا تختلط بأى طريق كان في كتبنا"²¹، وقد كان ذلك سبباً لعادة تفتشت في الحديث عن 'المعلمين' K.H. أى كووت هوومي و M. أى موريا و D.K. أى ديجوال خول *Djwal Khul*، والمفترض أن هذا الاسم الأخير 'تجسيد' آرياسانج تلميذ بودها، وهو قادم حديثاً إلى باقة الماهاتمات، وقد بلغ الرهبانية مؤخرًا، لكن ليدبيتر يقول إنه لم يبلغ المرحلة التي يظهر فيها كظهوره أول مرة²².

19 *L'Occultisme dans la Nature*, pp 408-409.

20 *The Occult World*, p.165, note.

21 *The key to Theosophy*. p. 300.

22 *L'Occultisme dans la Nature*, pp.408-409.

ولا زال كوت هوومى و موريا مرشدان للجمعية الثيوزوفية، ويبدو أنهما منذوران لمكانة أعلى من ذلك، فيقول ليدبيتر مايلي،

"ويعلم كثير من تلامذتنا أن الأستاذ M. هو الراهب العظيم الذى يتصل به المؤسسَان خاصة، وقد اختاره مانو من طبقة الجنس السادس، وهى التى تعقب طبقتنا، وأن صديقه المحميم الأستاذ K.H. سوف يكون معلم الدين"²³.

أى بودهيساتفا فى حيواته فى عقد الثريا، وسوف نعود إليها لاحقاً، وقد سُمى موريا 'المريخ' Mars، وسُمى كوت هوومى عطارد Mercury وسُمى دچوال خول المشتري Uranus، وسُمى بودهيساتفا الحالى سوريا، وهو الكلمة السنسكريتية للشمس، وبحسب التعاليم الثيوزوفية فإن المريخ وعطارد من كواكب المجموعة الشمسية التى شأنها شأن الأرض، وأن الإنسانية الأرضية قد تجسدت قبل ذلك فى المريخ، وسوف تتجسد مستقبلاً فى عطارد، وقد كان اختيار هذين الكوكبين لتسمية مانو المستقبل و بودهيساتفا على التوالى كما لو كانت قد تشكلت من الفقرة التالية من 'صوت الصمت Voice of Silence'،

"أنظر إلى المريخ من خلال وشاحه القرمزى تجد 'عينه' تعانق الأرض الوسنانة، وانظر إلى 'يد' عطارد تمتد لترت على رؤوس زُهاده"²⁴. وهنا تناظر العين المخ وتناظر اليد القلب، وهما فى نطاق الملكات مركزان رئيسان 'للإنسان الربانى' وهما الذاكرة والعقل الملمهم أو البصيرة، وتعالج الأولى ماضى الإنسان وتعالج الثانية مستقبه، وعلى سبيل حب الاستطلاع وجمع المعلومات من المثير ذكر تلك التوافقات، إضافة إلى أن الاسم السنسكرينى لعطارد هو 'بودها Budha' فى حيواته فى عقد الثريا، والذى يظهر فى السماء بصورة الصياد اليونانى الذى استعاد جسده بعد أن قتله البرابرة، ولننتهز المناسبة للاقتباس من فينلون 25 حيث قال إن الفيلسوف

Ibid. p.381. 23

24 صفحة 54 من الترجمة الفرنسية لأمارافيلا كولومب E.Colomb، والذى ترك الجمعية الثيوزوفية، ولا علاقة له بالزوجين كولومب اللذان عرفتهما مدام بلافاتسكى فى القاهرة، وسوف تلتقى بهما مرة أخرى فى الهند.

Abrige de la des plus illustres philosophic de l'antiquete, published 1823. 25

فيثاغورث قد كان ذى قبل هو الصياد بيرثوس، ويقال إنه ابن عطارد، وأضاف أن ذلك توازيا مدهشاً²⁶، ولا بد أنها كذلك عند الثيوزوفيين الذين تمسكوا باعتقاد أن أستاذهم كوت هوومى تجسداً لفيثاغورس".

ويعتبر الثيوزوفيون أن الرهبان رجال أحياء، ولكنهم طوروا ملكاتهم وقواهم إلى درجة فوق إنسانية، مثل معرفة ما يجول بخاطر الآخرين والتواصل الفوري 'بتلغرافات نفسية' *psychic telegraphy* مع باقي الرهبان أو مع تلامذتهم في أى مكان كانوا، والقدرة على السفر بصورتهم النجمية *astral form*، وليس فحسب من أدنى الأرض إلى أقصاها بل كذلك إلى الكواكب الأخرى، إلا أن معرفة ما يقصده الثيوزوفيون 'بالمهاتمات' لا يكفي، فالواقع أنها ليست أهم الأمور، كما أننا يجب أن نعرف ما الذى يناظر هذه الأمور في الواقع *reality* حتى لو احتسبنا منها الزيف والخداع بقدر وافر، وقد بيننا ضرورة ذلك، فلم يُقل بعد كل شيء عن هذه الشخصيات الخيالية، ومن النادر ألا يقوم الدجل على تقليد الواقع أو تزيفه، وهو في أفضل حالاته خليط من الحق والباطل مما يجعله أشد خطراً وأعوص كشافاً، وتقدمُ تدليسة ليو تاكسيل الشهيرة مثلاً مُعلِّباً في هذا الصدد، ويخطر هذا التوازي على الذهن تلقائياً²⁷، فكما اعترف تاكسيل أنه قد اختلق كل شيء فكذلك تفعل بلافاتسكى في لحظات الغضب والإحباط ولو على نحو أقل علانية، فقد كتبت في أحد كتبها الأخيرة أن اتهامها باختراع المهاتمات وتعاليمهم كان نجاحاً سابقاً لذكائها، وهو على كل أمر مشكوك فيه، ولكنها قالت كذلك أنها تفضل لو لم يؤمن الناس بالمعلمين *Masters*²⁸، كما أن هناك مقولة واضحة عن 'الظواهر' عند أولكوت،

"وفي أيام بعينها كانت حالتها العقلية تدفعها إلى إنكار كل القوى التي برهنت لنا عليها على نحو قاطع، ثم إنها ترضى عن أنها استغفلت الناس"²⁹.

26 G.Revel، 'في العام 25000 قبل المسيح'، p.284.

27 وقد خطرت هذه الفكرة على عقول غيرنا.

28 The key to Theosophy, pp.297-98.

29 فيما عدا كتاب *Old diary leaves* الذى أعيد نشره في مجلة *Blue Lotus* في 27 نوفمبر عام

ويعجب أولكوت "ما إذا كانت أحياناً تريد أن تسخر من أصدقائها"، وهذا أمر ممكن بالتأكيد، ولكن هل أرادت ذلك عندما استعرضت لهم 'ظواهرها' أم عندما ادّعت أنها زائفة؟ وعلى كلٍ فإن إنكارها قد انتشر فيما وراء دائرتها المألوفة، فقد كتبت يوماً إلى شريكها سولوفيف ما يلي،

"سوف أكتب إلى جريدة تايمز وكل الصحف أن 'الأستاذ' موريا و'المهاتما' كوت هوومي من وحى خيالي، وأنتى قد اخترعتم كسندٍ لظواهرى الروحية، وسوف أجد ورائى عشرين مليوناً من الأرواحيين"³⁰.

وإن لم يكفِ هذا التهديد للتأثير على دوائر بعينها عن طريق الذين قرؤوا الخطاب فلم تكن لتتردد فى الاستمرار فيها حتى تلقى مغامرتها ما لقيه تاكسيل، ولكن الذى يخدع بادعاء أن كل ما قال حقيقياً يمكن أن يخدع مرة أخرى بادعاء أنه زائفاً درءاً للأسئلة الباحثة، أو ربما لأسباب أخرى، وعلى كلٍ فمن الواضح أن المرء لا يملك تقليد إلا ما وجد، وخصوصاً فيما تعلق بالظواهر 'النفسية'، التى تفترض أن تقليدها لا بد أن يعتمد على ظاهرة حقيقية فى هذا النطاق، وقل مثل ذلك عن مسألة 'المهاتمات' التى اخترعتها، التى لم تكن من أجل وضع قناع على وجه القوى التى كانت تعمل من وراء بلافاتسكى، لكن هذا الاختراع قد جرى على منوال نموذج أسبق، ويجب الثيوزوفيون أن يتحدثوا عن المهاتمات تكلفاء لحكام الفيدا فى الهند أو الميجلون آرهات فى البوذية الأصلية³¹، والواقع أنهم لا يعلمون إلا قليلاً عن أفكار مشوهة ربما شكّلت السمات العامة 'للمعلمين Masters'، إلا أن الجانب الجوهري قد جاء من موضع آخر أقرب إلى المنظومات التعميدية بما فيها الغربية، التى طفقت دوماً على استحضرار 'معلمين' بعينهم يطلقون عليهم أسماء مختلفة، فأتباع الصليب الوردى *rosincrucian* يسمونهم 'رهباناً' وكذلك رؤساء مخفيون فى ماسونية المراتب العليا *High Masonry* فى القرن الثامن عشر، ونجد هنا كذلك رجال أحياء يحتكمون على ملكات فوق طبيعية، ولكن مدام بلافاتسكى لم تكن

.....
1894، ص. 418.

30 Letter dated Feb, 1886.

31 Esoteric Buddhism, pp. 49-53.

على أية علاقة 'بمعلمين' من هذا النوع، وكانت قادرة على جمع معلومات عنهم أكثر مما تعرف عن 'حكماء الريشي' *Rishis* و'الآرهابات'، والذين لم يكونوا رؤساء لمنظومات ولا غيرها، ولا يمكن استخدامهم كنموذج للمهاتمات.

وقد رأينا أن بلافاتسكى كانت على صلة بمنظومة الصليب الوردى رغم اختلاف مذهبها عن مذهب 'أخوة الصليب الوردى'، إلا أنها احتفظت ببعض أفكارها التي تتعلق 'بالرهبان'، كما أنها قرأت أعمالاً تناول هذا الموضوع، وكان من بين الكتب التي درستها مع أولكوت في أميركا والتي سنتناولها لاحقاً هو كتاب 'النجم الساطع' *L'Etoile Flamboyante* الذى كتبه بارون تشوودى *Baron of Tschoudy*، وكتاب 'سحر بنى آدم' *Magia Adamica* للكاتب فيلاليثيس³² *Eugenius Philalithes*، وقد نُشر أول الكتابين عام 1776، وقد ابتدع كاتبه عدة مراتب ماسونية عليا، ويحتوى على 'تدشين للفلاسفة المجهولين'³³، والشطر الأعظم منهما مشتق من أدبيات سينديفوجيوس عضو الصليب الوردى، كما يسمى 'الكوزموبوليتانى'، والذى يعتقد البعض أنه ماير *Michael Maier*³⁴، مؤلف الكتاب الثانى عام 1650، ويقال فى الصليب الوردى إن اسمه الحقيقى فوجان *Thomas Vaughan* حتى لو كان له أسماء أخرى فى بلاد أخرى مثل *Child* فى إنجلترا و *Zhbeil* فى أميركا و *Carnobius* فى هولندا³⁵، وهو على العموم شخصية غامضة، والأعجب منها المقولة السارية عن أنه لازال يعيش فى هذا العالم³⁶، وليست هذه الحكايات نادرة بحال كما قد يتبادر إلى الذهن، فنحن نسمع عن 'رهبان' *adepts* يُقال إنهم عاشوا فى كثير من البلاد، وإنهم يظهرون فى أوقات مختلفة، ويبدون دائماً فى العمر ذاته،

32 *Olcote's letter to Stainton Moses, June 22, 1975.*

33 وهذه التسمية لمرتبة لعدة شعائر، وخاصة عند فيلاليث، ومن المعلوم أنه اسم مستعار اتخذته مارتان *Claude de San Martin*.

34 وتماهى اسم سينديفوجيوس وميشيل ماير يبدو لنا مثيرا للشك، وقد دفع بها ويرث *Oswald Wirth* بدون تبرير فى كتابه 'الرمزية الهرمسية وعلاقتها بالخيما والماسونية'، ص. 83.

35 وأحيانا ما اختلط اسمه باسم عضو آخر من الصليب الوردى الذى كان اسمه المستعار إيريناوس فيلاليثيس، ويقول البعض إنه جورج ستاركى الذى كان اسمه الحقيقى تشايلد الذى عاش فى أميركا بدلا من تلميذه توماس فوجان.

36 *The Occult World, pp.179-80.*

ونذكر مثلاً من أعمال كونت سان جيرمان وهو أشهرهم و جوالدى انخيمائى فى فينيسيا، ويقول الثيوزوفيون بالأمر ذاته عن الماهاتمات³⁷، ولذا لا مبرر للبحث بعيداً عن مصدرها، ففكرة اتخاذ موثّل لهم فى الهند أو وسط آسيا قد أتت من المصادر ذاتها، وقد نُشر كتاب عام 1714 لمؤسس 'مُحفل الصليب الودى الذهبى' ريناتوس *Sincerus Renatus* يقول فيه "إن معلمى الصليب الوردى قد نزحوا إلى الهند منذ فترة ولم يبق منهم أحد فى أوروبا"، وقد أعلن نيوهاوس *Henry Neuhaus* الأمر نفسه، وأضاف أن ذلك أن الرحيل قد جرى بعد إعلان حرب الثلاثين عاماً، وأياً كان ما نظن فى هذه التوكيدات فمن المؤكد أن الصليب الوردى له علاقة بمنظومات شرقية وخاصة إسلامية، وبصرف النظر عن توكيداتهم فهناك توازيات ملحوظة، فالرحالة لوكاس *Paul Lucas* قد ارتحل فى اليونان وآسيا الصغرى أثناء حكم لويس الرابع عشر، ويذكر لقاءه مع أربعة دراويش فى بلدة بروس، وكان أحدهم يتحدث بكل لغات العالم، وقال إنه ينتمى إلى جماعة من سبعة أشخاص يلتقون كل عشرين عاماً فى مدينة اتفقوا عليها سلفاً، وأكد له الدراويش أن حجر الفلاسفة يُمكن المرء من الحياة آلاف الأعوام، وحكى له قصة توماس فلاميل الذى اعتُبر ميتاً لكنه كان يعيش فى الهند مع زوجته³⁸.

وليس غرضنا هنا إبداء الرأى فى وجود 'المعلمون *Masters*' وحقيقة ملكاتهم الفائقة رغم أننا قد نجد مناسبة للتطرُق إليها يوماً ما، ويتعين علينا الإسهاب فى طرح مطوّل لو كنا نوى الوفاء بموضوعها، وهو أحد المسائل خطيرة الشأن فيما تعلق بالماسونية وخاصة المسألة الخلافية عن 'القوى الغيبية'، وقد كان مقصدنا الوحيد بيان أن بلافاتسكى عزّتها إلى 'المهاتمات' ببساطة وما تعلمه أو ما توهمت أنها تعلمه عن 'المعلمين'، وفى إبان ذلك ارتكبت أخطاء بعينها فى اتخاذ المعنى الحرفى بدلاً من الرمزى، ولكن لم يكن هناك صعوبة تُذكر فى رسم صور لهذه الشخصيات، والتي عزّتها إلى منطقة وعرة فى التبت حتى يستحيل بلوغها، وذهبت عندما كتبت عبارتها السابقة إلى سولوفيوف إلى أنها قد أدركت 'المهاتمات' الذين لم

37 *The Occult World*, pp. 179-180.

38 *Voyage du sieur Paul Lucas par l'ordre du Roi dans le Grece, l'Asie Mineure la Macedoine et l'Afrique, 1712, ch.12.*

يكونوا من اختراعها، فقد شوهتهم فحسب بفهمها العاجز، ونظراً لأن جُلَّ انتباهها متجه إلى إنتاج 'الظواهر' التي اعتبرتها المنظومات التعميدية الجادة أموراً جديةً بالإهمال، كما أنها تعمدت خلط الماهاتمات بما اعتبرتهم ملهميها الخفيين، والذين لم يتصفوا قطعاً بما عزت إليهم من صفات، ومن ثم كان الثيوزوفيون عندما يجدون أى مرجع يذكر 'المعلمين' في محفل الصليب الوردى وغيره يبحثون عما يشاكلها في المعارف الهزيلة التي جمعوها عن تراث الشرق، ويدفعون بأن 'المهاتمات' و'المحفل الأبيض العظيم' أمورا ذات شأن، وهذا انقلاب لنظام الأمور الطبيعي، حيث إن من الواضح أن النسخة لن تسبق الأصل، وقل مثل ذلك عن الثيوزوفيين الذين حاولوا استغلال عناصر متنوعة في سياق غير معتاد، وسعوا إلى الاستفادة من رؤى الأخت آن كاترين إيميريتش الراهبة الوستفالية بإشاعة أنها هي 'جبل الأنبياء' ذاته، والذي يكمن فيه المأوى الغامض 'لمعلمي الحكمة'³⁹.

ومن المفترض أن معظم 'المعلمين' يسكنون التبت على منوال ما ذكرنا حتى الآن، وأن هؤلاء 'المعلمين' هم 'المهاتمات' على الحقيقة، ورغم ما ذكرنا من أنه اصطلاح مهجور أو يكاد، لكن الثيوزوفيون يدفعون بأن هناك غيرهم لا يسكنون بعيداً، وعلى الأقل بعد أن تمأهى 'المهاتمات' مع 'رهبان' الصليب الوردى بمعنى الكلمة، ويقال إن أحدهم يسكن في البلقان عادة، والمفروض أن دوره مرتبط بالصليب الوردى وليس بالثيوزوفية⁴⁰، ولنا ذكريات خاصة عن هذا الأستاذ الذي بدى كما لو كان أحد الرهبان السبعة الذين ذكرهم كونت ماجريجور منذ بضعة سنوات، وفي عام 1913 لو صحَّت الذاكرة كان مطلوب منا أن نقابله، وحيث إن ذلك لا يلزمنا بشئ فقد قبلنا مرحين ومن دون أوهام عن نتائج اللقاء المحتملة، ولم يظهر إلا

39 راجع على الخصوص مجلة *The Theosophist* عدد 16 فبراير وعدد 1 مارس و 8 أغسطس عام 1912، عن رؤى 'جبل الأنبياء' وجدت مبعثرة في ثلاثة مجلدات عن حياة آن كاترين إيميريتش كتبه الأب كازاليس *Abbe E. de Casaales*.

40 و'الأستاذ' المقصود هو كونت روكازى أمير بنسلفانيا الثيوزوفى الذى تمأهى عندهم مع كونت سان جيرمان الشهير، وكذلك مع كونت فرديناند دى هومبسيخ *Counte Ferdinand de Homspesch* آخر 'أستاذ عظيم' لفرسان مالطة الذى احتل الجزيرة، راجع *Lotus Blue* عدد نوفمبر 1926 لمقال بعنوان 'المسيحية البدائية فى الإنجيلية ومذهب القديسين الاثنى عشر' كتبه *E.F. Udney* الذى سنذكره لاحقاً فى الحواشى.

عضو مرموق من الجمعية الثيوزوفية، وكان عائداً من لندن حيث كان المعلم، وادعى أنه لم يستطع العودة معه، ووجد أمراً أو آخر على سبيل الاعتذار، ومنذ ذلك الحين لم تستجد أنباءً أخرى اللهم إلا أننا علمنا أن الخطاب الذي أرسلناه إلى الأستاذ قد صادته مدام بيسانت، ولا يثبت ذلك بالطبع عدم وجود 'الأستاذ' المذكور، ونلفت انتباهكم الآن إلى 'الامبراطور' الغامض الذي ظهر على سبيل الصدفة.

ونحن نعني 'المعلمين' بالمعنى الذي قصدته بلافاتسكي وأتباعها، والذي كان أساساً للثيوزوفية بجملتها، وتعاليمها هي الضمان الوحيد، وسواءً أكانت تلك التعاليم تعبر عن معرفة مكتسبة عن 'المعلمين' أم غيرهم، ولذا قالت كوتنيسة فاتشمايستر،

"...لو لم يكن هناك مهامات ولا رهبان لما كانت الثيوزوفية إلا زيفاً⁴¹، أما مسز بيسانت فقد أعلنت رسمياً أن الجمعية بدون المهامات تصبح عبثاً"⁴²، فقد اكتسبت الجمعية بفضلهم أهميتها وسمتها الفريدة، "وقد احتلت مكانة خاصة في الحياة الحديثة، فأصولها تختلف تماماً عن المؤسسات القائمة⁴³ وهي⁴⁴ أحد صروح تاريخ العالم" و"تربو حقيقة الالتحاق بالجمعية الثيوزوفية إلى حماية الإنسانية وإرشادها"⁴⁵، وهكذا كان 'المعلمين' يختلون في صوامعهم بين أن وآخر بعيداً عن الأنظار، ولا زال من الحقيقي أنهم لم يختلفوا مطلقاً عن الثيوزوفية، وربما يتجلون بأنفسهم على هيئة ظواهر مذهلة في أول الأمر، ولكن يمكن الحديث عنها في الجمعية اليوم كما جرت في زمن مدام بلافاتسكي.

ورغم ذلك فإن الأعضاء العاديين في الجمعية الثيوزوفية يدينون بولاء لقادتهم محفوظ أصلاً 'للمعلمين' على نحو يقارب الوثنية الفعلية، ذلك أنهم يشعرون بتناهي المعلمين عن مطالبهم، أم أن هيبة هذه الكائنات الفائقة تنعكس على من يعتقدون أنهم على اتصال دائم بهم؟ وربما

41 *Reminiscences of H.P. Blavatsky*, p. 22.

42 *Lucifer*, Dec. 11. 1890.

43 *L'Occultism dans la Nature*. p.377.

44 *Ibid.*, p. 380.

45 *De l'an 25000 avant Jesus-Christ a nos jour*. Pp. 66-67.

قام السببان كلُّ بشطر، فالتلهيد الذي يرغب في الاتصال بالمعلمين عليه أن يتواصل بتوسط معلميه، وخاصة رئيسة الجمعية الثيوزوفية، ويقول ودجود ما يلي،

"...وسوف يستطيع توحيد عقله بها، أى مسز بيسانت، بناءً على كتبها ومقالاتها ومحاضراتها، ويستعين بصورتها للتواصل معها فى تأملاته فى أوقات يومية معلومة، وأنه سوف يثبت صورتها فى عقله ويرسل إليها أفكار الحب والإخلاص والامتنان والقوة"⁴⁶

ولا يصدّق أحد أننا نبالغ حين نتكلم عن الوثنية، وإضافة إلى الفقرة السابقة التى ورد فيها ذكر 'الإخلاص' أمر ذو مغزى حكماً من مثالين، فبذ بضع سنوات أطلق أرونديل *George S. Arundale* عميد الكلية الهندوسية المركزية فى بنارس عبارة عن مسز بيسانت "إنها إلهة المستقبل للأرباب والناس"، ومنذ فترة أقرب فى فرنسا وفى مدينة من الجنوب أقيم مهرجان 'اللوتس البيضاء' بمناسبة ذكرى وفاة بلافاتسكى حضره ممثل من 'المركز الرسولى *Apostolic Center*' ووقف أمام صورتها صائحاً "أعبدها كما أعبدها أنا"، ولا يحتاج ذلك إلى تعليق، إلا أننا نضيف كلمة فى هذا الصدد، فرغم عبثية هذه الأمور إلا أنها لا تثير الدهشة، فحينما نعلم على أى أرض يقف المهاتمات فإننا نقول مع مسز بيسانت "ليست الثيوزوفية إلا عبثاً".

5 جمعية البحوث والشئون النفسية

لقد كانت حادثة بروفييسور كيديل أول ضربة تُوجّه علناً إلى الجمعية الثيوزوفية، وقد ظل سينيت صامتاً لفترة ثم قرر أن يقدم في الطبعة الرابعة من مجلة *The Occult World* تفسيراً غريباً صدر عن كووت هوومي ذاته¹، ومؤداه أن الواقعة التي تبدو انتحالياً كانت نتيجة غباء وإهمال من تلميذ كلفه 'بترسيب' *precitating* رسالته وإرسالها، والذي حرر الفقرة المنتحلة بحيث تبدو مجرد اقتباس، واضطر الأستاذ للاعتراف بأنه كان مهملاً في مراجعة الرسائل قبل إرسالها، ويبدو أنه كان مُرهقاً وبجاجة إلى 'عرّاف' في هذه المناسبة².

وبعد أن تم ما يُفترض أنه نسخة كاملة من الرسالة مع اعتذارات جمّة إلى كيديل، أنهى سينيت أفضل ما في وعثائه بهذه العبارة،

"ولا ينبغي أن نأسف لهذه الحادثة كثيراً حيث إنها كانت فرصة لتفسير مفيد، وممكننا من الاطلاع على تفاصيل دقيقة تتعلق بالطرق التي يلجأ إليها الرهبان في التخاطب"³.

1 أما عن خطاب كووت هووم الذي تعلق بمسألة كيدل فنشير إلى أن باركر *A.T. Barker* قد نشر عام 1923 خطابات 'المهاتمين' *M* و *K.H.* إلى سينيت *Sinnett* و *A.P.*، وكان خطاب مدام بلافانسكي إلى سينيت مقصوداً ليتزامن مع يوبيل الجمعية الثيوزوفية، وقد أثار أول هذين الكتابين احتجاجاً في الفرع الفرنسي من 'كنيسة الكاثوليك الليبراليين' *Liberal Catholic Church* كما سنرى فيما بعد، زد على ذلك أنها عندما تُرجمت إلى الفرنسية حدث أمر فريد من نوعه، فقد اعترض باركر على نشر الترجمة، وكان لا بد من تدمير الطبعة بكاملها، فيبدو أن كل الفقرات التي تفسر الإدانة المتوقعة كانت جهوداً كهنوتية للثيوزوفية المعاصرة.

2 راجع *Le Mond Occulte*, pp279-284 وعن هذا الموضوع أيضاً راجع عرض أناطول فرانس في مجلة *Temp* 24 إبريل 1887، وآخر بقلم جورج مونروجي في مجلة *Paris* 29 إبريل 1887.

3 *Le Mond Occult*. P. 295.

وقد كان سينيت يشير إلى تفسير كوت هوومي لطرق 'الترسيب'، لكن الطرق التي كانت تُستخدم في 'التخاطر' قد أصبحت علنية قرابة ذلك الوقت في تقرير هووم Allen O. Home، ولو حدثت الظاهرة بشكل أسهل وطرق أكثر في موقع قيادة الجمعية من أي مكان آخر فقد كانت الأسباب،

"... دوام حضور مدام بلافاتسكي وواحد أو اثنين من كبار المنومين المغناطيسيين، مما هتك نقاء حياة كل من عاش فيها بصبّ مزيد من المؤثرات إضافة إلى التي ينتجها الإخوان ذاتهم..."⁴

والواقع أن بلافاتسكي كانت محاطة في آديار بشركاء يثيرون الشك، ولم يكن في وسعها اصطحابهم في كل مكان، إضافة إلى أولكوت كان هناك كولومب وزوجته، وهو شريكها السابق في 'نادى المعجزات' في القاهرة، والذي التقى بها في الهند بعد وصولها بفترة قصيرة، كما كان هناك بابولا الذي كان في خدمة حاو فرنسي، وكان يفخر بقدرته على "صنع خيالات للمهاتمات" على منوال الوسطاء الزائفين في 'تجسيداتهم'، كما كان هناك عدد ممن يسمون 'شيللا' مثل دامودار مافالانكار و موهيني موهون شاترجي الذي ساعد بلافاتسكي في كتابة خطاباتهما 'بالترسيب'، واعترفت بعد ذلك إلى سولوفيواف⁵، وأخيراً عندما لم يكف كل هؤلاء المساعدين الواعين كان لازال هناك بعض الشركاء اللاواعين مثل دهاباجيري ناث بافاجي، والذي كان بموجب إقراره المؤرخ في 30 سبتمبر 1892 تحت السيطرة المغنطيسية الدائمة للسيدة بلافاتسكي و دامودار مافالانكار، مصدقاً لكل ما يقولانه وفاعلاً لكل ما يأمر به، وقد وفرت لها هذه الصحبة إمكانيات شتى، وعرفت كيف تستفيد من أعاجيبها تلك عندما يتطلب الأمر تحويل دين الناس إلى نظرياتهما، أو حتى لكي تبتزّ منهم فوائد معقدة، وكتبت إلى مدام كولومب حينما كانت تتحدث عن شخص باسم جاكوب ساسون "والآن يا عزيزتي علينا تغيير البرنامج، فهو على استعداد لدفع عشرة آلاف روبية لو شاهد ظاهرة صغيرة فحسب"⁶.

4 The Occult World, p.162.

5 'كاهنة حديثة لإيزيس' ص 157.

6 'ذكرياتي في التعامل مع مدام بلافاتسكي' بقلم مدام كولومب.

إلا أن كثرة الشركاء لا بد أن تجر مشاكل بعينها، وحتى الزوجان كولومب ليسا بمنأى عن اللوم في هذا الصدد، وعندما شعرت بلافاتسكي بتدهور الأمور سافرت إلى أوروبا مع أولكوت و موهيني موهون بعد تشكيل لجنة من المحافظين هم سينت جورج و لين فوكس و د. فرانز هارتمان و ديفان باهادور و ريجانوث راو و ستوبا راو، وقد طلبت من فوكس أن يتخلص من الزوجين كولومب من أجلها، وتم ذلك في مايو 1884 بحجة أو أخرى، وفي اللحظة التي أعلنت بلافاتسكي في لندن " .. إن مهمتي هي الإطاحة بالأرواحية وتحويل الماديين عن عقيدتهم، والبرهان على وجود أخوات في التبت"⁷ ولم يتوان الزوجين كولومب الغاضبان عن الانتقام، ويقال إنهما باعا خطابات بلافاتسكي التي احتفظا بها للبهشرين، وقد نُشرت هذه الخطابات بعد فترة وجيزة في صحيفة مدراس⁸، والواضح أنها كانت شديدة الحساسية لهذا الهجوم المضاد، وبمجرد أن تلقت التقرير الأول أرسلت أولكوت إلى آديار حتى يعيد الأمور إلى نصابها، وكتبت إلى سولوفيوف،

"إنني على استعداد للتضحية بحياتي وحتى بشرفي، وقد أرسلت استقالتي وسوف أختفى من مجال العمل، وسأذهب إلى الصين أو التبت أو إلى الشيطان لو لزم الأمر حيث لا يجدني أحد، وسأكون في حكم الموتي فيما عدا صديقين مخلصين مثلكم، وسوف أعود إلى الظهور بعد عامين بقوة متجددة، وقد قرر الجنرال ذلك ووقعه بنفسه، فلو أعلنت الخبر بنفسى لكان وقعه رهيباً"⁹.

وكتبت بعد أيام قلائل مرة أخرى،

"... لقد استقلت الآن وأصبحت في وعشاء غريبة، لقد أمر الجنرال بهذه الاستراتيجية وهو أعلم، وبالطبع أصبحت مجرد عضو، وسوف أختفى من ميدان المعركة... وأود لو سافرت إلى الصين لو أذن لي المهاتما، ولكني مفلسة، ولو عُرف مكاني فسوف أفقد كل شيء،..."

7 *Pall Mall Gazette, April, 26, 1884.*

8 *Christian College Magazine, Sep. to Dec., 1884.*

9 *A Modern Priestess of Isis, pp.94-95.*

لكن برنامجي لو وافقتَ هو أن أبدو غامضة بقدر الإمكان، فليتسامع الناس عنا نحن
الثيوزوفيين على نحو ضبابي غامض، وليحط بنا سر لن يقدر حتى الشيطان ذاته على رؤيته ولو
بزوج من العوينات"¹⁰.

إلا أنها غيرت رأيها فجأة، فذهبت من باريس إلى لندن لتمكث أسبوعين، ثم سافرت إلى
آديار، فوصلت في ديسمبر عام 1884.

وفي هذه الأثناء كانت جمعية البحوث والشئون النفسية قد انتبهت للدعاية التي انتشرت
في أوروبا عن الجمعية الثيوزوفية، فكونت لجنة لدراسة طبيعة بلافاتسكي، وأوفدت اللجنة د.
هودجسون *Richard Hodgson* إلى آديار، فوصل هناك في نوفمبر 1884، وأجرى بحثاً دقيقاً
استمر حتى إبريل 1885، وكانت النتيجة تقريراً مطولاً عن 'الأعيب' بلافاتسكي بالتفصيل،
وانتهى بالاستنتاج الرسمي "إنها ليست لسان حال العرافين غير المعروفين للجمهور، ولا هي
مغامرة عادية، ولكنها واحدة من أعظم من تحققوا بذكاء وحيلة ودجل تستحق مكانة في
التاريخ"¹¹، ولم يُنشر هذا التقرير إلا في ديسمبر 1885، وأعلنت جمعية البحوث النفسية بعد
تحيص دقيق أن بلافاتسكي "تآمرت مع آخرين بواسطة استخدام وسائل عادية لإنتاج أعاجيب
لصالح الحركة الثيوزوفية"، وقد كان لهذه المسألة الجديدة ترددات أضخم مما سبقتها، وقد ترتب
عليها كثير من الاستقالات في لندن، لكنها سرعان ما اشتهرت في البلاد الأخرى¹²، وتسببت
إضافة إلى بعض الأحداث في التدمير الكامل لفرع باريس.

وقد تأيد تقرير د. هودجسون بوثائق دامغة، وخاصة مراسلات بلافاتسكي وأسرة
كولومب، والتي لا يمكن التشكيك في حقيقتها، وقد نشرها ألفريد ألكساندر¹³ وتحدى مدام

10 *Ibid.*, pp.99-100.

11 محاضر جمعية البحوث النفسية، ديسمبر 1885، ص 207.

12 *See Revue Scientific, Apr.16, 1887, p.503, Revue Philosophic, April, 1887, p.402, and Revue de Hypnotisme, Feb., 1887, p. 215.*

13 وألفريد ألكساندر هو ذاته *Alexander of Corfu* المذكور في خطاب بيتر دافيدسون إلى بارليه
F.Ch. Barlet عام 1887.

بلافاتسكى أن ترفع عليه دعوى قضائية، وسارعت رغم مرضها إلى العودة إلى أوروبا بعد أن شهد كولومب وزوجته في قضية ضد عضو من الجمعية الثيوزوفية، وقد تركت أولكوت في آديار في بداية إبريل 1885، وقد عكف اثنان من أهم المحققين في إنجلترا على فحص هذه الخطابات وأقرأ بأصالتها، كما أقرَّ بها ماسي Massey الرئيس السابق لفرع لندن، والذي اكتشف في زمن مسألة كيدل أن مظهر 'الحروف المترسبة' راجع فقط إلى مهارة خادم مرثش من طرف مدام بلافاتسكى¹⁴، كما أن الخبراء الانجليز قد فحصوا أيضاً خطابات المهاتما التي استطاع د. هودجسون الحصول عليها، وأكدوا أنها مكتوبة بيد بلافاتسكى و دامودار مافالانكار، وهو ما تؤيده التقارير التي تناولناها عليه¹⁵، زد على ذلك أن مافالانكار أسرع بترك آديار مع سفرها، ويقال إنه ذهب إلى التبت.

وقد ذكرنا أن بلافاتسكى كانت مريضة عند سفرها، وقد وجدت في ذلك ذريعة لمرافقة د. هارتمان، حيث إنها كانت تريد إبعاده عن آديار نظراً لسلوكه الغامض حتى إنها اتهمته علناً بالعمالة وتزويد أعدائها بالأسلحة، فكتبت إليه ما يلي،

"لقد سبب هذا الرجل الفظيع بخداعه في دفاعه عنى ضرراً أشد من نفعه أكثر مما سبب الزوجان كولومب بأكاذبيهما المفضوحة،... فقد دافع عنى في خطابه إلى هووم وثيوزوفيين آخر حتى استحالت كل مراسلاته قرائن ضدى، وكان هو الذى حول هودجسون الذى أوفدته جمعية البحوث النفسية للبحث عن 'الظواهر' فى الهند من صديق إلى عدو، فهو شكاك كاذب سافل حقود غيور من أستاذه، كذا، وحسود لكل من حاز انتباه الأستاذ وتصفه بأنه

14 *Daily Chronicle of London, Sep.17 and 18, Religio Philosophical journal of Chicago Jun., 1885, article by William Emmet Colman.*

15 ويبدو أن خبراء خطوط الكتابة اليدوية كان لهم رأى على عكس ما قال به زملائه وأعلن أن خط مدام بلافاتسكى ليس فيه ما يشاكل كتابات الأستاذة، ولم نكن نعلم شيئاً من ذلك فى وقت ظهور الطبعة الأولى وإلا ما تركناها بلا تعليق، وهو ما صار مبرراً للومنا، لكن ذلك لا يبرهن على شىء خاصة لو كان المرء يعلم مدى تواتر هذه الاختلافات، وقد أعلن سينيت بنفسه حادث ماسي فى 'باكورة قيام الثيوزوفية فى أوروبا' الذى كتبه ثورستون Herbert Thurston فى مجلة *The Month* فى يناير 1926.

مُقرِّف،... وقد اصطحبته معي باعتباره طبيياً حتى أبعدته عن الجمعية، وكان أولكوت على رأس الجمعية يخاف منه ولم يجرؤ على فصله، وقد فعل كل ذلك بنية السيطرة على باستخلاص كل ما أعرف، ومنعني من السماح لسوبا راو *Subba Rao* بكتابة 'المذهب السري' *The Secret Doctrine*، وبدلاً من ذلك يكتبه بنفسه تحت إشرافي، لكنه ارتكب خطأً جسيماً، فقد استدعيته وأخبرته أنني لن أكتب 'المذهب السري' حالياً لكنني أكتب إلى صحيفة *Russian reviews*، وامتنعت عن قول أي شيء يتعلق بالغيبية، وعندما أدرك أنني لزمتم الصمت ولن أعلمه شيئاً فقد انصرف، ولكنه بلا شك قد بدأ ينشر الأكاذيب عني في المجتمع الألماني، ولكنني لا أهتم، فليكذب" ¹⁶.

ولابد من التسليم بأن رُسل 'الإخاء العالمي' *Universal Brotherhoods* لهم طريقة جذابة في التعامل مع بعضهم بعضاً! فالحقائق التي بدأ بها اتهام بلافاتسكي تبدو غامضة، لكن جنرال مورجان هدد بإثارة زوبعة لأن اسمه ذُكر فيها، فدمرها أولكوت ¹⁷، وكان دور مورجان كجنرال في الجيش البريطاني في الهند موضوعاً مُلغزاً، وقد انتقم هارتمان لنفسه بعد بضع سنوات في عام 1889، فنشر قصة قصيرة في مجلة *Lucifer* بعنوان 'الصورة المتكلمة لأورور' *The speaking Image of Urur*، ولم تكن إلا تهكماً مريراً على الجمعية ومؤسسيها باستعارات واضحة، فإن أورور ضاحية لمدينة آديار.

ونقلًا عن بلافاتسكي فإن كل ما حدث كان نتيجة خطأ الجمعية التي أنشأتها وأعضائها الذين لا يكفون عن طلب العجائب، وقد قالت للكونتيسة فاتشمايستر،

"إن هذه هي كارما الجمعية الثيوزوفية وقد وقعت على رأسي كما لو كنت حَمَّالةً لخطاياها... أووه، إن هذه الظواهر الملعونة التي كنت أسلى بها أصدقائي المقربين وأعلم بها من حولي..." ¹⁸،

16 خطاب من نابولي في 23 مايو 1885.

17 *Le Lotus*, Mar. 1889, p.708.

18 مذكرات H.B. Blavatsky ص 18.

"وكان الناس دائماً ما يزجوني، ودائماً ما يطلبون رؤية تجسد ظواهر أو سماع صليل أجراس النجوم، ولم أحب أن أخيب رجائهم، فقد استجبت لطلباتهم، وعلى الآن أن أعانى منها"¹⁹.

وكتبت بعد أيام قلائل إلى الكونتيسة ما يلي،

"لقد أفسدت تلك الظواهر اللعينة شخصيتي، وذلك أمر هين، لكنها كذلك دمرت الثيوزوفية في أوروبا... فالظواهر هي لعنة المجتمع ودمارة"²⁰.

وأياً كانت تعاسة بلافاتسكى في ذلك الحين فيمكن افتراض لو أن 'ظواهرها' كانت حقيقية فقد كان حرياً بها أن تعرضها على جمعية البحوث النفسية لتقويمها، خاصة وأن كثيراً من أعضائها مشتركين في الجمعية الثيوزوفية²¹، ولكنها تجنبت هذه التجارب التي كان من شأنها فحسب أن توفر رداً شافياً على اتهامها، وبدلاً من ذلك قالت "إن لم تكن هذه الأسئلة من التي عاهدت نفسى على عدم الرد عليها إلا لو أجبرت"، "ولو كانت هذه الأسئلة غير ذلك فسوف أقاضيهم...وما تأملات مدام كولومب إلا أكاذيب"²² وقد كانت الآن بعيدة عنهم كما توقفت الظواهر تماماً، في حين تكاثرت في أوروبا حيث أقامت عامها الماضي²³.

ونضيف في هذا الصدد أن بعض الناس يعتقدون أن الثيوزوفية لا دور لها اليوم في هذه الظواهر الغيبية التي قامت بدور جسيم في بدايتها، وسواءً أفقدت الاهتمام بها أم لتعمل فقط على اجتذاب الأعضاء، وهي وظيفة أسندتها إليهم مدام بلافاتسكى بشهادة الكونتيسة فاتشمايستر، وقد أصبحت الآن بلا نفع²⁴، والواقع أن سوء طالع بلافاتسكى قد عطلَّ

19 Ibid., p.37.

20 Ibid., pp. 54-55.

21 وقد كان مايرز ذاته عضواً في الجمعية الثيوزوفية لثلاث سنوات.

22 راجع الاعتراض بتاريخ 14 يناير 1886، والذي قدمته مدسوسا في مطبوعة سينيت بعنوان *The Occult World Phenomena and the S.F.P.R*، وقد احتوت كذلك على مقال لها بعنوان 'قضاة أم تجار فضائح؟' *Gudges or Slandrers*، والتي نشرتها في مجلة *Le Lotus* يونيو 1887.

23 راجع *Le Mond Occult* تعقيب المترجم، ص. 327-349.

24 *Reminiscences of H.B. Plavatsky*, p.38.

استعراضها حيث اتضحت تماماً خطورة زلات بعينها على سمعة مرتكبيها، إلا أن الثيوزوفيون استمروا في الاهتمام بما يسمى "تنمية القوى الكامنة في الكيان الإنساني"، حيث إن ذلك كان الغاية الجوهرية 'لقسم الجوانية' أو هو 'مدرسة الثيوزوفية الشرقية'.

لقد كانت أهداف الجمعية الثيوزوفية هي "أولاً تكوين نواة أخوة عالمية بغض النظر عن الجنس واللون والجنسية والرتبة والعقيدة والحزب، وثانياً تطوير دراسات الأدبيات والعلوم الآرية والدينية الشرقية، وثالثاً الدراسات العميقة للقوانين الكامنة التي لا تفسر لها في القوى النفسية للإنسان، والهدف الأول والثاني برّانيان يقومان على واحدة الحياة والحقيقة، والثالث جَوَّاني يقوم على تحقق هذه الواحدة وفهم تلك الحقيقة".

وحتى نفتنح بأن الحال لازال كما كان يكفي النظر إلى أعمال ليدبيتر *Leadbeater* بما فيها التي تشير مكرراً إلى 'العِرافة' *clairvoyance* و'تجسُّد الرهبان' المادى والكيانات الأخرى مثل 'عالم النجوم' *Astral World*، وهذه الأمور على الحقيقة محدودة بما هي، لكن الثيوزوفيون لهم رأى آخر، وعلى كلِّ فإن المقارنة بنظريات حتى لو كانت من مرتبة دانية فإن تلك الظواهر تتميز بأنها في مطال كل مستويات الذكاء، والقدرة على إرضاء أشد العقول محدودية²⁵.

وهناك من يعتقد أن 'القسم الجواني' لم يعد له وجود في الجمعية الثيوزوفية، لكن ذلك ليس صحيحاً، والصحيح هو أنه لكي نهدي الشكوك فقد تحولت إلى منظمة متميزة إسمياً عن الجمعية، ولكنها خاضعة لقيادة واحدة على منوال الماسونية وكثير من الجمعيات السرية، وقد اعتقدوا أن من الأفضل التخلص من إشارات التعرف التي استُخدمت أول الأمر في الجمعية الثيوزوفية على نحو خاطئ، وباعتبارها أحد السمات الجوهرية للجمعية السرية، ونقول "على نحو خاطئ" لأننا نعلم بوجود منظومات في الشرق من أشدها سرية، ورغم ذلك لا يستخدمون وسائل ظاهرية للتعرف فيما بينهم، وربما كان الثيوزوفيون ذاهلون عن أنهم لا يقارنوا بهم، ونحن نرغب فحسب في قول إن إلغاء إشارات التعرف لا يبرهن على أي شيء كان، وأنه لا

25 وقد قال أحد الهندوس عن ليدبيتر "إنه من أصلب العقول التي صادقتها".

أهمية هذه الإشارات على عكس ما يُعتَقَد في مواضع أخرى مثل الماسونية، والتي ليس لها أى معنى تراثى في الجمعيات الحديثة.

6 مدام بلافاتسكى و سولوفيوف

وقد استقرت مدام بلافاتسكى بعد عودتها من أوروبا في مدينة فورزبورج *Wurzburg* الألمانية، حيث جرت بعض الأحداث الجديرة بالذكر، فقد دعت سولوفيوف لقضاء أيام معها ووعدها بأن تعلمه كل شيء، وأن تعرض عليه كل 'الظواهر' التي يريدها¹، لكن سولوفيوف كان شكاكاً، وكلما حاولت شيئاً كشف حيلتها²، وقد كان ذلك أسهل لأن شريكها الوحيد المتاح هو بافاجى الذى رافقها في رحلتها، ود. هارتمان والآنسة فلاينيس، وقد أخبر بافاجى مدام دى مورسييه *Emili de Morsier* التى كانت فى ذلك الحين سكرتيرة فرع باريس، والتى استقالت بعد فترة قصيرة "إن مدام بلافاتسكى قد عرفت أنها يمكن أن تكسب سولوفيوف لصفها عن طريق الغيبية، وقد وعدت مراراً بتعليمه أسراراً جديدة"، ولكنها كانت تتساءل أحياناً "وما الذى يمكن أن أقول له أكثر من ذلك؟ أنقذنى يا بافاجى، لم أعد أدري ماذا أخترع"، وقد كتبت مدام دى مورسييه هذه الملاحظات، وأرسلتها بعد فترة قصيرة إلى سولوفيوف بتوقيعها، وفى عام 1892 نشر سولوفيوف تقريراً عن كل ما شاهده إضافة إلى خطابات مدام بلافاتسكى والاعترافات الشفاهية التى أدلت بها إليه على شكل مقالات جمعها فى كتاب ترجمه د. ليف

1 *Modern Pritesse of Isis, p.138.*

2 وقد وجه البعض اللوم لنا على الاستخدام المفرط لما يسمى 'خبث سولوفيوف فى كتابه 'كاهنة حديثة لإيزيس'، والذى أساء إلى ثقتها به على نحو مخجل، وجوابنا هو أن سولوفيوف فيلسوف عتيده، وربما كان الوحيد فى روسيا، وقد أكد لنا بعض الذين يعرفونه عن قرب أن نزاهته الفكرية تجعله شكاكاً، وأن ميوله السلافية نحو الأسرارية قد أخذت عليه، ولن يكون المرء مصيباً لو وجه إليه اللوم من المنظور الثيوزوفى.

Dr, Leaf إلى الإنجليزية بعنوان 'كاهنة حديثة لإيزيس *A Modern Priestesse of Isis*'، وقد نشرت الترجمة برعاية جمعية البحوث النفسية.

وقد وجد سولوفيوف بافاجي في أحد المرات غارقاً في تنويم يحاول جاهداً كتابة شيء بالروسية التي لا يعرفها، والتي ادعى أنها رسالة يملها عليه المهاتما، لكن للأسف وقع خطأً جسيم في النص بافتقاد بعض الحروف، حتى إن عبارة "طوبى للذين يؤمنون" صارت "طوبى للذين يكذبون"³، وعندما قرأت مدام بلافاتسكي ذلك اهتمت في نوبة غضب على بافاجي ودفعت بأن 'العناصر' قد خدعته⁴، وفي مرة أخرى كشف عن أن 'أجراس النجوم' هفوة غير مقصودة للسيدة بلافاتسكي،

"سمعنا في أحد الأيام 'صليل أجراس النجوم الفضية' الشهيرة، وخبأة وقع شيء بجانبها، فأسرعتُ بالتقاطه، وكان قطعة فضة دقيقة الصنع وغريبة الشكل، فتغير وجه هيلينا بتروفا واختطفته مني، فسعلت على نحو ذا مغزى، وابتسمتُ وغيرتُ موضوع الحديث إلى أمور فارغة"⁵.

وفي مناسبة أخرى وجد سولوفيوف رزمة من الظروف الصينية في أحد الأدراج، والمفروض أنها تشتمل على 'خطابات من المعلمين *Masters*'⁶.

وقد أنهى سولوفيوف حديثه بقول إن الأوان قد حان لنتهي من هذه المهزلة، وأنه كان مقتنعاً بزيف 'ظواهرها' منذ زمن، ولكنه أضاف لكي يثير استطرادها، "إن لعب دور كالذي تلعبينه وجرّ الجماهير وراءك وتأسيس جمعيات في بلاد نائية وبدء حركة شاملة، يا إلهي...! فكل شيء خارق للعادة، وقد سحرتني رغماً عني! نعم يا هيلينا بتروفنا، إنني مُعجب بك كقوة هرقلية جامحة..."⁷.

3 ويبدو أن في الأدب الروسي فُكاهة من هذا القبيل.

4 *Ibid.*, p.147.

5 *Ibid.*, pp. 149-50.

6 *Ibid.*, p.152.

وقد غرّها مديحه فأجابت،

"لم يكن لقاءنا عبثاً... إن أولكوت مفيد في موقعه، ولكنه عموماً حمار غبي، فكم من المرات خيبت أخطاؤه الغبية أُملي، فإن أنت جئت لمعاونتي فسوف ندهش العالم معاً، وسيكون كل شيء بأيدينا"⁸.

وفي هذا المفصل حصل سولوفيوف على اسم الكاتب الحقيقي لكل خطابات كوت هوومي، وحتى إنه أقنع مدام بلافاتسكي بأن تريه ذلك الجرس السحري الذي تخفيه تحت شالها، ولكنها لم تسمح له بفحص آلياته، وفي النهاية قالت له بلافاتسكي،

"مهد الأرض لي لكي أعمل في روسيا، لقد كنت أعتقد أنني لن أعود إلى وطني، ولكن ذلك أصبح الآن ممكناً، فبعض الناس هناك يعملون ما يستطيعون، لكنك تستطيع عمل أكثر من أي منهم، فاكتب أكثر وبصوت أعلى عن الجمعية الشيوزوفية وأشعل اهتمامهم، وابتكار كوت هوومي الألقباء الروسية، وسوف أوفر لك المادة التي تحتاجها لذلك"⁹.

ويقيناً كان سولوفيوف قادراً على كل ما طلبته منه مدام بلافاتسكي، فهو ابن مؤرخ وكاتب وله وظيفة في المحكمة الروسية، ولكنه لم يقبل، واستأذن بعد يومين أو ثلاثة ليسافر إلى باريس، وقد وُطن نفسه على ألا يفعل شيئاً لصالحها سواءً أفي الدوائر الأدبية أم في الصحافة الروسية ولا مع جمعية البحوث النفسية، والتي كان تقريرها جاهزاً للطبع.

وأرسلت بلافاتسكي إلى سولوفيوف خطاباً اقتبسنا منه عاليه بعض المقتطفات، وفكر في تسليمه لأحد أعضاء الجمعية، فهددت بإعلان عدم وجود ماهاجمات، وكانت في الآن ذاته تُكثر الحديث عن حياتها الخاصة، والتي لم يكن فيها نفع لأحد، وبعد أيام قلائل كتبت خطاباً آخر تستحلف زميلها ألا 'يخونها'، ورداً على ذلك أرسل استقالته إلى أوكلاي سكرتير جمعية آديار، وسببها أن مدام بلافاتسكي تريد استغلال اسمه بتوقيعه على تقرير عن 'الظواهر' التي

.....

7 Ibid., p.153.

8 Ibid., p.154.

9 Ibid., p.158.

اتضح زيفها في إبريل عام 1884، وكانت بلافاتسكي دائماً التصرف على هذا المنوال، وظنت أن المغفلين الذين تحتكم عليهم من أجل توقيعاتهم فحسب، وقالت لسولوفيوف، "هل تصدّق أنني طوال حياتي قبل الجمعية الثيوزوفية وبعدها لم ألتق إلا برجلين أو ثلاثة يعرفون كيف يلاحظون ما يجري حولهم؟ وهو أمر مدهش، فتسعة من كل عشرة من الناس محرومون من القدرة على الملاحظة وقوة الذاكرة التي تجعلهم يتذكرون ما حدث بتدقيق حتى منذ بضع ساعات، وكثيراً ما حدث تحت إشرافي ومراجعتي أن أشد الناس براءة وحتى الشكاكين الذين عادة ما لا يثقون بي قد وقّعوا في ذيل المحضر بأنهم شهود عليه! وكنت أعلم يقيناً أن ما حدث لم يكن ما سُجِّل في المحضر"¹⁰.

ولو كان سولوفيوف قد وقع مثل الآخرين فقد كان هناك بعض الاستثناءات، فقد كتب د. تشارلز ريتشيت إلى سولوفيوف في 12 مارس 1893،

"لقد التقيت بمدام بلافاتسكي في باريس عام 1884 عن طريق مدام دي بارو¹¹، وعندما التقيت بك قلت لي أجل حُكمك، فإنها قد أطلعتني على بعض أمور تبدو مدهشة، ولم أصدر حتى الآن حكماً لكنني أعتقد أنها امرأة غير عادية، وموهوبة بملكات استثنائية، فانتظر حتى أقدم لك تفسيراً تفصيلياً"، وقد انتظرت، فوجدت أن تفسيرك متفق مع ما اقترضته أصلاً من أنها محتالة، وهي بالتأكيد في منتهى الذكاء، لكن نزاهتها موضع شك، وقد نشرت جمعية البحوث النفسية الإنجليزية الفحوص التي أجرتها ولم يعد هناك مجال للشك، وتبدو لي المسألة بكاملها بسيطة للغاية، فقد كانت ماهرة ولماحة ومحتالة وأوقعتنا جميعاً في حيرة، إلا أنني أتحدى

Ibid., pp. 156-157. 10

11 وعن مدام دي بارو راجع كتاب *Le Spiritism* للدكتور جيبييه Dr Paul Gibier ص 110، وفي الكتاب ذاته وقع بالحروف الأولى أنها ساعدت في بعض مشاهد للوسيط سليد، راجع كتابنا *خطل الأرواحية The Spiritist Fallacy* الباب 6 من الجزء الأول 'المقلب practical joke' الذي وقع فيه د. راينتر في فيلا كارمن في الجزائر.

أن يجد لى أحد كلمة مطبوعة أو مكتوبة غير الشك والتحفظ والحذر، والحق إننى لم أصدّق بقواها جدياً، والملاحظة الوحيدة الحقيقية هي أنها لم تُرني شيئاً حاسماً قط"¹².

ويُحتمل أنه كان من الأفضل لدكتور رايتور رايتور أن يتوخى الحذر والتبصر على الدوام كما فعل تلك المرّة، ولكنه اختزل بعد ذلك إلى التوقيع على عرائض عن ظواهر الوساطة التي لا تربو قيمتها عن استعراضات بلافاتسكى، وعن 'تجسّدات' جون كينج و'المهامات' على وشاح حريرى.

وقد كان توكيد سولوفيفوف على تقرير هودجسون سبباً لاستقالة مدام مورسييه و جول بايساك وكثير من الأعضاء المخلصين لفرع 'إيزيس' *Isis* في باريس¹³، والذي تأسس عام 1884 برئاسة عضو سابق في 'الكوميون' هو لوى درامار *Louis Dramard*، وهو صديق بينوا مالون *Benoit Malon* الحميم وزميله في مجلة *The Socialiste*¹⁴، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تنحلّ، وقد عزّا درامار ذلك إلى الأعباء 'القساوسة' *clerics*¹⁵، وقد أسس آرنولد *Arthur Arnold*¹⁶ فرعاً آخر لتعويض 'إيزيس' بعد فترة قصيرة، وقد كان بدوره 'كوميونياً'¹⁷، وقد تسمت باسم متميز هو 'هرميس' *Hermes*، وقد كان من باكورة أعضائه د. إينكوس *Dr. Gerard*

12 وعن مدام بلافاتسكى يبدو أن سولوفيفوف و مدام بارو قد أقنعا د. رايتور مدير المجلة العلمية *Revue Scientific* بالانضمام إلى الجمعية الثيوزوفية عن مجلة لوتس يناير 1887، وحينما انحاز بعد ذلك ضد مدام بلافاتسكى أطلقت عليه اسم 'الساحر المجنون'.

13...وقد أصلح بالاسم ذاته، وفي بضع سنوات توالى كثير من العقد والحلول حتى استحال فهم ما هيأتها كلها، وقد أوردنا فحسب موجزاً للمنازعات التي قامت بين الثيوزوفيين الفرنسيين، والتي غطته مجلة لوتس على خير وجه.

14 ويرُثخ *Revue Sosialst* للثيوزوفيين مجلة لوسيفر، في 15 مايو 1888 ص 229.

15 خطاب مؤرخ في 8 مارس 1889 ونُشر في *Lotus Blue* 7 سبتمبر 1890، وهذا الدرامار ذاته هو الذى قال "لن يأت لنا خير من المسيحية أياً كان قناعها؟"

16 وقد اتخذ آرثر آرنولد اسم جين ماتيويس لأسباب لا نعلها، وهو اسم تاجر من مدينة رون كان الأستاذ الأكبر الإقليمي للحفّل الملكي الاسكتلدى.

17 والكوميونيون كانوا أعضاء في حركة الثورة في باريس، والتي عُرفت عام 1848 باسم *La Commune*، المحقق.

Encausse أى بابوس، وتولى السكرتارية وعمل معه بعض الغيبين من مدرسته¹⁸، لكن بابوس وأتباعه استقالوا أو طُردوا بعد الخلاف الذى نشأ ولم تُعرف أسبابه تماماً، لكن بابوس ذاته قال فيما بعد أنه اكتشف مخالقات خطيرة، وقد أدى ذلك به إلى طلب الطرد¹⁹، وعلى كل فقد انتهت بحلّ هرئيس بدوره فى 8 سبتمبر 1890، ومن ثم بدأت على الفور إعادة توزيع للأدوار، وقد سُمى الفرع الجديد 'زهرة اللوتس *The Lotus*'، وكانت هى الأخرى بإدارة آرثر آرنولد والإشراف الأعلى للسيدة بلافاتسكى، وفى 1892 تحولت بدورها إلى قاعة 'مُحفل أنانتا *Loge Ananta*'، وطفقت الجمعية الثيوزوفية فى مناسبات شتى على اتهام الغيبين الفرنسيين بممارسة 'السحر الأسود'، ورد منافسوهم بأنهم ضحية الغرور والتسمم العقلى، والمعارك من هذا النوع ليست نادرة بين المدارس المختلفة، والتي يمكن أن تسمى 'الأرواحيين الجدد neo-spiritualists' والذين دائماً ما يبادرون إلى العنف والمرارة، وكما لاحظنا سلفاً عن الذين يدعون إلى 'الإخاء العالمى'، وكان أجدر بهم أن يعبروا عن شيء من 'الأخوية' فى التعامل مع غيرهم²⁰.

أما عن 'السحر الأسود' فهو اتهام يلقيه الثيوزوفيون جُزافاً على كل من يعتبرونه عدواً أو منافساً، وقد رأينا كيف اتهموا به حتى أعضاء 'مُحفل الندى والنور'، وسوف نجد الاتهام ذاته فيما بعد فى الصراع بين الثيوزوفيين وبعضهم بعضاً، كما أن مدام بلافاتسكى كانت من أوائل الذين ضربوا المثل لهذا الأمر، وقد نددت فى كتاباتها كثيراً 'بسحرة السحر الأسود' الذين سمّتهم *Dougpas* أى 'إخوان الظلام'، والذين تعتبرهم نقيضاً 'للرهبان *adepts*' فى 'المُحفل الأبيض العظيم'، والحق إن *Dougpas* هم اللامات الحمر فى التبت، أى اللامات الأصليين قبل الإصلاح الذى فرضه تسونج خابا، وكان اللامات الصفر *Gelougpas* هم الذين التزموا بالإصلاح، وليس هناك أية عداوة بين الفريقين، وما يثير العجب هو السبب فى الكراهية التى تبطنها بلافاتسكى حيال اللامات الحمر، وربما كان مجرد فشلها فى التواصل معهم، والتي أوقعتها

18 وكان بابوس وبعض الآخرين قد استقالوا من إيزيس.

19 *Le Voile d'Isis, Feb., 11 and 18 1801.*

20 *See Traite metaphisique de Science Occulte, by Papus, pp. 997-998, 1021-1022.*

في شعور بإحباط عميق، ولا تؤكد ذلك ولكن على الأقل لابد أن يناظر ذلك شخصية حقودة لم يسلم منها حتى أصدقاءها المقربين، والذين لم يملكوا تجاهلها في مؤسسة الجمعية الشيزوفية.

7 قوة الإيحاء عند مدام بلافاتسكى

رغم كل ما يمكن أن يُقال عن سلبيات مدام بلافاتسكى فمن الصحيح أنه كان عندها قابلية طبيعية وحتى قدرة فكرية تبدو ناقصة عند خلفائها في الجمعية الثيوزوفية، والذين تراجع المذهب عندهم تدريجياً إلى الخلفية، ولجئوا إلى دعاوى عاطفية من أحط الأنواع وأشدّها سذاجة، وما لا يُنكر في مؤسّسة جمعيتهم هو قدرتها على الإيحاء إلى معاونيها وأحياناً إلى تلاميذها، وأما القاضى الذى كان صائماً فقد رأى كل الأعياب، وقد كتبت "ويمكنك أن ترى غفلتهم وكيف إننى كنت أقودهم من أنوفهم"¹، وقد رأينا فيما سلف كيف أنها كانت تقدر أن بلاهة أولكوت² لا تستعصى على الحل كغيره، ولكنه أحياناً كان يتصرف بلا روية في الوظائف الإدارية التى أسندتها إليه حتى تجعل منه غطاءً لها، والذى كان يرتعد أمامها كل من كان على شاكلة فرانز هارتمان والذين عرفوا كثيراً عن الجانب الخفى في الجمعية.

وتقول بلافاتسكى مرة أخرى عن إسرارها إلى سولوفيوف،

"فإذا على المرء أن يفعل ... حينما يتعين عليه أن يخدعهم لكي يحكمهم، وحتى تُقنعهم بالانقياد إلى حيث ترغب لا بد من بذل وعودٍ وعرضٍ لأعياب؟ فاقترض أن كتبي ومجلة *the Thiosophist* كانت أكثر جدية وإمتاعاً بألف مرة، فهل تتخيل أننى كنت أحظى بأى نجاح

1 خطاب مؤرخ من نيويورك في 15 يونيو 1877.

2 راجع خاتمة المقال الذى نشرته مجلة لوتس في فبراير 1889 والطريقة التى كان كاتبها جابوريو F.K. Gaboriau يخاطب بها أولكوت على هذا المنوال،

"صدقنى ياسيدى العزيز، لا تجبرنى على أن أذكرك مرة أخرى بالخلاف الذى نشأ بينك وبين مدام بلافاتسكى وبينى فى الثانى والثامن من اكتوبر 1888 فى لندن، وقد علّقت رأسك تحت سيف غضب الأمازونية التى تطيح بالناس والوحوش، ويبدو أنك نسيت أن الرهبان الذين على بابها سيقرعون الطبول ويتشقلبون فى الهواء مرتين أو ثلاث، فلا يفوتك أنك الإيقاع فتظهر أكثر مما يلزم".

في أى مكان ما لم تكن 'الظواهر...؟' فهل تعلم أنه كلما زادت سذاجة الظواهر وكثافتها كلما ازداد نجاحها؟ فالغالبية العظمى من أذكياء الناس على درجة لا تُصدّق من البلاهة، ولو علّمت كم من النسور والسباع في أصقاع الأرض قد تحولوا إلى حميرٍ عندما أرفهوا آذانهم وجاءوا طائعون على عزف قصبتى!³

وهذه الفقرات نمطية في عقلية بلافاتسكى، وتصور بشكل رائع دور 'الظواهر' التي كانت العنصر المبدئى في نجاح الثيوزوفية في دوائر بعينها، والتي أسهمت بنصيب وافر في المجتمع ... وفي قاداته.

وقد أدرك سولوفيوف أن بلافاتسكى موهوبة بنوع من المغناطيسية التي تجذب إليها بقوة لا تُقاوم⁴، ولو كان قد استطاع في النهاية أن يتحرر منه إلا أنه لم يتحرر منه تماما، فقد وقّع على بيان واحد على الأقل للسيدة بلافاتسكى أملتته على مدام مورسييه، والتي كتبت في ذيله بإخلاص شديد "تمّ بمراجعات مدام بلافاتسكى وتصحيحاتها"، وكذلك قال آرثر آرنولد "إن قدرتها على الإيحاء مخيفة"، وكان يروى في هذا الصدد أنها كانت في لندن تقول لأحد "أنظر إلى ركبتيك"، فكان ينظر فيرى عنكبوتاً ضخماً فيصاب برعب، فتبتسم له قائلة "ليس لهذا العنكبوت وجود، فقد صنعته بنفسى"، وقد كتب أولكوت أيضاً في كتابه 'Old Diary Leaves'،

"ولا يستطيع أحد أن يكون أشد منها جاذبية حينما تلفت نظر الناس إلى عملها العام، فتصير عاطفية الصوت والحركة، وبحيث يشعر المرء بأنه صديقها الوحيد،... وأنا لا أملك الدفع بنزاهتها... وأعتقد أننا لم نكن عندها سوى قطع من الشطرنج، فلم تكن على الحقيقة تحترم أحداً منّا".⁵

A Modern Priestess of Isis, pp. 155-156. 3

Ibid., p. 220. 4

نشرت مجلة *the Theosophists* كتيباً بعنوان 'مذهب الثيوزوفية والثيوزوفية *Theosophy and Theosophism* للكاتب بول برتراند الذى يتوخى الرد على كتابنا، فقد اكتشف الكاتب فيه بعض المفارقات المزعومة، وفي الصفحات المئة الأولى لم أجد إلا تعسفاً في علامات التنصيص ليس

وقد تناولنا فيما سبق حالة بافاجى الذى جعله التنويم المغناطيسى شريكاً لاواعياً فى الأعيب بلافاتسكى طوال فترة وجوده فى آديار، وقد كانت عادة تستخدم التنويم فى حال اليقظة كما نرى فى تقرير آرثر آرنولد، وهذا النوع من الإيحاء عادة أصعب من الآخر، ويستلزم قوة إرادة واحتمال تدريب معقد، ولكنها كانت أسهل باعتبار النظام الغذائى للسيدة بلافاتسكى الذى تفرضه على تلاميذها بدعوى 'روحنتهم spiritualization'، وقد كانت مثل هذه الأمور تجرى فى نيويورك.

"لقد كان ثيوزوفيوناً عموماً يُقسَمون على عدم مساس نقطة من الخمر وأن يصوموا على الدوام، وأعلمهم ما يأكلون وما لا يأكلون، وإذا لم يموتوا تعلموا، لكنهم لا يملكون المقاومة وهو أجدى لهم"⁶.

ومن نافلة القول إن مدام بلافاتسكى لم تكن تتبع نظاماً مشاكلاً، ففى حين توصى بالغذاء النباتى بحزم بدعوى 'التقدم الروحى' فإنها لم تنصح له بنفسها، وقل مثل ذلك عن

.....

له من تفسير، وقد أجبنا فى تلك المذكرات بالفعل على النقد المطروح فى الكتيب المذكور، وهو من أراء الدفع التى يمكن تصورها، وليس فيه ما يدعو الثيوزوفيين للفخر به، فقد احتوى على 'تصحیحات' مغلوطة فى الفقرة التى اقتبسناها من كتاب أولكوت 'أوراق من مذكرات قديمة'، وقيل إننا أسأنا فهم الفقرة التى جاءت فى المجلدات الثلاثة للترجمة الفرنسية التى نشرت بعنوان *L'Histoire authentique de la Societe Thiosophique* كما يلى،

"لقد جمعت مدام بلافاتسكى أصدقاءً لا عدد لهم ولكنها فقدتهم جميعاً، وتحول بعضهم إلى اللددى للخصومة، وليس هناك من يستطيع أن يكون جذاباً مثلها لو هى أرادت، وقد كانت دائماً ما تريد حينما يتعلق الأمر باجتذاب أعضاء جدد إلى العمل الثيوزوفى، وكانت تفعل فى ذلك ما بوسعها لإقناع محدثها أنه صديقها الوحيد، وكانت تكتب بالأسلوب ذاته، وأعتقد أنى يمكن أن أذكر قائمة من النساء اللاتى كتبت لهن تقول كل منهن أنها قد اختارتها لتخلفها فى رئاسة الجمعية الثيوزوفية، وكذلك أكثر من الرجال الذين عاملت كلا منهم باعتباره 'الصديق الحقيقى الوحيد وتلميذها النجيب'، وعندى عدد من الشهادات القيمة من هذا النوع، وتؤكد المقارنة بينها أن كل مديحها لا يساوى شيئاً، ولا أملك قول إنها قد كانت مخلصاً لأى من الناس العاديين، ولم يكونوا لها إلا يادق فى لعبة شطرنج، وأنها لم تكن أى مشاعر عميقة لنا، فقد أفضت إلى بأسرار أتمتها عليها رجال ونساء بمن فيهم أشدهم ختلاً، وأنا مقتنع بأنها ستفعل بى الأمر ذاته لو كان عندى أية أسرار، لكنها كانت خائفة لا يرمش لها طرف، فقد خانت عمتها ووالديها ومعلميها فى حين كانت مستعدة للتضحية بعشرين نفسٍ أو جنس البشر بكامله من أجلهم لو لزم الأمر.

6 Letter of June 15, 1877.

أولكوت، كما أنها كانت تدخن باستمرار من الصباح إلى المساء، وليس كل الناس قابلون للإيحاءات إلا أن بلافاتسكى عندما كانت تفرغ جعبتها تلجأ إلى خيالات المهاتمات على شالها الحريري وجرسها الفضى.

والجاذبية التي مارسها بلافاتسكى أشد إثارة للدهشة، فإن مظهرها لم يكن يبعث على السرور، وقد ذهب ستييد *W.R. Stead* إلى "أنها قبيحة المنظر كالوحوش، وسلوكها فج عنيف وشخصيتها مخيفة ولسانها بذيء"، كما قال "إنها ساحرة متهكمة عبثية بلا مشاعر"، أى إنها "كانت كل شيء لا ينبغي أن يكونه الباحث في الأسرار العلية"⁷، ورغم هذا كله فإن قدرتها على التنويم لا تُنكر، والمثل الباهر هو النفوذ المباشر الذى سلطته على مسز آنى بيسانت عام 1889 التى قدمها إليها الاشرافى بوروز *Herbert Borrows*، والذى أصبح فى المستقبل رئيساً للجمعية الثيوزوفية، وكان مفكراً حراً فى غاية الشراسة، وقد كسبته بلافاتسكى فى أول لقاء له لتحويل العقيدة، وقد كان تحوله مفاجئاً لولا أن بلافاتسكى ذاتها قد حكمت عن كل الأحوال ببراءة مذهلة⁸، والواقع أن زمن نفوذها الذى نفثته فى مسز آن بيسانت يبدو على الأقل قد جعلها قلقة وقابلة للإيحاءات، وقد قالت إحدى صديقاتها القديمات "إنها فقدت موهبة الأصالة، وهى تحت رحمة عواطفها خاصة حيال أصدقائها الجدد"⁹، كما أن من الأرجح أن آنى بيسانت كانت مخلصة من أول الأمر حتى آخر عمر بلافاتسكى التى أصبحت سكرتيرة لها، وقد أظهرت لها 'مهاتما موريا' فى سياق رحلتها إلى فوتنابلو، ومن ناحية أخرى من المشكوك فيه أنها قد ظلت مخلصة فيما بعد على منوال بلافاتسكى ذاتها، وعلى منوال أولكوت أو غيره، والأرجح أن بلافاتسكى قد وقعت تحت طائلة نفوذ ما قبل أن يقع الناس تحت طائلة نفوذها، وما يجعلنا نتردد فى إصدار

7 *Borderland, July 1877.*

8 *Weekly Sun, October 1, 1893. This account was later reproduced by Mrs Beasant in her book An Autobiography, Published in 1895.*

9 *Mrs Beasant's Theosophy, by G.W. Foote, director of the Freethinker.*

حكم مطلق فى مثل هذا الأمر هو أن كل الشخصيات كانت لاواعية بالدور الذى يقومون به ولم يكونوا أحرار تماماً فى الانسحاب بإرادتهم.

8 آخر سنوات مدام بلافاتسكى

بعد إقامة مدام بلافاتسكى في فورتزبورج التي تخللتها عدة رحلات إلى إبيرفيلد لزيارة صديقتها مسز ومستر جيهارد¹، وهما تلميذان سابقان للمعلم إيفاس ليفي، وذهبت إلى أوستند لتمضي بعض الوقت مع الكونتيسة فاتشمايستر، حيث عادت إلى الكتابة في 'المذهب السرى *The Secret Doctrine*'، ويقول الشهود إنها كانت تكتب بلا كلل من السادسة صباحاً إلى السادسة مساءً، ولا تكاد تتوقف لتناول وجباتها، وفي بداية عام 1887 عادت إلى إنجلترا لتستقر في نوروود أولاً ثم في لندن، وقد ساعدها الأخوان برتراند و آرشيبالد كييتلي لتصحيح لغتها الانجليزية الركيكة، وكذلك فوسيت *D.E. Fawcett* في الجزء الذي تعلق بالتطور *Evolution*²، كما جرى عام 1887 أن تأسست مجلة *Lucifer* بالإدارة المباشرة للسيدة بلافاتسكى، وقد كان للجمعية

1 وقد كان جيهارد قنصلاً لألمانيا في إيران، وكانت زوجته أيرلندية الأصل، وقابلت إيفاس ليفي أول مرة عام 1865، وكانت تمضي معه أسبوعاً كل عام في محاورات في باريس، وقد كتب لها إيفاس ليفي سلسلتين من المحاضرات بعنوان 'وشاح المعبد الممزق *Le Voile du Temple dechire*' والتي ظهرت في مجلة *Theophist* ابتداءً من فبراير 1865 إلى 1874، وفي مجلة *Aurore* للكونتيسة كما تلقت ماري جيهارد من إيفاس ليفي نسخة من كتاب بعنوان 'تناقضات العلم الأعلى *Les Paradox de la Haut Science*' والذي نُشر في مدراس عام 1883، ونشرت مذكرة بعنوان 'ذكريات الشخصية مع إيفاس ليفي' في مجلة *Theophist* في يناير 1886، وماتت في برلين عام 1892، ويبدو أن عنوان مجلة *Lucifer* كان مقصوداً به 'إلقاء الضوء على الأمور التي في الخفاء لتخرج إلى النطاقين العضوي والنفسي'، وقد كانت كولينز *Mabel Colins* مساعدة مدير التحرير قد تراجعت عن الاستقالة، ولكن سرعان ما اختلفت مع مدام بلافاتسكى.

2 وقد قال كولونيل أولكوت في المؤتمر السابع عشر للجمعية الثيوزوفية الذي انعقد في آديار في ديسمبر عام 1891 "لقد عاوت مدام بلافاتسكى في تحرير *Isis Unveiled*، في حين كان كييتلي *Keightly* وكثيرون غيره يقومون بالدور نفسه في تحرير 'المذهب السرى'، وكلانا يعلم تماماً مدى بعد هذه الكتب عن العصمة، ناهيك عن الأجزاء التي كتبتها مدام بلافاتسكى".

أنتد لسان رسمي واحد هو *Theophist* الذي تأسست في آديار، وأضيف إليه مجلة الطريق *the Path*، التي كانت لسان القسم الأمريكي.

وقد ظهرت في 1887 كذلك أول مجلة ثيوزوفية فرنسية باسم 'زهرة اللوتس *Le Lotus*' التي لم تحظ بتسجيل رسمي، وقد كان لها استقلال خاص، وتوقفت عن الصدور بعد عامين في مارس 1889³، وقد عبّر مديرها جابوريو *F.K. Gaboriau* عن نفسه بجرارة عما أسماه 'الحالة المرضية' للسيدة بلافاتسكي، ويعترف أنه كان مخدوعاً تماماً حينما التقى بها في أوستند في نوفمبر 1886،

"لقد كانت تدحض بمهارة مدهشة فهمناها ساعتها بمثابة إخلاص، فقد عزت إلى بعض الناس أقوالاً اكتشفنا زيفها فيما بعد، وطوال ثمانية أيام قضيناها معها لم نرَ منها إلا براءة كاملة لكائنٍ فائقٍ طيبٍ فقيرٍ مريضٍ... وحيث إنني أميل إلى الدفاع لا إلى الاتهام فقد استلزم الأمر براهين دامغة على ازدواجية هذه الشخصية الغريبة حتى أقنع بما أنوى توكيده هنا".

وفيما يلي حكمه على كتاب 'المذهب السري *The Secret Doctrine*' الذي نُشر لتوه،

"إنه موسوعة عربية مبعثة بقائمة محتويات خاطئة وناقصة لكل ما كان يجري في السنوات العشر السابقة في رأس مدام بلافاتسكي و سوبا راو الذي صحح كتاب المذهب السري قال عنه إنه 'نفاية لا تميز لها'...⁴، ولا سبيل لهذا الكتاب في البرهان على وجود المهاتمات، بل على الأرجح جعلنا نكر وجودهم،... وأحب أن أعتقد أن رهبان التبت لا وجود لهم إلا في 'المحاورات الفلسفية' عند رينان، والذي اخترع

3 وقد أدارت الكونتيسة دامير *Countess d'Adhemer* المجلة الثيوزوفية التي ظهرت بعد فترة وجيزة، وصدرت عاما واحدا فحسب، أما مجلة *Lotus Bleu* فقد صدرت عام 1890 ولا زالت قائمة حتى اليوم باسم 'الثيوزوفية الفرنسية *Theosophic Francaise*' التي اتخذته عام 1898.

4 إلا أن سوباً راو لم يهجر الثيوزوفية، وقد مات عام 1890 عن عمر 34 عاما من مرضٍ غريب، ولم يتردد بعض الناس في ذكر 'السم' سببا لموته.

مفرخة لفقس المهاتمات في آسيا الوسطى باسم أزجارد *Asgard* بزمن أسبق من مدام بلافاتسكى وأولكوت، وطرح محاورات على منوال كوت هومى قبل أن يتجسد" وأخيراً، فهذا هو تقييمه عن أولكوت،

"لقد كان اليوم الذى أتى فيه إلى باريس ليتدخل فى أعمالنا خيبة أمل لكل الثيوزوفيين، والذين تركوا القاعة ليحل محلهم تلاميذ مستجدين، وهو أمريكى واثق من نفسه ببنيته الحديدية، وليس فصيحاً ولا متعلماً بأى قدر كان، ولم يكن على خلقٍ، وتراوح مصداقته بين التواطؤ والاعتذار عن أخطائه لو لزم الأمر، ولا بد أن أضيف أنه كان يتميز ببعض التعاطف أو الطبيعة الطيبة على النقيض من سابقه، والذى يعمل الآن بائعاً جوالاً للبودية"⁵

وفى الوقت الذى تركت فيه العمل الإدارى لأولكوت الذى استقر نهائياً فى أديار تولت مدام بلافاتسكى 'قسم الجوانية'، والذى لم يكن يدخل فيه أحد إلا بموافقتها، ولكن حدث فى 25 ديسمبر 1889 أطلقت على أولكوت اسم 'العميل السرى والممثل الوحيد لقسم الجوانية فى آسيا'، وفى التاريخ نفسه كان أولكوت فى لندن ووكلاها مديرة للقسم بلقب "الممثل الشخصى الرسمى للمملكة المتحدة UK وأيرلندا"، والى كانت تعمل بها أنى بيسانى ووليم كينجزلاند وهربرت بورو، وهكذا سيطرت بلافاتسكى على قسمى الجمعية كليهما، وكان الأمر ذاته بالنسبة إلى أولكوت فى الهند، ونقول الهند نظراً لعدم وجود أية فروع للجمعية الثيوزوفية فى بلاد آسيا⁶، ومن جانب آخر أسند إلى مسز بيسانى السلطة للاتفاق مع الفروع والجماعات المختلفة فى أوروبا

5 وعندما سافر أولكوت إلى باريس 'بطريقته الأمريكية الصرفة التى سيطر بها على أعضائها بالجملة'، راجع أيضاً *Le Lotus* عدد أكتوبر 1888 ص. 510، وأعداد أكتوبر نوفمبر وفبراير 1889، ولنضيف إلى ذلك 12 ديسمبر 1888.

6 ولم نكن نعتقد أن عام 1887 أن هناك جمعيات ثيوزوفية فى آسيا إلا فى الهند بناءً على المعلومات التى اكتشفناها منذ نشر كتابنا سوى واحدة فى كيوتو فى اليابان، والى أسسها كيمو هيراي.

على إنشاء فروع للجمعية، ومن ثم توحيدهم في 'قسم أوروبي واحد' بحكم ذاتي ليثقل 'القسم الأمريكي' الذي كان يمثله جادج *William Q. Judge* نائب رئيس الجمعية، وهكذا كان في الجمعية الثيوزوفية ثلاثة أقسام بحكم ذاتي، أما اليوم فلها فروع بعدد البلاد التي دخلتها الثيوزوفية بعدد أعضاء يسمح بقيام فرع للجمعية، لكنها جميعاً خاضعة لقيادة الجمعية في آديار، ويتلقون منها توجيهات يتبعونها بلا مناقشة، وهكذا كان 'الحكم الذاتي، إدارياً فحسب.

وقد حدثت في هذه الأثناء حادثة مؤسفة للدكتور كووس *Dr. Elliott E. Cowes*، وهو دارس حقق بعض الشهرة وترك الطريق الممهّد، إلا أنه لم يتوان عن ملاحظة كثير من الأمور، وقد أنشأ جمعية مستقلة انضم إليها عدد من مراكز الجمعية في الولايات المتحدة، وبالطبع طُرد على الفور⁷، وقد انتقم ينشر مقال قال فيه،

".. وليكن معلوماً أن الإلهامات التي نُسبت إلى 'المهاتمات' قد عُزيت إلى ما عبّرت عنه في *Isis Uneiled* و *The Secret Doctrine*، وقد انتحل معظمه من كتب ومخطوطات للسيدة بلافاتسكي التي ائتمنت عليها البارون دي بالم *Baron de Palmes*، كما أشار إلى أن ذلك لا بد أن يكون واضحاً من واقع أن أحد الكُتّاب الذين تكرر

7 أما عن دكتور كووس الذي كفى عنه بول برتراند بصفته 'كووس بعينه *a certain Cows*'، فنعتقد أن المقتبس التالي مفيد في هذا السياق،

" لقد حاضر أخونا في الثيوزوفية د. كووس في 16 مارس 1887 عن الثيوزوفية وتقدم النساء في اللقاء السنوي لكلية طب واشنطن، وأن لأئحة الكلية تمنع الانخراط في أية محاورات دينية، ولكن حيث إن اللقاء كان يخص الذين يتعبدون للرب المسيحي، كذا، وقد انتهز د. كووس الفرصة لكي يُلقي موعظة عن حقائق جميلة، ورفضت الكلية نشر موعظته، ومن ثم أقبل الدكتور الشجاع على نشرها بمعرفته، وأدان فيها مؤسسة 'الدكترة'".

وفي عدد 1 يونيو 1887 من مجلة *Light* هناك رسالة قصيرة ولكنها ذات مغزى من المحررة المتعاطفة ميبل كوليز إلى إلبوت كاوس في واشنطن، وهو رجل له باع طويل في العلم والأدب، وهو على شاكلتنا مناضل قديم ضد بلافاتسكي وأولكوت، ولم يكن معجباً بها بعد أن حاولت أن تجعله يتبع أحد كذباتها اللطيفة التي تشارك فيها وسطاء التنويم العاديين.

الاقتباس عنهم كان الغيبي الفرنسي إيفاس ليفي⁸، وقد مات البارون في نيويورك عام 1876 بعد أن أوصى بكل ممتلكاته للجمعية الثيوزوفية⁹، وقد ادعى سينيت أنه لم يجد إلا مكتبته فحسب، لكن مدام بلافاتسكي كتبت في يوليو 1879 "إنه ترك كل ممتلكاته للجمعية"، وقد اشتمت تلك الممتلكات كما قالت على "عدة مناجم فضة وفيرة وسبعة عشر ألف فدان من الأرض"، ولا شك أن ذلك مما لا ينبغي إهماله، ولكن على كلٍ يبدو أن من المسلم به أن المكتبة كان لها دور حاسم في كتابة *Isis Unveiled* التي ظهرت في السنة التالية، وقد وجدت تصريحات د. كورس أصداءً في أميركا، بموجب شخصيته، ويعتقد جادج *Judge* أنه لا بد من رفع قضية للضرر الذي حاق بدكتور كورس على المجلة التي ظهر فيها مقال التثبير بالجمعية الثيوزوفية¹⁰، لكن هذه الإجراءات لم تتم، فقد توقفت بموت مدام بلافاتسكي التي ورد اسمها في قضيتهم، ووجهت إلى أعضاء الفرع الفرنسي خطاباً طويلاً في 23 سبتمبر 1890، تشكو فيه من أن شائعات شبيهة تدور في لندن، وقالت إن هناك 'أعداء شخصيين' يعاونهم 'واحد من أنشط أعضاء الجمعية في فرنسا'، والذي لم يكن إلا بابوس، والذي سافر عبر مضيق المانش مرة أو اثنتين سعياً إلى 'غايته الشريفة'، وأضافت أن صبرها قد نفذ وهددت بجرّ أي أحد إلى المحكمة لو جرؤ على هذا الادعاء ضدها. وقد ماتت بلافاتسكي في 8 مايو 1891 بلندن، وكانت مريضة لبعض الوقت، وفقد طبيان أو ثلاثة الأمل في

New York Sun, July 20, 1890. 8

وقد كان الاسم الصحيح لبارون دي بالم هو *von Palm*، وكان ضابطاً في الجيش البافاري، وسُرح منه بسبب ديونه، وبعد فترة إقامة في سويسرا حيث ارتكب فيها عدة احتيالات لجأ إلى أميركا، ويبدو أن الأمور الموصوفة في وصيته لا وجود لها، وأيا كان ما تقول الجمعية الثيوزوفية، إلا أن بلافاتسكي لم نتوان عن الاستفادة بمحتويات المكتبة كما أكد د. كورس، وهو الأمر الوحيد المهم هنا، ويقول بول برتراند "إن من غير المحتمل أن ذلك الضابط الألماني... كان قادراً على كتابة *Isis Unveiled* فليس هنا تقابس، لكنه كان قويا وأصيلاً"، ونحن لم نقل مثل هذا بل التزمنا على العكس بأن بلافاتسكي كانت الكاتبة وعاونها الكوت وقلائل غيره بلا شك، وكانت المسألة فحسب هي المصادر التي أخذت منها حتى تكتب ما كتبت، فهل عجز مناقضونا عن فهمنا أم أنها كانت نية مبيتة؟

10 *New York Daily Tribune*, Sep. 10, 1890.

حياتها¹¹، رغم أنه قيل إنها كانت تبدو أفضل قبل موتها نتيجة نفوذ غيبي ما، ويقول سينيت "وكان من المفترض حينئذ أن تحلَّ بجسد آخر ناخج تماما، ولكنه سيكون ذكرا هذه المرة"، وقد كتب ليدبيتر مؤخرًا عن هذا الموضوع ما يلي،

"إن الذين كانوا بالقرب من مؤسسنا العظيمة مدام بلافاتسكي قبل أن تهجر جسدها الذي عرفناها به، قد أدركوا على الفور أنها احتلتَّ جسداً آخر في اللحظة التي تركها جسدها القديم، أما عما إذا كان هذا الجسد قد أعدَّ لها؟ فلا علم لي بذلك، لكن هناك أمثلة أخرى على إمكان ذلك"¹².

وسوف نعود لاحقاً لهذه الفكرة الفريدة لاستبدال شخصية بأخرى، فلم يكن على الأولى إلا إعداد جسد مناسب للثانية حتى تحتله في اللحظة المناسبة، وقد أعلنت مسز بيسانت أن تناسخها القادم سيكون في إهاب رجل¹³، ولم يحدث هذا التناسخ بعد، ولكن ليدبيتر يكرر في كل مناسبة أن مدام بلافاتسكي قد تجسدت بالفعل، وأن كولونيل أولكوت قد يهرع إلى التجسد قريباً ليساعدها في عملها مرة أخرى¹⁴.

وهذه استثناءات من القانون الذي صاغته بلافاتسكي بنفسها مع سينيت بحيث لا بد أن ينصرم اثني عشر أو خمسة عشر ألف عام بين المنسوخ والناسخ¹⁵.

وقد أفشى ليدبيتر أن تعبير 'الكيانات الروحية' *spiritual entities* يبدو عند مدام بلافاتسكي بمعنى 'الأفراد فائقوا التطور' *highly developed individuals*¹⁶، وي طرح

11 وعن أولكوت أنها عانت من المرض، *Le Lotus* يوليو 1888 ص. 225.

12 *Adyar Bulletin*, Oct. 1890.

13 وقد دفعت مدام بيسانت بأن تناسخ كولونيل أولكوت سوف يجري وشيكا على منوال مدام بلافاتسكي "لقد تخلص كولونيل أولكوت من جسده الفاني واستراح سنوات قلائل وعاد طفلاً صغيراً واعداداً بمستقبل زاهر".

14 *L'Occultism dans la Nature*, pp 72 and 414.

15 *The Secret Doctrinem* vol.2, p.317.

جدولاً 'لدرجات التطور' لبني الإنسان، ويرجع إلى ما يربو عن ألفي عام للذين ارتادوا الطريق، وإلى ألف ومئتي سنة للذين تقدموا عليه، وإلى أربعين أو خمسين سنة وهكذا حتى خمس سنوات في حالة 'حثالة البشر'¹⁷، أما الفقرة التي صرح فيها سينيت "إن 1500 عاماً تبدو فترة قصيرة للغاية بين مولدين"¹⁸، وها هنا تفسير للكاتب نفسه،

"وهناك مبرر لتصديق أن الخطابات التي تشكل قوام الجوانية البوذية" من أعمال

تلامذة مختلفين تحت قيادة عامة للمعلمين *Masters*، وحتى باعتبار الهفوات التي ارتكبت فيستحيل افتراض أن الكتاب قد تجاهلوا وقائع يسهل إدراكها لكل من رأى عمليات 'التجسد'¹⁹، ولنتذكر أن الخطاب المذكور لم يكن يخاطب الجميع بل يقصد سينيت على وجه الخصوص، وما لا شك فيه أنه وصل إلى يد بعض الذين يعملون معه، وقد تكون الوسائل التي فرضت عليهم منضبطة النتائج عملياً، ولكننا لا نسمح بتعميمها على الجنس الإنساني برمته"²⁰.

ومن المناسب أن نفسر هنا بعض الأمور، فيمكن للمنهج ذاته أن يفيد في محو

كل الإسهامات التي طرحها هيوم منذ عام 1883، أما عن 'الهفوات' التي ارتكبتها تلامذة مغفلون ألم يكن كوت هوومي هو الذي ضرب المثل في مسألة كيدل بهذه النقطة؟ ونحن نعلم من ناحية أخرى أن مافالانكار و سوبا راو وغيرهم كانوا تلاميذ للمعلمين، وهكذا كان مجمل التاريخ المبكر للجمعية الشيوزوفية أمراً يثير الأسي، وليس على منوال الجمعيات السرية القديمة التي ادعوا أنهم ورثتها، إلا أنها تركت وراءها قدراً هائلاً من الوثائق المكتوبة.

16 *L'Occultism dans la Nature*, pp.325.

17 *Ibid*, pp.327-333.

18 *Esoteric Buddhism*, p. 186, cf. *Ibid* chap.10.

19 عن طريق العرافة التي يهتم بها ليديتير بشكل خاص.

20 *L'Occultism dans la Nature*, pp.325-326.

9 مراجع أعمال مدام بلافاتسكى

وبعد كفاية ما قلنا عن حياة مدام بلافاتسكى وشخصيتها لا بد أن نتناول أعمالها ما لم تستق من وحى المهاتمات، فمن أين جاءت تلك المعارف المتنوعة التي تشهد لها؟ والواقع أنها جمعتها على نحو طبيعي أثناء رحلاتها الشتى، وكذلك من القراءات غير المنهجية شحيحة الهضم، فقد "كان لها عقل قوى جامع غفل لم يهذب" كما قال سينيت¹، ويقال إنها في رحلتها إلى الجزر اليونانية مع ميتامون رسمت طريقها مروراً بأديرة بعينها في جبل آثوس²، وصادفت في مكثباتها لأول مرة نظرية اللوجوس السكندرية، وأثناء إقامتها في نيويورك قرأت أعمال جاكوب بوهم، ولا شك أنها المصدر الوحيد الذى عرفها على الثيوزوفية، وكذلك أعمال إلفاس ليفى التي كثيراً ما تنتحل منها، وربما قرأت أيضاً شيئاً عن كتاب كنور دى روزيندوث *Knorr de Rosendoth* فى القبالة *Kabbala Denodata*، كما قرأت رسائل أخرى قبالية وهرمسية، وقد ذكر أولكوت فى خطاب إلى ستانتون موزيس فى الفترة المذكورة عن أعمال أخرى ذات طبيعة مختلفة، فنقرأ ما يلى،

"وأشير عليك بأعمال موسيو *Gougenot of the Mousseaux* وهو ظاهرياً كاثوليكي مخلص لكنه مؤمن بعبادة الشيطان، وقد جمع ثروة بيانات واقعية عن السحر، ولا شك أن روحك المتحررة سوف تقدرها حق قدرها، وسوف تجد كذلك

TheOccult World, p.30. 1

ولا تسمح أديرة جبل آثوس بدخول النساء، ولكن من المحتمل أن تتزيا بلافاتسكى فى ثياب رجل، وكما فعلت فى كثير من المناسبات، وخاصة عندما حاربت مع قوات غاربيالدى. 2

قراءات مفيدة لأعمال الطوائف الشرقية والمنظمات الدينية، وقد وجدت في كتاب
لين E.W. Lane عن المصريين المحدثين عدة أمور مهمة³.

وإضافة إلى ما تقدم عن النجم الساطع *Etoil Flamboyante* و السحر الآدمي *Magica Adamica* جاء خطاب عن رسالة هرمسية بعنوان 'مفتاح الأمور الخفية منذ بداية العالم'⁴، وفي خطاب آخر يوصي أولكوت بكتاب جاكوليو *Jacolliot* 'الأرواحية في العالم'، وبعض الأعمال عن الهند للكاتب نفسه، ثم عدة كتب لا تساوى شيئاً⁵، وكل هذه الأعمال لا بد أنها كانت من بين قراءات أولكوت و بلافاتسكى، والذي قال عنها في الخطاب ذاته عام 1876،
"انتظر حتى ترى انتهاء العمل في كتابها، وحينئذ سترى الغيبية بلغة جيدة،
وتفسير لكثير من أسرار فلود و فيلاليثيس و بارا كليسوس و أجربيا على منوال سهل
القراءة والبحث".

ونفهم مما تقدم أن أولكوت وآخرون قد تعاونوا على تحرير *Isis Unveiled* كما عمل فيما
بعد سوبا راو وآخرون على تحرير *The Secret Doctrine*، وهو تفسير بسيط لاختلافات
الأسلوب التي عزاها الثيوزوفيون إلى إملاءات من 'معلمين' مختلفين، فقد قيل إن بلافاتسكى
تصحو من النوم وإلى جانبها عشرين أو ثلاثين صفحة مخطوطة تختلف عن خطها، وتتابع ما
كُتب في الليلة السابقة، ولم تنكر هذه الوقائع، فمن المحتمل أنها كانت تمشي نائمة أثناء الليل،
وأنها كانت تجد ما كتبه في صباح اليوم التالي، والواقع أن هذه الحالات شائعة بما يبطل
العجب، كما أن المشي أثناء النوم عَرَض لصيق بأعمال الوساطة الروحية، وقد ذكرنا أن
بلافاتسكى قد لاحظت أن زيفها لا يمنع قدراتها في الوساطة الروحية، ويلزم التسليم بأنها

3 Letter of May 18, 1875.

4 Letter of June 22, 1875.

5 كما نقرأ في *Lotus Bleu* عدد 6 نوفمبر 1890 أن 'مُحْفَل بلافاتسكى' في لندن قد أوصى بقراءة
الترجمات الانجليزية لهذا الكاتب، والواقع أن المجلة قد نشرت عددا من التصحيحات، وتقول
إن مجلة *Lucifer* قد نشرت هذه الترجمات.

أحياناً ما تلعب دور 'الوسيط الكاتب'، ولكن ما يجري في هذه الأحوال أن ما كتبت لم يكن إلا انعكاساً لذاتها أو لمن يحيطون بها.

أما عن مصدر الكتب التي استخدمتها بلافاتسكي في نيويورك فقد كان بعضها مما يصعب الحصول عليه، ونعلم عن طريق مسز بريتين *Emma Hardinge Britin* وهي من أول أعضاء الجمعية الثيوزوفية وكذلك عضو 'مُحفل *HB of L*'⁶ "إن مدام بلافاتسكي كانت تنفق أموال الجمعية في شراء كتب نادرة بصفتها أمينة المكتبة، وقد ظهرت منها فقرات في كتابها *Isis Unveiled*"⁷، كما أننا رأينا كيف ورثت مكتبة البارون دي بالم التي اشتملت على مخطوطات كانت مفيدة للغاية كما قال د. كووس، والتي تشارك خطابات سوامي ساراسواتي ديداندا في شرف عزوها إلى خطابات المهاتمات، وأخيراً، فإن بلافاتسكي كانت قادرة على اتقاء بعض المعلومات من أوراق فيلت *Felt* والمراجع التي استخدمها لإعداد حديثه عن السحر والقبالة المصرية، والتي تركها لها أثناء مرضه الأخير، ويبدو أن الفكرة الأولى لنظرية 'العناصر *Elementals*' التي عزاها على مضمض إلى قدماء المصريين يجوز أن تُعزى إلى فيلت⁸. وأما عن المذاهب الشرقية فإن بلافاتسكي تعرف شيئاً مما يشيع عن البراهمية والبوذية، وقليلاً ما فهمت منها كما ثبت من نظرياتها التي تُعزى إلى عجزها في ترجمة الاصطلاحات السنسكريتية، كما أقر ليدبير صراحة "إنها لا تعرف السنسكريتية"، وربما كانت العربية هي اللغة الشرقية الوحيدة التي تعرفها"⁹، كما يعزو معظم مشاكل الاصطلاحات الثيوزوفية إلى جهلها باللغة السنسكريتية، مما دفع مسز بيسانت إلى استبدال معظم الكلمات الشرقية بما يكافئها

6 ويعتبرها البعض كاتبة لبعض الأعمال الغفلة من توقيع الكاتب مثل 'فن السحر *Art Magic*' و 'أرض الأشباح *Ghostland*'، والتي ترتبط بنظريات هذه المدرسة، وللزيد عن مدام بريتين والأعمال المنسوبة إليها راجع كتابنا 'خطل الأرواحية *The Spiritist Falacy*' الباب الثاني من الجزء الأول.

7 *Letter to the Journal Light, London, December 9, 1893.*

8 *Cf. Old Diary Leaves, by Olcott.*

9 *L'Occultism dans la Nature, p.404.*

في الإنجليزية¹⁰، ومن ثم اكتسبت تلك الاصطلاحات معانٍ لم تكن لها من قبل، وقد رأينا طرفاً من ذلك في ترجمة 'مهاتما' التي تُرجمت إلى 'راهب Adept'، وسنجد كلمة أخرى هي 'كارما' التي لم تتغير، ويبدو أن بلافاتسكي قد اخترعت كلمات لا وجود لها أصلاً على منوال 'Fohat' التي تبدو كما لو كانت تحريفاً لكلمة 'Mahat'، وفي مناسبات أخرى كانت تدمج عنصرين معاً من لغتين شرقيتين مثل تركيب نصفه سنسكريتي والآخر تبتى أو منغولى على شاكلة 'ديفاشان' لمصطلح 'ديفا لوكا' السنسكريتي، أو مرة أخرى في 'دهيان تشوهان' لمصطلح 'دهياني بودهي'، وعموماً فإن التدوين في الترجمة العشوائية دائماً ما يُخفي مفاهيم غريبة محضّة، ويناhez دورها في الوجود 'الظواهر' التي تجتذب عملاءً جُداً تأخذ المظاهر بألبابهم، ولذا لم يستطع الثيوزوفيون أن يهجرها بالكلية، وكثير من الناس يجذبون إلى 'الغرابة exoticism' حتى لو كانت من أخط الأمور، زد على ذلك أنهم عاجزون عن تقييمها بغرورهم، والذي ليس غريباً في نجاح الثيوزوفيين في دوائر بعينها.

وسوف نضيف كلمة عن أصول ما يسمى 'المتون السرية التبتية' التي اعتمدت عليها بلافاتسكي في أدياتها وخاصة في مصطلحها الشهير¹¹ *Stanzas of Dzyan* في كتابها 'المذهب السرى' و'صوت الصمت'، وتحتوي هذه الأعمال على فقرات تبدو 'مدسوسة interpolated' أو حتى مُختَرعة، وكذلك كثير من التي 'رُتبت' لتسع الأفكار الثيوزوفية، أما عن الفقرات الأصلية فهي مُستعارة ببساطة من ترجمة ألكساندر كسوما دي كوروس¹² لمقاطع من

10 Ibid., pp 222 and 263.

11 ولا بد أن تكون كلمة *Dzyan* تصحيحاً لكلمة *Jnana* بمعنى 'معرفة' أو *dhyana* بمعنى تأمل، وقد أشارت بلافاتسكي بنفسها إلى هذا التشقيق ودون أن تدرك عدم المقابسة.

12 مثل *Kandjur and Tandjur* الذي نشره الكاتب ألكساندر كسوما دي كوروس لمقتطفات مترجمة في المجلد العشرين من البحوث الآسيوية في كليتنا لعام 1836 بقطع كوارتو، ومنها انتقلت بلافاتسكي عشوائياً قدراً كبيراً من ثيوزوفيتها المعروفة التي ادعت أنها إلهامات بالتخاطر النفسى *telepsychy* عن ألواح خفية في قلب التبت، ولا شك أنها لا تبعد كثيراً عن آزرارد عند رينان.

ولنقتبس فقرة من العمل ذاته، والتي تُعرّف تماماً "توحيد الأديان الثيوزوفى *Theosophic Syncretism*، " ... فقد راكوا ذكريات مشوشة عن قراءات متعجلة لم يستوعبها تماماً من النظم الدينية والفلسفات

كاندجور و تاندجور *Kandjur and Tandjur* المنشورة عام 1836 في الجزء العشرين من 'الأبحاث الآسيوية' في كلكتا، و دى كوروس مجرى الأصل سمي نفسه *Skadar-Beg*، وكان متطرفاً وغريب الأطوار، وسافر زمناً طويلاً في أصقاع وسط آسيا لمقارنة اللغات بحثاً عن القبيلة التي نسلت منها أمته¹³.

وهذا هو الخليلط الغريب للعناصر التي كانت وراء كتاباً بلافاتسكي الرئيسيين ' *Isis Unveiled* و *The Secret Doctrine*، وهذا النوع من الكتب هو الذي لا بد أن نتوقعه من هذه الأحوال، فهي تراكم لا يفهم بلا نظام، وفوضى ضاربة ضاعت فيها الوثائق القيمة في طوفان من القمامة، وسيكون البحث ضياعاً للوقت عما يمكن أن نجده بطرق أسهل في مجال آخر، ثم إنها تتوشَّح بالأخطاء والتناقضات حتى تتصلح كل الآراء المتعاكسة، فقالوا أولاً بوجود الرب ثم آمنوا بعدم وجوده، وأن 'نيرفانا' هي الفناء ثم العكس، وأن تناسخ الأرواح *metempsychosis* أمر واقع، ثم يقولون إنه رواية فحسب، وأن التغذية النباتية لازمة للنمو النفسى *Psychic Development*، ثم يقولون إنه مفيد ببساطة، وهكذا دواليك¹⁴، وقد يمكن فهم كل ذلك بدون صعوبة فيما عدا أن أفكار بلافاتسكي تتغير واقعياً بأشواط بعيدة، فهي تكتب بسرعة هائلة دون أن تشير إلى مراجعها حتى إن كانت من أدبياتها، لكن هذا العمل المعيوب هو الذى شكل دائماً أساس تعاليم الثيوزوفية وطبعها على كل ما أضيف إليها رغم كل شيء، وحتى التصحيحات التي اضطرت إلى إجرائها بوصفها ترجمات *interpretations* أو

.....

والنظريات العلمية كما خطرت لهم، ونجد هنا وهناك شظايا من الفيدانتية والطاوية والبراهمية والمصرية وعينات من المزدكية ومقتطفات من المسيحية وشراريب من البراهمانية والغنوصية والقبالة العبرية وبارا كلدسوس والدرويدية وأفلاطون، وقصاصات من سويدنييرج وهيجل و شوبنهاور وسبينوزا، ونشروا ذلك في كل القارات على أنها 'الجوانية البوذية'... ورغم تناقضاتها الملحّة وأخطائها المعمية واضطرابها الذى لا ينكر فإن مدرسة الثيوزوفيين قد تسنمت القمة حينها حتى إنها ادعت القدرة على كشف المحجوب، وهي مانحة كل 'القوى الكامنة' ومحققة لكل التركيب الأسمى".

13 See *Corespondence de Victor Jacquemont, vol. 1, pp.226-227, and 337.*

14 وقد حصر آرثر ليلي عددا من هذه التناقضات في كتابه 'مدام بلافاتسكي وثيوزوفيتها' *Mme. Bdbvatsky and her Thiosophism*

تفسير' لا تُدَحِّصُ في الجمعية، وإن لم تكن تجسداً المذهب بأكله فقد احتوت بشكل يزيد أو يقل على مبادئه الأساسية.

وعندما نتحدث هنا بسلطة لا تُلاحى فذلك ينطبق خصوصاً على 'المذهب السري'، أما 'كشف إيزيس *Isis Unveiled*' فيبدو مختلفاً بعض الشيء، ويقترح ليديبيتر صياغة 'خطة دراسة للثيوزوفية' على أساس الأول الذي يسميه 'أفضل الكتب جميعاً' ولا يكاد يذكر الثاني¹⁵، وسوف نذكر سبباً واحداً من الأسباب الرئيسية لهذا التحفظ، والذي تفسره المقارنة بين العاملين، والتي تتمخض عن الاختلافات والتناقضات التي أشرنا إليها عليه، بالإضافة إلى أمور أخرى منها أن بلافاتسكي قد كتبت في 'كشف إيزيس' ما يلي،

"ليس تناسخ الأرواح، أي ظهور الشخص أو عنصره النجمي مرتين على الكوكب ذاته من قوانين الطبيعة بل استثناءً مثل ظاهرة ميلاد طفل برأسين، ويسبقها انتهاك لقانون التناسق في الطبيعة، وحينما تحاول الطبيعة استعادة توازنها تدفع العنصر النجمي *astral monad* بعنف إلى الحياة الأرضية بعيداً عن دائرة الجوهر بجريمة أو حادثة"¹⁶.

ومن السهل التعرف في هذه الفقرة على نفوذ محفل 'HB of L'، والواقع أن تعاليمه نقيضة لفكرة التناسخ عموماً، لكن هناك بعض الحالات الاستثنائية، وهي ثلاثة تحديدًا، الأطفال الذين ولدوا موتى، والمتخلفين البلهاء منذ مولدهم، وأخيراً التجسيدات الماشيحانية *messianic* الطوعية، والتي تحدث تقريباً كل ستة قرون في الجنس ذاته، لكن الروح لا تتجسد مرتين، وقد شبهتها مدام بلافاتسكي بالظاهرة الرباعية *tetralogical Phenomena*¹⁷، وعندما تحولت الثيوزوفية إلى 'تناسخية *incarnaionalist*' ظلت الحالتان الأولى والثانية استثناءً، ولكن بمعنى

15 *L'Occultism dans la nature*, pp 415-419.

16 *Isis Unveiled*, vol.1p.351 of the English edition.

17 *Isis Unveiled*, vol.1 p.352 .

أنهما قد تؤديا إلى احتمال تجسد فوري¹⁸، في حين جرى التسليم بأن فترة التباعد بينهما لا تقل عن 1500 عاماً، وعندما نتذكر أنها اتُّهمت بالوعظ بإنكار التناسخ أكدت،

"إن ذلك ما يقوله من لم يفهم الموعظة... ولم يكن الأرواحيون الانجليز ولا الأمريكيون يؤمنون به حتى زمن كتابة العمل المذكور الذي يخاطب الأرواحيين الفرنسيين، والذين تنبو نظرياتهم عن الفلسفة وتقرب من العبث،... ويؤمنون بالتجسد الاعباطى"¹⁹.

لكن بلافاتسكى قد استعارت فكرة التناسخ من مدرسة كارديك *Allan Kardec* التي انتمت إليها سلفاً، وبعد أن تركتها مؤقتاً بتأثير نفوذ آخر عادت إلى الاعتقاد بهذا المفهوم ببعض التعديلات واللحاح حتى تجعلها أشد 'فلسفية'، أما عن الفقرة المقتبسة عليه من 'كشف إيزيس' فهي واضحة لا غموض فيها، ولا يرد فيها صيغاً للتناسخ أو معرفة ما إذا كانت عاجلة أم آجلة، ولكن التناسخ ذاته مرفوض في عموم الحالات، وهنا يتضح عدم إخلاص بلافاتسكى مرة أخرى، ونرى أنها أول من دفع بأن أفكاره لم تُفهم كما ينبغي عندما يواجه بأمر مُخرج أو تناقض شكلي في عمله، ولا بد أن ورثتها سوف يتمسكون بهذا المثل حينما يرغبون في تغيير أمر من التعاليم الثيوزوفية.

18 *Esoteric Buddhism, chap. 10.*

19 وتُقرُّ بلافاتسكى 'بعدم التدقيق' وتعذر عن 'الغلطات المهمة' التي تسلت إلى طبعة *Isis Unveiled*.

10 البوذية الجوانية

لقد ذكرنا في بداية هذا الكتاب أن الثيوزوفية لا مذهب لها بمعنى الكلمة بدلالة أمثلة من الاختلافات والتناقضات التي تناولناها، وسواءً أكانت من مدام بلافاتسكى نفسها أم بينها وبين أتباعها، فمن الواضح أن كلمة 'مذهب' لا تنطبق على هذه الحالة، لكن الجمعية الثيوزوفية تُصرُّ على أن لها مذهباً، أو أن لها مذهب وليس لها مذهب في الآن ذاته، وقد قالت بلافاتسكى ما يلي،

"إن المقصود بأن الجمعية لها مناسك أو مذهب يخصها ليس إلا عدم وجود مذهب 'إجباري' على أعضائها، ولكن ذلك بالطبع ينطبق على جسد الجمعية ككل، فالجمعية تنقسم إلى قسمين خارجي وداخلي، ولكن العاملين في القسم الداخلي لديهم فلسفة، أو لو أحببت منظومة دينية تخصهم"¹.

وإذاً فإن الاعتقاد بهذا المذهب 'إجباري' لأعضاء 'الدائرة الخارجية' على الأقل الذين لا شك أنهم يبرهنون من حيث المبدأ على تسامحهم مع كل الآراء، ولكن هذا التسامح سرعان ما يختفى لو أن أحدهم انتقد تعاليم بعينها، وهؤلاء لا بد أن يفهموا أنهم ليسوا في رعاية الجمعية، وأما عن 'قسم الجوانية' فإن الذين يُفصِّحون عن أية ميول نقدية لن يُقيِّض لهم دخولها، كما أن طلب العضوية الذي وقعه العضو ينص بوضوح أنه يسلم بأصالة التعاليم التي يفترض أنهم لم يعملوا عنها شيئاً بعد².

1 *The Key to Theosophy, p 60.*

2 وقد رأيت شخصياً نسخة من التزام المرشح لقسم الجوانية المعروف اليوم باسم 'مدرسة الثيوزوفية الشرقية'، ونقرأ في المقدمة التي كتبتها ووقعت عليها السيدة بيسانت.

"إن التلميذ الذي يدخل المدرسة بدون قبول الحقائق الأصولية التي تقوم عليها التعاليم الثيوزوفية سيصاب بخيبة أمل محتومة بدون إيمان بمعلميه ودون أن يسعى إلى المعرفة كي يصبح أكثر نفعاً

وما يسمى "منظومة دينية تخصهم" تشكل المذهب الرسمي للثيوزوفية الذي يُطرح ببساطة أنه "جوهر كل دين يسعى إلى الحقيقة المطلقة"³، وهو ما يحمل آثاراً سافرة للمصادر المتنافرة التي نشأ منها، ويحاولون جعلنا نصدق أنه "الأصل المشترك" لكل المذاهب، ولكنها نتيجة انتحالات بلا تمييز، والتي حاولوا تغطيتها اصطناعياً لكي تبدو وحدة واحدة، لكنها لا تصمد للفحص، فهي خليط من الأفلوطينية الجديدة والغنوصية والقبالة العبرية والهرمسية والغيبية، وقد اجتمعت حول ثلاث أفكار سواءً أحببت أم كرهت، فهي حديثة من أصل غربي، ومن بداية هذا الخليط ظهرت الجوانبي البوذية، ومن السهل رؤية علاقاتها الغامضة بالبوذية الحققة، ويلزم تفسير لكيفية علاقتهما حتى إن لم يكن الأمر كذلك،

"لقد نبع الخطأ من سوء فهم المعنى الحقيقي لعنوان مستر سينيت لكتابه العظيم الجوانبي البوذية، هو أن Buddhism مكتوبة بحرف d واحد Buddhism" حتى تعني ما كُتبت من أجله، أي الحكيمية Wisdomism بدلاً من Buddhism التي تعني فلسفة جواتاما الدينية"⁴.

ويكفي القول لتبين تفاهة هذا التمييز الدقيق أن في السنسكريتية أيضاً كلمة بودهي buddhi التي تُدوّن في اللغات الغربية بحرفي 'dd'، وتعني العقل المُلهَم أو البصيرة الفطرية intellect، وبالمناسبة فقد اختارت مسز بيسانت ترجمتها إلى 'العقل

لزملائه، ولذا تعين عليه الموافقة على الشروط التالية والتوقيع بذلك وإعادتها لسكربتيرة القسم".

وفيما يلي نص الالتزام،

'1' إنني متعاطف مع الجمعية الثيوزوفية '2' إنني مقتنع بصدق التعاليم الرئيسية والفلسفة الجوانبية في وجود واحد ينبثق عنه كل شيء، وقانون فترات الزمن، وتماهي عقل الإنسان والعقل الكلي، والتناسخ والكارما ووجود الأخوة الكبرى، '3' إنني أرغب في أن أكون عضواً في E.E.T. حتى أضفي على حياتي روحانية وأن أصبح مفيداً لزملائي حتى أكون خادماً للإنسانية. '4' إنني على يقين بأن مدام بلافانسكي تحتكم على معرفة تشهد عليها رسالتها كرسول من الأخوة العظمى، '5' وأقر أن السيدة بيسانت خليفتها ورئيسة المدرسة تحت إشرافها.

3 Ibid., p. 58.

4 Ibid., pp 12-13.

المحض *pure reason* في حين أن معناها الدقيق هو 'البصيرة الملهمة'، ولا يكفي تغيير رسم الاصطلاح لمنع الخلط! ونقول بحسب إن *Budhism* تعني فقط 'مذهب عطارذ *Mercury*' الذي له مكافئ هندوسى وفي الهرمسية المصرية اليونانية *Hermeticism*، ولكن يبدو أن هذا التفسير لم يخطر على بال الثيوزوفيين، فلا نطن أنهم يتوهون عن عطارذ آخر يتخذ في هذا السياق اسم كوت هوومى، وهذا أمر مؤسف، فلا يخلو هذا التنويه من عبقرية بعينها.

ولم تمنع الفقرات المقتبسة عليه مدام بلافاتسكى عن التعاون فى الدفع بذلك التساوى بتفسير لاحق بأن البوذية *Buddhism* بحرفى 'dd' تنطوى على تعاليم برانية وجوانية، وهو ما يدفع إلى التساؤل عما يميز أحدهما عن الآخر، كما أن سينيت قد طرح ما سماه 'المذهب الجوانى' الذى كلف به كما لو كان منبثقا عن البوذية بما هى أو عن أحد فروعها، كما يطرح وجود صلة بين البوذية والبراهمية، ويرهن على ذلك بطريقة بالغة الغرابة، فيجعل من شانكارا شاريا عدواً لدوداً للبوذية فى الهند رغم أنه التجسد الثانى لبودها⁵، وذلك بناءً على توكيد معمد من جنوب الهند، وهو "من أعظم الدارسين للسنسكريتية كما أنه غيبى"⁶، وهو عندهم سوبا راو، ورغم كل شىء لم يستطع سونيت إلا الإقرار بأن 'هذه الطريقة فى النظر إلى الأمور مرفوضة عند ثقافات الهندوسية المعمدين'، أى غير الثيوزوفيين، ولكن لن يكن الهندوسى من أى مرتبة للثيوزوفية إلا أشد الاحتقار، كما أن المرء لا يحتاج إلى الذهاب إلى مدراس سعياً إلى 'دهاقنة السنسكريتية'، والواقع أن من السهل الدفع بأنهم غير 'معمدين' لمواجهة اعتراض المناوئين، وربما كانت الإشارة إلى 'معمدين' من هذا النوع الذى يأنف من الوسط الثيوزوفى أقل سهولة.

والحقيقة أنه لم يوجد مطلقاً ما يسمى الجوانية فى البوذية الأصلية، ولو كان هناك من يسعى إلى 'الجوانى' فليس هنا مبتغاه، فقد كانت البوذية فى الأصل مذهباً مهمته أن يكون دعماً

5 *Esoteric Buddhism*, pp 219-20.

6 *Ibid.*, p 224.

نظرياً لحركة المساواة، وتُعتبر هذه الحالة في الهند هرطقة ونحروجاً عن التراث البراهماني⁷ التي انفصلت عنه علناً لا من المنظور الاجتماعي برفض مبدأ الطبقات فحسب بل كذلك من المنظور المذهبي لإنكار سلطة 'الفيادات'، كما أن البوذية تمثل أمراً مخالفاً تماماً للروح الهندوسية التي اختفت من على وجه الأرض، ولم تبقى على نقائها إلا في سيلان و بورما، وقد تعدلت بعض الشيء في كل البلاد الأخرى التي انتشرت فيها، وعادة ما يبالغ الأوروبيون في أهمية البوذية رغم أنها من أقل المذاهب الشرقية أهمية، وقد كان ذلك من جراء أنها كانت انحرافاً ونشوراً بموجب أن الشرق قد أصبح في متناول العقل الغربي، واغترب عن صور التفكير المعتادة في الشرق، وربما كان ذلك أول سبب لإقبال السواد الأعظم من المستشرقين على دراسة البوذية، ورغم أن بعضهم أخفى نوايا مختلفة تماماً لتحويلها إلى أداة لمناقضة المسيحية، وهي بدورها أمور غريبة في حد ذاتها، وقد عكف بورنوف *Emile Bornouf* خصوصاً على تلك المهمات، وهذا ما أدى به إلى التحالف مع الشيوزوفين الذين تحركهم روح معاداة الدين، وقد جرت في فرنسا منذ بضع سنوات محاولة للدعاية إلى أمر اخترعه دي روزني *Leon de Rosny* باسم 'البوذية المختارة *Electic Buddhism*'، ورغم أنه ليس شيوزوفياً⁸ إلا أن أولكوت أشاد به في مقدمة كتبها للترجمة الفرنسية لكتابه *Buddhist Catechism*⁹ بمعنى التدشين البوذي.

ومن ناحية أخرى لا يمكن إنكار أن الجمعية الشيوزوفية حاولت إضافة البوذية 'البرانية' كما بدى من منشور أولكوت عام 1881 الذي احتوى على مصطلح *Buddhist Catechism*، وقد ازدان هذا العرض بموافقة المجلد سومانجالا رئيس المدرسة العليا في كولومبو، والذي تلبس في هذه المناسبة بلقب 'الكاهن الأعلى للكنيسة البوذية الجنوبية'، وهو شرف لم يعلم أحد

7 راجع كتابنا 'أزمة العالم الحديث' باب 1 و'النفوذ الروحي والسلطة الزمنية' باب 6. المحقق،

وكلاهما من ترجمات تراث واحد قيد النشر.

8 وبدلاً من ذلك انضم إلى الماسونية.

9 وفي لندن حالياً محفل بوذي 'لا ينتمى إلى مدرسة بعينها بل لكل المدارس'.

بوجوده حتى ذلك الحين، وبعد بضع سنوات من رحلة أولكوت إلى اليابان¹⁰ وزيارة بورما تباهى هذا الأولكوت بعقد تصالح بين الكائس البوذية الشمالية والجنوبية¹¹، وكتب سومانجالا حينئذ،

"إننا مدينون لكونيل أولكوت للتدشين الذى يتعلم به أبنائنا أوليات الدين وكذلك لعلاقات الأخوية بين اليابان والبلاد البوذية الأخرى"¹².

ونضيف أن المدارس التى علّمت التدشين لم تكن إلا اختراعاً ثيوزوفياً، وها هى شهادة مدام بلافاتسكى التى كتبتها عام 1890،

"وفى سيلان أعدنا البوذية إلى الحياة وأسسنا مدارس عليا، وأشرفنا على حوالى خمسين مدرسة كأولوية ثانية"¹³.

كما كان سير أرنولد *Sir Edwin Arnot* مؤلف 'نور آسيا *The Light of Asia*' قد عاد إلى الهند ليعمل أيضاً فى تصالح الكائس البوذية الهندية، ألا يثير الشك تلك المبادرات الغربية؟ وهل كان ذلك لتقنين دور أولكوت الذى قال عنه ليدبير "إن أحد تجسّداته السابقة كانت الملك آسوكا حامى البوذية العظيم، كما كان فى أحدها جوشتاب ملك الفرس وحامى الزرادشتية"¹⁴، ولم يكن الأرواحيون وحدهم فى الهوس بادعاء أنهم تجسّدات لشخصيات نبيلة! وعندما مات أولكوت وضع على جسده العلم الأمريكى والراية البوذية التى تحمل ألوان طيف بوذا بالترتيب المضبوط¹⁵،

10 وقد ترجم ميدزوتانى ريزدين ورقة أولكوت إلى اليابانية، وعند إعلان ذلك أضافت مجلة *Lotus* فى أكتوبر 1887 ونأمل ألا تتحول اليابان إلى المسيحية".

11 See the various reports published on this subject in *Lotus Blue*, Dec.27 and Sep 1891, and Dec. 27, 1892.

12 رسالة موجهة إلى برلمان الأديان فى شيكاغو عام 1893.

13 *Lotus Blue*, Oct., 7, 1890.

14 *L'Occultism dans la nature*, p 405.

15 *Ibid.*, p 413.

وهو وهم عرّافين لم يعزو إليه البوذيون أهمية تذكر، ويرتبط كل هذا التاريخ بالدور السياسي للجمعية الثيوزوفية، والذي سنتناوله فيما يلي، والذي لم يكن له صدق فيما تعلق بتوحيد فروع البوذية رغم أننا لا بد أن نصدّق أن الثيوزوفيون لم يتخلوا عن استخدام البوذية الجنوبية، وكان أحدهم جيناراجاداسا *M.C. Jinarajadasa*¹⁶ قد أعلن مؤخراً أنه تلقى من الكاهن الأعظم لكولومبو سلطة لقبول الأوروبيين الذين يرغبون في اعتناق البوذية¹⁷، ومن شأن ذلك أن يحتزل الكأس البوذية إلى طبقة المنظمات العديدة التي تستخدمها الثيوزوفية كتتابع لها في دعاياتها عن مخططاتها.

16 ويحتل جيناراجاداسا منصب نائب رئيس الجمعية الثيوزوفية حالياً.

17 *Revue Theosophique Francaise, Sep., 1920.*

11 المسائل الأساسية في تعاليم الثيوزوفية

لو فحصنا المذهب الثيوزوفى بجملته لاتضح على الفور أنه يدور حول 'التطورية evolution'¹، وهذه الفكرة غريبة تماماً عن الشرقيين، وحتى إنها حديثة العهد في الغرب، والواقع أن التطور صورة قائمة على فكرة 'التقدم progress'² في إهاب تعقيدات 'علمية scientific'، ولا تعود إلى تاريخ أقدم من منتصف القرن الثامن عشر، وكان مروجوها الحقيقيون توجو و كوندورسيه، ولا حاجة إذن للذهاب بعيداً للبحث عن أصول هذه الفكرة التاريخية، وقد دفعتهم عاداتهم الذهنية إلى الاعتقاد بضرورتها للعقل الإنساني، في حين كان الشرط الأعظم من الإنسانية لاهيا في تجاهل اعتبارها، ويتمخض عن ذلك استنتاج واضح، وهو أن الثيوزوفية 'تطورية evolutionist'³ وليست كما يدعون، فأساس نظامها 'لا يُحتمل أن يكون أقدم فلسفة في العالم'⁴، ولا شك أنهم ليسوا الوحيدين الذين يتخذون 'قانوناً' من أمر لا يربو عن مجرد فرضية لا نفع منها، لكن أصالتهم تكمن في طرح هذا 'القانون' المزعوم كبدهية تراثية في حين أن الأمر على العكس تماماً، كما أن من الصعب رؤية كيف يتصالح الاعتقاد 'بالتقدم progress' مع الإيمان 'بمذهب قديم'، فمن يسلم بالتطور كمنهج حديث كامل لا بد أن يكون منطقياً، لكن الثيوزوفيون لا يأبهون لهذه التناقضات، وربما لم يخطر السؤال على أذهانهم أصلاً.

1 وقد صرح أحد الثيوزوفيين بأن كتاب 'المذهب السرى' لم يكن لينشر ما لم تكن نظرية التطور قد ظهرت.

2 ولا نكاد نجد أثراً لفكرة 'التقدم progress' إلا في أدبيات بيكون و باسكال، وسنرى لاحقاً أن الثيوزوفيين ينظرون إلى بيكون باعتباره تجسداً لأحد معلمهم.

3 See *The Pedigree of Man*, by Mrs. Beasant.

4 *The Key to Theosophy*. P. 62.

ولن نعكف طويلاً على الرواية الخيالية للتطور التي يصفها الثيوزوفون هكذا "إن هناك سبعة 'أجناس أمهات' يتابع في كل حقبة من 'زمن العالم'، أى 'موجة الحياة' *wave of life* التي تستمر على كوكب بعينه، ويشتمل كل جنس على سبعة أجناس ويحتوى كل منها على سبعة 'فروع'، وتسرى 'موجة الحياة' في سبعة كواكب في 'دورة'، وهذه الدورة تتكرر سبع مرات في 'السلسلة الكوكبية'، ومن ثم تنتقل إلى سلسلة أخرى لتكون بدورها من سبعة كواكب يتم عبورها سبع مرات، وهكذا لتكون سبع 'سلاسل' في 'منظومة كوكبية' وما يمكن تسميتها 'عملية بناء التطور' *enterprise of evolution*، وأخيراً يتكون نظامنا الشمسى من عشرة 'منظومات كوكبية'، ورغم ازدواجية الدلالة في النقطة الأخيرة فالمفترض أننا الآن في عصر 'الجنس' الخامس 'لحقبنا الدنيوية'، وهى كذلك 'دورة' *round* 'السلسلة' التي تُشكل منها الأرض المرتبة الرابعة من 'نظامنا الكوكبي'، كما أنها تحتوى على كوكبين ماديين هما المريخ و عطارد، إضافة إلى أربعة كرات لامرئية، وتنتمى إلى 'الطبقات الأسمى'، وتسمى 'السلسلة' الأسمى 'سلسلة القمر' *the lunar chain* حيث إنها تشكل النطاق الطبيعي بالقمر فحسب"، ويفسر بعض الثيوزوفيون هذه المعطيات بطريق آخر تماماً، ويدعون أنها مسألة اختلاف الأحوال و'التناسخات' المتتالية للأرض ذاتها، أما أسماء الكواكب الأخرى فهى رمزية في هذا السياق، وهذه الأمور غامضة حقاً، ولن نفرغ لو توخينا طرح كل التناقضات التي أثارها، ولا بد أن نضيف كذلك أن هناك سبع ممالك، ثلاثة منها ممالك 'عنصرية' *elemental*، ثم ممالك المعادن والنبات والحيوان والإنسان، وعندما يمرق أحد رعايا مملكة من سلسلة إلى أخرى فعادة ما يلتحق بالمرتبة الأعلى منه مباشرة، والواقع أن الكائنات التي تعين عليها إنجاز تطورها لها تناسخات متعددة أثناء حقبٍ مختلفة عدّناها سلفاً.

والأرقام التي قيلت لدوام هذه الحقب أقل احتمالاً من كل ما عداها، فيقول 'المذهب السرى' "إن ظهور الإنسان على الأرض في 'الدورة' الرابعة قد جرى منذ ثمانية عشر مليون عاماً مضت، وقد مرت ثلاثمئة مليون عاماً منذ وصلت 'موجة الحياة' إلى كوكبنا في 'الدورة' الأولى"، ويلقى هذا الرأى حالياً توكيداً أقل من الأول، فيقول ليدبيتر "إننا لا نعلم ما إذا

كانت كل 'الدورات' متساوية الدوام"، وعلى كلٍ فإن من العبث محاولة قياس تلك الحقب السحيقة بالسنوات⁵، أما عن الفترات المحدودة فيؤكد سينيت "أن جنس الإنسان الحالي هو الدورة الرابعة التي بدأت تطورها منذ حوالي مليون سنة"، وهذه حقيقة بسيطة لدى أعلى السلطات الغيبية التي نهتم بها⁶، ومن جانب آخر يقول مؤلفوا *Lives of Alcyon* الذي ذكرناه سلفاً "إن أساس الجنس الخامس يعود إلى 79'997 عاماً قبل عيسى المسيح"⁷، وهذا التوكيد الأخير دقيق إلى حد غريب، ولا تكاد السخرية من الدهاقنة الذين لا يتفقون معه تستحق العناء في تقديراتهم للأزمة الجيولوجية، ولكنهم عموماً يطرحون تقديراتهم على نحو افتراضى، وفي ذلك نجد من يدعى القدرة المباشرة على التحقق من صحتها واستعادة تاريخ الأجناس البائدة من 'السجلات الأكاشية' *Akashic records*⁸، أى صور الماضي وأحداثه، والتي سجّلت بتدقيق لا يُبارى في الطباق 'غير المنظورة' للأرض.

والمفاهيم التي صورناها لتونا ليست إلا على سبيل السخرية من نظرية الدورات الكونية الهندوسية، وهي أمر مختلف تماماً حيث لا تتطوى على أى أمر 'تطوى'، فالأعداد التي وردت فيها رمزية بالضرورة، وأن اتخاذها حرفياً كأعداد للسنوات ليس إلا جهلاً مطبقاً، وليس الثيوزوفيين وحدهم برهاناً عليه، ويمكننا القول بدون تزيّد في توكيده إن المعنى الحقيقي يستعصى على الغربيين عموماً، ولكن لنعدّ إلى مفاهيم الثيوزوفية، ولو كان علينا دراستها تفصيلاً فلا شك أننا سنجد فيها كثيراً من الغرائب الفريدة على منوال وصف أول الأجناس البشرية وتصلبها المضطرد، وأن 'الدورة' الحالية لم يكن الفصل فيها بين النساء والرجال قد بدأ إلا في منتصف الجنس الثالث، كما يبدو أن كل 'دورة' مكرّسة 'لتطوير مبادئ الإنسان'، حتى إن البعض يضيفون ملكة حسية جديدة مع ظهور كل جنس، فكيف تأتي للذين يمثلون بقايا

5 *L'Occultisme dans la Nature*, p.235.

6 *Esoteric Buddhism*, p 185.

7 *L'an 25000 avant Jesus-Christ a nos jours*, p. 65.

8 See for example *The Story of Atlantis and the Lost Lemuria*, by Scott-Elliot, Chicago, the Theosophical Press, 1968.,

أجناس سابقة من الجنس الثالث أو الرابع لا يحتكمون إلا على الحواس الخمسة مثلنا تماماً؟ ولا تعوق هذه الصعوبة القول بأن 'العِرافة' *clairvoyance* هي بذرة الحاسة السادسة، والتي ستصير طبيعية في الجنس السادس، وهو الذى يتبع زمننا مباشرة، وبالطبع كان استطلاع 'العِرافين' مزركشاً بهذه الرواية عما 'قبل التاريخ'، حيث يشبه الحضارات القديمة باكتشافات العلم الحديث على منوال الطيران والإشعاع الذرى⁹، وهو ما يبين بما يكفى المهام التي تشغل هؤلاء الكُتَّاب، وليست الاعتبارات التي تتعلق بالمؤسسات الاجتماعية أقل حظاً في هذا الشأن¹⁰، وفي سياق الموضوع ذاته فلا بد من ذكر الدور الذى تلعبه النظريات الثيوزوفية والأرواحية في هذا المضمار عن 'البعث الرابع' للفضاء، ويتزبد الثيوزوفيون في 'الأبعاد الأسمى' من الفضاء التي أصبحت عندهم تشتمل على سبعة أبعاد¹¹، والتي سوف يعتبرها الرياضيون اعتباطاً، فهم يدركون أن الهندسة يمكن أن تقوم نظرياً على أى عدد من الأبعاد كحدود جبرية يعبر عنها باصطلاح فراغى في الهندسة التحليلية المعتادة، كما يجوز أن نضيفها إلى الوصف التفصيلي لذرات عناصر مختلفة¹²، ومرة أخرى تقول 'العِرافة' أن تلك الذرات قد لوحظت من قبل، فهذه الملكة هي التي نعزو إليها معرفة ألوان العناصر الخفية في بنية الإنسان¹³، وعلى المرء أن يصدق أن تلك 'المنظومات فائقة الطبيعة' *Hyper-physical organisms* ولها كذلك خصائص طبيعية! كما أن هناك 'عِرافين' غير الثيوزوفيين، فلا يفتقدها الغيبين والأرواحيين، ولسوء الطالع أنهم لا يتواصلون مع بعضهم البعض، فإن 'رؤية' كل منهم نابعة من النظريات التي تتبعها مدرسته، وفي هذه الأحوال يحتاج الأمر إلى حسن نية وافر للاتفاق مع تلك الأوهام!

9 *De l'an 25000 avant Jesus Christ a nos jour, pp. 222-232.*

10 *See in particular 'Le Perou antique' by C.W. Leadbeater, Revue Theosophique Francaise, 1901,*

11 *L'Occultism dans laature.*

12 *Occult Chemistry, Clairvoynce Observations on the Chemical Elements, by Mrs. Besant and C.W. Leadbeater.*

13 *Man Visible and Invisible, by C.W. Leadbeater.*

وقد أشرنا تَوَّاً إلى العناصر أو المبادئ المكونة للإنسان، والتي تحتل مقاماً كبيراً في 'تعاليم' الثيوزوفيين وقد كرَّسوا لها عدة رسائل¹⁴، وليست بالبساطة التي نتخيلها، والواقع أن سطوراً قليلة لن تكفى لبيان كيف عكف الثيوزوفيون على تغريب المفاهيم الشرقية في هذه المنطقة وفي كل مكان، وعندما تسمح الظروف سوف ننشر كتاباً عن المفاهيم الهندوسية الحققة في هذا الصدد¹⁵، وسنبين كيف أن الثيوزوفيين لم يأخذوا عنها إلا اصطلاحات مُتَحَلَّة دون فهمها، وسنقتصر هنا على قول إن الثيوزوفيين عندهم سبعة مبادئ متميزة للإنسان، غير أن هناك بالطبع بعض الانحرافات، وليست في التسميات فحسب بل كذلك في ترتيبها، وهو الأشد خطورة، وهم يرون هذه المبادئ باعتبارها 'أجساداً' متداخلة، وهذا مفهوم يؤدي إلى تجسيد الأشياء مادياً، ولكنها على الأقل تتخلل بعضها بعضاً، وتتمايز فحسب بدرجة دقتها، وليس في الهندوسية شيء من هذا القبيل، زد على ذلك أن الثيوزوفيين يريدون تشخيص نظريتهم بأنها 'مادية متعالية *Trancendent Materialism*'، فعندهم أن "كل شيء مادة في حالات مختلفة"، وأن "المادة والمكان والحركة والدوام" تمثل مادة الكون الفريدة الخالدة¹⁶، وربما كان الغربيون المحدثون يرون في ذلك بعض المعنى، ولكن المؤكد أنها لا معنى لها عند الشرقيين الذين لا يحتكمون حتى على مفهوم 'المادة'، أما عندنا فلا تُفصح هذه الدفوع إلا لبيان ضيق الحدود التي احتبس فيها الفكر الثيوزوفي، ونُخَلِّص من ذلك إلى أن الثيوزوفيين جميعاً يتفقون على أن الإنسان له تركيب سباعي، وبعد ذلك بفترة حاول بعض الغيبين إرساء تناظر بينها وبين مفاهيمهم الثلاثية بإدماج العناصر الخفية معاً، والتي تمايزت عند الأول، ولم ينجحوا في الوصول إلى منطق سوى، ولا مناص من مراعاة ذلك حتى نجتنب الخلط بين النظريات التي لها نقطة اتصال واضحة إلا أنها تسم كذلك بانحرافات مهمة، كما أن الثيوزوفيون يبحثون عن السباعيات

14 كما أنه إلى جانب كتاب ليدبيتر المذكور عاليه نجد عدة نشرات لمسز يديسانت عن 'الإنسان وأجساده *Man and his Bodies*' والمبادئ السبعة للإنسان *The Seven Principles of Man*.

15 والعمل المذكور عن المفاهيم الهندوسية التي تتعلق بتكوين الإنسان قد صدر بعنوان 'الإنسان ومصيره في الفيدانتا'، راجع أيضاً كتابنا 'دراسات في الهندوسية'، وكلاهما من ترجمات تراث واحد قيد النشر.

في كل أين كما ظهر في مناقشة حَقَب التطور، وعندما يصادفون تصنيفات ذات خمسة مبادئ فقط كما هو الحال في الهند والصين فإنهم يدعون أن هناك مبدئين لازالا في الخفاء، وبالطبع لا يملك أحد ذكر أسباب هذا الخفاء.

وهناك سؤال يتصل بما سبقه ويتعلق بالأحوال التي يمر فيها الإنسان بعد الموت¹⁷، ولكي نفهم ما يقولون في هذا الصدد فلا بد من معرفة أن سباعى الإنسان يتكون من أربعة عناصر دانية فانية، وثلاثة عناصر خالدة لا تفنى، ولنصف أن المبادئ الأعلى تكتمل تماماً في الإنسان الأكثر 'تطوراً'، ولن تكتمل في كل الناس إلا في نهاية الدورة السابعة، ولا بد للإنسان من التخلص من أجساده واحداً بعد الآخر بعد إقامة طويلة لكل منها في المقام الذى تناظره، ثم نتلوها فترة تسمى 'الحال الديفاشانية devachanic state' أى الملائكية، حيث يستمتع فيها بما حققه في وجوده الأرضى الأخير، والذى ينتهى حينما يتعين عليه اتخاذ 'وسائل vehicles' دانية أخرى حتى 'يعود إلى التناسخ'، وقد قيل إن تلك الحال الملائكية كانت السبب في ادعاء وجود فترة موحدة، وقد رأينا كيف تعدّل هذا الرأى الأول، ولكن ما يثير العجب أن دوام تلك الحال يُعتبر أمراً 'ذاتياً subjective' يُعابَر بوحدة قياس الزمن الأرضى! وهو النمط ذاته في تجسيد كل شىء بحيث يوفر خلفية للسخرية من 'بلاد الصيف Summerland' عند الأرواحيين الأنجلو ساكسون¹⁸، والتي لا تعدو استغراقاً طفيفاً في الكثافة المادية باختلاف في الدرجة، ففي كل منهما حزمة من الأمثلة الخرافية التي تتمخض عن الخيال، فتُسقط الأفكار على حالات لصيقة بالحياة الأرضية، كما أن مناقشة هذه النظرية التي أوجزناها بتبسيط شديد مع تجاهل الاستثناءات لا جدوى منه حتى نبرهن على أنه لا أساس له، ويكفى قول إن الفرضيات المزعومة تفترض أمراً عبيثاً يسمى 'التناسخ reincarnation'.

وقد أتيح لنا ذكر فكرة التناسخ أكثر من مرة من حيث إنها وسيلة لإنجاز التطور بدءاً من كل إنسان على حدة، ومن ثم على الإنسانية برمتها وحتى الكون بجممله، ويشطح البعض إلى

17 *Death-And After? by Mrs, Besant, and The other Side of Death Scientifically Examined and Carefully Described by Leadbeater.*

18 *The Key to Thiosophy, pp 191-2.*

قول إن التناسخ 'إجباري' ومرتبطة بقانون التطور¹⁹، والذي لا بد أن يكون تهويلاً، كما أن هناك تطوريون لن يسلموا بالتناسخ على أي نحو كان، وسيكون من المفيد أن نرى مناقشة لهذا الموضوع بين مدارس مختلفة من التطورية، ولكننا نشك فيما لو كان لها نفع، وأياً كان الأمر فإن فكرة التناسخ بالمعنى الحالي شأنها شأن فكرة التطور حديثة للغاية، ويبدو أنها بدأت في الظهور بين عامي 1830 أو 1848 في دائرة للاشترائيين الفرنسيين، وقد كان معظم الثوريين في ذلك الحين من الأسراريين *mystics* بأسوأ معنى للكلمة، فالجميع يعلمون المبالغات التي تفتت بينهم بنظريات فورييه *Fourier* وسان سيمون وغيرهما من النوع ذاته، وقد كانت الفكرة المذكورة من اختراع فورييه وبيير ليرو *Pierre Leroux*²⁰، وكانت غايتها الوحيدة تفسير انعدام تساوي الأحوال الاجتماعية، أو على الأقل ليعبروا عما يروه مُستهجنًا فيها بعزوها إلى نتائج الأعمال السابقة في الوجود السابق، وعادة ما كان الشيوزوفيون يفضلون هذه 'العقلية'²¹، إلا أنهم أكدوا عليها أقل من الأرواحيين، ونظرية كهذه لن تفسر شيئاً ولكنها تحاول تأجيل العوائق، فلو كان هناك مساواة حقاً فلن يمكن كسرها طالما لم يجر اعتراض رسمي على مبدأ السبب الكافي، ولكن في هذه الحالة لن يظهر سؤال عن فكرة القانون الطبيعي الذي طُرح كحلٍ، فلم يعد يعني شيئاً، ولا زال هناك كثير مما يمكن قوله عن التناسخ، فمن منظور الميتافيزيقا يمكن البرهان على استحالة المطلقة²² بلا استثناء كما يفعل المرتبطين بمُحفَل 'HB of L'²³، كما

19 *Essai sur l'Evolution, by Dr. Th. Pascal, La Theosophy en quelques chapitres, by the same author.*

20 ويبدو أنهما على الأقل أول الفرنسيين الذين عبروا عن ذلك، ونضيف أن الفكرة ذاتها قد تبلورت في ألمانيا في وقت مبكر على يد ليسينج *Lessing* في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ولكننا لم نعثر على مراجع أقدم، ولم نعلم ما إذا كان الاشتراكيين الفرنسيين قد استلهموا من عمل ليسينج مباشرة أو بغير مباشرة، أم أنهم 'أعادوا اختراع' نظرية التناسخ التي سببت زحماً لم يكن له سابقة.

21 *Esoteric Buddhism, chap. 5. La Theosophy en quelques chapitres, p 40.*

22 وقد طرحنا هذا البرهان الميتافيزيقي في كتابنا 'خطأ الأرواحية *The Spiritist Fallacy*' جزء 2 من باب 6، حيث طرحنا أيضاً الفروق الرئيسية بين هذا المفهوم وبين التقمص *Metempsychosis* والمهاجرة *Trancemigration*، وكل الأفكار الشيوزوفية عن هذه المسألة المذكورة في كتيب كوبر *Irving S. Cooper* بعنوان 'التناسخ أمل العالم *Reincarnation, the*

أنا نعني استحالة التناسخ على الأرض أو على أى كوكب آخر²⁴، وكذلك الفكرة الفاسدة عن تعدد التناسخات على كواكب مختلفة في الآن ذاته²⁵، وعند الثيوزوفيين مصفوفات طويلة من التناسخات على كواكب مختلفة من النظام الكوكبي ذاته، وسوف يعمل البرهان الميتافيزيقي على تنفيذ النظريات التي على شاكلة 'العود الأبدى' عند نيته، ورغم بساطة هذا البرهان فإنه سيخرج بنا عن نطاق دراستنا لو قصدنا فهمه جيدا، وسنقول فحسب لو أردنا تقويم الثيوزوفية بقيمتها الحقبة إنه ليس من مذهب تراثي يسمح بتسلل فكرة التناسخ، وأن هذه الفكرة غريبة على كافة القدماء، حتى لو حاول البعض دعمها بتفسيرات رمزية سقيمة، وحتى في البوذية لا تعدو 'تغيرا في الحال'، ومن الواضح أنها ليست مثل مصفوفات الحيات الأرضية، وتكرر أن الاختلاف الرمزي أحيانا ما يسمى الأحوال المختلفة باسم 'الحيوات *lives*' بالتشاكل مع أحوال الإنسان في وجوده الأرضي²⁶، والحقيقة ببساطة أن أول الأرواحيين في مدرسة ألان كارديك ينتمون إلى الدوائر الاشتراكية التي سبق ذكرها، ومنها انتحلوا هذه الفكرة، كما جرَّ جرهم كُتَّاب تلك الحقبة²⁷، وقد وجدت بلافاتسكي بدورها هذه الفكرة مثلما فعلت مدرسة بابوس الغيبية بعد ذلك بفترة، وما نعلبه عن باكورة حياتها لا يسمح بالشك في هذه الصلة، وقد رأينا أن مؤسِّسة الجمعية الثيوزوفية قد ترددت حتى هجرت نظرية التناسخ أثناء فترة بعينها، إلا أن تلاميذها جعلوا منها موضوعاً للإيمان دون حاجة إلى تبريرها، ولكن عموماً عدا في الفترة التي كانت فيها تحت نفوذ *HB of L* استطاعت ادعاء مقولة ألان كارديك "ميلاد وموت وبعث وتقدم بلا حدود، هذا هو القانون"، ولو كان بين بلافاتسكي وبين

.....

'Hope of the World

23 إضافة إلى الحاشية السابقة.

24 *Le Lendemain de la Mort ou la Vie Future selon la Science, by Louis Figuier.*

25 *L'Eternite par des Astres, by Blanqui.*

26 ولنفسر أيضا رغم التفسيات الزائفة التي شاعت اليوم أن التناسخ لا علاقة له بالتقمص *Metempsychosis* ولا بالأورفية ولا بالفيثاغورية، كما لا علاقة له بنظريات في القبالة العبرية عن 'الحال الجنيني' و'دورة الأرواح'.

27 *Terre et Ciel, by Jean Reynaud, Pluralite des Existances de l'Ame, by Pezzani.*

الأرواحيين الفرنسيين خلاف في الرأي فلم يكن من حيث المبدأ بل في صيغ التناسخ، وهذه مسألة ثانوية بالنسبة إلى الأولى، وقد رأينا أن الثيوزوفيين المعاصرين قد أدخلوا تعديلاً جديداً، ومن ناحية أخرى أنكر الأرواحيون في إنجلترا وأميركا التناسخ رسمياً على عكس الأرواحيون في فرنسا، وقد كان ذلك في زمن مدام بلافاتسكى رغم أن البعض يسلمون بها وبدون اعتراف بذلك إبان سيطرة أفكار الجمعية الثيوزوفية التي انتشرت بشكلٍ سافر في البلاد الأنجلوساكسونية، وتدخل هنا بالطبع خبرة العرّافين و'الاتصال' الذي يؤكد بعض الأرواحيين أنه انعكاس لكلٍ امرءٍ فيه نظريته وأفكاره، ولا ندفع بأن هذا هو كل شيء في مثل ذلك 'الاتصال'، ولكن هناك قدر جسيم من ذلك العبث.

ويرتبط 'بقانون التناسخ' المزعوم ما يسمى 'قانون الكارما'، والذي ينص على أن أحوال كل وجود قد تحددت سلفاً بالأعمال التي ارتكبت خلال وجود أسبق، وهو ما لا يرى ولا يُعرف²⁸، وهو قانون "يعدل بحكمة وذكاء ومساواة"، فلكل فعل سبب يعود إلى الفاعل²⁹، وتسمى بلافاتسكى هذا القانون 'قانون القصاص' *Law of retribution*، ويسميه سينيت 'قانون السببية الأخلاقية' *Law of ethical causality*، ولا شك أنها سببية من نوع خاص يخضع مفهومها للاعتبارات الأخلاقية، أو لو أحببت فهي نوع من 'العدالة الفورية'، ولذلك مفهوم شبيه بلا ذكر اسمه هنا بين الغيبين والأرواحيين، والذين يدّعي معظمهم القدرة على تحديد أدق أسباب العلاقة بين أحوال المرء في حياته الحالية وبين ما فعله في حياته السابقة، وتفشو هذه الاعتبارات خاصة بين الأرواحيين، وأحياناً ما يبلغون بها قمة العبث³⁰، ولا بد من الوعي بأن الثيوزوفيين عموماً لا يشطحون إلى هذا المدى، ولكنهم يسهبون بالقدر نفسه عن نظرية 'الكارما'، ويُفسر المنحى الأخلاقي المكانة التي يحتلها في تعاليمهم، وقد مالت الثيوزوفية في أيدي خلفاء بلافاتسكى إلى مزيد من 'الأخلاقية' و'العاطفية'، ومن ناحية أخرى ذهب البعض إلى تشخيص 'الكارما' والقوى الأسرارية الغامضة التي أصبحت كياناً وجسداً، ونوعاً من

28 فكيف يتأتى للمرء الحديث عنها؟

29 *The Key to Theosophy*, p. 201.

30 وعن فكرة الكارما والتزويد الذي تتمخض عنه راجع *The Spiritist Fallacy* ج 2 باب 7.

العوامل التي تفرض حماية على أعمال مدام بلافاتسكى، والتي كانت راضية بعزوها إلى من أسمتهم 'سادة الفعل *Lords of Karma*'، كما أطلقت عليهم اسم *Lipikas* أى ألك الذين يكتبون، أى يسجلون أعمال الإنسان³¹، والمفهوم الشيوزوفى يقدم لنا مثلاً ممتازاً لعدم فهم المصطلحات السنسكريتية وسوء استعمالها، فكلمة كارما تعنى 'الفعل' ببساطة ولا غير، ولم يحدث أن كانت تدل على السببية، وأقل من ذلك على تلك السببية المخصوصة التي أشرنا إلى طبيعتها، وقد تعسفت مدام بلافاتسكى في عزو مفهوم غربى إلى كلمة سنسكريتية، والواقع أنه لم يكن من صنعها تماماً ولكنها أسهمت بتشويه أفكار قديمة ابتداءً من فكرة السببية، كما أن ذلك التشويه كان انتحالاً جزئياً من الأرواحية، ذلك أنها وثيقة الصلة بنظرية التناسخ ذاتها.

ولن نلتفت إلى 'التعاليم' الأخرى عدا نقاط قليلة لو لزم الأمر فيما يلى، كما أن هناك بعضاً منها لا ينتمى إلى بلافاتسكى بل إلى خلفائها، وعلى كلٍ فإن ما أوجزناه عليه كافٍ لبيان عدم جدية المذهب الشيوزوفى والبرهان على أنه لا يقوم على أية أصول تراثية رغم ادعاءاته، ولا مناص من وضعه إلى جانب الأرواحية والمدارس الغيبية التي تنتمى إليها في خضم إفراسات العقلية الحديثة، والتي يمكن أن تسمى 'الأرواحية الجديدة *neo-spiritualism*'، كما أن معظم الغيبين يحبون ذكر 'التراث الغربى' الخيالى شأنه شأن 'التراث الشرقى' عند الشيوزوفيين، والذي تشكل من عناصر متفرقة، فالسعى إلى الأساس ذاته الذى يتخفى بصور شتى من تراث شعوب مختلفة هو أمر، ولكن انتحال تراث زائف من شظايا متنافرة أمر آخر، وخاصة عندما لا يفهم شئ على حقيقته سواءً أكان من حيث الاتجاه أم من حيث المعنى، والذى هو الحال في كل هذه المدارس، ناهيك عن الاعتراضات النظرية التي يمكن أن تطولها، فكلها سواءً في مثالها التي لا يمكن أن تخفى، فهي تقلب توازن العقول البسيطة التي تنجذب إلى هذه الدوائر، فكم من البؤساء أصابهم الخراب أو الجنون وحتى الموت، وقد عرفنا بعض الحالات التي بلغت حداً يفوق خيال من لا يعلم، ويجوز القول بلا مبالغة أن انتشار 'الأرواحية الجديدة' بكل صورها

31 والتدوين الهندوسى الصحيح للكلمة هو 'ليبكارا' والتي لم تعن شيئاً غير الكتبة والنساخين بالمعنى الإنسانى.

تشكل خطراً عاماً يستحيل إنكاره، وهي أوسعها انتشاراً، ويبدو أن دواعي القلق تزيد يوماً عن يوم.

وهناك مصاعب من نوع آخر قد اختصت به الشيوزوفية بموجب ادعاء منافسيها أنها أساءت بالاضطراب الذي أفشته إلى دراسة المذاهب التراثية، وأثنت كثيراً من العقول الجادة عن طريقها، كما أنها أعطت للشرقين أسوأ صورة ممكنة للفكر الغربي، فقد ظهر الشيوزوفيون لهم بصفته مُمثليه للأسف، ولا يعبرون فحسب عن ذهول تام عن بعض الأمور بل يلتحفون بوهم أنهم 'مُعَمِّدون' *initiates* مما يجعل من ذلك الذهول مسألة صادمة لا تُعْتَفَر، وكثيراً ما أشرنا إلى أن الشيوزوفية ليست بشيء للفكر الشرقي الأصيل، ومن الفصائح أن يسمح الغربيين لبعض المهرجين بتمثيلهم، وهذا حادث للمستشرقين المحترفين الذين يندر أن يهتموا بأمر غير اللغويات والآثار، أما نحن فلو كنا نؤكد بحسم في هذا الموضوع نظراً للدراسة العملية المباشرة للمذاهب الشرقية الحقيقية الذي يعطينا الحق في التوكيد، كما أننا نعلم تماماً ما يقولون في الهند عن الشيوزوفية³²، ولم تصادف نجاحاً خارج الدوائر الإنجليزية والأنجلوفونية، والغربيون الحاليون فقط يتمتعون بعقلية تستقبل مثل هذه الأمور، وقد ذكرنا عليه أن الهندوس الحقيقيين عندما يعرفون ما هي الشيوزوفية فإنهم يحتقرونها بعمق، ويعلم رؤوس الجمعية الشيوزوفية هذه الحقيقة، حتى إن مكاتبتهم في الهند لا تحتوى إلا على أمور تتعلق بالمسيحية³³، وليس فيها رسائل من قبيل ما سُمِّي إلهامات شرقية، وتعتبر في الهند طائفة من البروتستانتية الغربية، وتزينا الآن بمبول 'أخلاقية' ومعاداة سافرة لمؤسسات الهندوسية التراثية ودعاية انجليزية مستترة وراء أعمال الخير والتعليم، ولكن ما يلي سوف يبين هذه الأمور على نحو أفضل.

32 وقد وجدنا مذكرة قصيرة لكنها عميقة المغزى عن الشيوزوفية وكيف استقبلت في الهند أول أمرها،

"أرسل الشيوزوفيون الأمريكيون خطاً باجماعياً للسيدة بلافا تاسكي يمحونها على نشر كتاب 'المذهب السري'، ويبدو أن البراهمانيين يعارضون بشدة في نشره، وهذا العمل مهدد بالأبلا يُنشر،"
"Le Lotus, Apr. 1888.

33 مقال كتبه ضياء الدين أكمل في لاهور، ونُشر في مجلة Zeit في فيينا 1996، وقد تأكدت هذه المعلومات لنا شخصياً من عديد من الهندوس.

12 الثيوزوفية والأرواحية

وحتى نين طبيعة الثيوزوفية الحدائية لتمييزها عن 'الأرواحية spritism' بمعناها الفلسفي الكلاسيكي فإنها تندرج تحت ما يسمى عموماً 'الأرواحية الجديدة neo-spiritism'، ولا بد الآن من قول إن الأمور التي تندرج تحت هذا المسمى تشارك في خصائص من النوع ذاته كما أنها تنبثق عن العقلية العامة، ولكنها رغم ذلك متميزة، وما يجبرنا على الإصرار على أن تلك الجوانب الخفية الغريبة لها تأثير التخيلات المتقلبة phantasmagoria على الذين لم يتعودوا عليها، ونُحجم من النظرة الأولى عن الظهور في هذه الفوضى حيث تعيث كثيراً من الخلالات، ولا شك أن لها العذر لكن من الأفضل اجتنابها بقدر الإمكان، فالثيوزوفية والأرواحية ومدارس الغيبية تبدو جميعاً على سنخ واحد في بعض الجوانب، ولكن بعضها يختلف عن البعض، ولا بد من تمييزها في محاولة بيان توصلاتها¹، كما أننا رأينا قادة بعض المدارس يسبون بعضهم بعضاً علانية، لكن ذلك لن يمنع تحالفهم، وقد يجدون أنفسهم معاً في تجمع ماسوني أو غيره، ويبعث على العجب فيما إذا كانت تلك المشاجرات جدية بالفعل أم كانت تُخفي اتفاقاً يحسن ألا يُفشى على الملأ، ولا ندعى هنا الإجابة على هذا السؤال، فربما أدى إلى تعميم أمر مخصوص، وقد يحدث أن يشتبك الناس في عداوة أو منافسة ثم يصلون إلى اتفاق لإنجاز عمل أو آخر، وذلك مما يرى يومياً في عالم السياسة مثلاً، وما يبدو لنا حقيقة بالفعل في تلك

1 عن الصلة بين الغيبية والأرواحية راجع كتابنا 'خطل الأرواحية' ج 1 باب 5.

المنازعات أن معظمها قائم على كبرياء قادة المدارس أو الذين يأملون في أن يكونوا قادة، وما حدث في الثيوزوفية بعد موت مدام بلافاتسكي مثل نمطى، واختصاراً نحاول تقديم سبب مقبول للاختلافات النظرية رغم أهميتها الثانوية للذين خلوا من مبادئ ثابتة ومذهب واضح، وليست اهتماماتهم الأولى من طبقة الفكر الخالص.

وأياً كان الأمر في علاقة الثيوزوفية بالأرواحية خصوصاً، فقد أنكرت بلافاتسكي النظريات الأرواحية منذ قيام جمعيتها على الأقل، ومن السهل مضاعفة النصوص التي تحدثت فيها عن هذا الموضوع، إلا أننا سنقتصر على مقتطفات قليلة،

"لو كنت تعنى 'بالأرواحية' التي يضيف عليها الأرواحيون بعض الظواهر الخارقة فإننا لا نعتقد فيها، فهم يدفعون بأن هذه التجليات جميعاً رسائل من 'أرواح' الموتى إلى أقاربهم وأحبائهم ومن ارتبطوا بهم، فإننا ننكر ذلك ونؤكد على أن أرواح الموتى لا تعود إلى الأرض إلا باستثناءات نادرة ووسائل ذاتية تماماً"²

وقد عزت بلافاتسكي ظواهر الأرواحيين "إما إلى تأثيرات 'نجمية astral' أو إلى 'ازدواج' جسد الوسيط أو أحد الحضور أو إلى 'العناصر elementals' أو إلى 'القواقع shells' من مخلقات النجوم التي تركها الموتى وراءهم في رحيلهم إلى 'النطاق المناظر' لهم حتى يتحللوا تماماً في الأرض، لكنهم يحتفظون بآلية تمكنهم من الإجابة على الأسئلة بما يشبه الذكاء"، وتقول "ولو كنت تعنى 'بفلسفتهم' تلك النظريات الخاملة فإننا ننكرها تماماً، فلا فلسفة عندهم على الحقيقة، حتى إن أعظم مفكرها وأشد المدافعين عنها يقول ذلك"، وقد أوردت ما قاله أوكسون M.A. Oxon وهو ستانتون موزيس أحد قلائل الفلاسفة الأرواحيين، والذي كتب عن افتقارهم لهيكل تنظيمي وحقدهم الأعمى³، وتعالج في موضع آخر مذهب 'عودة الأرواح' باعتباره 'أنانياً وقاسياً' حيث إنه يوصى بما يلي،

2 *The Key to Theosophy*, p 27، وقد برهننا على استحالة التواصل مع الموتى بوسائل مادية في كتابنا 'خطل الأرواحية The Spiritist Fallacy' ج 2 باب 5.

3 *Ibid.*, p 31.

"إن الإنسان البائس لن يتحرر من وعشاء حياته حتى بالموت، ولن تنبو عن شفثيه قطرة من كأس الحياة إلا ابتلعها حتى الثمالة المريرة حيث إنه بعد الموت يرى كل شيء... فهل تتفق هذه المعرفة مع تلك النعمة؟ فتصير 'النعمة' في تلك الحالة أفدح 'نقمة'، وستكون اللعنة الأرثوذكسية راحة بالقياس إليها!⁴ .

وتناقض هذا المفهوم 'بالحال الملائكي Devachan'،

"أما عن الكائن الفاني المعتاد فإن نعمته تامة، وهي النسيان الكامل لكل آلام حيوات تناسخه، وحتى نسيان أن الألم والأسى موجودة أصلاً"⁵ .

وقد أقرت بلافاتسكي فقط "بإمكان التواصل بين الأحياء وبين الأرواح"، وفي الحالات الاستثنائية مثلها يلي،

"وأول استثناء يأتي بعد أيام قلائل من موت المرء قبل أن تدلف الذات *ego* إلى 'الحال الملائكي'، وأما لو كان حياً فإن استنفاد شيئاً من عودة الروح إلى النطاق الموضوعي فهذه مسألة أخرى... وقد كان الاستثناء الثاني هم نيرما كايا الذين تأهلوا لنيرفانا والراحة الدورية، لكنهم أشفقوا على بني الإنسان والذين تركوهم وراءهم، فزهدوا الحال النيرفاني"⁶ .

ومهما كان الاستثناء الأول فإنه تنازل خطير يفتح الباب لكل التآمرات والحلول الوسط، وهكذا تم الاعتراف مرة على الأقل بإمكان التواصل مع الموتى بوسائل مادية من الصعب تقدير أين نتوقف⁷، والواقع أن هناك ثيوزوفيون قد تبنوا منظوراً أقل تأمراً من بلافاتسكي، والذين انتهوا على منوال بعض الغيبيين إلى التسليم بأن 'الأرواح' تتجسد، وخاصة أثناء جلسة التحضير، ويضيفون أن تلك الأرواح 'أوليات عنصرية' أي كائنات إنسانية من

4 *Ibid.*, pp 146-47.

5 *Ibid.*, p 148.

6 *Ibid.*, p 151.

7 والواقع أن ذلك يشكل في حالة التناسخ استحالة ميتافيزيقية، والتي لا تسمح بأي استثناء.

مقامات دنيا، ومن الخطر التعامل معها، ولكننا نشك فيما إذا كانت تلك التنازلات ستجذب أفضل الأرواح السوية، والتي لن تئدني إلى حد اعتبارهم 'مؤمنين' على الحقيقة. وقد عكف قادة الشيوزوفية دائماً على التحذير من مخاطر الاستغراق في التجارب الروحية، أما بلافاسكى في سنواتها الأخيرة كانت تنسى أو تناسى العقائد القديمة، وقد كتبت ما يلي،

"ولأننى مؤمنة بهذه 'الظواهر'... فإن كل كيان ينكرها... فهى تفتح الباب لأشباح طيبة وخبيثة ولا مبالية تستعبد الإنسان طوال حياته، وأرفع صوتى ضد تلك الوساطات المشبوهة وليس ضد الروحانية الأسرارية، فهى مقدسة نبعها نبل الإنسان، أما الأولى فهى من طبيعة 'الظواهر' التى جعلت كثيراً من الساحرات والسحرة في القرنين الماضيين يُعانون أهوالاً... وأعنى سواءً أكان المرء واعياً أم غير ذلك فإن كل تعامل مع الموتى كان سحراً *necromancy* من أخطر ما يكون... وقد كانت الحكمة الجمعية لكل القرون البائدة عالية الصوت فى إنكار هذه الممارسة، وأخيراً أقول ما كنت أكرر على الدوام كتابةً وشفاهةً طوال خمسة عشر عاماً فى أن 'الأرواح' لا تعلم كُنه ما تتحدث عنه، ويكررون كالبيغاوات ما يقوله الوسطاء وما فى أدمغة الناس، وهو أمر فادح الخطر ولا يؤدي إلا إلى الشر"⁸

وتروى برهاناً على الحالة الأولى واقع أن 'اتصال' التناسخيون يجرى فى فرنسا ويجرى اتصال اللاتناسخيون فى إنجلترا وأمريكا، وتؤكد أن أفضل وأقوى الوسطاء فى الجماعة الثانية قد عانوا من أمراض الجسد والعقل، وضربت مثلاً من بعض الذين أصيبوا بالصرع أو الجنون، وأخيراً قالت،

"أنظروا إلى الوسطاء المخضرمين الذين أسسوا الأرواحية الحديثة وحركوها مثل الأختان فوكس، فبعد أربعين عاماً من التخاطب مع 'الملائكة' الذين ضللوها حتى صارتا مدممتان لا

علاج لهما، وهما الآن تتكران في محاضرات علنية أن حياتهما وفلسفتها ليستا إلا كذبة،
وأسألکم ما نوع الأرواح التي دفعتمهم إلى ذلك؟⁹

وهذه السطور الأخيرة بحاجة إلى استنتاج ينقصها، فدام بلافاستكي تدعو إلى إنكار
الشیطان، فالواقع أن هناك أمور معقولة للغاية، إلا أن هناك غيرها مما يؤخذ على الكاتبة، فهل
كانت 'ظواهرها phenomena' من حيث واقعيتها أموراً سوية أم سحراً ببساطة؟ كما يبدو أنها
واقعة في حيرة، فإما كانت مجرد وسيط زائف في تلك الفترة من حياتها في 'نادى المعجزات'
وأما كانت مريضة فحسب، ألم تذهب إلى قول إن الصرع epilepsy هو أول أعراض للوساطة
الأصيلة وأخطرها، ولكنها كانت تعتقد كذلك أن الوسيط دائماً غريباً وغير متوازن، وهذا ما
عبر عنه سينيت كما يلي،

"إن الوسيط شخص مفكك قابل للإعارة لغيره من حيث المبدأ، أو أن مبادئه 'طافية'،
ويجذب إلى بعضها أو إلى جزء منها، ويسعى دائماً إلى حياة طفيلية لا يسعه مقاومتها"¹⁰.

ومن هنا نتجت حالات شتى من 'التملکات opsessions'، ويقول الكاتب إن هذه
'المبادئ الطافية' ليست إلا 'أصدافاً نجمية astral shells' ولكنها قد تكون شيئاً مختلفاً تماماً،
والطبيعة الحقة 'لقوى الهواء' واضحة بما يكفي، ولننظر الآن فيما قال ليديتر، وهو أحد الذين
خضعوا للأرواحية،

"إن الوساطة الجسدية physical mediumship التي تعمل في تحضير الأرواح هي الأشد
وطأة على الصحة، وأرى أن واقع الكلام الذي يشكل رسالة في حال الغيبوبة ليس مضرًا
للجسد بالقدر نفسه، ولكن لو اعتبرنا بتفاهة تلك الرسائل فنكاد نعتقد أنها تُضعف الذكاء...!
وقد كان أحد الوسطاء الذين حضرت جلساتهم seances في الثلاثين سنة الماضية قد فقد

Ibid., pp 195-96. 9

Esoteric Buddhism, pp 155-56. 10

البصر وآخر أصبح سكيراً مدمناً والثالث يهدده الصرع والشلل، ولم ينقذ حياته إلا الامتناع التام عن الأرواحية"¹¹.

ولا شك أن قادة الثيوزوفية مصيبون في إنكار مخاطر الوساطة على هذا المنوال، ولا نملك إلا الاتفاق معهم في هذه النقطة، إلا أن المؤهلين لها قليلون، وحيث إن المخاطر التي أشاروا إليها لتلاميذهم لا بد من خشيتها أكثر من الذين يزاولون 'التدريب النفسى' الذى يفرضونه على أنفسهم، والنتيجة اليّنة هي خلل اتزان عدد غفير من ضعاف العقل.

أضف إلى ذلك أن التحذيرات المذكورة عادة ما لا تُسمع رغم تأكيد السلطة التي فرضتها على أتباعها، وقد التقينا بكثير من الناس معظمهم ثيوزوفيين وغيبيين يمارسون الأرواحية ويغضون النظر عن كيف نتصالح الأمور، وربما حتى دون أن يتعجبوا ما إذا استطاعوا أن يكونوا أرواحيين، وليس ذلك مدهشاً بدلالة التناقضات الكامنة في الثيوزوفية ذاتها التي لا تمنع هؤلاء الناس، ولا يبدو أنها تدفعهم إلى التفكير، وحيث إنهم عاطفيين أكثر منهم مفكرين فيبدو أنهم يجذبون بلا تمييز نحو أى شيء يرضى تطلعاتهم الأسرارية الزائفة، وهذا التدين القلق الضال هو أحد السمات المدهشة عند كثير من معاصرنا وخاصة في أميركا حيث تعيث أغرب المشاهد، وليس الأوروبيون أكثر حصانة منها، وهذه الميول هي التي أدت إلى رواج مذاهب فلسفية بعينها على منوال البرجسونية التي تضاهي 'الأرواحية الجديدة' التي ورد ذكرها عاليه، ثم براجماتية وليم جيمس ونظريته في 'التجربة الدينية'، واستمداده اللاوعى كوسيلة لتواصل الإنسان مع النطاق الربانى، والتي تبدو لنا حالة لاوعى شيطانى نابع من المصدر ذاته، ومن المفيد في هذا الصدد تذكُّر مدى الحماس الذى انتاب معظم الحداثيين الذين تشبه عاداتهم الذهنية من نحن بصدد الحديث عنهم، كما أن العقلية البروتستنتية تختلف عنهم في النبرة فحسب حتى لو لم تكن تماثلها تماما من حيث المعنى، و'الأرواحية الجديدة' قريبة للغاية من البروتستنتية، أما الثيوزوفية على الخصوص فسوف يُتابع القارئ الجزء الثانى من تاريخها لكى يفهم هذه النقطة.

وينظر الثيوزوفيون إلى الأرواحيين بنوع من الاحتقار رغم التشابهات بينهما، ويلاحظ أن ذلك نتيجة ادعائهم الجوانية، في حين أن الأرواحيين لا يابهون لهذه الأمور، فهم لا يسلمون بالتعميد ولا بأية بنية هيكلية، وتبدو الثيوزوفية والغيبية كما لو كانت ارسقراطية بالنسبة إلى ديموقراطية، إلا أن الجوانية التي تعتبر حقاً مقصوراً على صنفوة لا يتفق مع الدعاية والتعميم، لكن الأمر الغريب أن الثيوزوفية شأنها شأن الأرواحية كلاهما دعائى *propagandist*، حتى لو كان ذلك على نحو أقل مباشرة وعلى سبيل التلميح، ويشكل ذلك تناقضاً آخر يسمها، في حين كان الأرواحيون يتحلون بشيء من المنطق في هذا الصدد، ولا مبرر لاحتقار الثيوزوفيين، وليس فحسب بدعوى ما يسمونه الجوانية، والتي تُعدُّ هابطة إلى الحضيض، ولكن سواءً أحبوا أم كرهوا فإن أفكارهم مستعارة من الأرواحية، ولن تُفلح كل التعديلات التي أدخلوها لإخفاء أصلها، كما لا يجب أن ننسى أن مؤسسى الجمعية الثيوزوفية قد بدأوا العمل بالوعظ بالأرواحية، وأن كثيراً من وجهائهم كانوا أصلاً أرواحيون على شاكلة ليدبير على وجه الخصوص، وقد كان قساً أنجليكانياً، وقال إنه انجذب للثيوزوفية بعد أن قرأ كتاب سينيت 'عالم الغيبية *Occult World*'، وهو أحد سمات عقليته حيث إنه يتعامل قصراً مع 'الظواهر *phenomena*'، وفي ذلك الحين نتابع الجلسات التي كان يعقدها الوسيط إيجلنتون *Eglinton*، كما نضيف أنه أقام فترة في الهند عام 1882، وزار فيها ثيوزوفيين عدة، وحينما كان على السفينة العائدة به إلى وطنه شاهد تجسداً أطار صوابه أظهره كوت هوومى، والذي قدم نفسه بإشارة أستاذ ماسونى، والحق إنه بعد أن استعاد السيطرة على نفسه قال إنه شاهد فقط 'تجسداً' أظهره أرواحى¹²، وأياً كان الحق وراء هذه القصة حيث تلعب الخواطر الشخصية الدور الأكبر في زمن توصله مع ليدبير، ومن ثم صار إيجلنتون 'محكوماً' بروح شخص اسمه إيرنيست، والذي وضعته مدام بلافاتسكى في مقام 'مرشدها' جون كينج عندما افتخر هذا الإيرنيست بأنه يعرف كل 'معلو الحكمة'، وخطر على بال ليدبير فكرة اتخاذه وسيطاً لإرسال خطاب إلى كوت هوومى، ومرت شهور قبل أن يتلقى رسالة من 'الأستاذ'

12 *Le Mond Occulte*, p 254-264, *ibid.*, postface of the translator pp 319-326, letter of *Eglinton in Light*, Jan. 1886.

عن طريق وسيط غير إرنست قال فيها إنه لم يتسلم خطابك نظراً لطبيعة الراسل، ونصحته بقضاء بعض الوقت في آديار، ومن ثم ارتحل ليدبيتر قرب نهاية عام 1884، وذهب لزيارة مدام بلافاتسكى، وكانت في لندن في ذلك الحين، وعلى وشك العودة إلى الهند في اليوم التالي، وأعلنت بلافاتسكى في أمسية عند مسز أوكلاي عن وصول خطاب جديد من 'المعلم'، وفتاة ترك ليدبيتر وظيفته الكهنوتية بناء على نصيحته واستقل سفينة حتى قابل بلافاتسكى في مصر ثم سافر معها إلى آديار، وأصبح ليدبيتر من أشد أعضاء الجمعية الثيوزوفية حماساً¹³.

ونضيف في نهاية هذا الباب أن الثيوزوفيين حاولوا عقد تحالف مع الأرواحيين مرة واحدة على الأقل، وربما لزم القول مبدئياً بأن غايتهم كانت احتكار الحركة الأرواحية لصالحهم، ونشير إلى محاضرة ألقاها سينيت في 7 إبريل 1898 في لقاء 'التحالف الأرواحي'، والتي كان ستانتون موزيس رئيسه السابق، ولذا توقعنا ما تلى هذا المؤتمر حتى لا نعود إلى أول المسألة، فقد كانت هذه المحاضرة على عكس ما سبقها تحفة فنية لسوء النية، وسلمت مسز بيسانت بوجود 'سوء تفاهم' وبعض الكلمات الطائشة من الجانبين، ودفعت بأن المجلة التي تصدرها بالتعاون مع مييد Mead لم تنشر كلمة واحدة تناقض الحركة الأرواحية، إلا أنها صرّحت بما لم تكتب في مناسبة أخرى¹⁴، والواقع أنها قد أعلنت في 'قاعة العلوم' في لندن في

13 L'Occultisme dans la Nature, pp 396-403.

14 ومن المفيد مقارنة بعض عبارات السيدة بيسانت بعبارات كولونيل أولكوت في خطابه بمناسبة الذكرى السنوية الثانية عشر لمؤتمر الجمعية الثيوزوفية في آديار، من 27 إلى 29 ديسمبر 1887،

"...ومن واقع أن الأعضاء الرئيسيين في جمعيتنا بمن فيهم أنا أعضاء سابقين في الأرواحية، فقد سارع البعض باستنتاج أنها فرع من الأرواحية، وليس الأمر كذلك، ولو كانت الثيوزوفية مدرسة حديثة وليست مدرسة عتيقة فربما أمكن اعتبارها على مستوى الفلسفة المحضة تطورا من الأرواحية الظواهرية phenomenal spiritism، ولن يختلف اثنان على النتائج المواتية التي تعود على الحركة الأرواحية، ولا تنكر الفلسفة القديمة، كذا، وقائع الوساطة الروحية، بل على العكس تطرح لها مدخلا علميا وتفسيرا منطقيا، وتُسبغ في الآن ذاته أفكارا نبيلة عن التطور على الطريق الصاعد، وسيكون من الخطأ محاولة التنبؤ بمستقبل الثيوزوفية بدون اعتبار واقع أنها تعمل على إدماج أعضاء من أفضل الأرواح في نظام واسع الانتشار، ولكن قبل أي شيء لا بد من أن نكون ثيوزوفيون قلبا وقالبا في الكلمة والفعل".

20 إبريل "إن الوساطة خطيرة وأنها تؤدي إلى تحلل أخلاقي وجنون ورذيلة"، وهو ما يتفق تماماً مع آراء قادة الثيوزوفية، ولكن لنقتبس بعض فقرات من محاضرتها عام 1898،

"سأتناول بداية مسألة القوى الإرشادية للحركتين الأرواحية والثيوزوفية، وأعتبرهما شطرين من محاولة حثّ العالم لشجب المادية وإرشاد الإنسان إلى الطريق الروحي، ولذا أبدأ بمسألة القوى الدافعة لحركتنا معاً، واللذان تنبثقا من العمل الأخلاقي لتقدم الإنسانية، وأعتقد أنها نابعة من أناسي بالغو التطور رغم أنهم يعيشون في النطاق الطبيعي وقادرون على الانتقال بين العالم المنظور والعالم الخفي، وهكذا نتواصل مع اللامتجسدين،... ولست مثلكم في تقدير أهمية واقع أن بعض الذين شاركوا في هذه الحركة لا يعيشون بأجسامهم الطبيعية، فهذه المسألة مهمة للغاية، وحينما تصلنا الرسائل فلا يهم ما إذا كانت آتية من أرواح متجسدة أم لامتجسدة،... ونحن نرى أن الحركة الأرواحية قد بدأت بحفل من 'الرهبان' المتقدمين في الغيبات، ويعيشون في أجساد ولكنهم متقدمون بون شاسع عن المرحلة الحالية لتطور الإنسان،... وقد ابتكروا نظاماً استثنائياً للتجليات باستخدام أرواح الموتى لتوكيد أن حياة الإنسان لا تنتهي بموته فيما عدا أنه خسر جسده الطبيعي، لكن الإنسان لا يتغير بعد موته".

.....

وها هنا فقرة أخرى من مقال نُشر في دورية الثيوزوفية،

"إن من الخطأ إنكار قيمة الأرواحية بشكل عام، والواقع أن كثيراً من الثيوزوفيين قد مرّوا في الأرواحية، ودرسوا بتدقيق بالغ وضبط كامل، وطرحت براهين دامغة على وجود العالم الآخر، وبرهنت بالتالي على صحة شطر من تعاليم الثيوزوفية، ولكن لا بد من الحذر من التهريج charlatanism بكل صوره حيث تتكاثر فرص الخداع أو حتى ببساطة أخطاءً بحسن نية، والتي تكثر بين الوسطاء ومساعدتهم، لكنهم لزالوا أعظم من حيث اتصاهم بكائنات العالم النجمي Astral World، والتي تحتكم على قوة إيهامية illusionist power خارقة، وبصرف النظر عن هذه الاعتبارات فمن المؤكد أن يتمكن المرء من الحصول على برهان وجود عالم فوق جسدي من خلال الأرواحية، وقد كانت واقعية البراهين التي لا تُنكر هي التي جمعت هنا اليوم كثيراً من الثيوزوفيين، فهل يعنى ذلك أننا نوصى باتباعها؟ ولا أعتقد ذلك،... فدعنا نترك انتقاد أعمال إخواننا الأرواحيين، كما ينبغي ألا نخطأ بتعطيلهم أو تعويق تطور أصدقائنا الموتى بعد الموت".

A. Janvier. Le Theosophy, May 16 1914.

ومن الغريب أن نرى مسز يبسانت تنسخ هنا مذهب 'محفّل' *HB of L* في الأرواحية عن 'أرواح الموتى'، وأغرب من ذلك أنها تعتقد أنها سوف تقنع الأرواحيين بذلك، ولكن لتتسمر،

"أما نحن فنعتقد أن الحركة الشيوزوفية الحالية تدين بزخمها إلى محفّل من عظماء الأرواحية... وقد كانت هذه الدفعة الثانية ضرورية بواقع أن المعتقدين بالحركة الأولى كانوا منجذبين إلى بعض 'الظواهر' التافهة، أضف إلى ذلك أن مخطط تأسيس الجمعية الشيوزوفية كان قائماً على التفاهم مع الجمعية الأرواحية¹⁵، وبدأ الأرواحيون ينفضون من حول مدام بلافاتسكي حينما وقفت ضد سوء استخدام 'الظواهر'، وقد أكدت أن أرواح الموتى ليست العامل الوحيد الذي يحتكم عليه الأرواحيين لاستظهار تلك 'الظواهر'، وأقلها شأنًا تلك التي نتجت عن استخدام 'أرواح الطبيعة'، وهي كائنات تنتمي إلى العالم 'النجمي'، وقليل من الرسائل يمكن أن تكون من قوة إرادة شخص مدرب نفسياً بمعونة أرواح أو عناصر أولية *elimentals* من الموتى أو بدونها، ولكن عندما ذهبت إلى أن النفس الإنسانية في الجسد وخارجه قادرة على إنتاج كثير من هذه الأحوال، وأنه لا حاجة إلى اكتسابها بالموت حيث إنها يمكن أن تعمل في الجسد الطبيعي كذلك كما تعمل بعد أن انفصلت عنه، وهاج كثير من الأرواحيين احتجاجاً ورفضوا بعد ذلك أي اتصال بها".

وقد كانت تلك طريقة خاصة لكاتبه التاريخ وتقدير قيمته على وجه صحيح، ويكفي أن نتذكر بيان مدام بلافاتسكي المناهض للأرواحية من ناحية ومن الناحية الأخرى أهمية 'الظواهر' في بداية الجمعية الشيوزوفية، وقد أرادت مسز بسانت أن تقنع الأرواحيين 'بأن القوى الإرشادية الدافعة للحركتين معا هي ذاتها لدى الطرفين'، ولكن ذلك لا يكفي، ومن ثم ذهبت إلى الدفع بصدق افتراضها بتحفّظ طفيف،

15 ولا بد من قول إن الأرواحيين لم يشكلوا 'جمعية' بل كانوا جماعات مستقلة شتى من نوع أو آخر.

"ولا بد للأرواحيين أن يتخلصوا من فكرة أننا نشكك في حقيقة ظواهرهم، ففي الماضي حظيت نظرية القواقع والأجسام النجمية باهتمام واسع، ومن الصحيح أن قليلاً من الكتاب قد دفعوا بأن كل الظواهر الأرواحية ناتجة بفعل تلك الأصداف، ولكن أقول لكم أن هذا الرأي لا يشارك فيه إلا أقلية طفيفة من الثيوزوفيين، وقد صرَّح جادج Judge بأنه ما من ثيوزوفى على علم يمكنه قبول أن تواصل الأرواحيين يجرى بفعل هذه العوامل، وليس ذلك من رأى غالبية الثيوزوفيين وخاصة المتعلمين منهم، وكذلك بالتأكيد لأن مسز بلافاتسكى كان لها باعٌ في الغيبية، كما أننا أكدنا أنه بينما كانت طبيعة بعض الاتصالات هكذا فإن معظمها جاءت من الذين تركوا أجسادهم".

وهذا كذب صرف، ولا حاجة لنا إلا بقراءة الفقرات التي اقتبسناها عليه من بلافاتسكى ومضاهاتها بالعبارة الأخيرة، ولكن لاشك في ذكاء تعليق مسئولية بعض التصريحات المخرجة على جادج الذى كان 'منشقاً' عن الأرواحية في ذلك الحين، ورغم أنه ليس الوحيد الذى صرح بها، وها هنا الاستنتاج،

"لقد تبنيّا سياسة ألا نقول شيئاً بعداء ولا احتقار عن إخواننا الأرواحيين، فلماذا لا تتبعون حيالنا السياسة ذاتها فنلتقى في منتصف الطريق على الجسر الذى نبتغى بناءه بيننا؟ ولماذا لا تعاملوننا في مطبوعاتكم كما نعاملكم في مجلتنا وكتبنا؟ إننى أسألكم تبني سياساتنا لأننى أشعر أن من حقى توجيه السؤال إليكم بعد أن طرحته على نفسى طوال سنوات،... وكل رجائى ألا نعتبرونا منافسين أو أعداءً من الآن فصاعداً، بل إخوة لهم طرق تختلف عن طرقكم،... وقد جئت اليوم إليكم لتحقيق اتحادنا فى المستقبل، وإن استحال ذلك فعلى الأقل أن نتخلص من مشاعر العداوة، وأملى هو ألا يكون لقاؤنا بلا فائدة".

وقد كان استخدام مسز بيسانت لكلمة 'سياسة' مدهشاً حقاً فهى أنسب الكلمات قاطبة، فهذه السياسة لها أهداف قريبة هى وقف هجوم الأرواحيين على الثيوزوفية، وأهداف بعيدة المدى فى السيطرة على الحركة الأرواحية بدعوى الاتحاد، وكما سنرى فيما يلى ما حدث فى دوائر أخرى مما لا يدع مجالاً للشك فى هذه النقطة، ولكننا لا نصدّق أن الأرواحيين قد سمحوا باستغفالهم، فإن أطروحات مسز بيسانت لم تمحُ من ذاكرتهم كثيراً من العبارات المتناقضة، وهكذا تجمّد كل طرف على موقفه، وكان السبب الأول أنها مثال باهر على عدم أمانة الثيوزوفية.

13 الشيوزوفية والأديان

وقبل أن نعود إلى تاريخ الشيوزوفية نتناول بإيجاز نقطتين نرغب في معالجتهما، أولهما موقف الشيوزوفية من الأديان والثانية تتعلق بوجود 'قسَم' في شروط الالتحاق بالجمعية الشيوزوفية، أما عن الأول فقد رأينا أن مدام بلافاتسكى قد طرحت مذهبها 'كجوهراً لأصول كل الأديان'، ولا ريب أنها انتحلت شيئاً من كل منها، كما لاحظنا أن الجميع بلا تمييز كانوا يلتحقون 'بالقسم البراني'، وهو ما كانوا يتخذونه برهاناً على احتمالهم بلا حدود، كما تبرهن على تحريم أن يجبر أحد زميله على اعتناق آرائه الشخصية، وقد قرأت مدام بلافاتسكى الفقرة التالية من اللوائح،

"لا يجوز لأي من العاملين في الجمعية التعبير عن عداوة بالكلمة ولا بالفعل ولا بالتمييز لأي قسم دينياً كان أم فلسفياً، فكل منهم له الحق في أن يكون له سماته الجوهرية ومعتقداته الدينية أمام محكمة العالم اللامتحيز، ولا يجوز للعضو العامل بصفته عاملاً أن يعط الأعضء الموجودون باعتناق منظوره الطائفي إلا لو كان الاجتماع يضم بعض المشاركين له في عقيدته، وبعد التعبير الواضح فإن هذه المخالفات عقوبتها التوقيف أو الطرد"¹.

وقد كانت هذه المقالة موضوعاً للوم مسز باسانت عند بعض الشيوزوفيين لانتهاكها اللوائح بالدعاية لدين بعينه من اختراعها، وقد رد عليها ليدبيتر رداً ممروراً، "إن هذه السياسة من سلطة رئيسة الجمعية وليس من سلطاتها، وأنها كرئيسة تعلم كل جوانب الموضوع أكثر ممن ينتقدها، ولا شك أن مسز باسانت كان لديها سبب هائل لكي تفترض أن الأعضء جاهلون تماماً"².

ويبدو أن مديري الجمعية قد أصبحوا فوق القوانين، والتي لاشك أنها قد صيغت فحسب للأعضاء البسطاء والعملاء الخاضعين، وفي أحوال كهذه لن نُحترم شروط 'الاحتمال tolerance' التي أذيعت بصوت عالٍ.

زد على ذلك أن المرء لو حدد نفسه في العمل السلطوي في الجمعية الثيوزوفية فلن يستطيع اجتناب ملاحظة التحيز، وقد ذكرنا عليه عداوة مدام بلافاتسكي للمسيحية، والتي لا شك لم تزد عنها إلا عداوتها لليهودية، وكانت تعزو كل ما لا يسرها في المسيحية إلى أصله اليهودي، وقد كتبت ما يلي،

"إن كل تعاليم عيسى عن عدم الأنانية والغيرية كانت بلا جدوى، وأصبحت موضوعاً للحطابة المنابر فحسب، في حين أن المفاهيم العملية لعدم الأنانية المذكورة في التوراة الموسوية، والتي ثار عليها المسيح، وقد أصبحت مغروسة في أعماق حياة شعوب الغرب،... ويفضل المسيحيون التوراتيون قانون موسى على قانون المسيح 'للمحبة'، ويبادرون إلى العهد القديم الذي يوفى بكل شهواتهم في الانتصار والاعتصاب والطغيان"³.

كما كتبت،

"إن ما نحتاج إليه هو إقناع الناس بفكرة أنه لو كان أصل الإنسان واحداً فلا بد أن يكون له تعبير في الأديان المتنوعة إلا اليهودية فحسب، ولا تجد لها تعبيراً حتى في القبالة"⁴.

لقد كانت كراهية كل ما كان 'يهودياً مسيحياً' Judeo-Christian هو ما أدى إلى المفهوم الذي نوهنا عنه بين مدام بلافاتسكي والمستشرق بورنوف⁵، فكلاهما لا يأبه للمسيحية نظراً لأن القديس بولس قد هودّ تعاليم المسيح، واضطراً إلى طرحها كتعبير عن 'الفلسفة الآرية' Aryan philosophy، والتي اقترضا أنها انتقلت من البوذية جوهرياً، ولا ريب أن تلك

3 The Key to Theosophy, pp 40 and 42.

4 Ibid., p 45.

5 عن هذا الموضوع راجع مقال بورنوف بعنوان 'Le Bouddhism en Occident' في مجلة Reve des deux Mond، ومقال للسيدة بلافاتسكي بعنوان 'Theosophism et Bouddism' في مجلة Lotus. Sep., 1888.

الجملة من الآراء التي جعلت الشيوزوفيين يقولون "إن ذكاء إميل بورنوف الخارق قد طار إلى الأعلى التي تجاور المرتفعات الشاهقة التي يشع منها تعاليم 'معلموا الهيمالايا'⁶.

ولكن ليس ذلك كل شيء، وسوف نرى الآن أن سينيت الذي استلهم دائماً من بلافاتسكى لا يهاجم الدين اليهودي فحسب بل الأديان جميعاً⁷، حتى إنه لم يستثن 'البرانية البوذية'،

"ولا شيء يمكن أن يتمخض عن نتائج كارثية على التقدم الإنساني ومصائر الناس من الفكرة السائدة عن أن الدين الواحد الذي يتبع بإخلاص روجي شأنه شأن جميع الأديان، وهكذا فلو كانت تلك المذاهب عبثية حينما تدقق النظر فيها فإن السواد الأعظم لن يكتشف عبثها بل سيتلونها وهم في حال إيمانٍ وسلامٍ عقلي"⁸

والمدهش في هذا المذهب الجواني أنه نقيض للفكرة التي تُخضع الناس..

"لنظام كهنوتي أو عقيدة نثير الرعب في خيالهم عن قاضٍ شخصي ينتظرهم ليحاكمهم بعد الموت"⁹.

وقد لقيت فكرة 'الرب الشخصي' نقداً حقوداً في العبارة الأخيرة، وهي أحد الأفكار التي تشجها الشيوزوفية بحسم في أول مراحلها على الأقل، وقد قالت مدام بلافاتسكى، "إننا لا نؤمن بهذا الرب مطلقاً، ونرفض فكرة الرب الشخصي والرب فوق الكوني والرب التشبيهي *anthropomorphic God*، والذي ليس إلا ظلًا عملاقاً للإنسان، ولكن ليس

6 Lotus Blue.May, 27, 1995.

7 ويعجب المرء كيف أن الهجوم على الأديان يُعتبر كذلك هجوماً على الإنسانية، وكيف يتصالح ذلك مع النظريات التي انبثقت منها هذه الأديان، وكان ذلك بنفوذ مباشر من 'المخفل الأبيض العظيم'.

8 Esoteric Buddhism, p 244.

9 Ibid., p.260.

10. The French text Guénon quotes here is as follows: 'What must especially strike one is how this [esoteric] doctrine is opposed to the idea of keeping men under the yoke of any sort of clerical system whose dogmas and teachings are designed to abase the character, terrify the imagination. What could be more brutalizing than the thought of a personal God, on whose omnipotence and good will

الإنسان في أفضل أحواله، والرب في اللاهوت حزمة من التناقضات والاستحالات المنطقية"¹⁰.

ويكفي ذلك للبرهان على أن تلك التوكيدات التي يعظ بها قادة الجمعية الثيوزوفية عن أن التابعين لأي دين لن يجدوا فيها ما يجرح إيمانهم، وقد قالت مسز بيسانت، "فالجمعية لا تسعى إلى إبعاد الناس عن دينهم بل تسعى إلى إمدادهم بغذاء روحى هو جوهر دينهم الذى يحتاجون إليه... وأيما حل فإن المجتمع يستطيع مكافحة أكبر المساوى من الخرافة والمادية، وتصبح قوة دافعة للتقدم وحسن النوايا فى الصراعات التى تتجشمها الحضارة الحديثة"¹¹.

وسوف نرى لاحقاً ماذا تساوى 'البرانية المسيحية' عند الثيوزوفيين المعاصرين، ولكن بعد الاقتباسات التى أوردناها يحسن أن نطلع على فقرة من أحد أعمال ليدبير، "وحتى نسبل الرؤية ونحدد اتجاه العالم فقد قسّمه الرهبان إلى أقاليم كما تقسم الكنيسة مناطقها إلى أبراشيات، لكن الإقليم قد يشتمل على قارة بأكملها، ويرأس كل إقليم راهب كما يدير القس شؤون الكنيسة، وتقوم الكنيسة بين حينٍ وآخر بجهود لا تتغيا الخير لأبراشية واحدة بل للنفع العام، فتبعث ما يسمى 'تبشير محلي *mission to the interior*' بهدف تقوية الإيمان وإشعال الحماس فى البلاد بكاملها، والنتائج المتحصلة ليس فيها نفع للبشرين، لكنها تسهم فى دعم العمل فى كل أبراشية، ومن بعض وجهات النظر فإن رسالة الجمعية الثيوزوفية أشبه بالتقسيمات الطبيعية لعالم جُبل على أديان متنوعة تناظر الأبراشيات المختلفة، وتبدى جمعيتنا فى مركز كل منها، وبدون جهد لإثناء الناس عن دينها، ولكن على العكس تحاول إفهامهم دينهم بطريقة أفضل، وخاصة أن يعيشوا على نحو أفضل، وغالباً ما تعيدهم إلى دينهم الذى هجروه بتقديمه لهم من مفهوم أكثر علواً مما يعلمون عنه، وفى حالات أخرى هناك أناسى من بيئة دينية بعينها إلا أنهم لا ينتمون إلى هذا الدين، فقد اكتفوا بالتفسير البرانية الغامضة

10 The Key to Thiosophy, p 61.

11 Theosophy, pp 10-11.

للمذهب الرشيد *orthodox*، ولكنهم وجدوا في الجمعية الثيوزوفية طرحاً لحقائق تُرضى عقولهم، ولذلك تجرؤا على الالتحاق بفضل تسامحها الغامر¹²، ومن أعضائها جيانين وبارسين ويهود ومسلمين ومسيحيين، ولم يسمع أحد منهم في دروس الجمعية أية تجنيس لدينه، بل على العكس فإن المناطق التي امتدت إليها الجمعية قد شهدت إحياءاً حقيقياً للدين، والدافع إلى هذا السلوك سيتضح بجلاء بمجرد فهم أن أصل كافة الأديان قائم في أخوات المحفل الأبيض، وفي أحضانها تكمن الحكومة الحقيقية للعالم، ومن إداراتها إدارة التعاليم الدينية، وقد أسس رئيسها، وهو بودهيساتفا، كافة الأديان سواءً أكان بنفسه أم عن طريق من ينوب عنه من تلاميذه، ويحدد لكل منها زمنه والشعب الذي تنزل إليه¹³.

والجديد هنا في نظريات مدام بلافاتسكي عن أصل الأديان هو تدخل 'بودهيساتفا'، ولكن من الواضح أن ادعاءات الجمعية الثيوزوفية كانت نتضخم، وبهذا الصدد سنذكر أيضاً من قبيل حب الاستطلاع أن المبادرات العديدة التي ذكرها الكاتب نفسه فإن الثيوزوفيين يعزونها إلى 'رهبانهم'، ويقال إن رؤساء المحفل الأبيض قرروا بذل جهود خاصة لمساعدة العالم كل مئة سنة، وفي خلال الربع الأخير من كل قرن، ومن السهل التعرف على بعضها مثل حركة انتقال مسيحية الصليب الوردى¹⁴ في القرن الرابع عشر بالتزامن مع إصلاح تسونج خابا للبودية الشمالية¹⁵، وكانت نهضة الفنون والآداب في أوروبا القرن الخامس عشر، واختراع الطباعة

12 وليست نهاية هذه العبارة واضحة من جراء أخطائها الإملائية في الترجمة على الأقل.

13 *L'Occultism dans la Nature*, pp 378-379.

14 وهو المؤسس الأسطوري لمحفل لصليب الوردى *Rosicrucians*، وكل ما يقال عنه رمزي صرف حتى اسمه، كما أن تاريخ تأسيسه غير مؤكد، وقد جعل الثيوزوفيون من كريستيان روزينكريوتس *Christian Rosenkreutz* شخصية تاريخية وتجسيدا لأحد أساتذتهم يقال إنه كان جنرالاً من ترانسلفانيا وأنه كان بالتتابع طبيبا وخيميائياً، وكذلك كان الفيلسوف فراانسيس بيكون، كما قيل أن صورة بعينها من أعمال يوهانيس فالنتاين آندريه عضو الصليب الوردى في القرن السابع عشر تبدو كما لو كانت صورة لورد بيكون في سن الثمانين، مما يدفع إلى الظن بأنه الشخصية ذاتها، وقد كان واجبا استمر طوال دورة عمله ربما باستثناء هونياتي، وهو الذي كان عليه أن يضع أسس العلم الحديث، وقد أنجز شطره الأكبر بواسطة محافل ما سونوية سرية،... وقد كان الأستاذ *R* هو الرئيس الحقيقي للماسونية.

15 ويكرر الثيوزوفيون هنا الاضطراب الذي حدث للمستشرق 'غير المعمد *uninitiated*'، ولم تكن

في القرن السادس عشر، ثم جاءت إصلاحات أكبر في الهند، ونشر أعمال لورد بيكون في إنجلترا في قمة ازدهار حكم إليزابيث في القرن السابع عشر، وتأسيس الجمعية الملكية للعلوم في إنجلترا، ونشر أعمال روبرت بويل¹⁶ وآخرين بعد الإصلاح، وجرّت في القرن الثامن عشر جهود لبدء حركة مهمة، إلا أنها أفلتت من تحكم قادتها وانتهت في الثورة الفرنسية، وأخيرا نصل في القرن التاسع عشر إلى تأسيس الجمعية الثيوزوفية¹⁷.

.....

اللامية شطرا من البوذية على الإطلاق.

16 ولاشك أن التنويه هنا عن العلاقة بين هذا الخيميائي الشهير وبين إيريناوس فيلاليثاس عضوة الصليب الوردى.

17 المرجع السابق ص 380، وقد طفق حاليا بعض الناس على تقديم أنفسهم كمبعوثين من 'المحفّل الأبيض العظيم' حتى خارج نطاق الثيوزوفية، وسوف نذكر هنا أحدهم فحسب، وهو المعروف في ألمانيا باسم غريب هو 'بوين رع Bo-Yin-Râ'، والذي أنشأ في الأعوام الأخيرة محفل باسم 'مشرق باثموس الأعظم Grand-Orient de Bathmos'، وهو علامة أخرى تعيد إلى الذهن 'أخوة المعمدون الآسيويون'، ويبدو أنها انتشرت خارج ألمانيا على منوال النمسا وبولندا، وقد زعم البعض أن مقرها المركزي في فرنسا، وربما في سافوي، ولكن ذلك في رأينا يثير الشك، وقد تفرع عن 'مشرق باثموس الأعظم' ما سُمي 'اتحاد أخوات الشعائر القديمة للقديس جرال Confrerie des Rites Anciens du Saint-Graal'، والذي كان أستاذه الأعظم د. درايفوس، وكان جراح أسنان في ساريجومين.

وهنا عيّنة من التاريخ الذى صاغته مفاهيم الثيوزوفيون، فكم من الرجال أصبحوا عملاء
'للحفل الأبيض العظيم' بدون علم منهم! وإن لم يكن هناك إلا تلك الأوهام فلا يسعنا إلا
الابتسام، فالواضح أن الغرض منها هو التأثير على البسطاء، كما أنها ليس لها أى قدر من
الأهمية، أما المهم فهو ما يلى مما يبين كيف أن الثيوزوفيين حاولوا لعب دور 'المبشرين' فى
'المناطق' التى تناظر المسيحية.

14 قَسْمُ الشِّيُوزُوفِيَّةِ

من أكثر الأمور التي تُلام عليها الجمعيات السرية وخاصة الماسونية إجبار أعضائها على حلف يمين متنوع طبيعته كما يتغير مدى الالتزام المقصود بالقَسْمِ، وغالباً ما تكون قَسْمًا على الصمت، وأحياناً ما يرافقه قَسْمٌ على طاعة أولى الأمر من يعرف منهم ومن لا يعرف، وقد يتعلق قَسْمُ الصمت بوسائل التعرف والشعائر الخاصة بالاجتماع في الجمعية، أو حتى وجودها أصلاً وصيغة بنيتها وأسماء أعضائها، ويسرى بالتالى على كل ما يقال أو يُعمل، وعلى الأعمال التي يقومون بها والتعاليم التي يتعلمونها بشكل أو آخر، وأحياناً ما تطرأ التزامات من أنواع أخرى، على منوال 'قَسْمُ بالتزام سلوك بعينه'، والذي يمكن اعتباره إهانة لو اتخذ شكل القَسْمِ الصرف، ولا ننوي هنا الدخول في أية مناقشات لما يمكن أن يناقض مبدأ القَسْمِ وخاصة 'قَسْمُ الصمت'، والأمر الوحيد الذي يهمننا حالياً هو أن ذلك يُعتبر مجلبة للوم يستحقها الماسونيون وبعض الجمعيات السرية الأخرى، وحتى كل الذين يتصفون بذات الصفة، ويصدق كذلك على الجمعية الشيوزوفية، ورغم أنها ليست جمعية سرية بمعنى الكلمة، فلم تجعل من وجودها سراً ولم تُخفِ أسماء أعضائها، لكن ذلك جانب واحد من المسألة، ولا بد أولاً من الاتفاق على الدلالات المختلفة لما يسمى 'جمعية سرية'، وهو أمر يزداد عوصاً بالتناقضات التي تدور في فلكه مسألة بسيطة كالتعريف، وغالباً ما يُخطئ الناس في تلخيص منظورهم إلى الأمور، فيفكرون في خصائص منظمة بعينها، ويستخدمونها تعريفاً لباقي المنظمات المتنوعة التي لها أوصاف مختلفة، وأياً كان الأمر فسوف نقبل هنا ما نراه كافياً لتعريف الجمعية السرية وليس بالضرورة الجمعية التي تُخفي وجودها أو أسماء أعضائها، بل تلك التي لديها أسرار مهما كانت طبيعتها، ولو كان الأمر هكذا فإن الجمعية الشيوزوفية يمكن اعتبارها جمعية سرية بدلالة اشتغالها على 'قَسْمِ برانى' و'قَسْمِ جوانى'.

وليس من شك في أن الجمعية الشيوزوفية لها أكثر من قَسْمٍ من الأنواع التي ذكرناها تواء، فلدينا في هذه المسألة شهادة رسمية من مدام بلافاتسكى حيث تقول،

"وليس لنا الحق في رفض انضمام أحد وخاصة في 'القسم الجواني' للجمعية، إلا أن من يلتحق به فقد 'وُلِدَ ميلاداً جديداً'، ولكن لو اختار أحد أن يُقسِمَ بشرفه ونفسه الخالدة بعد مولده الجديد فإنه لو اقترف الخطايا والخلاعات التي كان غارقاً فيها في حياته الأسبق فالأرجح أن تُطلب منه الاستقالة والانسحاب، ولو رفض فالطرد"¹.

وها هنا مسألة العهد بأن يتبع قانوناً بعينه في حياته، ولا يقتصر ذلك على القسم الجواني "فإن أعضاء بعض الفروع البرانية يُقسِمون 'بذاتهم الأعلى' بانتهاج السلوك الموصوف في الثيوزوفية"²، وفي هذه الأحوال يمكن دائماً التخلص من العضو المناوئ بإعلان أن سلوكه ليس 'ثيوزوفياً'، ومن الواضح أن الجرأة على تناول الجمعية وقادتها بالنقد من بين تلك الأخطاء، ويبدو أن لها آثار وخيمة في المستقبل، ويطلب ليدبير ما يلي،

"لقد لاحظت أن بعض الذين أبدوا إجلالاً لرئيستنا مسز بيسانت قد غيروا سلوكهم تماماً وبدئوا في نقدها والتشهير بها، وهذا فعل شنيع يؤدي إلى سوء مآل الكارما بأكثر مما لو كان لشخص لا تدين له بشيء، ولا أريد قول إن المرء لا حق له في تغيير رأيه... ولكن بمجرد انفصالهم عنها ينكبون على الهجوم عليها ونشر فضائح عنها كما فعل كثير منهم، فإنه خطيئة جسيمة تؤدي إلى ثقل الكارما، ومن الخطر دائماً أن يكون المرء حقوداً كاذباً، ولكن عندما يتعلق الأمر بمن قدم له كأس الحياة، كذا، فإن هذه الخطايا تصبح جرائم"³.

وحتى نُكوِّن فكرة عن تلك الآثار فلا نحتاج إلا العودة صفحتين لنقرأ ما يلي،

The Key to Theosophy, p 49. 1

Ibid., p 52. 2

L'Occultism dans la Nature, pp 367-368. 3

"لقد اكتشفنا أن معظم الجهلاء الذين عذبوا هيباتيا في الأسكندرية قد تناسخوا في أرمينيا حيث أخضعهم الأتراك لكل أنواع العذاب"⁴.

وحيث إن مسز بيسانت تدعى أنها تجسيد لهيباتيا فمن المحتوم أن تتعقد المقارنة بينهما، وباقتراض العقلية الثيوزوفية فمن السهل فهم أن هذه التهديدات تتميز ببعض الكفاءة، ولكن هل يستحق ذلك العناء إنكار الأديان التي...

"...لا تجد من وجهة نظر الدين أهم من التعاليم التي تتعلق بصفات الرب يهوى الرهيب، والذي يصورونه قاضياً كلي القدرة تُقدّم إليه نفس الميت لمحاكمتها"⁵.
وإن لم يكن أمام الجمعية الثيوزوفية 'ربا شخصياً' فإنها تلجأ إلى الكارما للانتقام لقادتها!

ولنعد إلى بيان مدام بلافاتسكى لنرى المقصود 'بقسم الصمت'،

"أما عن القسم الداخلي الذي يسمى الآن 'جوانياً' فقد صدر القانون التالي منذ عام 1880 "لا يجوز لأى عضو أن يستخدم أية معرفة انتقلت إليه من عضو من القسم الأول لأغراض أنانية، ويعاقب المخالف لهذه القاعدة بالطرده" وعلى العضو الذى يرغب فى التصريح بهذه المعرفة أن يقسم بعدم استخدامها لأسباب شخصية ولا أن يفصح عن أى شىء بدون إذن سابق"⁶.

وتقول فى موضع آخر عن سرية التعاليم،

"ورغم أننا نعطي للعالم ما كان قانونياً حتى فى مذهبنا فهناك تفاصيل مهمة لا يعرفها إلا الذين أقسموا على الصمت من الذين يدرسون الفلسفة الجوانية"⁷

Ibid., pp 365-366. 4

5 *Esoteric Buddhism*, p 256.

6 *The Key to Theosophy*, p 50

7 *Ibid.*, p 96.

وتحدث في فقرة أخرى عن التعاليم السرية،

"إنها التي تتعلق بقوة إسقاط المرء إراديا وفي حال وعى كامل لجسده النجمي،... وهو ما لا يُعطى لأي فرد كان إلا للوثوق منهم تماما"⁸

وتصر مدام بلافاتسكي على مراعاة قَسَم الصمت الذي يستمر مُلزمًا حتى لو ترك المرء الجمعية برغبته أو بدونها، وتضع المسألة على هذا المنوال "هل الذي طُرِد من هذا القسم في الجمعية في حلٍ من إفشاء الأمور الذي تعلمها بعد أداء القَسَم؟" وتجب بما يلي،

"إن استقالته أو طرده من الجمعية نُحله من طاعة معلميه ومن المشاركة العملية في أعمال الجمعية، ولكنها بالتأكيد لا تُحُلُّه من القسم المقدس بالسرية،... وسواءً أكان العضو المذكور رجلاً أم امرأة حتى لو كان قد أقسم بشرفه ناهيك عن 'ذاته الأعلى' فالرب في باطنه يلزمه حتى الموت، وقد يترك قَسَمًا من الجمعية فيفكر في إلحاق الأذى بكيان يدين له بالقَسَم"⁹

ونهى مدام بلافاتسكي المسألة باقتباس من المجلة الثيوزوفية حيث تذكر مرة أخرى انتقام 'الكارما'،

"إن القَسَم لا رجعة فيه سواءً أكان على مستوى العالم الأخلاقي أم العالم الغيبي، فإننا لا نخالف قانون الكارما وإلا وقعنا تحت طائلته"¹⁰.

وكما نرى من هذه الفقرات أن قَسَم الصمت في 'قَسَم الجوانية' يزدوج بحيث يصبح كذلك قَسَمًا بطاعة 'معلمي' الثيوزوفية، ولا بد لذلك من الذهاب بعيداً حيث إن هناك أعضاء حينما طُلب منهم دفع شطر كبير من ثروتهم لصالح الجمعية قد فعلوا ذلك بلا تردد، ولا زال القسم الذي نتحدث عنه سارياً كما لازال القَسَم الجواني قائماً¹¹، وكما أشرنا سلفاً اتخذت اسماً

8 Ibid., p 120.

Ibid., pp 50-51 9

The Psth., New York, Jul. 1889. 10

11 وفي صفحة 151 من آخر مقالات F.K. Gaboriau بعد استقالته نقرأ ما يلي عن قسم الجوانية،
"قبل أن أترك الجمعية الثيوزوفية التي كنت أشعر إن عليها أن تعيد تنظيمها تماماً أو أن تحتفي، وأنا مضطر أن أحذر الذين يسعون إلى 'الأخوة الكلية' سوف يجدون فيها الكراهية والتطلعات

آخر هو 'مدرسة الثيوزوفية الشرقية'، والتي لم يكن مقدرًا لها أن تعيش في أحوال مختلفة، ويبدو أن العضو الذي يطمح في الترقى إلى مرتبة أعلى كان عليه أن يعترف بكتابة بحال 'الكارما' أي تقويم ما فعله من خير وشر إبان وجوده، وتعتقد الجمعية أن هذا طريقًا للتحكم فيهم، وتماً كما ظنت مدام بلافانسكي أنها ستتحكم فيهم بالعلامات التي جعلت منها ملحقاً لسجل 'ظواهرها'، كما أن عادة الانصياع إلى الأوامر الإدارية بلا مناقشة أحياناً ما يتخض عنها نتائج مبهرة حقاً، وهذه عينة نمطية منها، ففي عام 1911 كان من المفروض أن يعقد الكونجرس الثيوزوفى في جنيف، وسافر عدد كبير لحضوره وجاء بعضهم من بلاد نائية، وفي اليوم الذى سبق الاجتماع تم إلغاؤه بدون إبداء أى سبب، وعاد الجميع من حيث أتوا بدون التساؤل عن السبب، وهكذا كان أى استقلال محظور تماماً في هذا الوسط.

.....

الشخصية والفضائح وثرثرة النساء إلى آخره، وتنبثق تلك الرفاهيات من 'القسم الجوانى' الذى يُحشر فيه البسطاء الذين يظنون أنهم سيتعلمون هناك أمراً غير ما يوجد في كتب العلوم ناهيك عن كتاب الطبيعة في كل أين، وهذه الأقسام الجوانية التى أقسم أعضاءها على الخضوع السلبى لسيدهم، مما يثير عدم الفهم والمشاكل، ويسمح لهم باللعب بالعلوم الغيبية بنجاح قليل، ولكن ما يؤسف له هو تلوّث سمعة زميلة على يد عدو خفى ولا تملك الدفاع عن نفسها، وخاصة حينما تعشق نور النهار، وقد قلت ما يكفى عن هذا وآمل أن يقوم المجادون في الجمعية الثيوزوفية باستعادة النظام". *Le Lotus, Mar., 1889 p 711*.

15 سيرة مسز بيسانت

وُلدت آنى وود *Annie Wood* لأسرة أيرلندية بروتستنتية عام 1847، وقد تغذت في شبابها على الأدب الأسراري، وفي سن 15 عاشت في باريس، وقيل أنها صبأت إلى الكاثوليكية رغم عدم احتمالها، وعادت إلى إنجلترا في سن 17، وبعد أربع سنوات تزوجت من فرانك بيسانت القس الأنجليكاني، وأنجبت منه ابناً وابنة، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن رأت استحالة استمرار الحياة الزوجية، وقد كان زوجها مهذباً وصبوراً، وأخيراً تركت المنزل واصطحبت ابنها وابنتها، وقد كان ذلك عام 1872، والأرجح أنها عاشت مع المفكر الحر شارل برادلو *Chares Bradlaug*، والذي كان يقود حملة عنيفة مناهضة للأديان على جريدة *National Reformer*، وجعلها تصبو من الأسرارية إلى أفكاره، إلا أننا لو صدقنا روايتها فكان عليها ألا تعرف هذا الشخص إلا لو كانت تكسب عيشها من العمل في المكتبات، وعلى كلٍ فلم يستطع زوجها أن يدينها بالزنا، وفي الآن ذاته عملت مع د. آفيلينج صهر كارل ماركس، فدرست التشريح والكيمياء، ونجحت بعد ثلاث محاولات في الحصول على شهادة الماجستير في العلوم، وأخيراً تولت تحرير *National Reformer* بتوقيع اسم زائف هو *Ajax*، وكان ذلك عام 1874، ثم بدأت في المحاضرات على نطاق واسع تبشر بالإلحاد والمالتوسية، وتذكر في نظرياتها الغيرية *altruistic* أعظم ثلاثة من المحسنين للإنسانية، وهم المسيح عيسى و بودها و مالتوس.

وفي عام 1876 نُشر كتيب بعنوان *The Fruits of Philosophy* للكاتب نولتون *Knowlton*، وصدر قرارٌ بتحريم نشره باعتباره لا أخلاقياً، وهو بائع كتب في بريستول حُكم عليه بسجن سنتين لبيع الكتيب، في حين حُكم على الناشر بغرامة باهظة، وعلى الفور قام برادلو

ومسز بيسانت بتكليف وكالة تسويق وأعلنوا عن الكتيب الممنوع وباعوه¹، وبلغوا من الصفاقة حد إرسال نسخ منه إلى السلطات، وفي يونيو عام 1877 حُكِمَ عليهما بالسجن بدورهما، وقرر المحلفون "إن الكتاب المذكور يستهدف الحط من الأخلاقيات العامة"، وحيث إن المتهمين قررا الاستمرار في بيع الكتاب رغم كل شيء فقد حُكِمَ عليهما بالأشغال الشاقة والغرامة، وقد انقلب هذا الحكم بعد فترة قصيرة لأسباب إجرائية، ثم أنشأ جمعية باسم 'رابطة المالتوسيين Mathusian League'، والتي أعلنت أن هدفها 'إطلاق مقاومة إيجابية وسلبية لأية محاولة لكبت الحوار العام'، وفي 6 مايو 1878 حُكِمَ بالسجن على بائع كتب آخر بالتهمة ذاتها، وعقدت الرابطة اجتماعاً في قاعة سانت جيمس حيث ألقى برادلو ومسز بيسانت خطاباً ملتهباً²، ولاشك أن الحكم عليها هو ما دفع بابوس إلى الكتابة إلى أولكوت في 23 أغسطس 1890 نوه فيه إلى أن الجمعية الشيوزوفية تأتمن خريجي السجون الذين حُكِمَ عليهم سنوات عدة بتهمة إفساد الأخلاق، وقد احتوى الاتهام على بعض الأخطاء التي سمحت بالحكم عليه باعتباره 'تشهيراً وزيفاً'.

وعن مسألة أبناء مسز بيسانت فيبدو أن الاتفاق بينها وبين زوجها في أول الأمر كان أن تنتقل حضانتها إلى الزوج، وقد رفع القس بيسانت قضية يطالب برفع الحضانة عن زوجته، وبعد سماع القضية تم تحويلها إلى محكمة الاستئناف، وفي 9 إبريل عام 1879 صدقت محكمة الاستئناف على حكم المحكمة الابتدائية، وشهدت مسز بيسانت ابنتها تؤخذ منها، وقد قام الحكم على أساس أنها تعتنق آراءً مفسدة للأخلاق وقد أعلنت عنها وأدانها المحلفون، وفي سبتمبر 1894 قُدر للسيدة بيسانت التي كانت في جولة محاضرات في استراليا أن تلتقي بابنتها

1 وقد قدمت السيدة بيسانت شارل برادلو رغم أنه عسكري ملحد باعتباره 'أول من خطا على هذا الطريق' وتقول في المقال ذاته 'أن قضية كتيب نولتون قد أدت بي في حياتي الحالية إلى عتبة التعميد' حيث إن دوافعي كانت التخفيف من شقاء الطبقة السفلى من المجتمع.

2 وقد اقتبسنا هذه التفاصيل من مقال في جريدة *Journal des Economists*، Aug., 1880 عن دور السيدة بيسانت في الدعاية المالتوسية عن مسألة الجماهير *La Question de la Population* للكاتب بيوليو Paul Leroy-Beaulieu p 299.

مابل *Mabel* في ملبورن، والتي كانت حينذاك *Mrs Scott*³، والتي نجحت في اجتذابها إلى
التيوزوفية، ولكنها انشقت عليها عام 1910 أو الذي يليه وصبأت إلى الكاثوليكية.

وقد انعقد في سبتمبر 1880 مؤتمر المفكرون الأحرار في بروكسل، حيث أعلنت
مسز بيسانت أن أهداف حزبها في إنجلترا تشتمل على ترويج الإلحاد وإرساء النظم
الجمهورية والدفن المدني بلا قساوسة وإلغاء مجلس اللوردات ونظم تملك الأراضي
التي لازالت فعالة⁴، وكانت هي التي ألقت الخطاب الختامي الذي هاجمت فيه الأديان
بعنف بالغ أشرنا إليه في مفتح هذا الباب، وفي إبان الفترة ذاتها نشرت عديداً من
أعمالها منها 'دليل المفكرين الأحرار' و'المسيحية وبراهينها وأصولها وأخلاقياتها وتاريخها'
في مجلدين، وبعض المقالات المتفرقة بعنوانين تعبر عن ميولها وآرائها في ذلك الحين⁵،
وفي نوفمبر 1884 أوصت محفل 'المشرق الأعظم في فرنسا'⁶ بقبول برادلو لعضويتها،
لكن الأمور تغيرت بسرعة، فقد أصبح برادلو عضواً في البرلمان ولم يفكر إلا في كيفية
التخلص من بيسانت، ونشأ بينهما خلاف أدى إلى إزاحتها من إدارة جريدته، وقد
كان نكراً جسيماً لمن سماها يوماً "صديق في زمن ردي" كما قالت، وقد صدمها ذلك
وأدهشها واهتز اقتناعها به، وهو ما يبين أن العلاقة بينهما كانت أشد عاطفية منها
فكرية، وقد فسرت ذلك فيما بعد تفسيراً عجيباً لتلك العادات القديمة السيئة، وادّعت
أنها تتلقى رسائل من 'المهمات' من آن إلى آخر حينما كانت زوجة القس بيسانت،
وقد أجبروها على هجره حتى 'تعيش حياتها'، وهو عذر بالغ البساطة، كما أنه تبرير
لأسوأ الانحرافات الممكنة.

3 *Lotus Blue Dec. 27, 1894.*

4 *Le Francais, Sep. 14, 1880.*

5 وهي 'عالم بلا رب' و'إنجيل الإلحاد' و'لماذا كنت اشتراكية' و'الإلحاد وأسس الأخلاقية'،
إلى آخرها.

6 وقد طلب برادلو بالفعل في 15 مايو 1882 العضوية في محفل 'الصدقة المثابرة' *Lodge of*
Persevering Friendship، ولكن طلبه قوبل بالرفض، ولكنه قبل في المحفل ذاته في 14
نوفمبر 1884.

وقد قرأت مسز بيسانت مقالاً كتبه سينيت في مجلة *Occult World* في لحظات يأسها التي لم تعرف فيها إلى أين تتجه، ومن ثم بدأت في دراسة الأرواحية على بوروز *Herbert Borrows* والتدرب على الظواهر النفسية بناءً على نصيحة ستيد *W.T. Stead* الذي كان مديراً لمجلة *Pall Mall Gazette* والتي أسهمت فيها بعدة مقالات، وبدأت في قراءة 'المذهب السرى'، وفي الآن ذاته قطعت أواصرها مع المفكرين الأحرار، ومن ثم عادت إلى المبالغة في قراءة الأسرارية كما كان شأنها في شبابها، وبدأت في رؤى تحت تأثير الإيحاء الذاتي *auto-suggestions*، وهكذا كانت على استعداد لمقابلة مدام بلافاتسكى، والتي قامت قوتها المغناطيسية بالباقي كما أشرنا سلفاً، كما ذكرنا أنها قالت إنها لم تستغرق وقتاً طويلاً في الوصول إلى مرتبة الأعضاء الحاكمين للقسم البريطاني، ثم القسم الأوروبي المستقل الذي أنشئ عام 1890 تحت إشراف دام بلافاتسكى بالمشاركة مع مييد *G.R.S. Mead* سكرتيراً عاماً.

16 رئاسة مسز بيسانت

وبعد وفاة مدام بلافاتسكى مباشرة قام حوار عنيف بين أولكوت وچادج و مسز بيسانت، وادعى ثلاثتهم أنهم على اتصال مباشر بالمهاجمات، واتهم كل منهم الآخرين بالاحتيال، كما أن كلاً منهم حاول استغلال التنافس بين الأقسام الثلاثة لصالحه، وهي الأقسام الآسيوية والأمريكية والأوروبية التي رأس أحدهم كلاً منها، وقد ماتت مدام بلافاتسكى في 8 مايو 1891، وفي 19 مايو نُشر في لندن بيان بعد الاحتجاج على 'الفضائح' التي ارتبطت بذكرى مؤسستها، ونقرأ ما يلي،

"مع احترامنا لكل من اعتقد بالفكرة الغريبة في أن موت مدام بلافاتسكى يجوز أن يشعل خلافات 'على موضعها الذى أصبح شاغراً، فاسمحوا لنا بقول إن مؤسسة الجمعية الثيوزوفية لن تُجرى أية تعديلات ترتبت على وفاتها، فقد كانت هي مؤسسة الجمعية الثيوزوفية مع الكولونيل ألكوت، رئيس مجلس إدارة الجمعية، وچادج *William Q. Judge*، وهو محامٍ مرموق في نيويورك ونائب رئيس مجلس إدارة الجمعية الثيوزوفية، ورأس الحركة الثيوزوفية في أميركا، وهو منصب لم يُغتصب بانقلاب *coup d'etat* أو بأى شكل آخر، وكانت مدام بلافاتسكى إضافة إلى واجباتها الأخرى سكرتيرة المراسلات بالجمعية، وهو منصب شرفي تماماً، كما أنه ليس مُلزمًا، وقد تكفلت به عملياً إبان الشهور الستة الأولى نظراً لمعدل نمو الجمعية بتفويض من الكولونيل أولكوت لرئيس منطقة أوروبا بهدف تسهيل الإدارة الكفئة لشؤونها، وقد خلى هذا المنصب بموتها، فقد كانت أهميتها كأمينة في معرفتها وقوتها وحزمها وولائها، وليس في المنصب الذى تشغله، وهكذا سيبقى تنظيمنا الخارجى على ما هو عليه، وقد كانت وظيفة مدام بلافاتسكى الأساسية هي التعليم، فأياً كان من سيخلفها لا بد أن يعرفها.

وقد حمل البيان توقعات قادة القسم الأوروبى بمن فيهم آنى بيسانت و سى. كارتر بليك و هربرت بوروز و لورا م. كوبر و آرشيبالد كيبتيلى و ج.رس. مييد، وكذلك توقعات و.ر. أولد سكرتير القسم الانجليزى و الكونتيسة فاتشمايستر و دكتور و. وين ويستكوت الذى

سيخلف د. روبرت وودمان في العام التالي في مرتبة 'الساحر الأعظم Supreme Magus' في المحفل الاسكتلندي للصليب الوردى في إنجلترا.

ولم يكن إنكار الإشاعات التي بدأت تنتشر مطابقاً للواقع، وقد أصبح ذلك ملحوظاً في حالة استقالة أولكوت من رئاسة مجلس الإدارة التي تركها إلى چادچ، واعتذر لأسباب صحية، وطلب بتواضع شديد من زملائه "لا باعتباره شخصاً جديراً بهذا الشرف بل كضال كان على الأغلب مخطئاً، لكنه كان دائماً ينهض ليساعد إخوانه في الإنسانية"، وقد نُشر هذا الخطاب في أول فبراير التالي، وأضاف أولكوت إليه ملحوظة تتعلق بقلقه على التعامل مع المرشّحين المتنافسين،

"لقد برهنت زيارتي لأوروبا وأميركا على أن الحال الراهن للحركة يبعث على الرضى، كما أنني لاحظت في عودتي إلى الهند أقسام جديدة في أيدي أمينة وعلى أساس سليم، وفي أوروبا دخلت مسز آنى بيسانت إلى الصف الأول بخطوة واحدة، فقد كانت نزاهتها وسلوكها وإنكارها لذاتها وحماسها وقدراتها الفائقة قد جعلتها تتقدم على كل زملائها، وقد حرّكت مشاعر من يتكلمون الانجليزية، وأنا أعرفها شخصياً وأعلم أنها في الهند سوف تؤاخي الآسيويين كما كانت تفعل مدام بلافاتسكى،... وقد توسعت الجمعية في أميركا في رعاية چادچ الى طول وعرض الأرض، والتنظيم الذي ينمو ويستقر يوماً عن يوم، وهكذا كانت الأقسام الثلاثة للجمعية الثيوزوفية في أيدٍ أمينة، ولم تعد توجيهاتي لها ضرورة".

ثم إنه يعلن عن نواياه،

"إننى أنوى الاستيداع في بيتي الصغير في أوتكاموند حيث أتعيش على قلبي، وعلى شطر من دخلى من مجلة *the Thiosophist*، وأنوى أن أعمل على استكمال تاريخ الجمعية وبعض الكتب عن الدين والغيبية والعلوم النفسية،...وسأكون مستعداً على الدوام لمعاونة من يخلفني، وأضع توصياتي بخبرة أربعين عاماً، وسبعة عشر عاماً من رئاسة مجلس الإدارة في متناول اللجنة".

ولم يسمَّ أولكوت من يخلفه حيث لا بد أن يُنتخب الرئيس الجديد، وبينما كان لازال في وظيفته أصدر قراراً باعتبار الثامن من مايو ذكرى وفاة مدام بلافاتسكى باسم "عيد اللوتس الأبيض *White Lotus Day*"، وأن تحتفل به كافة فروع الجمعية في العالم،

"باحتراف بسيط وقور واجتناب الطائفية وكل 'المديح الفارغ'، ليعبر عن امتناننا ومحبتنا للتي أمدتنا بخارطة الطريق المنهك نحو قمة العلوم".

وقد حكينا عاليه عن حدث يصور كيف يراعى الشيوزوفيون وصية "اجتناب كل المديح الفارغ"!

وقد انعقد مؤتمر القسم الأميركي في شيكاغو في 24 و 25 إبريل عام 1892 ، وكان الميل العام يتجه إلى رفض استقالة كولونيل أولكوت ومطالبته بالاستمرار في وظيفته، وعبروا عن رغبتهم في أن يتولى چادچ منصب رئيس مجلس الإدارة طوال عمره بمجرد أن يخلو من شاغله، وبعد برهة قصيرة أعلن "أنه نزولاً على رغبة أصدقائه والمؤتمر الأميركي وضرورة إتمام أمور قانونية قرر كولونيل أولكوت أن يؤجل استقالته إلى أجل غير مسمى، كذا¹، وفي 21 أغسطس سحب استقالته واختار من بعده چادچ خلفاً له.

وبعد فترة قصيرة توالى أحداث مؤسفة، وخاصة انتحار المدير التنفيذي في آديار جوبالاشارلو *S.E. Gobalacharlu*، وجرى تصالح بين الكوت ومسز بيسانت، وفي يناير 1894 قامت مسز بيسانت بجولة مع الكوتيسة فاتشمايستر في الهند، وصاحبهما الكوت أينما ذهبتا، وفي مارس سافرت مسز بيسانت إلى أوروبا، وأوكل إليها أولكوت إدارة 'القسم الجواني' باستثناء الشطر الأميركي الذي يديره جادج، وفي نوفمبر من العام نفسه حاول چادچ إزاحة مسز بيسانت من منصبها، ولكن لم يؤيده سوى عدد بسيط من القسم الأميركي، ومن ثم اتهمه أتباع مسز بيسانت بالتحايل أكثر من ذي قبل، ونشرت صحيفة القسم الفرنسى مقالاً للكاتبين كورمىز *D.A. Courmes*² ما يلي،

Lotus Blue, Jun. 27, 1892. 1

وكان كورمىز *Commander D.A. Coumes* الذى تولى تحرير مجلة 'Lotus Blue' أرواحياً سابقاً، 2

"لقد أدين أحد الشخصيات الرئيسية للحركة الثيوزوفية هو جادج *W.Q. Judge* سواء أكان صدقا أم افتراءا بتلقى رسائل مباشرة من 'أستاذ' ربما كان لها تأثير عقلي، ولكنها مكتوبة بخط جادج وحده،... وكان من شأن عدم انحياز الجمعية الثيوزوفية وطبيعة الرسائل المزعومة 'الترسيب' أن ثنى جادج عن تفسير رأيه حيال الأحداث التي جلبت له التأييد، كما أن البلاهة ابنة النقص البشري، فزاد الطين بله،... فهل يجوز قول إن الثيوزوفيين المتحدثين بالانجليزية قد انقسموا إلى فريقين مع جادج وضده³.

وبعد ربح من الزمن نشرت مجلة *the Path* تحذيراً للثيوزوفيين من "الأفاقين سيئى النوايا الذين يرسلون رسائل غيبية إلى من يظنونه ساذجا"⁴، ولم يكن هناك ما شوهد من رسائل 'المعلمين' المزعومة حتى في إبان حياة مدام بلافاتسكى، وأخيراً انشق مؤيدوا جادج على جمعية آديار وشكلوا منظومة مستقلة باسم 'الجمعية الثيوزوفية الأمريكية'، ولا زالت قائمة حتى أيامنا وقد رأس مجلس إدارتها هارجروف *Ernest T, Hargrove* ثم تينجلي *Cathrine Tingly*، والتي نقلت الإدارة من نيويورك إلى بوينت لاما في كاليفورنيا⁵، ولها فروع في السويد و هولندا. أما عن الاتهام الموجه إلى جادج فإن البيان التالى نُشر بعد فترة وجيزة بعد الانفصال الذى سببه مقال د. باسكال في مجلة *Lotus Blue*،

"بمجرد وفاة مدام بلافاتسكى وصل إلى جادج كثير من الرسائل التي زعموا أنها 'مترسبة precipitated' بوسائل غيبية عن معلم هندوسى، وعليها طبعة تحمل بصمة خاتم المعلم المزعوم، والذي صنعه أولكوت في دلهى بالبنجاب⁶، وسهل اكتشافه خطأً في الحفر باستبدال حرف

.....

ونشر في أوائل عام 1878 مقالا في *Revue Spirite* والتي ربما كانت أول من نشر عن مسألة الثيوزوفية في فرنسا.

Lotus Blue, Dec. 27, 1894. 3

Cited in the Lotus Blue, March 27, 1895. 4

وقد كانت تسمية 'الأخوة الكلية *Universal Brotherhood*' في الأصل اسما آخر للجمعية الثيوزوفية، والذي استعادته مسز تينجلي في تسمية منظمها هو '*Universal Brotherhood of the Theosophical Society of America*'، والتي انتقلت إلى بوينت لوما عام 1900.

وسيكون من المثير أن نعلم تلك النوايا. 6

M بحرف W⁷، وقد أعطى أولكوت هذا الخاتم الزائف لمدام بلافاتسكى في حياتها إلا أنه اختفى بعد موتها... ولاحظ أولكوت فور اطلاعه على بصمة الخاتم على رسائل چادچ أنه الخاتم الذى حفره فى البونجاب، وقد اختفى بعد وفاتها، وكان يأمل أن من سرقه لن يستخدمه فى خداع إخوانه، لكنه على كل حال يستطيع التعرف عليه ولو من بين آلاف الأختام، ومنذ ذلك الحين لم تعد رسائل چادچ تحمل بصمة الخاتم، كما أنها أزيلت من الرسائل التى كانت تحملها⁸.

ولابد من إضافة أن أوبرمان *Oppeman* الثيوزوفى البلجيكى الذى كان يوالى چادچ أرسل ردًا على هذا المقال بعد الإعلان عنه، ومن ثم رفضت إدارة مجلة *Lotus Blue* طباعته بحجة أن 'المسألة قد تم حسمها' فى مؤتمر لندن فى شهر يوليو⁹، وفى هذا المؤتمر سجل أولكوت محضر 'الجلسة' ببساطه وحذف منه أسماء الأميركيين الذين رفضوا اتباع چادچ، ثم أنشأ قسمًا أميريكياً جديداً يتولى فيه فولرتون *A. Fullerton* السكرتارية العامة، و د. سينيت نائباً لرئيس مجلس الإدارة، ليحل محل چادچ، وضاع الاحتجاج لصالح چادچ سدى، وترك بعض أعضاء القسم الأوروبى رسمياً لتكوين جمعية جديدة باسم 'الجمعية الثيوزوفية الأوربية' تحت رئاسة چادچ الشرفية، وكان منهم د. كيبلى *Dr. Archibald Keightly* فى حين بقى أخاه بيرتران سكرتيراً عاماً للقسم الهندى، و د. هارتمان *Dr, Franz Hartman*، والذين انضموا إلى المنشقين.

وقد جرت الأحداث التى ذكرناها بما يمكن توقعه، ولم تُقَصِّرْ فى التخلل إلى الخارج بمجرد حدوثها، فتسرَّبت أول الأمر إلى الدوائر الثيوزوفية أن أخبار الشائعات فى صحافة لندن دعاية مدهشة للجمعية.

7 وهى الحروف الأولى من اسم *Morya*، ولكن لماذا يحتوى ختم 'معلم هندوسى' على حروف لاتينية؟

8 *Lotus Blue, Jun. 27, 1895.*

9 *Ibid., Sep. 27, '895.*

"وتردد في صحف سبتمبر 1891 كثيرٌ من الصخب حول الخطابات التي تلقتها مسز بيسانت من 'المهاتمات' بعد وفاة مدام بلافاتسكي، وفتحت جريدة *Daily Chronicle* أبوابها للجدل، وانتهز إخواننا فرصة هذه الدعاية للدفع بمذاهبنا، واحتلت الرسائل التي تؤيد الثيوزوفية والتي تناهضها قرابة ستة أعمدة يومية، ناهيك عن القساوسة وأعضاء جمعية البحوث النفسية"¹⁰.

ولكن الأمور في الشهر التالي اتخذت منحىً آخر في الحكم الجسم الذي أصدرته الجريدة ذاتها،

"إن الثيوزوفيين مخدوعون، وسوف يكتشف كثير منهم هذه الحقيقة، ونخشى أنهم قد فتحوا أبواب كرنفال حقيقي للخديعة والاحتيال"¹¹.

ولاذَ المُشار إليهم بالصمت حيال هذه 'الدعاية المدهشة'، خاصة وأن مجلة *Westminster Gazette* بدأت في نشر مقالات جيدة التوثيق بتوقيع جاريت *F. Edmond Garret* أورد فيها سلسلة كاملة طُبعت فيما بعد في كتاب بعنوان 'كشف إيزيس تماماً' *Isis very much Unveiled*، زد على ذلك أن 'قارئ أفكار' شهير هو كمبرلاند *Stuart Cumberland* طرح 1000 جنيه سترليني جائزة لكل من استطاع عرض ظاهرة واحدة تُعزى إلى 'المهاتمات' في حضوره، وبالطبع لم يتقدم أحد للرد على هذا التحدي، وفي 1893 في لندن قال ناجاركار عضو براهما ساماج "إن الثيوزوفية في الهند ليست إلا غُشاء دنيء"، ورد على مناوئيه كما يلي، "إنني لن أقترض أنكم الذين لا تكادو تعلمون أمراً عن وطنكم سوف تعلقوني شيئاً عن وطني ومعرفتي، فالمهاتمات المزعومين عندكم لا وجود لهم أصلاً ولا تعدو مزاحاً من مدام بلافاتسكي، والتي أرادت أن تعرف كم مغفلاً سوف يصدقها، ويعنى اتخاذ هذه المزحة كحقيقة أن يجعل المرء نفسه شريكاً في الباطل"¹².

Lotus Blue, Sep. 27, 1891. 10

Daily Chronicle, Oct. 1, 1891. 11

The Echo, London, Jul. 4, 1893. 12

وأخيراً كتب بوروز *Herbert Borrow* الذي قدم مسز بيسانت إلى الجمعية الثيوزوفية خطاباً إلى ستييد *W.E. Stead* محرر مجلة *Borderland*،

"لقد دفعني الكشف الأخير للتحايل الذي قسم الجمعية إلى اكتشاف برهان قاطع على أن الخديعة قد سيطرت على الجمعية طوال سنوات،... فإن كولونيل أولكوت رئيس مجلس الإدارة و سينيت نائب رئيسها يعتقدان أن بلافاتسكي لم تكن أمينة بالكامل، ونضيف إلى اتهام مسز بيسانت لجادج اتهاماً آخر لأولكوت رئيس مجلس الإدارة ونائبه سينيت بالتحايل،... وبعد كل ذلك لن أسبغ اعترافى ولن أقدم عونى لمؤسسة تجرى فيها تلك الأمور المشبوهة وغيرها مما جرى سلفاً، ورغم أننا لا ننكر فكرة الثيوزوفية الرئيسية فإننى أستقيل من الجمعية بموجب انعدام الأمانة وغياب الحق، وبابها المفتوح أبداً للخرافات والخديعة والاحتيال".

وفى ديسمبر 1895 قيل فى مجلة *English Theosophist* المنشقة،

"وقد قال سينيت نفسه إن جادج قد تعلم تلك الحيل من مدام بلافاتسكي،... وتعلم مسز بيسانت أن أولكوت و سينيت يعتقدان أن بلافاتسكي لم تكن أمينة، ولكنها ليست بالشجاعة ولا الأمانة الكافية لتقولها".

ويمكن أن نرى كيف تولت مسز بيسانت فى هذه الظروف إدارة الجمعية الثيوزوفية، والواقع أنها مارست سلطتها بلا معارضة منذ عام 1895، والتي لم يتخلى عنها أولكوت رسمياً لصالحها إلا بعد فترة طويلة، كما يبدو أنه استقال دون أن يتخلى عن لقب *President* حتى بعد أن صار لقباً شرفياً، ومات فى 17 فبراير 1807¹³ بعد أن قطع شوطاً فى الكتابة بطريقته تاريخ الجمعية الثيوزوفية الذى نُشر بعنوان *Old Diary Leaves*، ولكن مزاجه كان عكراً بشكل واضح على تخيته، وتبدو بعض عباراته مخاتلة حتى إن شركة النشر الثيوزوفية ترددت فى نشره فترة من الزمن.

13 وقد أقيم بناءً على اقتراح مدام دى مانزيارى يوم للذكرى باسم 'عيد آديار *Adyar Day*' فى فبراير عام 1922، وقد كان هذا التاريخ كذلك ذكرى وفاة أولكوت عام 1907 وجيوردانو برونو عام 1600، وهو الذى كانت مسز بيسانت تعتبر نفسها تجسيدا له، كما كان أيضا تاريخ وفاة ليدبيتر عام 1947.

17 في برلمان الأديان

أثناء معرض شيكاغو عام 1893 قامت في هذه المدينة كل أنواع المؤتمرات ومن بينها كان 'برلمان الأديان' *Parliament of Religions* الشهير، والذي أرسل دعوة لكل الأديان والمؤسسات شبه الدينية في العالم لإرسال ممثليها الموثوقين لطرح عقائدهم وآرائهم، وقد كانت هذه الفكرة الأميركية قائمة منذ بضعة أعوام مضت، وكان أكبر دُعائها في فرنسا الأخ شاربونيل *Fr. Victor Charbonnel* الذي كان يرتاد صالون دوقة دي بومار *Dutchess de Pomar*، والذي ترك الكنيسة إلى الماسونية حيث قام ببعض المغامرات الفاشلة، ولو كان كاثوليكيو أوروبا يأنفون من الظهور في هذا المجلس فلم تكن هذه حال الأغلبية العظمى في أميركا، ولكنها تكونت على نحو طبيعي من تسميات بروتستنتية لا تُحصى سارت في ركابها عناصر غريبة، وهكذا كان ذلك 'البرلمان' مناسبة لحضور سوامي فيفيكاندا الذي شوّه تماماً مذهب 'فيدانتا' الهندوسي بدعوى تطويعه للعقلية الغربية، ولو ذكرناه هنا فذلك لأن الثيوزوفيين دائماً ما اعتبروه أحد حلفائهم "من الجيل الأقدم، وأمير بين الرجال"¹⁴، وقد كان الدين الزائف الذي اخترعه فيفيكاندا قد لقي في أميركا بعض النجاح، حيث كان بها عدد من 'الإرساليات' *missions* و'المعابد' *temples* كما تفعل في استراليا، وبالطبع لا علاقة لها بالفيدانتا إلا اسمها، فيستحيل خلط مذهب ميتافيزيقي صرف 'بأخلاقية' عاطفية تخلفت عن التعاليم البروتستنتية باستخدام مصطلحات شبه متخصصة.

وقد ظهرت مسز بيسانت كذلك في 'برلمان الأديان'، لتمثل الجمعية الثيوزوفية، والتي حصلت على يومين كاملين من أيام الانعقاد السبعة عشر لطرح نظرياتها، ولا بد أن المنظمين للبرلمان كانوا منحازين لها، واستفاد الثيوزوفيون بتجنيد عدد كبير من المتحدثين، وظهر چادچ

جنباً إلى جنب مع مسز بيسانت حيث إن الفصل بينهما لم يصبح واقعياً بعد، وكانت تُبدل جهود للتغطية عن الجمهور كل ما يمكن إخفائه من البعد الداخلي للجمعية رغم أن ذلك لا ينجح دائماً كما أوضحنا سلفاً، وقد صاحبها شخصيتان غريبتان حقاً هما تشاكرافارتي ودهارمابالا في رحلتها من إنجلترا إلى أمريكا، واللذان يحسُن أن نقول عنهما كلمات قلائل هنا.

كان جيانيندرا ناث تشاكرافارتي¹⁵ مؤسس وسكرتير عام يوجا ساماج وأستاذ في الرياضة في كلية ألاهآباد، وقد ألقى خطاباً في الجلسة الافتتاحية للبرلمان، ورغم اسمه ووظيفته كان يدعى أنه براهمي *Brahmin*، ولم يكن هندياً أصلاً ولكنه كان هجيناً مغولياً هندياً، وقد حاول في ديسمبر 1892 أن يتواصل مع الأرواحيين الانجليز بادعاء صلوات بين 'يوجا' الهندوسية وبين ظواهر 'الأرواحية'، ولا نرغب في الحكم على ما إذا كان ذلك جهلاً منه أم قلة ضمير، أو ربما كان الاثنان معاً، وعلى كلٍ فمن نافلة القول إن الصلوات المقصودة خيال صرف، لكن ما يثير اهتمامنا ملاحظة التشابه بين هذه المحاولة وبين محاولة مسز بيسانت عام 1898 في 'التحالف الأرواحي *Spiritualist Alliance*' في لندن، وما يُدهش حقاً في هذا التأييد هو أن تشاكرافارتي الذي رغم أنه كان أي شيء إلا 'يوجي حق' كان منوماً مرموقاً، وقد وجد 'خاضعاً' متميزاً في مسز بيسانت ويبدو أن من المعلوم أنه سيطر عليها لزم من طويل¹⁶، وقيل إن هذه الواقعة هي ما أشار إليه بچادچ في خطاب ألقاه في 3 نوفمبر 1894 في 'القسم الجواني' للجمعية الثيوزوفية لطرد مسز بيسانت، واتهما بالتآمر مع 'سحرة سود *Black Magicians*' بلا وعى منها، والذين هم في صراع دائم مع 'السحرة البيض *White Magicians*'، وفي الآن ذاته يتهم تشاكرافارتي بأنه عميل قليل الشأن للسحرة السود، ولا شك أن القصص عن السحرة السود ليس لها أهمية، ويحسُن تذكر ما قلنا سلفاً عن هذا الموضوع، ولكن يبقى صحيحاً أن تشاكرافارتي قد أوحى إلى مسز بيسانت بأعمالها وسلوكها.

15 *Masonic poem entitled 'The Mother Lodge'*.

16 خطاب من توماس جرين عضو 'القسم الجواني' في لندن نُشر في دورية *Light* في 12 أكتوبر 1895، ص 499، ومجلة *The Path* في نيويورك في يونيو 1895 ص 99.

أما 'أناجارىكا' أى 'الدرويش الجوال' دهارمابالا¹⁷ H. Dharmapala فهو بوذى من سيلان، وقد أوفده 'الكاهن الأعظم' إلى 'برلمان الأديان' بلقب 'المبشر العامى *The Lay Missionary*' لتمثيل مذهب ماها بودهى ساماج فى كولومبو¹⁸، وقيل إنه أثناء إقامته فى أميرىكا قد تلقى تدشيناً *officiated* فى الكنيسة الكاثوليكية، ولكننا نعتقد أن هذه شائعة، وخاصة أنه أعلن عن نفسه أنه 'شخص عامى'، وربما ألقى كلمة فى البرلمان، ولا ينبغى لمن يعرفون الطرق الأمريكية أن يندهشوا، وأياً كان الأمر فقد أمضى عدة سنوات يرتحل فى أميرىكا وأوروبا ليلقى محاضرات فى البوذية فى أماكن شتى، وكان فى باريس عام 1897، وتحدث فى متحف جيومي *Guimet* واشترك مؤتمر المستشرقين، وكانت آخر أخبار هذا الشخص التى نعلها أنه كتب خطاباً من كلكتا فى 13 أكتوبر 1910 إلى رئيس جمعية أميرىكية سرية تسمى 'محفَل النور *Order of Light*'، كما تسمى نفسها 'المدرسة العظمى'، والتى

17 والاصطلاح الأول سنسكريتى والثانى بالى *Pali*.

18 وماها بودهى ساماج مذشغلة بمعاملات فريدة، ويمكن الرجوع فى ذلك إلى مقال نشرته ألكسندرا ديفيد بعنوان 'التفكير الحر فى الهند وحركة البوذية المعاصرة' فى مجلة *Documents du Progres* عدد يناير فبراير 1914 حيث نقرأ ما يلى،

"إن لجمعية ماها بودهى مركزين للقيادة أحدهما فى كولومبو فى جزيرة سيلان والآخر فى كلكتا قرب مدينة بنارس، وفى الموقع الذى كان بودها فى أول أمره يلتقى فيه بتلاميذه، وكذلك عدة فروع فى مناطق الهند، وقد أوفدنى فى أغسطس عام 1910 لتمثيله فى مؤتمر المفكرين الأحرار فى بروكسل، وأرسل لى دهارمابالا السكرتير العام تقريراً لإلقائه فى المؤتمر."

وها هنا مقتبسات نمطية من هذا التقرير،

"لقد كنا على قناعة بأن التقدم الهائل الذى أحرزه العلم الغربى سوف يسمح بتحرير الشطر الأعظم من الجماهير فى كل البلاد من الشعائرية والخرافات التى وضعها رجال دين مستبدين،...وقد كان بودها أول من دعى إلى علم تحرير الإنسان، وهذه ذكرى أول مواعظه منذ 2499عاما، والذين يتبعون مذهبنا سعداء برؤية التقدم العلمى فى الغرب الذى يعمل على المبادئ ذاتها لتحرير التعليم للجنس البشرى كافة دون تمييز جنس أو لون."

وقد قالت ألكسندرا ديفيد نييل الثيوزوفية الشهيرة فى المقال ذاته

"إن بودها لا بد أن يُعتبر أباً للفكر الحر!" وهى التى كتبت كتاباً بعنوان 'الحداثة البوذية'، التى نشرت اكتشافاتها فى التبت عام 1927 فى كتاب بعنوان 'رحلتى إلى لاهاسا، الرواية الشخصية لرحالة باريسية'، وهى المرأة الوحيدة التى نجحت فى دخول المدينة المقدسة.

تُعبئ مريديها من المراتب العليا للماسونية، ومن أنشط أعضائها الثيوزوفي المعروف د. باك Dr J.D. Buck، وهو في الآن ذاته من وجهاء الماسونية الاسكتلندية، وكان أحد المتحدثين في 'برلمان الأديان'، وكانت مدام بلافانسكي تجلّه بشكل خاص، وأطلقت عليه اسم الفيلاليثي العظيم *The Great Philalithian*¹⁹، وقرأت فقرة من محاضرته للجمعية الثيوزوفية عام 1889 في مؤتمر الجمعية الثيوزوفية في شيكاغو، وقالت عنه "ليس من ثيوزوفي استطاع أن يفهم جوهر الثيوزوفية ويعبر عنه أكثر من صديقنا د. باك"²⁰، ولا بد من قول إن 'مُحفل النور' يتسم بعداء شديد للكاثوليكية، فينئى دهارمابالا الماسون الأمريكيين "لجهودهم في حماية الناس من العبودية البابوية الشيطانية"، كذا، ويأمل لهم النجاح في صراعهم وأضاف "يبدو أن الرغبة الوحيدة عند الكهنوت في كافة البلاد هي استعباد الناس والمحافظة على جهلهم"، ونعجب ما إذا كانت هذه اللغة قد حظيت بموافقة 'الكاهن الأعظم للكنيسة البوذية الجنوبية'، والذي يدعى أنه رأس 'الكهنوت' رغم عدم وجود كهنوت في مفهوم المنظومة البوذية.

ويبدو أن الثيوزوفيين كانوا راضون عن هذه الفرصة للإعلان والدعاية في شيكاغو، حتى إنهم ذهبوا إلى ادعاء أن البرلمان الحقيقي للأديان كان في الواقع 'مؤتمراً ثيوزوفياً'²¹، وجرَّهم جماعات الأرواحيون الجدد الذين تحدثوا عن إعداد مؤتمر آخر من النوع نفسه ليُعقد في باريس عام 1900، كما ظهرت فكرة للمهندس فيت من ليون الذي يطمح إلى إطلاق تسمية 'مؤتمر الإنسانية' بدلاً من 'مؤتمر الأديان' ولو جمعنا كل الأديان والأرواحيين والإنسانياتيين والباحثين والمفكرين من كل الأنواع لوضعنا نصب أعيننا غاية مشتركة هي تقدم الإنسانية والإيمان بالمثاليات التي تحقَّقه²².

19 *The Key to Theosophy*, p 6.

20 *Ibid.*, p 16.

21 *Lotus Blue*, Oct., 1893.

22 *La Paix Universalle*, Sep.15, 1894.

وكل أديان العالم وحتى كل مذاهبه أيًا كانت سوف "يُدعون إلى التوحد والتعاطف مع المبدأ المشترك الذي يضمن سلامة الإنسانية وبناء مستقبل للسلام على الأرض"²³، وقد تلاحم الثيوزوفيون والأرواحيون والغيبيون بمدارسهم المتنوعة في هذا المشروع الذي دفع إلى تصالح الإخوة الأعداء كمقدمة 'لائحاد تعاطفي' *sympathetic union* الذي كان يحلم به، وكتب قائلاً،

"صدرت أعداد مايو 1896 من مجلتي *Lotus Blue* و *Initiation* وهما لسان الثيوزوفية الفرنسية والمارتينيزية على الترتيب، وتكرر بدفء وتصميم دعمها لفكرة 'مؤتمر الإنسانية' وضرورة تعاون هاتان الحركتان الروحيتان، واللذان تشعا بالنور على الأرض بكاملها وتكفي لإمداد المؤتمر بكامله بحيوية جبارة"²⁴ لكن ذلك لم يكف، والأرجح أن ينقلب إلى وهم جسيم، فالأرواحيون الجدد الذين كان بينهم في الماضي مشاحنات شتى لا يملكون ادعاء أنهم يمثلون مؤتمر الإنسانية برمتها، كما أن مشاحناتهم سوف تستمر على حالها في الماضي، ولم ينعقد المؤتمر عام 1900، أما عن فيتي *Vitte* فنلاحظ فيه سمة غريبة أخرى، فبعد أن قال له سانت إيف دالفيدر "إن الروح الكلتية تعيش اليوم في الهند" اشتاق إلى أن يسافر إليها، ومن ثم ارتحل إليها في سبتمبر عام 1895، وبجرد وصوله شعر برعب لم يدر له سببا، فأسرع بالعودة إلى فرنسا بعد أن أمضى في رحلته فترة تقل عن ثلاثة أشهر، فقد كان على الأقل روحاً صادقة، ولكن هذه الحقيقة البسيطة تفسر عدم اتزانه، لكن الغيبون لم يأسوا من انهيار 'مؤتمر الإنسانية' وانتظروا اللحظة المناسبة، فأنشأوا مكتباً دائماً لعقد لقاءات طارئة في غُرف خالية حيث يستغرقون في تدبير بيانات سلامية إنسانية غامضة، كما أن الحركة النسائية كان لها موضع فيه، والتي كان جونييه *Albert Jounet* و هيرسين *Julian Hersent* آخر رئيسان لها، والأخير هو الذي رشحه أصدقاءه لرئاسة 'الولايات المتحدة العالمية' حينما تشكل في المستقبل، وبدأ عام 1913 في إجراءات الترشيح لرئاسة جمهورية فرنسا، والحق إن هؤلاء الناس لا شعور عندهم بمهية العبث!

Ibid., Nov. 30, 1894. 23

La Paix Universelle, Jun, 30 1896. 24

ولكن كان لبرلمان الأديان في شيكاغو فصل جديد في باريس، ولكنه لم يحدث إلا في عام 1923 باسم 'مؤتمر التقدم الديني *Congress of Religious Progress*'، وكان رئيسه بوترو *Boutroux* الذي كانت نظرياته الفلسفية على علاقة بميول الأرواحية الجديدة رغم أنها كانت ملحوظة بدرجة أقل من فلسفة بيرجسون، وقد كان ذلك المؤتمر بروتستانتي بالكامل، وخاصة البروتستانت الليبراليين، كما أن النفوذ الألماني كان مسيطراً على التيار الأنجلو ساكسوني، وهكذا لم يُدعَ أحد من الشيوزوفيون الموالون لمسز بيسانت، في حين أن شورى *Edouard Schure* كان ممثلاً لمنظمة شتاينر المنشقة، والتي سنتاؤها فيما يلي²⁵.

25 ولا بد من ذكر حضور جاياتيلاكا *Jayatilaka* D.B. في 'مؤتمر التقدم الديني' في باريس، وهو رئيس مجلس إدارة رابطة الشباب البوذي في كولومبو، والذي شارك في 'مؤتمر المسيحيون الأحرار' في برلين في أغسطس عام 1910، حيث ألقى بيانا قال فيه "إن بوذا من بين مؤسسي الأديان جميعا هو الذي وضع أول ميثاق عن حرية الضمير"، ويبدو أن البوذيين المحدثين مصرون على أن يحتسبوا في طغمة 'المفكرين الأحرار'.

18 الجوانب المسيحية

وقد حان الأوان للنظر في السمة الغالبة على الاتجاه الجديد للجمعية الثيوزوفية تحت إدارة مسز آني بيسانت التي لم يتوقعها أسلافها، ألا وهي "الجوانب المسيحية"¹، ولكن كان يجب قول إن التيار المسيحي أو ما يُفترض أن يكون كذلك رغم عدم تقابسه مع فكرة مدام بلافانسكي التي سبقت الفترة المقصودة بعناصر ثانوية، والتي لا تمثل بالطبع المذهب الرسمي للثيوزوفية، فقد بدأ الأمر بمذهب 'الصليب الوردى' *Rosincrucianism* للدكتور هارتمان *Dr Franz Hartman* الذي ذكرناه عليه، فأى عضو في الصليب الوردى أياً كان نصيبه من الانحراف لازال ينتمى إلى الصليب الوردى ولازال يعمل بالرمزية المسيحية، ولكن لا ننسى أن هارتمان قال في أحد كتبه إن المسيح 'معمد' *initiate*، وهو رأى يشارك فيه إدموند شوري²، وهو صاحب مذهب الجوانب الهلينية المسيحية المزعوم، وشخصه موضع شك لو كان علينا الحكم عليه بعنوانه، والذي لا بد يؤدي 'من الفنقس *Sphinx* إلى المسيح' ثم من 'المسيح إلى الشيطان *Lcifer*'³، وثانياً سوف نتناول أعمالاً مماثلة للسكرتير العام للقسم الأوروبي مييد *G.R.S Mead* وكتابه 'الأسرار المسيحية *Christian mysteries*'، وسوف نرى فيما يلي أن استعادة هذه الأسرار كانت أحد الأهداف المعلنة للثيوزوفيين المعاصرين، ناهيك عن دراسات 'غير المعمدين' من المتخصصين، كما أن مييد ترجم متوناً سنسكريتية على نحو شديد الجفاف إن لم نقل أكثر من ذلك، وكان منها الأوبانيشادات، حيث نجد أمثلة نمطية للطريقة

1 والواقع أنها عنوان لأحد كتب مسز بيسانت *Esoteric Christianity*.

2 See his book *The Great Initiates*.

3 ويبدو في النطاق الأدبي أن أعمال إدموند شوري إضافة إلى أعمال مايتزلينك هي التي أسهمت في تضليل أتباع الثيوزوفية.

التي 'يرتبون' بها تفاسيرهم الخاصة⁴، وأخيراً كان هناك جَوَانِيَّةٌ مسيحية بالمعنى الصحيح في
التيوزوفية في كتابين متقاربين للدكتورة أنا كينجزفورد *Anna Kingsford* وإدوارد ميتلاند
Edward Maitland والثاني كتاب الدوقة دي بومار *Duchess of Pomar*.

وقد ظهر أول هاتين النظريتين في كتاب بعنوان 'الطريق الحق *The Perfect Way*' الذي
ظهر عام 1882⁵، وقد ظل اسم الكاتبتين سراً "حتى يجرى الحكم بناءً على استحقاق الكتاب
ذاته فحسب وليس من شخصيهما"⁶، لكن الاسمان ظهرا في الطبقات التالية⁷، ونضيف أن
الترجمة الفرنسية نُشرت على نفقة الدوقة دي بومار، والتي كتب شورى مقدمة عنها⁸، وأهدى
كونت ماجريجور مائرز *Count MacGregor Mathers* كتابه 'كشف القبالة *Kabbalah Unveiled*
إلى كاتبا 'الطريق الحق'، وقال "إن هذا الكتاب أعمق ما كُتب من الأعمال الغيبية
في القرون الأخيرة الماضية"، وفي الوقت الذي ظهر فيه 'الطريق الحق' كانت أنا كينجزفورد
وإدوارد ميتلاند أعضاء في الجمعية التيوزوفية، وقد انسحبا منها بعد فترة قصيرة، وفي الوقت
الذي تفجرت فيه فضيحة كيدل التي تبعتهما كثير من الاستقالات في الفرع الانجليزي، والتي
عالجناها في موضع آخر، وفي 9 مايو 1884 أسسا 'الجمعية الهرمسية *Hermetic Society*' التي
رأسها أنا كينجسلي حتى وفاتها عام 1888، والتي كانت لوائحها منشورة في ثلاث مقالات

4 وهو العمل الرئيسي الذي كتبه مييد، ويشتمل على 'شذرات من دين منسى *Fragments of a Faith Forgotten*' و'*Pistis Sophia*' وهو منوعات غنوصية، ومقال 'الساحر سيمون *Simon Magus*' عن أبولونيوس التياني فيلسوف الإصلاح في القرن الميلادي الأول، و'إنجيل الأناجيل *The Gospel of Gospels*' أربع مقالات عن أسرار العالم، و'تيوزوفية اليونانيون' عن أفلوطين وأورفيوس، و'تيوزوفية الفيدات *Theosophy of the Fides*' عن الأوبانيشادات.

5 وكل الاقتباسات في هذا الكتاب من طبعة *The Perfect Way or The Finding of the Christ* 1924.

6 *Preface to the first edition. P vii.*

7 1886-1890، ومقتبساتنا من الطبعة الثالثة.

8 وقد نشر الكاتبان عددا من الأعمال الأقل أهمية بعضها فردية وبعضها معاً، منها 'عذراء العالم *Vergin of the World*' عن هيرميس ميركوريس مثلث الرحمات، و'علم النجم لاهوتيا *Astrology Theologized*' عن الروحانية الهرمسية والمتن المقدس، و'ملتحفون بالشمس *Clothed with the Sun*' إشارة إلى يوم الساعة، وهو كتاب استنارة أنا كينجزفورد.

ذكرناها عليه⁹، ومن العجيب أن أولكوت كان حاضراً في حفل افتتاح هذه الجمعية، وألقى كلمة للذين يعتبرون الجمعية مجرد 'قسم جواني' من الجمعية الثيوزوفية، ولذا لزم التساؤل عما إذا كانت استقالة المؤسسين صادقة، ونجد طرفاً مُشاكلاً لهذا الموضوع في حالة الدوقة دي بومار. فإلى أى مدى يمتد الخلاف بين أنا كينجزفورد ومدام بلافاتسكى؟ فالأولى لها سمت مسيحي، ودون أن نتحدث عن روح العدا للكهنة¹⁰، لكن الطريقة التي طُرحت بها العقائد المسيحية غريبة للغاية، فهم يريدون للمسيحية أن تستقل عن كافة الاعتبارات التاريخية¹¹، أى إنه عندما يأتي ذكر المسيح يجب أن يفهم أنه مبدأ باطني يسعى كل امرئٍ إلى اكتشافه وتحقيقه في ذاته، كما أسبغت مدام بلافاتسكى اسم *Christos* على المبادئ الأسمى للإنسان، أو 'توحيد الأقانيم الثلاثة في ثلوث *Trinity* يمثل الروح القدس والآب والابن حيث إنه تعبير تجريدي عن الروح'¹²، وهنا نصل إلى اضطراب شامل، ولكن لا بد أن نتذكر أن 'المسحاء *Christs*' لا يختلفون عن الرهبان الآخرين عند مدام بلافاتسكى وأنا كينجزفورد فيما عدا أن معارفهن وقواهن تتسم بحجة عميقة للإنسانية¹³، وقد قالت بلافاتسكى بما قارب ذلك عندما قالت إن كريستوس هي حال بودها *Buddha State*¹⁴، وليس كل الثيوزوفيون على اتفاق مع هذه النظرية، والمعاصرون منهم يعتقدون أن حال 'بودهيساتفا' عند بلافاتسكى حالة دينية منحازة ضد الرشد التراثي *orthodoxy* وما يسمى 'المسيحية المتهودة *Judaized Christianity*' لا حاجة لها لمناقضة فكرة الجوانية المسيحية على هذا المنوال، حيث نجد في 'توحيد الأديان *syncretism*' نظيراً لها في الغموض، إلا أن الاضطراب فيه ربما كان أقل قابلية للفهم، والاختلاف الرئيس أن المصطلحات المسيحية حلت محل الاصطلاحات

9 وقد كانت أنا كينجزفورد من قبل عضواً في الجمعية الثيوزوفية ورئيسة محفل لندن قبل أن تؤسس 'الجمعية الهرمسية'.

10 *The Perfect Way*, p 270.

11 *Ibid.*, pp 25-26 and 223.

12 *The Key to Theosophy*, pp 67-68.

13 *The Perfect Way*. P 216.

14 *The Key to Philosophy*, p 216.

الشرقية، وتراجعت البوذية إلى مرتبة ثانوية، في حين يعتقدون أنها مكلمة أو بالحريّ إعداد لازم للمسيحية، وها هنا فقرة عن هذا الموضوع،

"إن بودها والمسيح كلاهما مكمل ضروري للآخر، والمنظومة تسرى على أساس أن بودها هو العقل والمسيح هو القلب، وأن بودها هو العام *the General* والمسيح هو الخاص *the Particular*، وبودها شقيق الكون والمسيح شقيق الإنسان، وبودها هو الفلسفة والمسيح هو الدين، وبودها هو المحيط *circumference* والمسيح هو المركز، وبودها هو النظام والمسيح هو نقطة النور، وبودها هو التجلي والمسيح هو الروح، أي إن بودها هو الرجل أي الذكاء، والمسيح هو المرأة أي الإلهام... وإذن فلا يمكن أن يكون المرء مسيحياً دون أن يكون بوذياً، وهكذا يشكل الدينان البراني والجواني على الترتيب في إنجيل واحد، فالأساس في البوذية بما فيها الفيثاغورية¹⁵، والبناء في المسيحية، وكما أن البوذية بدون المسيحية تبدو ناقصة فإن المسيحية بدون البوذية عويصة الفهم¹⁶.

وتؤكد أنا كينجزفورد أن الإنجيل يؤكد هذه العلاقة حيث يُشاكل موسى وإلياس على يهما السلام بودها كما يمثل فيثاغورس 'مكلمهما العبراني'¹⁷، وهو تفسير فريد، ولكنه لا يثير الدهشة بالقدر نفسه مثلها يرد في بعض الصفحات التالية، حيث عكفت الكاتبة على أساس تأصيل خيالي يجعل من إبراهيم ممثلاً 'للأسرار الهندية' ومن إسحاق ممثلاً 'للأسرار المصرية' ومن يعقوب ممثلاً 'للأسرار اليونانية'¹⁸، ورغم ذلك فإن مسيحية أنا كينجزفورد أسمى من بوذية الذكاء، أو أن المرأة أسمى من الرجل، فهي نسوية تعتبر المرأة "تويجا لتجليات الإنسانية"¹⁹، ولنضف إلى ذلك أنها كانت رسوياً

15 وقد يشك المرء في تبرير هذا التمثيل.

16 *The Perfect Way*, pp 248-249.

17 *Ibid.*, p 247.

18 *Ibid.*, pp 251-252.

19 *Ibid.*, p 244.

للنباتية *vegetarianism*²⁰ حتى نكّج ملامحها، وأنها مناضلة عنيفة ضد نظريات باستير

.*Pasteur*

وتنبئ أنا كينجفورد مواقف خاصة بنفسها مثل أن تُعزى أهمية لعدد 13 الذي تعتبره 'رمزًا للمرأة' ورمزًا للكمال *perfection*²¹، ولكنها في معظم النقاط تتفق مع منظور التعاليم الثيوزوفية أيا كانت المظاهر، وخاصة أنها تُسلم 'بالتطور الروحي *spiritual evolution*' و'كارما' و'التناسخ'، وتذهب في الأخير إلى ادعاء أن مذهب 'تطور *progression*' الأرواح و'هجرتها *migration*'... يُشكل أساس كل الأديان القديمة، وهو أحد الغايات الخاصة للأسرار القديمة لتذكّر التناسخات القديمة²²، وترجع هذه التعاليم وكثير غيرها إلى القيمة ذاتها، ويبدو 'منبع معلوماتها' واحدًا في المذهب ككل، أي باستخدام البصيرة "لسبر الباطن الذي يعود بالعقل إلى المركز والطبيعة الحقّة الدائمة"، "وبعد تجريب ذاته في اتجاه البرانية كعقل ملهم *intellect* يفقه الظواهر"²³، والحق إننا نكاد نسمع بيرحسون ذاته يتحدث، ولا نعلم ما إذا كان يعرف أنا كينجفورد شخصيا، ولكنها من عدة جوانب يمكن تصنيفها كأحد رواد الحدسية *intuitionism* المعاصرة، كما أن من المهم ملاحظة العلاقة بين الحدسية والنسوية عندها، ولا نعتقد أنها حالة فريدة في الحركة النسوية وعدة تيارات أخرى في الذهنية المعاصرة والعلاقات بينها تُعتبر مجال دراسة مهمة، وسوف نتحدث عن النسوية مرة أخرى فيما يتعلق بالدور الماسوني لمسز بيسانت.

وبغض النظر عن تأكيدات أنا كينجفورد فلا نعتقد أن الفكر أو بالحري ملكة الخيال كانت مصدرها الوحيد للمعرفة رغم التوكيدات الخرافية التي أوردنا بعض أمثلتها، والتي لا تعدو ممارسة لتلك الملكة، وقد كانت في البداية على الأقل تقتبس من مذاهب مختلفة وخاصة من القبالة والهرمسية، وتشهد المقارنات هنا وهناك على معرفة ملهوسة رغم سطحيّتها، كما أنها

20 وقد خصّصت كتابا لهذا الموضوع بعنوان '*The Perfect Way in Diet*'

21 *Ibid.*, p 244.

22 *Ibid.*, p 21.

23 *Ibid.*, p 3.

درست الثيوزوفية بمعنى الكلمة مثل بوهم و سويدنبرج، وهما تماماً ما تشارك فيه الدوقة دي بومار، كما كان هناك ثيوزوفية أكثر رغم خلطها بهاتين السيدتين ولبس بمدام بلافاتسكي وخلفائها، أما عن الدوقة دي بومار ونظراً لأنها دفعت بمذهب الجوانية المسيحية في فرنسا فإن شخصيتها تستحق باباً خاصاً بها.

19 الدوقة دي بومار

كانت ليدي كاينيس دوقة بومار شخصية خاصة، وقد وصفت نفسها أنها كاثوليكية، وكانت مخلصه بالفعل، ولكن 'الثيوزوفية المسيحية' تحالفت مع كاثوليكيته، والتي استلهمتها من بوهم و سويدنبرج إضافة إلى بعض المفاهيم الخاصة التي بدت أغرب من ذلك، وقد طرحت أفكارها في أعمال عدة¹، كما قامت بإدارة مجلة في باريس باسم 'فجر يوم جديد' *Laurore du Jour Nouveau*، وهي لسان الجناح المسيحية الجوانية² وقد كرّست هذه المجلة 'لحكمة الكلمة' *Logosophy*، والتي عرّفها هكذا،

1 وها هي بعض عناوينها، 'زيارة ليلية إلى هوليوود' و'شذرات من الثيوزوفية الغيدية الشرقية'، و'الثيوزوفية المسيحية'، 'الثيوزوفية البوذية'، 'الثيوزوفية السامية'، و'الثيوزوفية في الكتاب المقدس'، و'ترجمات جوانية للكتب المقدسة'، و'تأملات في علم الحياة'، و'حقائق قديمة في يوم جديد'، و'سر القرون'، و'سر العهد الجديد'.

2 وعن تعاطفات دوقة دي بومار مع مجلة 'الثيوزوفية الكاثوليكية' نقرأ عنها في مجلة لوتس عدد

"إن اللوجوصوفيا *Logosophy* هي علم الكلمة أو علم المسيح كما وصل إلينا من المذاهب الجوانية للعارفين الهنود *Savants* واليونانيين وفلاسفة الأسكندرية،... والمسيح، أو 'الكلمة' هو أساس تعاليمنا، وليس عيسى كشخصية تاريخية هو 'ابن الإنسان' فحسب بل كذلك ابن الرب في إهابه السماوى، أو 'المسيح'، وهذه الربوبية التي نؤمن بها لا بد أن تكون غاية كل رجائنا، ولنا الحق في هذا المطلب، فكلنا أبناء الرب ذاته، وفينا بالتالى جوهر ربانى، وألم نؤمر بأن نكون كاملين مثل أبننا الذى فى السموات؟ وهكذا كانت اللوجوصوفيا هي علم الربوبية فى الإنسان، فتعلمنا كيف نشعل الشرارة الربانية التى يحملها كل منا عندما يأتى إلى هذا العالم، ويجعلنا توجهها نحتكم على قوى نفسية تبدو أسمى من الإنسان، وأتينا بعد موتنا العضوى سنتوحد مع خالقنا ونعيش أبد الزمن فى السموات".

ونجد هنا مرة أخرى فكرة 'المسيحية' الباطنة *internal* التى تهيمن حتى على منوال أهون قصراً من آنا كينجزفورد، وأما عن 'القوى النفسية' فليست إلا ثلث غايات الجمعية الثيوزوفية، و'القسم الجوانى' هو المنوط بتحقيقها.

وقد أسبغت الدوقة دى بومار على نفسها لقب 'رئيسة الجمعية الثيوزوفية فى الشرق والغرب' منذ 1882 فصاعداً، ولكن جمعيتها لم تكن مطلقاً منافسة لجمعية مدام بلافاتسكى التى تشتمل على 'قسم جوانى' يقوم بتفسير التصالح الذى أشرنا إليه، وكتبت مدام بلافاتسكى عام 1884 إلى سولوفيف،

"طوال السنتين الماضيتين... التقتى قليل من الأصدقاء فى قصر دوقة تحب أن تطلق على نفسها 'رئيسة الجمعية الثيوزوفية فى الشرق والغرب'، فليباركها الرب، فلتطلق على نفسها كل الألقاب التى تحبها، فهى ثرية وتملك فندقاً فاخراً فى باريس، وليس ذلك اعتراضاً، فقد تكون ذات فائدة"³

يونيو 1887.

وهكذا كانت مدام بلافاتسكى تُملئ الدوقة من أجل ثروتها، وحينما أرادت أن تفتح فرعاً للجمعية في باريس فقد ظنت الدوقة أنها قد تكون فرصة طيبة للتعبئة لمؤسستها، والتي انتوت أن تحافظ فيها على سمات محددة، وما يبرهن على عدم وجود تنافس بين السيدتين هو أن الدوقة استجابت لآمال بلافاتسكى، والواقع أنها رصدت أموالاً مكنتها من نشر مذهبها في فرنسا، وتؤكد على وجه الخصوص بعد أن أودعت الدوقة خمسة وعشرين ألف فرنك لهذا الغرض⁴.

إلا أن ليدى بومار استقالت من الجمعية الثيوزوفية في سبتمبر 1884 بسبب أن أولكوت 'قليل الذوق' معها⁵، ولا بد أنها تراجعت عن هذه الاستقالة لأنها استقالت ثانياً عام 1886، ورافقتها في هذه المرة مدام دي مورسييه وعدة أعضاء من فرع باريس بعد نشر توقعات سولوفييف، ورغم ذلك ففي وقت انعقاد مؤتمر الروحانيين والأرواحيين *Spiritists* في سبتمبر عام 1889⁶ التي كانت رئيسته الشرفية⁷ والذي قال فيه بابوس "لقد أسديت خدمات مثمرة إلى قضية الأرواحيين"، ولكن ليدى بومار لم تكف عن أن تكون 'رئيسة الجمعية الثيوزوفية في الشرق والغرب'، وأصبحت في موقف يشاكل موقف أنا كنجزفورد حيال 'الجمعية الهرمسية'، وبعد هنية أسست بلافاتسكى 'قسماً جوائياً' مستقلاً في باريس، ولم تعلن عن أوضاعه القانونية ولا لائحته، وكان أعضاؤه يحلفون بقسم الصمت والانصياع إلى أوامر المديرين بسلبية تامة، ومن الصحيح أن الدوقة قد استمرت على علاقتها الودية بالجمعية الثيوزوفية، وكتبت رسالة في يوليو عام 1893 إلى سكرتير فرع باريس، والتي نُشرت في مجلة *Lotus Blue*، وجاء فيها،

4 *Daily News*, Nov., 5, 1885.

5 خطاب من سولوفييف إلى بلافاتسكى.

6 وتعني 'الروحانية' هنا 'الغيبية'.

7 وقد رأس هذا المؤتمر جول ليرمينيا وكان الرئيسان الشرفيان هما تشارل فوفيتي وإيوجين نووس.

"...وأياً كانت اختلافات المنظور مع الجمعية الثيوزوفية التي أرجو أن تنشأ في فرنسا لكي تسهم في تقدم الأفكار التي أعتنقها، لكن الرسالة التي كلفني بها أستاذي عيسى المسيح تستهلك ما أحتمك عليه موارد".

إلا أنها تبرعت بمئتي فرنك، ولتتابع خطابها،

"إنني أطلب أعضاء الجمعية الثيوزوفية أن ينتبهوا إلى المشاعر الأخوية التي أحملها لهم، وحتى لو اقررت طرقنا فإن غاياتنا هي ذاتها، وأتمنى لهم النجاح في جهودهم".

ولنلاحظ أن ليدى بومار قد استضافت مسز بيسانت في 13 يونيو 1894، وألقت محاضرة قديمة ألقتها من قبل في منزلها عن 'حجج الروح *Pilgrimage of the Soul*' بمعنى النفس، وقد رأس هذا اللقاء كولونيل أولكوت، وفي 11 يونيو ألقى محاضرة في معهد *Rudy Institute*، فلم يكن دخولها إلى السوربون في متناولها، وكما حدث في 1911 كما حدث مرة أخرى هذا العام 1921.

وقد توفيت دوقة بومار في 3 نوفمبر 1895، ونقتبس السطور التالية من تأيين للقومندان كورميه *Courmes* في مجلة *Lotus Blue*، ونحن نحترم أسلوبه احتراماً عميقاً،

"لقد كان الوجود الذي انطفأ لتوّه وجوداً عظيماً ونبيلاً حقاً، فلو كانت الدوقة لم ترفض الاستمتاع بالثروة التي وضعتها المقادير *Karma* تحت تصرفها إلا أنها وضعتها بالكامل في كل أعمال الخير والإحسان، وتعدادها وتفصيلها تجل عن الحصر، كما أنها تفوقت على أرض الفكر المتسامي في فرنسا خاصة وهي وطنها بالتبني بدفع موجة 'المعرفة *Knowledge*'... والروحانية *Spiritualist* من أول دقيقة في زخم هذه الموجة، وقد التحقت دوقة بومار بالجمعية الثيوزوفية في بداياتها عام 1876 وكانت على صلة وثيقة بمدام بلافاتسكي، وكانت رأس الفرع الفرنسي 'المشرق والمغرب *Orient et Occident*' الذي لا تنكر روحه الثيوزوفية رغم استقلاليتها، واحتفظ بسمته المسيحي حتى لو كان في إهاب الأرواحية، وقد كنا نفضل لو كانت قد عملت

على التعاليم الشرقية، وهو ما يبدو لنا أقرب إلى المصادر الأولية، ولكن من حق الثيوزوفين بالطبع أن يسعوا إلى الحقيقة بالطريقة التي تناسبهم"⁸.

والحق إن هذه وقائع غريبة من تحالف ليدى بومار وبلاقتسكى ومدرستها، وتوكيد الغايات المشتركة بين الحركات التي يديرها كلاهما، وليس أقل من ذلك غرابة فرض الدوقة سرية محكمة على مؤسستها، وفيما يلي اقتباساً مما كتبه إلى آرثر آرنولد نُشر عام 1890 بمناسبة النزاع مع بابوس، أو بالتدقيق على وثيقة 'خصوصية تماماً' إلا أنها خرجت للتداول خارج الجمعية الثيوزوفية.

"إن الجمعية الثيوزوفية للمشرق والمغرب التي أشرف بإدارتها مغرقة في جَوَانِيَّتِها ولا بد بالتالي أن تكون شديدة السرية، ولا أفهم ما حدا بالكولونيل أولكوت إلى التحدث عنها، فقد طلبت منه أن يبقيها سراً بيننا، فلقاءتنا سرية تماماً، ومحظور علينا الحديث عنها لأي من كان خارج دائرتنا، والتي تشتمل على بعض من أعظم العقول في فرنسا، لكن الانضمام إليها يتطلب أقصى مراتب التعميد والمجاهدات الجادة، وحينما نقول إننا نتلقى رسالتنا من السمك الأعلى مباشرة فسوف تفهمون ضرورة السرية،..."

فماذا إذن كانت تلك التعاليم والاتصالات الغامضة التي ربما لم تزد عن الوسائل الأرواحية المعتادة؟ وما هي الرسالة التي اختُصت بها مدام دي بومار؟ وقد جاء في خطابها في 2 فبراير 1892 الذي نحتكم على أصله بهذا الصدد،

"...فالولاء الذي أحمله لمارى ستيوارت ينطبق بدرجة أقل على شخصيتها الأرضية مما ينطبق على فرديتها السماوية"⁹، والتي برهنت لي طوال ثلاثين سنة على حضورها الروحي بجانبى"، كذا، وقد كان ذلك أمراً عظيماً نبيلاً يجرى على الأرض، وقد استمر في التحول حسب قوانين حياة الروح، وهي الآن شطر من الحقيقة التي تُحرر من عبء الحياة، وقد

8 Lotus Blue, Dec., 27, 1885.

9 وترد كلمتا 'شخصية personality' و'فردية individuality' بالمعنى الثيوزوفى، إذ إن علاقتهما هنا هي عكس المقصود في المعتاد.

انطلقت حتى إلى أبعد من قناعاتها الدينية¹⁰، وكانت رسالتها أن تُعطي لعالم اليوم وخصوصاً فرنسا حقائق 'يوم جديد' لا بد أن يقود اتجاه تطور الجنس البشرى إلى الروحانية المتسامية، وقد تشرفت بخدمتها كمساعد أرضى لخدمة أغراضه النبيلة".

وتضيف "وهذه الملكة اليوم هي ملاكٌ من أسْمى مقامات السماوات العلاء"، والتي تسميه في موضع آخر 'هالة المسيح' و'هالة النجوم'.

أما 'اليوم الجديد' عند الدوقة دي بومار فهو يوم الإعداد لوحى جديد وإعلانه لعصر يتبع المسيحية كما تبعت المسيحية الناموس القديم، أى 'حضور الروح القدس' المرصود غنوصياً باسم 'الربة الأنثى divine female'¹¹ ذلك،

"إن تجليات أبناء وبنات الرب ليست مثل الواحد مطلقاً بل هم كثرة، وسوف يقوم هذا الجنس الأكل بأنسنة الأرض التي نعلم أنها تطورت من المعادن إلى النبات فالحيوان، وها نحن نرى أن هذه الدورة قد كادت تكتمل".
وتذهب الدوقة إلى درجة تعيين أبعد،

"ويمكننا قول إن العالم القديم قد انتهى عام 1881، وأن الرب قد خلق سماءً جديدة وأرضاً جديدة، وسوف ندخل سنة جديدة لسيدتنا *our Lady* عام 1882"¹².

وقد جاءت هذه الاقتباسات من نشرة غريبة مليئة بالحسابات القبالية، وعنوانها '1881-1882'، والتي جاء في آخرها ما يلي،

"... وتترى آخر ساعات الوحي القديم عام 1881 وأنا أكتب هذه السطور، وتترقب حلول الربة السماوية"¹³.

10 فماذا بقي للكاثوليكية؟

11 راجع 'سر العهد الجديد *Le Secret du Nouveau Testament*' ص ص 496-505 'رسالة من أعلى استقبلت في ملاذ الملكة في هوليرود، وعليها توقيع 'مبعوت من الملكة ماري'.

12 '1881-1882', pp 49-50.

13 *Ibid.*, p 85.

ولنا العذر في اعتبار فكرة المسيح الجماعي كما عبرت عنها هنا غارقة في الغرابة، ولكنها ليست جديدة تماماً، ونشير إلى أفكار في اليهودية كانت تسعى إلى تماهى شعب إسرائيل برمته مع الماشيح *Messiah*، وقد ظهرت الماشيحانية في صورة أو أخرى، وتبدو مفتاحاً لتفسير 'نهاية المجتمع'، والتي أكدت عليها ليدي دي بومار في الجمعية الثيوزوفية، كما أنها قالت على نحو مُقنِع إن الماشيحانية هي جذر كثير من الحركات الأرواحية الجديدة.

ولم تكد ثمر اثنا عشر سنة على ظهور فكرة 'ماشيح المستقبل' بين الثيوزوفيين، فقالت بلافاتسكي بنفسها ما يلي،

"وسوف تجد الدفعة التالية جسداً متماسكاً من المستعدين لحمل مشاعل الحقيقة، وسيجد كل منهم عقولاً من الرجال على استعداد لحمل رسالتها، وقد أعدت له لغة تتلبس بها الحقائق الجديدة، ومؤسسة تنتظر قدومه لتذليل العوائق المادية الآلية وتمهيد طريقه، ولك أن نتصور ما يقدر على إنجازه من أُنَيْحت له هذه الفرصة"¹⁴.

وكان ذلك إذن هو الغاية المشتركة بين ليدي دي بومار ومدام بلافاتسكي، لكن بلافاتسكي امتنعت عن التصريح بتواريخ محددة، والتي ربما تنبأت بها بمعرفتها المسبقة، فلا بد من افتراض أنها قد كلفت جمعيتها بمهمة سرية، والتي ليست فحسب 'تمهيد الطريق للذي يأتي' بل كذلك استظهاره في اللحظة المواتية، وكانت هذه رسالة مدام بلافاتسكي ومسر بيسانت سكرتيرتها السابقة وآخر من وثقت به، وبمساعدة القسّ الأنجليكاني تشارلز ليدبيتر، والذي لعب دوراً مشاكلاً في هذا المضمار لدور أولكوت حيال مؤسّسة الجمعية، ولكن ربما لم تتفق الصورة 'المسيحية' مع تصورات مدام بلافاتسكي الماشيحانية، ولو رجعنا إلى ما ذكرناه في الباب السابق يمكن أن نرى انخلاف أكثر وضوحاً منه وقوعاً، كما أن السمة القلقة لمذهب للثيوزوفية

الزائف وطبيعته الزائلة تسمح بكافة التحولات اللامنظورة، والإجابة على الذين لا يرون هذا التناقض شأنهم شأن المدافعين عن 'الحدسية *inuitionism*' البرجسونية.

20 ماشيح المستقبل

وحتى تفهم حماقة الماشيحانية التي سببت لغطاً في السنوات الأخيرة لابد من التعرف على فكرة غريبة في رأس الثيوزوفيين أو بالحري ما يسمونه 'المعلم الأعظم' و'معلم العالم'، وهما ترجمة حرفية من السنسكريتية لألقاب 'ماهاجورو' و'جاجاجورو'، وهما رئيسا مدرستين براهميتين، و'جاجاجورو' الأصلي هو رئيس المدرسة الفيدانتية لمذهب شانكاراشاريا، ونحذر من الاضطراب المحتمل بأن الشخص الذي ينتمى إليه هذا اللقب شرعاً ليس الذي يعلن عن نفسه في المنشورات ويستعرض شخصيته في المحافل، فقد تحرّفت الفيدانتا خصيصاً لتستغلق على الغربيين، لكن هذا التحريف ليس موعلاً بقدر ما شوهها فيفيكاندا، وهذه الرواية لها جانب سياسى سيجرنا إلى أبعد مما نتوى، فحينما يتحدث الثيوزوفيون عن أعمالهم باعتبارها صادرة من ماهاجورو فإن الشخص المقصود بهذه الصفة ليس من الذين تنطبق عليهم هذه الصفة في الهند، لكنها تنتهى مع بودهيساتفا الذي صنعوا منه رئيساً لقسم المعلمين الدينيين في الجمعية في 'الحكومة الغيبية للعالم'، في حين أنه وهو كائن في التحقق الأخير كى يصبح بودها في المقام الأسمى والحكمة الأعمق، وهو حالياً في المقام الأدنى منه مباشرة، وقد قبل الثيوزوفيون الفكرة لكنهم أضافوا إليها أوهاماً في رؤوسهم، وهكذا كان لهم وظيفتين متكاملتين، أى وظيفتا مانو و بودهيساتفا لكل جنس من الأجناس السبعة الأمهات، وحينما ينجز بودهيساتفا دوره يصير بودها، ويحل محله راهب *Adebt*، وحينما يكمل مانو دورته التي يمارس فيها وظيفته ينتقل إلى مقام أعلى، لكن ذلك أمرٌ لا يوصف، وأخيراً لا يتفق عصر مانو وعصر بودهيساتفا، وتبدأ فترة مانو دائماً مع الجنس الذي يتلو الجنس الأم، في حين أن عمل بودهيساتفا يغطي جنسين أصليين"¹.

1 De l'an 2500 avant Jesus-Crist a nos jour. pp 60-61.

ونعود بعد هذا المقال إلى مفهوم 'المسيح التاريخي' الذي يميزه الثيوزوفيون بخذر عن 'المسيح الأسراري'، أي المبدأ الأسمى للإنسان كما ذكرنا سلفاً، أما عن تصورهم 'المسيح الأسطوري' *mythological*، أو 'رب الشمس'، فذلك لأنهم يصدّقون ما يسمى 'علم الأديان'، وقد حازت مدام بلافاتسكي قصب السبق، وهو ما يبدو كفكاهة بين *Christos* و *Chrestos*، فسَمّت 'المسيح الأسراري' بالأول وأشارت بالثاني إلى درجة من التعميد في الأسرار القديمة، وكل من تحقق بهذا المقام ليس *Christos* بل *Chrestos*، وقد ينطبق ذلك الحال على عيسى الناصري ذاته، ذلك لو سلّم المرء بالوجود التاريخي، وتعتبر بلافاتسكي عن نفسها بوضوح في هذا الصدد فتقول،

"إن عيسى المسيح عندي هو رجل الرب عند المسيحيين، وهو تمثيل للأفاتارات في معظم البلاد مثل كريشنا في الهند² و حورس في مصر ولم يكن شخصاً تاريخياً، ولكنه تجلّ مجيد لعظماء المقدسين *Hierophants* في المعابد، وليست قصته التي روتها الأناجيل إلا تشبيهاً *allegory* ينطوي على أعماق الحقائق الجوانية، إلا أنه تشبيه فحسب، وبالطبع كان التشبيه هو 'أسطورة الشمس *Solar Myth*'."

ولكن لنستمر،

"إن الأسطورة التي أتحدث عنها وفسرتها في كتاباتي في مناسبات مختلفة عن وجود شخص باسم يهوشوا *Jehoshua* ولد في اللد أو ليديا منذ حوالي 120 عاماً قبل الحقبة الحديثة، ولو لقيت هذه الواقعة معارضة فلا مانع عندي، ولكن لا بد من اعتبار حقيقة وجود دراما كالفاري كأسطورة صرف"³.

إلا أن مدام بلافاتسكي عبرت عن نفسها بطريقة مختلفة عن 'الواقعة' المقصودة،

2 من الواضح أن بلافاتسكي تعمّدت كتابة *Chrishna* وليس *Krishna*، لكنها لم تجرؤ على كتابة *Christna* كما فعل جاكولبو.

3 *Le Lotus*, Apr., 1888.

"لقد كان عيسى *Chrestos* سواءً أعاش في فترة المسيحية أم قبلها أيام حكم ألكساندر يانيس وزوجته سالومي في اللد كما يقول سفر يوشع".

وكان المصدر كتاباً راينياً منحازاً للأدبيات المناهضة للمسيحية، ومن المعلوم أنه يفتقر لأية قيمة تاريخية، لكن ذلك لا يمنعه من إضافة حواشٍ للرد على كُتّاب بعينهم بمن فيهم رينان الذي يعتبر توكيدات هذا الراي خاطئة،

"وأقول إن الدارسين إما كانوا يكذبون وأما كانوا يغطون بكلام فارغ، وهذا ما يقوله 'معلونا' ولو كانت قصة يوشع أو عيسى ابن بانديرا زائفة فالتلمود بل الناموس اليهودي بأكله زائف، وقد كان تلميذ يوشع ابن برخيا الرئيس الخامس للسهدرين بعد عزرا الذي أعاد كتابة الكتاب المقدس والذي تآمر عليه الفريسيون كان ثورة على يانيس عام 105 قبل ميلاد المسيح، والذي هرب إلى مصر مع عيسى الطفل، وهذا التفسير أقرب إلى الصواب من تفسير العهد الجديد، والذي يظل التاريخ صامتاً حيالها⁴.

وهنا إذن حقائق ضمنتها 'معلوها' لو صدقنا بوجودهم، وقد تراجعت بعد بضعة شهور عن اعتراضها في معالجة القضية كأسطورة فحسب، فكيف نفسر هذه التناقضات بدون اعتبارها 'حالة مرضية' أنكرها المحرر الذي نشر كل هذه الخزعبلات؟

وقد كان سلوك مسز بيسانت حيال هذه القضية مختلف تماماً، فقد أكدت صحة وجود عيسى التاريخي إلا أنها ترجعها إلى الوراثة قرناً من الزمن قبل مولد المسيح، وسوف نلخص ما جاء في هذا الموضوع من كتابها الجوانية المسيحية⁵، فقد ولد الطفل الذي تُرجم اسمه إلى 'عيسى' في العام 105 قبل بداية التأريخ الميلادي في فلسطين، وعلمه أبواه اللغة العبرية، وزار أورشليم في سن الثانية عشر، وأودع في رعاية جماعة إسينية 'Essene comunity' في جنوب يهودا، ولنقل إن قصة عيسى مع الإسينيين لم تكن من اختراع الثيوزوفيون بكاملها، كما هرعت

Ibid., Dec., 1887. 4

5 راجع أيضاً كتاب مييد *Mead* بعنوان 'هل عاش عيسى قبل عام 100 ق.م.؟'.

كثير من المنظمات الغيبية من قبلهم إلى ادعاء الصلة بالإسنيين⁶، كما ادعى البعض الصلة بالبوذيين، ولم يظهر سبب لذلك، ويريدون أن يستنبطوا منها علاقة بالماسونية، وقد ظهرت في فرنسا منذ حوالي ثلاثين عاماً وأطلقت على نفسها اسم 'الإسنيين *Essenian*'، ويؤمنون بوجود مسيحين هما عيسى و جان دارك، وأضافوا أهمية عظيمة على متن يتعلق بموت عيسى يزعمون أنه وجد بالأسكندرية، ونشر دانييل راميه ترجمة الإنجليزية له في لايبزج عام 1849، وقد كانت الغاية منه دحض قيامة المسيح، كما نُشرت مؤخراً في أميركا برعاية 'المدرسة العظمى *Great School*' أو 'مِحْفَل النور *Order of Light*' الذي ذكرناه عليه، ولكن لنعد إلى قصة مسز بيسانت، والتي تقول إن عيسى التحق بديرٍ في جبل سيربال في سن التاسعة عشر، وتشتمل مكتبته على عدد كبير من الكتب الغيبية التي جاءت من 'الهند عبر الهيمالايا'، ثم سافر إلى مصر حيث أصبح مریداً في مِحْفَل جواني امتاح منه رُسل كل الأديان الكبرى، أي 'المِحْفَل الأبيض العظيم' قبل أن يتمركز في التبت، إلا أن هناك كاتب آخر لم يكن ثيوزوفياً ولا يثق فيه الثيوزوفيون، وادعى أنه اكتشف آثاراً لإقامة عيسى في هذه البلدة، حيث كان معروفاً باسم *Issa*⁷.

ويحتاج ما يلي إلى تفسير مسبق، فهنا نأتي إلى طريق يعتقد الثيوزوفيون أنه تجلٍ للمعلم الأعظم، أو أحياناً 'معلمين' أقل منه مقاماً، وحتى نوفر العناء على هذا الكائن المتطور *evolved* في إعداد مركبة يعبر بها الفيا في عضوياً فإن على 'مرید' أو 'تلميذ' أن يجعل جسده بمجاهدات بعينها جديراً بشرف حلوله، ومن هذه اللحظة يصبح 'المعلم' هو صاحب هذا الجسد كما لو كان جسده هو، وسوف يتحدث بضمه في تعاليم 'دين الحكمة'، وهنا أمر يشا كل الظواهر التي يسميها الأرواحيون 'تناسخاً *incarnation*' بفارق أنه يدوم في هذه الحالة، ونضيف إلى ذلك أن 'المعلمين الأحياء' يمكنهم أن يستخدموا أجساد تلاميذهم أو مریدیهم أحياناً، كما يُفترض أن

6 وعمّن يُدعون 'الإسنيين المحدثون' راجع كتابنا 'ضلال الأرواحية *The Spiritist Fallacy*' باب 67، ترجمات تراث واحد قيد النشر، ولم تكن توهامات جاكوليو الزائفة موضع احترام في هذه الطائفة، ولم يكن من قبيل الصدف أن يكون للمؤلف ذاته كتاب بعنوان 'الإنجيل في الهند *La Bible dans l'Inde*'.

7 *The Unknown Life of Jesus Christ by Nichlas Novich, see Lotus Blue, July 27, 1894.*

مدام بلافاتسكى قد استخدمت الأمر ذاته، ويُقال إن 'المعلمين Masters' لا يحتفظون بالقدرة على التناسخ باستبدال أنفسهم، وأحياناً ما يكلفون أفضل تلاميذهم حتى يستفيد من التجربة، وقد تحدثنا عن هذا الأمر في سياق ذكر بيان سينيت وليديتر أن مدام بلافاتسكى انتقلت على الفور إلى جسد آخر بعد موتها، إلا أن الحالة التي تُثير اهتمامنا هي تجليات 'المعلمين'، ويبدو أنها مشروعة دون أن تُفسّر على نحو مطلق، إن بودها نفسه قد لجأ إلى هذه الطريقة، وها هنا ما قاله ليدبيتر عن هذه المسألة،

"إن جسد طفل الملك سودهانا والملكة مايا قد لا يكون مسكوناً بسيدنا بودها في سنوات عمره الأولى، وأن بودها كلف أحد تلاميذه برعاية الجسد الذي سيحل فيه عندما يوهن هذا الجسد بالزهد والمجاهدة، والتي فرضها على نفسه طوال ستة سنوات لكي يجد الحقيقة، ولو كان ذلك هو الأمر فلن ندهش أن الأمير سيدهارتا لم يحفظ كل ما وعاه سيدنا بودها حيث إنه كان شخصاً آخر"⁸.

وهكذا كان سيدهارتا مثل عيسى تلميذاً مختاراً من 'المعلم' حتى يتسلمه منه في حينه، وسوف تكون دائماً تضحية يسعد بها التلميذ⁹، وقد كان ذلك افتراضاً، لكن الكاتب ذاته أوردتها في سياق آخر كوقائع ثابتة معلومة للعامة،

"إن فكرة استعارة جسد مناسب لكائن عظيم رأى ضرورة النزول إلى الأرض والعيش بين الناس في أحوالهم المعتادة فإن سيدنا جوتاما سار في ذلك الطريق وجاء إلى الأرض في إهاب يليق بكرامة بودها، وقد صنع سيدنا مايتريا الأمر ذاته عندما جاء إلى فلسطين منذ ألفي عام مضت"¹⁰.

وعلى كلٍ ففيما تعلق بتجلى المسيح الذي أشارت إليه الجملة الأخيرة فإن الثيوزوفيين المعاصرين متعلقون بها، فتقول مسز بيسانت "إن المسيح في سن التاسعة والعشرين قد أصبح

Le Occultism dans la Nature, p 322. 8

Ibid., p 92. 9

Adyar Bukketin, Oct. 1913. 10

مؤهلاً لخدمة الهيكل، وأداة لابن رب الرحمة والحكمة"، وقد نزل هذا 'المعلم' وحلَّ في عيسى طوال السنوات الثلاثة الأخيرة من حياته الأرضية، ... يعلم ويشفى المرضى ويجمع حواريه من أصحاب النفوس المتقدمة"¹¹، وفي نهاية السنوات الثلاث "تكفل جسد عيسى الإنسانى باحتمال غُرم نتويج حضور مجيد لمعلم أعظم من الإنسان"¹²، ولكنه ظل يزورهم أكثر من خمسين عاماً في 'جسده الروحي' ويعمدهم في الأسرار الجوانية، أما عن القصص التي تتعلق بحياة عيسى التاريخية فقد تبلورت في 'أساطير' كان منها 'الرب الشمسي' *the Solar God*، والتي ازداد فهمها الرمزي استغلاً مما نتج عنه عقائد المسيحية. وهذه النقطة الأخيرة هي الوحيدة التي نجد فيها أفكار مدام بلافاسكي.

فإن 'رب الرحمة' هو بودهيساتفا مايتريا يمثل مفهوم 'بودها المستقبل' الأصولي في البوذية الحقة، لكن الغريب هو محاولة خلط البوذية بالمسيحية كسمة خاصة في الماشيكانية الثيوزوفية *messianism*، وهو مثل آخر على الطرق الخيالية التي يدعون أنها مصالحت بين الأديان المختلفة التي يستعيرون منها، والتي رأينا طرفاً منها في الربط بين بودهيساتفا ومانو، ولنشر كذلك إلى أن الثيوزوفية المعاصرة ترى أن مايتريا قد ظهر في الهند في إهاب كريشنا قبل أن يتجسد بزمان طويل في إهاب المسيح، ولاشك أنه لم يكن بودهيساتفا بعد في ذلك الزمن، ولكن أقل منه بمرتبة طفيفة مثل 'الراهب adept' حيث إن كريشنا قد سبقه بحقبة طويلة قبل أن يصبح جواتاما البودهيساتفا السابق بودها، إلا أننا لسنا على يقين من أن الثيوزوفيين لن يخلطوا الأزمنة فيعتقدون أن كريشنا قد جاء بعد بودها، فالواقع أن ليدبيتر وضع قاعدة من أن 'الكائنات الأسمى' تستعير أجساد تلاميذها، فيضيف ما يلي،

"إن الاستثناء الوحيد الذي نعلمه عن ذلك هو أن يتقمص بودهيساتفا جديد دور 'معلم العالم'، فمن سبقه قد صار بودها، فيولد كطفل طبيعي في بداية ظهوره في دنيا الإنسان، وقد

Esoteric Christianity, p. 92. 11

Ibid., p 93. 12

فعل سيدنا بودهيساتفا الحالى ذلك حينما ولد باسم شرى كريشنا فى سهوب الهند الذهبية حتى يُعبدَ بإخلاص غامر ربما لم يحدث له مثيلاً فى أى مكان"¹³.

وعلى كلٍ فإن ليديتري يقول إن بودهيساتفا مايتريا الذى كان من المفترض أن يتجلى بنفسه فى زمننا فى أحوال تناظر ما ذكرنا عن المسيح،

"... وسيدنا مايتريا هو الرئيس الأعلى للتعليم الدينى، فهو الذى علم الهنود باسم كريشنا، وأعلن أنه سوف يعود إلى الدنيا حتى يُعين الأمم ويُسفيها، ولكي يُحيى الروحانية التى تكاد تَمُتَّى من على الأرض، وقد كان من أحد الأهداف الكبرى للجمعية الثيوزوفية إعداد الإنسانية لاستقبال حضوره، وحتى يجتمع اسم كريشنا والمسيحيين تحت اسم المسيح، والذى أعلن أنه سيعود قريباً ليعيش بينهم، فالدين الذى أسسه على جبل يهودا منذ ألفين من السنين قد انتشر الآن فى العالم أجمع، ولكن يُقال إنه عندما هجر جسده العضوى لم يزد تلامذته الذين كانوا يتفكرون فى الموقف الجديد عن مئة وعشرين، وقد حمل هذا الواجب الآن جمعية من عشرين ألف عضوٍ منتشرين فى أصقاع العالم! فلنأمل فى أن تكون النتائج أوفر حظاً من سابقها، وأنا سنحفظ سيدنا بيننا لفترة تزيد عن ثلاث سنوات قبل أن يُجبره فجور الإنسان على الرحيل، ولعلنا نكون أوفر نفعاً ممن كانوا حوله من قبل"¹⁴.

وهكذا كانت الغاية التى تسعى إليها الجمعية الثيوزوفية التى أعلنتها مسز بيسانت منذ عشرين عاماً "... لتكون حجر الزاوية لدين الإنسانية فى المستقبل،... والصلة الطاهرة المباركة بين من دنا ومن علا"¹⁵، أما الآن فهل يتعين علينا تفسير النجاح الساحق الذى نرجوه للبودهيساتفا بمعنى أن هذا هو الزمن لتحقق مقام بودها بكاله؟ ويقول سينيت "إن بودها الخامس أو مايتريا سيأتى بعد نهاية الجنس الخامس، وحينما يأتى الجنس السادس سيبقى مسيطراً على الأرض آلافاً من السنين"¹⁶، لكن سينيت لا يفقه شيئاً عن تجليات مايتريا

14 L'Occultisme dans la Nature, p 382.

15 Theosophy, p 12.

16 Esoteric Buddhism, pp 214-215.

الأسبق التي استحدثتها الثيوزوفية، وحينما تتذكر الفارق الزمني بين بداية الجنس الخامس
ونهايته قد اختزلت فليس من العجب أن تكون نهايته أقرب مما قيل من قبل، وعلى كل فقد
قيل لنا إن مولد أصل الجنس السادس¹⁷ سيتحقق "بإدارة مانو" المعروف عند الثيوزوفيين
بالمعلم موريا¹⁸.

أما الدور الذي انتقلته الجمعية الثيوزوفية فلا يقتصر على التبشير بحضور 'المعلم الأعظم' بل
كذلك الإعداد له كما كان يتعين على الإسنيين أن يفعلوا في زمنهم، وسوف ينتسخ التلميذ
المختار عندما يأتي 'من نتظر مجيئه'، ولكن إنجاز هذه المهمة في الواقع كان تقريبياً بعض
الشيء، كما أن الفشل كان وارداً في إنجاز المحاولة الأولى، فلم يكن الناس حينها واثقون من
شخص 'حامل الشعلة' في المستقبل كما قالت بلافاتسكي، وكان ذلك في لندن حيث نشأ مجتمع
ثيوزوفي في ضاحية سانت جون وودز، حيث عكفوا على تربية طفل صغير سقيم البنية عديم
الذكاء، ولكن أقل كلمة يقولها تُسمع باحترام وإعجاب، ولا عجب فقد كان انتساخاً من
فيثاغورس، وربما لم يكن ذلك تناسخاً على الحقيقة حيث إن الثيوزوفيين يسلمون بأن فيثاغورث
قد انتسخ في كوت هوومي الذي لازال حياً، لكن هناك حالات أخرى يبدو فيها ذلك
مستحيلاً، ولكن متى كان الثيوزوفيون يأبهون لأعظم الاستحالات، فحينما أطلق أحدهم
على بلافاتسكي "كونت سان جيرمان القرن التاسع عشر"¹⁹ هرع الباقون إلى التسليم به حرفياً
كأمر واقع، أما الكونت ذاته فقد كان مجرد رسول 'للحفل الأبيض العظيم'، وترقى إلى مرتبة
'معلم حي'، وبهذا الصدد نلاحظ أن السيرة البيوجرافية لهذا الرجل²⁰، وهو لغز حقيقي كتبت

17 ويبدو أن الجنس السادس سوف يولد في كاليفورنيا، ولذا هرعت جمعيات تعמיד زائف لا
تختلف عن الثيوزوفية لإقامة مقرات قيادتها في هذه المنطقة.

18 *L'Occultism dans la Nature*, p 216, see Mrs. Besant's book entitled 'Man: Whence, How
and Wither.

19 *Lotus Blue*, May 27 and Sep., 27, 1895.

20 عن كريستيان روزنكرويتز *Christian Rosenkreutz* وكونت سان جيرمان واعتبارهما شخص
واحد باسم 'Master R' راجع الحواشي الإضافية على ص 48 و ص 130 n15.

عنه ميس أوكل *Miss Isabel Cooper Okley* أول تلميذة لبلافاتسكى²¹، وبه أسرار يحسن أن يتجنب المرء الخوض فيها، فإن الأفكار الثيوزوفية هنا كما في أى موضوع آخر لا تصالح بينها، وعلى كل فإن سينيت يقول إن مدام بلافاتسكى ذاتها قد ادّعت أنها 'نسخت' نفسها فى أحد أعضاء أسرته، وقد كانت عمّتها التى ماتت شابة، وأنها قبل ذلك كانت امرأة هندية عارفة بالغيبية، ولم يرد ذكر كونت سان جيرمان فى كل ذلك.

ولكن لنعد إلى فيثاغورس، أو بالحريّ إلى الصبى الذى سيكون 'وسيلة' جديدة له، فبعد فترة قصيرة سحبه والده فجأة من يد ليدبيتر، وهو نقيب هندی متقاعد من الجيش البريطانى، والذى كان مكلفاً بتعليم ابنه²²، ولا بد أنه كان هناك تهديد بفضيحة من نوع ما، فقد طرد ليدبيتر من الجمعية الثيوزوفية لأسباب يحسنُ الصمت عنها، ولكن بعد فترة من الزمن ظهرت رسالة كتبها مسز بيسانت فى حينها قالت فيه "إن هذه الطرق الخطرة تستلزم أقصى درجات التعنيف"²³ لكنه أعيد إلى الجمعية عام 1908 بعد أن تعهد بالألا يعود إليها مرة أخرى كما لو كان صبياً يعتذر عن قيامه بلعبة خطيرة²⁴، وتصالح مع مسز بيسانت حتى إنه أصبح معاونها فى آديار، وقُدّر على ليدبيتر أن يلعب الدور الرئيسى فى المسألة التالية التى عُرِفَتْ على نحو أفضل وانتهت إلى النتائج ذاتها.

21 ومن جانب آخر هناك من يصدق أن كونت سان جيرمان ذاته كان تناسخاً من كريدستيان روزنكرويتز، وهو المؤسس الرمزي لأخوة الصليب الوردى، وأنه كان متعمداً وصل إلى مرتبة عليا، وعاش فى زمن المسيح.

22 وقد نشرت هذه الوقائع فى مقال بتوقيع ستونيت *J. Stonet* ظهر فى مجلة *Le Soleil* فى أغسطس 1913.

23 *Theosophical Voice. Chicago, May 1908.*

24 *Theosophist* فبراير 1908، وقد أدت عودته إلى الجمعية إلى استقالة عدد من أعضاء فرع إنجلترا، وخاصة سينيت ومييد، وقد استبدل الأول كئائب رئيس للجمعية الثيوزوفية بـسير سوبرامانى إيار *Sir S. Subramanya Iyer* الذى كان سابقاً القاضى الأول للمحكمة العليا فى مدراس.

21 حكاية الكيون

لن نتحدث هنا عن فيثاغورس ولا عن كوت هوومى الذى قدم نفسه كأحد 'السابقين' فى الرواية التى سنطرحها، بل عن بودهيسانتا مايتريا ذاته، والطفل الذى يُرعى لهذا الغرض، والذى كان هنديةً باسم كريشنامورتى، والذى وضعته مسز بيسانت تحت حمايتها مع أخاه نيتياناندا الذى كان عليه أن يقوم بأمر ثانوى¹، وعادة ما يُطلق عليهما اسمين قصيرين هما الكيون و ميزار، وقد صاحبها مسز بيسانت فى رحلتها إلى باريس عام 1911، وظهر ثلاثتهم فى السوربون جنباً إلى جنبٍ فى محاضرتها فى 15 يونيو التى رأسها مستر ليارد *Mr Liard* البروتستنتى الذى كان نائب مدير الجامعة فى ذلك الحين، وكان موضوع المحاضرة "رسالة جيوردانو برونو إلى العالم اليوم"²، ولتسهيل فهم هذا العنوان لابد من اعتبار أن السيدة بيسانت نفسها تجسيد جيوردانو برونو، وقد كانت قبل ذلك هيباتيا ابنة ثيون الرياضى السكندرى، وقد سبق لها أن أفصحت عن نسخة مختلفة تماماً، وقد أكدت مدام بلافاتسكى "أنها كانت هندية فى حياتها الأسبق"³، وهذه الاختلافات لا تبعث على الثقة، وهى إضافة إلى ما ذكرنا من اختلافات حتى الآن.

وقد كان الكيون فى السادسة عشر من عمره عندما وصل إلى باريس أول مرة⁴، وكان قد كتب أو يكون كتب له شخص آخر كتاباً بعنوان "تحت أقدام المعلم *At the Feet of the*

1 وقد مات نياناندا منذ سنوات قلائل ولم يُقيِّض له القيام بدوره فى الحملة 'الماشيحانية' للثيوزوفية.

2 وقد كانت مسز بيسانت مؤخرًا فى باريس لرئاسة المؤتمر الثيوزوفى، وألقت محاضرة أخرى فى السوربون فى القاعة الكبرى، وكان مستر أبيل *Mr Appell* نائب مدير الجامعة حينها، والذى كان من سلطته التصريح اللازم، والذى كان يجلس فى الصف الأول للجمهور، أليس هو الآخر بروتستانتيًا؟ راجع تافيرنييه *Eugene Tavernier* فى مجلة *Libre Parole* 25 يوليو 1921.

3 *The Two Wrlds, Apr.20 1894.*

4 وبعد أن سافر كريشنامورتى إلى باريس عام 1911 وعام 1914 لم يعد إليها إلا عام 1921، وعدة

"Master"، والذي عبر عنه الثيوزوفيون بإعجاب غامر، حتى لو كان مجرد مفاهيم أخلاقية تخلو من أية أصالة⁵، وقد أنهى جاستون ريفيل عرضه لهذا الكتاب بهذه الكلمات "وسيكون كاتبه غداً حاملاً لفوائد جديدة علماً تجمع قلوباً تتبع نجمه"⁶، وقد ظهر قبله كتاب غريب بعنوان 'دموع على وشاح الزمن' للمعلمين الرئيسيين في الجمعية الثيوزوفية، وهما آني بيسانت و ليدبيتر وآخرين، وقد كانت نوعاً من الرواية عن الأجناس الإنسانية القديمة التي تستقي من المنبع ذاته، ويروى تاريخ ثلاثين تناسخاً متتابعاً لآلكيون، ويقال إن هناك كثير غيرها من قبلها⁷، وقد كانت القاعدة العامة ألا يُسمح للمرء بتذكر حيواته السابقة، لكن يبدو أن 'المعلمين الرئيسيين في الجمعية الثيوزوفية' كانوا استثناءً للقاعدة بفضل 'عرفاتهم' *clairvoyance* التي تجعلهم قادرين على سبر الماضي، ولكننا رأينا توماً مصير الثقة في تلك الأمور، وقد صدرت نسخة فرنسية موجزة كتبها جاستون ريفيل عام 1913 للكتاب المذكور مذيلة بتعقيبات، وعنوانه '2500 عاماً قبل المسيح حتى أيامنا'، وما يجدر ذكره هو عناية في اختيار الحكايات بحث تتخللها تعاليم الثيوزوفية، وكذلك التوقعات التي تشير بمهارة إلى تواريخ مختلفة في مستقبل آلكيون، وأخيراً الطريقة التي يلتقي بها أناسي بعينهم في هذا الوجود وفي الوجود الذي يليه، ومن بينهم قادة الجمعية الثيوزوفية، ويقول ليدبيترالذي ظهر في الحكايات باسم سايريوس *Sirius*،

"ويكاد يظهر في هذه الدراما ما يقرب من نحسمئة عضو في الجمعية الثيوزوفية متلبساً بالدور الدرامي الذي سوف يعيشه في سياق تلك الحيوانات، فهرقل هو مسز بيسانت وفاجرا هي مدام بلافاتسكي وأوليس هو أولكوت وهلم جراً، ومن المسلمي ملاحظة كيف أن الأقارب

.....

مرات فيما بعد.

5 وظهر كتيب آخر لآلكيون عام 1913 بعنوان 'الخدمة في مجال التعليم' *Service in Education*.

6 *Le Theosophy, Jun., 16, 1911.*

7 ونجد في كتاب 'الإنسان متى وكيف وما إذا؟' *Man: Whence, How, and Wyther?* الذي نُشر 1913 معلومات عن التناسخات القديمة وحتى ما سبقت وجود الإنسان في حياة آلكيون ورؤساء الجمعية الثيوزوفية في السلسلة القمرية!

بالدم حتى لو ولدوا في بلاد متباعدة يجتمعون مرة أخرى نظراً لمشاعرهم نحو الدراسات
التيوزوفية، فالعلاقة بالمعلمين أعمق من العلاقات الأرضية"⁸

لقد أقاموا نظرية كاملة عن 'لقاء الأنوات *meeting of Egos*' بالارتباط بفترات بعينها
تُعتبر مهمة للأجناس البشرية، واستندوا إلى ذلك في القول بأن تاريخ التيوزوفية يرجع إلى عام
22662 ق.م.⁹، وهو قرين سلاسل النسب الخرافية التي ذكرناها سلفاً¹⁰.

أما عن بطل هذه الرواية ففيما يلي تفاصيل 'التعميد'، والمفترض أنه على استعداد له
بموجب إعداده في حياته السابقة،

"إن آلكيون أصبح على استعداد من الآن فصاعداً لأداء مهام جديدة، وبصفته تلميذ
مباشر للمعلمين الذين كان في خدمتهم على أفضل وجه في الماضي، ووجد أصدقاءه وأبويه من
الماضي في شخص رئيسنا المجللة والسيد ليدبتر، وبعد فترة قصيرة سُمح له بارتداد طريق
الصلاحية، ومرت خمسة أشهر كي يجتاز القبول، وأصبح بعد بضعة أيام 'ابن المعلم'، واجتاز
أول أبواب التعميد الرئيسية، والتحق بأعضاء 'المحفّل الأبيض العظيم' الذي يتحكم في شئون
الإنسانية، وأصبح اليوم في صحبة كل من عرفوه في الماضي وأحبوه وخدموه في الماضي يعيشون
في أعضاء الجمعية التيوزوفية"¹¹.

"وينتمي آلكيون والذين يحيطون به إلى قلب العالم، كما أنهم يبشرون بمستقبل
واعد، ويشكلون فيما بينهم جماعة خاصة تسمى 'جماعة الخدم *the group of*
servants'"¹².

L'Occultisme dan la Nature, p 158. 8

De l'an 25000 avant Jesus Christ a nos jours, p 269. 9

وقد أثبت محفل 'H B of L' أصله منذ 4320 عاماً فقط قبل عام 1881 في الوقت الراهن، وهذا
تواضع نسبي، لكن لا بد من قول إن هذه الأرقام تشير إلى رمزية الأعداد الدورية.

Ibid., p 288-289. 11

Ibid., 12

ويعنى تعبير 'ينتمى إلى قلب العالم' تلاميذ بوديهيساتفا المباشرين بناءً على الروابط المفترضة مع مهاتما موريا، وينتمى مؤسسوا الجمعية الثيوزوفية إلى مجموعة مانو آى 'مخ العالم'، وربما كان المقصود بالتمايز تمديد التفسير والاعتذار عن اختلافات بعينها.

وأياً كان الأمر فقد ظهرت اعتراضات من عدة جوانب وخاصة من الهند حيث بدأت تنتشر شائعات بعينها نثير القلق، ولا نملك بهذا الصدد إلا إنكار الرواية البلهاء بأن جماهير الهنود كانت تسجد أمام كريشنا مورتى، ومن اليسير فهم أن الثيوزوفيين هم الذين أشاعوها لتضخيم الدعاية لماشيحهم الآتى، ولكن ما يصعب فهمه أن بعض مناوئهم وجدوا أن من الحكمة ترويح هذا الهراء، ويصعبُ استخدام كلمة 'التيوزوفية' وكيف ينظر إليها الهندوس¹³، ففي بداية عام 1911 قال د. نانجوندا راو Dr M.C.. Nanjunda Rao الأستاذ فى مدرسة الطب فى مدراس، والذي اتهمه الثيوزوفيون فيما بعد بتدبير الحملة عليهم، وقد كتب فى مجلة *Arya-Bala Samaj Magazine of Mysore*،

"إن مجريات الأمور الحالية عند الثيوزوفيين تستلزم أقصى عقوبة من جراء الطرق التى انتهجوها لتمجيد كريشنا مورتى كمسيحٍ ثانٍ أتى ليخلص البشر البؤساء".

ومن أجل الذين قد يضلّهم تشابه الأسماء نقول إن 'آريا بالا ساماج' المذكورة عليه والتي نشرت تلك السطور لا علاقة لها بمنظمة أخرى باسم 'آريا ساماج بودهينى' التى كانت إحدى مبتكرات الجمعية الثيوزوفية الشقى¹⁴، والتي كانت 'جمعية الشباب الهندى' على غرار YMCA وهى جمعية الشباب المسيحية التى حاولت البروتستنتية الأنجلو أميريكية نشرها فى كل البلاد حيث تُخفى العقلية البروزيليتية تحت قناع عدم الانحياز.

13 وها هى رواية أخرى، فالذين لم يتعودوا على الأزياء الهندية يتصورون أنه كان على آلكيون أن يظهر بصورة المسيح التراثية، وهذه القصة أقل احتمالاً من سابقتها، إضافة إلى عدم صحتها فى الواقع.

14 Lotus Blue, Apr., 27, 1895.

وقد كتب د. ناير *Dr J.M. Nayer* مقالاً جارحاً عن الثيوزوفية في المجلة الطبية *Anticeptic*، ولم يتردد في اتهام ليدبيتر باللاأخلاقية، وكان عنوانها *Psychopathia Sexualis* *chez un Mahatma* أى 'مرض نفسى جنسى عند مهاتما'، والتي نُشرت بعد هذا الهجوم على شكل مطوية بأعداد هائلة يومية في صحيفة *The Hindu*، وبعد هذا الهجوم وفترة في التفكير رُفعت على د. ناير ود. راما راو محرر جريدة *The Hindu* ثلاث قضايا في ديسمبر 1912، وخسرت الجمعية ورئيستها القضايا الثلاث، ودفعت بأن من الخطأ اعتبارها مسؤولة عن نظريات ليدبيتر التي كانت شخصية تماماً، واستعدت للتخلُّص من ليدبيتر مرة أخرى، والذي تحول إلى عبء ثقيل، ونسيت مسز بيسانت أنها كتبت من قبل "إن مدام بلافاتسكى اتصلت بها في ليلة ذهابها إلى مقر المعلم لتخبرها أن الدفاع عن ليدبيتر لا بد أن يُدبر بحيث يتجه إلى كل المبالغات التي اتهم بها"¹⁵، حتى إنها قالت بعد فترة "سوف أقوم أو أسقط معه"، وهذا ما ذكَّرها به أعداؤها، ولو خسرت مسز بيسانت القضايا لثلاث فإن ليدبيتر قد كسب على الأقل عدم طرده من الجمعية مرة أخرى، لكن الفضيحة كانت جسيمة رغم الجهود الهباء لرئيستها وأصدقائها المخلصين، وقد كان ذلك على أشده عندما كتب آرونديل مدير الكلية المركزية في بنارس¹⁶ خطاباً سرياً إلى مسز بيسانت يغصُّ بالثناء إلى حدِّ العبادة، والذي جاء ذكره عليه، وحينما كشف رئيس مدرسة أللهآباد عن هذا الخطاب أجبر بعض المعلمين على تقديم استقالاتهم بمن فيهم المدير ذاته بسبب ترويح الدعاية الثيوزوفية بين تلاميذهم، وقد نلَّصت جريد هندية *The Behari* الانطباعات العامة على خير وجه كما يلي،

"لو كان الحكم على حركة بالزيف وكان ليدبيتر زائماً فذلك من جرّاء زيف الثيوزوفية ذاتها، فإنها للعوام أمر بين الفعل الفاضح والادعاء الجريء، وبين التعليم الإجبارى والادعاء الجسميم".

The Link, a Theosophist journal. 15

16 وقد أصبح آرونديل فيما بعد مديراً للتعليم في إندورا، وقد كان مهراجا هذا الإقليم من الأمراء الهنود الأنجلو فيين المذكورين في باب 29.

وقد أدى كل ذلك إلى اضطراب والد كريشنامورتى و نيتيناندا، و نارايانا الذى كان ثيوزوفياً مخضراً منذ 1882، والذى عمل مساعداً لسكرتير المراسلات فى القسم الجوانى فى الجمعية فى آديار بدون أجر منذ 1908 بالاسم الثيوزوفى 'آنتاريس Antares'، وقدم طلباً لمحكمة مدراس العليا لإلغاء الوصاية التى وافق عليها فى 6 مارس 1910 وإعادة ابنه إليه¹⁷، وبعد النظر فى القضية التى نُشرت تفاصيلها مجلة Times عدد 18 إبريل 1913، وأمر القاضى باكويل بإعادة الشاب إلى والديه قبل 26 مايو، وقرر أن يكون الأب وصياً على أبنائه، وقد جاء فى حيثيات الحكم ما يلى بالنص،

"لقد اعترف ليدبير أن حرمانه من الموقع الذى عمل فيه ولازال يتمسك بأراء لا أرى فيها إلا أنه لا يصلح لتعليم الصغار، وأن طبيعته تمنع تأهيله لتدريس الصبيان، ذلك إضافة إلى ادعائه إدراك حلول الأفكار الدنسة، مما يجعل منه رقيقاً خطراً على الصغار، والواقع أن المتهم والدفاع أعلنوا أنه لن يعود إلى ذلك، لكن نتوقع أن الأب لن يثق فى وعد كهذا"¹⁸.

وقد استأنفت مسز بيسانت القضية على الفور، ولكنه رُفِضَ فى مدراس فى 29 أكتوبر 1913، فقررت رفع القضية فى المحكمة البريطانية، وكان هناك شخصين هنديين فى نهاية تعليمهما بجامعة أكسفورد¹⁹، وأعلنوا عن استعدادهما لعدم العودة إلى الهند²⁰، وقُبِلت دعوى الاستئناف فى هذه المرة فى 5 مايو 1914 فى لندن بـ لجنة خاصة من أمانة الخصوصية²¹،

17 وسيكون اختفاء آلكيون من الجمعية على الحقيقة مؤقتاً كما سيبدو من الحواشى التالية، وقبل أن نتحدث عنه مرة أخرى كان يلزم أن يتوفر الوقت للناس ينسوا الأحداث سيئة الطالع، وفى عام 1922 تم تعيين كريشنامورتى عضواً فى المجلس العمومى ومديراً تنفيذياً للجمعية الثيوزوفية.

18 ولا يملك الثيوزوفيون التشكيك فى دقة هذا النص، فقد اقتبسناه من كُتَيْبٍ بعنوان 'قضية مدراس The Madras Trial' ص 64، وهو منشور مقصور على أعضاء الجمعية الثيوزوفية، وقد أوصى بليتش Charles Bletch فى مقدمته الأعضاء على "ألا يتداولون هذا الكُتَيْبَ خارج الجمعية، ولا يذكرون حتى اسم الكُتَيْبَ خارج حلقة أعضائنا".

19 ومن أكثر دواعى التسلية أن تعلن مسز بيسانت أمام محكمة مدراس العليا عن أنها ألحقت كريشنامورتى بجامعة انجليزية لإعداده كمعلم أرواحى، راجع 'قضية مدراس' ص 64.

20 The Times, Jan., 28, 1914.

21 Daily Mail, May 6, 1914.

وظلت الأمور كما هي عليه، وبالطبع كان الاحتفال بهذا القرار بمثابة انتصار للشيوزوفيين، ويجوز الاعتقاد بأن نفوذاً سياسياً بعينه لم يكن بمنأى عنه، وكتب أحد الفرنسيين خطاباً إلى صحيفتهم الفرنسية ما يلي،

"لقد كسبت مسز بيسانت القضية المرفوعة عليها، وهذا خبر طيب، ولا نندهش لأننا كنا نتوقعه، ومن الآن فصاعداً ستفرض حركتنا نفسها على قوى لا تُقهر"²².

ومنذ ذلك الحين لم نسمع أخباراً عن ألكيوني، ويبدو أن لا أحد يتحدث عنه حالياً، فكل تلك الأحداث كانت مناوئة للرسالة التي رُسمت له، كما أنهم يسمونه الآن 'منادياً herald' لكن دائماً ما تُذكر الرسالة المقصودة ودوره المهم القادم فيها، وهكذا وجدوا مخرجاً آخر يظل مفتوحاً حال تنقلب الأمور إلى الأسوأ²³.

ولكنهم كانوا أقل حذراً أثناء الإجراءات القانونية في مدراس، وكانت بعض التصريحات بعد حلف اليمين في قاعة المحكمة على سبيل المثال أن تعلن مسز بيسانت بعد حلف اليمين عن حضور الرئيس الأعظم لتطور الأرض، والتي كانت تشعر به على نحو واعي أثناء تعميد كريشنامورتى في موقع بالتبت حتى إنها اعتقدت لأسباب قوية أنها ترى المسيح أو بودها مايتريا كما يسمونه في الشرق، وأنه سوف يستخدم جسد التلميذ كريشنامورتى بعد بضعة

22 *The Theosophist, May 16, 1914.*

23 ومنذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب تطورت الأمور إلى مرحلة جديدة، ففي ديسمبر 1925 قررت مسز بيسانت فجأة أن تدعى 'مجيئه' الوشيك بوقار عظيم وعرض مسرحي باهر، ولكن الغريب أنها قامت بذلك حتى تترك المرء في حيرة عما إذا كان مقدر له أن يكون وسيلة للماشيح أم أنه مجرد 'مرسال' بسيط، ويتضح معنى الحذر عندما نعلم أن كريشنامورتى الذى كان فى الثالثة عشر حاول بجهد أن يتخلص من المهمة التى ألقيت عليه رغم التعليم الذى تلقاه، حتى إنه رفض حضور احتفال 'الانتصار'، وقد استطاعت مسز بيسانت أن تضعه تحت نفوذها مباشرة، وفسرت هذه المقاومة باختبار لا بد أن يجتازه، حتى إنها ضاهته بإغراء المسيح فى البیداء! ويبدو ذلك تسليماً بأن بودهيساتفا لا بد أن يتجلى باستعمال كريشنامورتى كوسيلة، كما يؤكدون أن بودهيساتفا تحدث بلسانه مرارا، كما أن هناك صعوبة أخرى، وهى أن هذا الماشيح بحاجة إلى اثني عشرة حوارايا، وفى الوقت الذى صدر فيه الادعاء لم يوجد منهم إلا سبعة ولم يكتمل العدد، وهؤلاء الحواريين هم مسز بيسانت وليديبيتر وجينارحاداسا ومستر ومسر آرونديل والقس كولستوم ومدام مانزيارلى، والتي قيل أنها ستخلف مسز بيسانت.

One wonders whether one is dreaming on reading these lines, and it is understandable that a Hindu newspaper, the *Poona Mail*, should have written that Mrs Besant—who had gone as far as to tell Narayaniah that Leadbeater was 'an Arhat bordering on divinity'—was guilty of blasphemy' through the outrageous assertions she had

سنوات حتى يقوم بعمله بين الناس، وعلى منوال ما فعله في استعمال جسد تلميذه عيسى من ألفين من السنين، كما ادّعت أن المسيح قد ظهر في بنارس في حضرة بعينها لمدة دقائق، وألقى بنوره على 'المختارين' وقد صرّح ليدبيتر بأمر مشاكل وهو تحت اليمين، فقال إنه قام ببحوث عن المريخ وعطارد يمكن أن يقرأ بها أفكار الناس، كما تحدث عن مخلوقات فائقة علمته كيف يبحث عن الصغار المناسبين للعمل الروحي في المستقبل، وقد كانت كثيراً من تصريحات الاثنين تشير إلى أن مسز بيسانت و ليدبيتر على اتصال دائم 'بالرؤوس الباطنية' للجمعية الثيوزوفية المعروفون باسم 'المعلمين Masters'²⁴.

ويعجب المرء ما إذ كان يحلم عندما يقرأ تلك السطور، فن المفهوم أن جريدة *Poona Mail* الهندية قد كتبت أن مسز بيسانت التي ذهبت إلى التصريح لنارانيا أن ليدبيتر 'راهب آرهات' على وشك الربوبية، مذنب بالكفر من واقع توكيدات الجريئة وهي تحت اليمين. وكل هذا وكثير غيره أحداث فاضحة لا يتمخض عنها إلا المشاكل في قلب الجمعية الثيوزوفية، وقد كان أشهر انفصال في تاريخها هو رودلف شتاينر عضو الصليب الوردى الذى قاد جماعات من ألمانيا وسويسرا وإيطاليا وعدد آخر ليشكلوا منظمة مستقلة أخرى تسمى 'الجمعية الأنثروبولوجية الثيوزوفية *Anthroposophical Society*'، وبعد هذا الشقاق الرسمى في 14 يناير 1913 أعادت مسز بيسانت تشكيل القسم الألماني واختزاله إلى حد كبير، بما فيها الفروع القليلة التي بقيت على ولائها في آديار، وفي السابع من مارس أبدلت شتاينر السكرتير العام لهذا القسم بالدكتور شلايدن *Dr Hubbe-Schleiden* مدير مجلة *Sphinx*، وقد كان شلايدن ضالماً في الحركة الثيوزوفية منذ 1884، وقد حظى برسالتين 'مترسبتين' من 'المهامات' ووصلته الأولى في قطار بصحبة إلكوت²⁵، وبغض النظر عن الانفصال عن شتاينر الذى سنتناوله لاحقاً بتفصيل أوسع، كان هناك أمور شتى أقل أهمية، وفي 30 أكتوبر 1913 جعلت مجموعة أسبانية من بونتيفيدرا باسم 'ماركوس أوريليوس' نفسها مركزاً مستقلاً، وادّعت أنها لم

The Madras Standard, Apr., 24, 1913. 24

The Occult World, Conclusion. 25

تعد متعاطفة مع أفكار ومذاهب المدير الحالى، وتمسكوا بتعاليم مدام بلافاتسكى²⁶، وعبروا عن رفضهم للميول الجديدة التى بدأت فى تحويل الجمعية الثيوزوفية²⁷، وأخيراً فهناك ثيوزوفيون

26 وقد أصبح شعار 'العودة إلى تعاليم بلافاتسكى' موحداً لاتجاهات كثير من المنشقين على المؤسسة الثيوزوفية، وخاصة فى 'المِحفل الأمريكى المتحد للثيوزوفيين *American United Lodge of Theosophists*'، والذى يستحق اتباعها خاصة، وقد كان رئيس إدارته واديا *W.P. Wadia* من أكثر أعضاء الجمعية الثيوزوفية ظهوراً، كما يبدو إنه كان أحد المرشحين لخلافة مسز بيسانت فى التابع الرئاسى، وكان المِحفل يتميز بأنه ليس جمعية بالمعنى المعتاد، فليس لها 'قانون ولا لأتجة ولا موظفين'، وأعلنت عن نفسها بأنها 'جماعة المخلصين لعظماء المؤسسين للحركة الثيوزوفية'، واتهموا تابعيهم بتحريف التعاليم، وقد صاغ واديا تهمة 'عدم الولاء للثيوزوفية' فى خطاب استقالته فى 18 يوليو 1922، ونقتبس منه ما يلى،

".. ما هذا السرير الرملى للفكر الذى أقامته الجمعية الثيوزوفية؟ والذى كان أصلاً برنامجاً للترقى الروحى وقد أصبح عقيدة، وصار لها معمدتها المَحَلِّصين وحجيمها المقيم للذين فاتتهم الفرصة، ولها شياطينها فى إهاب السحرة السود، ولها فردوسها فى جنة عدن، والذى سيزدهر بعد 750 عاماً فى جنوب كاليفورنيا للمخلصين من جنود الجيش المتعصبين، والذين يطيعون بحماس وإن لم يكن بحكمة... ولا نجد فى الجمعية الثيوزوفية إلا تأكيدات لا برهان عليها من ناحية، ومن ناحية أخرى تصديقاً خيالياً بما يسمى 'التتابع الرسولى *Apostolic succession*'، والذى أصبح مناط الإيمان فى الجمعية، إضافة إلى قسم سرى للجمعية باسم 'قسم الجوانية' أو 'مدرسة الشرقيات'، أما عن 'مستقبل جنة عدن' فى جنوب كاليفورنيا فستكون مهداً للجنس السادس، ويتعلق 'التتابع الرسولى' بسلطة 'الكنيسة الأرثوذكسية الحرة *Liberal Catholic Church*'، التى سنتناولها بالتفصيل فيما بعد، فهل كان غرضهم تجسيد الحقائق الروحية وخلق أنصاف أرباب لى يطردوا الأرباب...؟ فأصبح لدينا الآن 'كنيسة رسولية *apostolic Church*' بكل ما فيها من 'كهنوت خبيث' يرسمه المعلمون! وقد أصبحت دور العبادة اليوم بكهانةها وشعائرها واحتفالاتها تلقى تشجيعاً باعتبارها 'ثيوزوفية'، وتستخدم الأسماء المقدسة 'للمعلمين' فى كل مناسبة وكل لحظة، ويستنكف المرء من الالتحاق 'بمدرستهم'، فأفضل له أن يشارك سياسياً فى حركة ضد العنف والمقاطعة على منوال القائد الهندى العظيم غاندى *M.K. Gandhi*، ولا يملك أحد أن يهاجم الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية ويبقى عضواً فى الجمعية الثيوزوفية ولا فى 'رابطة الولاء *League of Loyalty*' فى استراليا، ولا بد أن يؤمن الجميع بمحجى 'معلم العالم' وأن يشاركوا فى حركات بعينها لأن بوديهيساتفا أو هو المسيح قد باركها، وتأتى الرسائل والأوامر والتعليمات على يد 'المعلمين والملائكة'، كما أنها تتعلق بقواعد اللعبة عن كيف يتحكم الشباب فى أنفسهم وكيف يرتدون ملابسهم وماذا ينشدون فى الشعائر المشتركة فى الماسونية إضافة إلى دسنة من أمور من هذا النوع، وتفتقد هذه الأوامر الإحساس بالتناسب كما تفتقد استنارة الذكاء وحاسة المعقولة، فيطيعون ويتبعون، وهذا هو الشعار الذى يعطى للمصابين بفيروس البلاهة النفسى، والذى تشرف باسم الثيوزوفية، لكن كان هناك من أصيبوا بالملل من الطاعة والاتباع، إضافة

أميريكيون معارضون، وقد أنشأوا 'رابطة الإصلاح الثيوزوفى'، والتي ضمت د. باك المذكور سلفاً من أعضائها الرئيسيين، وقد جاء في بيان هذه الرابطة التي كان لسانها مجلة 'الحياة الربانية *Divine Life*' التي نشرت سلاسل قيمة عن 'قضية مدراس'،

"إننا نقترح تنظيم الجمعية الثيوزوفية في الولايات المتحدة لإصلاح ما أفسدته مسز بيسانت وشريكها ليدبيتر طوال فترة رئاستها من قيم الجمعية ومثلها،... بما يخالف المبادئ الأصولية للثيوزوفية²⁸، فقد استغلت ثقافة فردية حتى إن ديناً جيداً يتشكل برعايتها، ويشكل سلوك مسز بيسانت هنا مرة أخرى عدم الأمانة، كما أن تعاونها مع ليدبيتر من شأنه أن يحط بقدر الجمعية".

.....

إلى واديا كان هناك عدد من الاستقالات الأقل إثارة في ذلك الحين، فقد ترك شيفرييه *George Chevrier* سكرتير المراسلات في فرع الجمعية موقعه ومعه ستمئة عضو من محفل سيدنى في أكتوبر 1922، والذي كان مديراً له، وبادر على الفور إلى إنشاء منظمة مستقلة، كما هددت فروع كثيرة بالانفصال مثل محفل نوتجهام في إنجلترا، واتحاد المحافظ البريطانية في ميدلاندا، وحذا حذوهم في فرنسا فرع أنجي في مدينة نيبس، وتبعه فرع فاجرا في الرون *Roanne*، وشطر من محفل الهافر *Havre*، وأنهالت الاتهامات من كل صوب على الرؤساء في حينها بتزوير تعاليم مدام بلافاتسكى في الطبعة الجديدة التي أعدت بإشرافهم، وتقول مصادر أميركية منشقة إن الحذف والإضافة والتعديل قد بلغت ما لا يقل عن 2200 في كتاب 'المذهب السرى'، وقد سُمي ستوكس *Stokes* محرراً رسمياً وملهماً لهذا التغيير، فقد كان تشاكرافارتى *G.N. Chakravarti* الشهير الذي ذكرناه عاليه 'ملهماً' لمسز بيسانت لفترة طويلة، وبدا أن 'العودة إلى بلافاتسكى' كما يسميها المؤيدون تنتشر مرة أخرى مستقلة عن جماعات الجمعية الثيوزوفية الذين يطمحون إلى اكتشاف التعاليم الحقة التي نشرتها أول مؤسسة للجمعية حتى يعيدوا اسم الثيوزوفية التي تأسس لتوها، وقامت في باريس بإدارة لوى ريفيل، وفي بروكسل بإدارة بليتينيكس وفي أمستردام بإدارة كليفسترا و فان دير فيلدى.

27 *El Liberal, Madrid, Nov., 18, 1913.*

28 تنويه عن عبارة في اللائحة تحريم الترويج لأية مواظ دينية.

22 أنثروبوصوفيا رودلف شتاينر

وليس هناك من سبب لدى الثيوزوفيين لهنتة أنفسهم على علاقاتهم بما يسمى 'مُحفل الصليب الوردى الألماني'، والذي جاء ذكره في الحديث عن المشاحنات بين بلافاتسكي وفرانز هارتمان منذ 1913، أما أثناء 'قضية الكوين' فقد انشق شتاينر الذي كان سكرتير القسم الألماني في الجمعية تماماً عن مسز بيسانت¹، وانتقاماً منه أمسكت صفحة بياناته واكتشفت أصل عائلته الكاثوليكي، ومن ثم اتهمته بأنه جزويتي²، ولو صح ذلك فقد استغرقت زمناً لاكتشافها، فقد كان شتاينر عضواً في الجمعية منذ خمسة عشر عاماً، ويبد أن 'عراقها' لم تفيدها في هذه المناسبة، ومن عاداتها إلقاء هذا الاتهام للمحرف بالجزويتية على 'السحر الأسود' في دوائر الأرواحية الجديدة، ولا تستحق النظر طويلاً³، وهناك غيبون أصبح خوفهم من الجزويت

1 راجع كتاب ليفي Eugene Levy 'صراع مسز آني بيسانت في أزمة الجمعية الثيوزوفية'.

2 Theosophical, Jan. 1913.

3 وقد ادعت مسز بيسانت أن الجزويت أشبه بالسحرة السود، والذين أطلقت بلافاتسكي عليهم اسم 'إخوان الظلال Brothers of Shadwos' و'حكام الوجه الأسود'، حتى إنها ذهبت إلى اتهامهم بالإيحاء بكل هجوم على الجمعية الثيوزوفية وقادتها خاصة بكل ما يتعلق بقضية ليديتير، وحيث إن من الصعوبة تصديق ذلك نقتبس من كلامها ما يلي،

"سوف تذكرون الهجوم الحاد لمدام بلافاتسكي على الجزويت كأخطر أعداء الثيوزوفية رغم أن الإكليروس الكاثوليكي أنجز كثيراً من العمل، حتى إن رأسها أصبح السلطة الأسمى في العالم الغربي، واستسلمت إلى روح الاضهاد، فقد اعتبرت أن المعرفة شديدة الخطر على الناس العاديين، وتغلق أبوابها في وجه أعظم الأكفء، ... وقد كان حكام التنفيس في العصور الوسطى منهمكين على الدوام في تلوين سمعة ضحاياهم باتهامهم بالشذوذ الجنسي، فانظر إلى اتهاماتهم للتمبلار والأليبيجيسيين وبارا كليدوس وبرونو وغيرهم من خدم المحفل الأبيض، والكنيسة بمعرفة الغيبية ونظامها الفكري وطاعة المراتب الأدنى قد أنتجت قديسين وطغاة، وانتشروا في العالم كما لو كانوا طائعون لإرادة واحدة، وقد أصبح هذا النظام قوة ساحقة لكل الخير والشر، وله قائمة هائلة من الشهداء، لكنها قد نُفيت من العالم المسيحي من جرّاء جرائمها، إذ إنها ذاتها رواسب قوى غيبية، وتسعى لتحطيم من يحتكم على هذه القوى خارج تدريباتها،

هاجساً حقيقياً، ومن ناحية أخرى كان بعض الكُتاب ومنهم بلافاتسكى لم يترددوا في عزو تأسيس الصليب الوردى للماسونية الاسكتلندية إلى الجيزويت، وادعى آخرون أن الجيزويت قد تسللوا إلى منظمات مختلفة من أخوة الصليب الوردى في القرن السابع عشر، لكن كل هذه الأوهام التاريخية الزائفة لا تصمد أمام أى نظر، ونظرها فحسب حتى نؤكد أن مسز بيسانت لم تختبر شيئاً، وقد رأت مناوئاً للكاثوليكية أمامها بتوصية من مدرسة تابعة للصليب الوردى، ولم تقصّر في اكتشاف أنه جيزوي⁴، وقد اعتقد البعض أن المشاحنة بين شتاينر وبين مسز بيسانت مجرد كوميديا⁵، ولكننا لا نعتقد ذلك، ونرى أنها كانت قطعة باتة، وفيما وراء الأمور التي بدت سبباً للانشقاق، وبغض النظر عن الأمور الشخصية فإننا نعتقد بتدخل دوافع سياسية، ولاشك أننا محاطون من كل صوب بوصايا ألا نتكلم في السياسة، لكننا سنرى فيما بعد أن الجمعية الثيوزوفية قد خدمت مصالح الإمبريالية البريطانية بإخلاص، أما أعضاء الجمعية الألمان فلم يميلوا إلى هذه اللعبة، فهم ألمان قبل أن يكونوا ثيوزوفيون.

وقد ذكرنا أن شتاينر سمي مؤسسته 'الجمعية الأنثروبوصوفية' وكذلك تمييز مفهومه الذي جعل من الإنسان مركزاً لما قال عنه 'علم الروح'، كما يجب إضافة أن كلمة 'أنثروبوصوفيا' ليست كلمة جديدة نحتها شتاينر، بل هي من صك إيوجينوس فيلاليتيث أو توماس فوجان من

.....

ولم تعد تستطيع العقاب بالإعدام فاجأت إلى الوسائل القديمة في تشويه السمعة، ومن هنا جاءت محاولات مدام بلافاتسكى لكشفها، فقد كانت تراها تجسيدا للقوى الظلام التي تصارع النور بلا هوادة بأمضى أسلحتها، ففي أميريكيا الشمالية واستراليا تسعى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إلى الالتحاق بالديمقراطية، ولها في الجيزويت جنودا متوحشين، وقد وضعوا السلاح القديم في المعركة مع مدام بلافاتسكى باتهامها بأقذع صفات الفجور، وكان ذلك قتلا أشد فتكا من الهجوم على كولومبس *Coulombs*، كذا... وقد اتبعوا السياسة ذاتها ضد من كان يتلوها في الجمعية الثيوزوفية وهو أخى ليدبيتر الذى عبر بحجما من الاتهامات، وقد شاركه صليبه أناس أقل منه مقاما، وفي هذه اللحظة يشن الجيزويت مؤامرة سامة على الكنيسة الليبرالية الكاثوليكية، والتي تعتبرها عدوا لدودا، ذلك أن أساقفة الكنيسة الأولى كانوا على صلة بمعلمي الحكمة، وهؤلاء المضطهدين ليسوا إلا مبشرين".

4 وقد لاحظنا بهذا الصدد أن شتاينر لم يكن قسيسا قط كما يقول الأخ بوسنيللى *Fr Gionanni Busnelli* مخطئا ككاتبته. *Gregorianum, Jan., 1920*

5 *Le Dr Rudolf Steiner et la Theosophie actuelle, by Robert Kuentz.*

الصليب الوردى منذ عام 1650 في عنوان كتابه *Anthrosophia Magica* وقد اتخذ الأثروبوصوفيون شعار 'إن الحكمة ليست إلا الحقيقة' بالمعنى الثيوزوفى 'ما من دين أسمى من الحقيقة'، وهذا الأخير ترجمة منقوصة لشعار مهرجات بناريس⁶، وها هنا المبادئ التي أعلنت المنظمة الجديدة أنها الأساس الذي تقوم عليه كما تقول دعوتها، والتي نُشرت منذ زمن صدورها،

"إن الطبيعة البشرية بحاجة إلى معرفة جوهرها فوق الحسى وكذلك الجوهر فوق الحسى للعالم الخارج عن الإنسان حتى تصوغ حياة صحية مُرضية، ويستحيل أن تصل أبحاث العلم الحديث إلى غاية كملك حتى لو كان مُطالباً بتقديم خدمات لا تُقدَّر في حدود واجبه وفي مجاله، وتنتوى الجمعية الأثروبوصوفية التوجه لهذا الهدف بتشجيع البحوث الجادة التي تتناول ما فوق الحسى، وملاحظة نفوذ تلك الأبحاث على السلوك الإنساني وطريقة حياة الإنسان، وسبر حقيقى للعقل وحال النفس التي يفرزها لا بد أن تكون سمة ثابتة للجمعية الأثروبوصوفية، والتي يمكن التعبير عنها في المبادئ الإرشادية التالية، '1' لا بد أن يكون التعاون الأخوى بين كافة أعضاء الجمعية الذين قبلوا أساس هذا التعاون كمكّنز للروحانية لكافة النفوس دون اعتبار لاختلاف الجنس أو الطبقة أو الجنسية أو الدين ... إلى آخره، '2' لا بد أن تتوحد بحوث حقائق ما فوق الحسى بالاهتمام بنشر العلوم الروحية، '3' والغاية الثالثة لهذه الدراسات هي تخلل لبّ الحقيقة التي استغلقت بالمفاهيم المتنوعة للحياة وللكون في شعوب مختلفة على مر العصور"⁷.

والواقع أن هذه التوجهات مشاكلة لمبادئ الجمعية الثيوزوفية من ناحية فكرة 'الإخاء العالمى' ومن ناحية أخرى 'الأخلاقية' التي ترتبط بها،

6 *Satyat nasti poro dharma* وكلمة دهارما لها معان كثيرة ماعدا 'الدين' إلا أنها يمكن أن تعبر عن 'القانون' على وجه التقريب، وهي إحدى الكلمات التي يستحيل وجود مكافئ لها في كل اللغات الأوروبية، حيث إن الفكرة التي تعبر عنها لا تناظر فكرة الغرب.

7 *Esquisse des prencipe d'une Societe Anthroposophique, pp 1-2.*

"وتتطلع الجمعية الأنثروبوصوفية إلى مثال للتعاون الإنساني،... والذي سوف يحقق غايته الروحية عندما يُكرس مريديه أنفسهم للبحث عن مثال كلي لسلوك الإنسان في الحياة"⁸.

ومن ناحية أخرى كانت عبارة 'طريقة روحية لسبر العالم فوق الحسى'⁹ والذي قوامه 'العِرافة' أو ما يضاهاها بالطبع أياً ما كان اسمها"¹⁰.

وبالطبع كانت الجمعية الأنثروبوصوفية تتكرأية محاولة لتشكيل دين أو حتى الارتباط بأى دين كان،

"وليس هناك ما يفُتُّ في عضد الجمعية أكثر من الانحياز أو العداء لأى دين كان، ولذا كان ترويح أى دين غريباً عن واجباتها"¹¹.

وبالطبع كان كل ذلك منطقياً عندما يصدر عن الذين اتهموا مسز بيسانت أنها خالفت المبادئ الثيوزوفية 'بالدعاية الدينية' لنفسها، ولكن ما يستحق الملاحظة بهذا الصدد هو أن من انخطأ التصديق بأن مذاهب شتاينر لها صبغة مسيحية،

"والباحث في مجال الروح الذى يتأمل نبل خلق الإنسان وعبقريته على مدار الزمن لن يرتبط بقيمة العقائد والأفكار والفلسفات، وسينظر إليها باعتبارها ثمار جهد الإنسان في محاولة اكتشاف حلول للمشاكل الروحية التى تهم الإنسانية، وبالتالي فإن التسميات المستعارة من اعترافات بعينها تعجز عن التعبير عن طبيعة المجتمع الأصولية".

وهكذا وُضعت الأديان على مستوى المفاهيم الفلسفية، وعولجت ك مجرد وقائع إنسانية، وهو أمرٌ 'أنثروبوصوفى' حقاً، وحتى إنه 'أنثروبولوجى' كذلك، ولنستمر،

8 Ibid., p 3. ويلاحظ الإلهام الكانطى في هذه العبارة الأخيرة.

9 Ibid., p 4.

10 ولنلاحظ أنه لا الأرواحية ولا الوساطة المقصودة، فالبعض ينحو نحو كونتز Kuntz في خلط الأمور التى لا تمتزج.

11 المرجع السابق، ص 3.

"فلو أن الاندفاع المطبوعة على أساس تطور شخصية المسيح قد دُرست في سياق أبحاث 'علم الروح' فلن يُقدَّر لها أن تنبع من عقائد نتجت عن اعتراف ديني، فسوف تكون النتيجة المتحصلة موضع ترحيب لأي مؤمن بالأديان الاعترافية تماماً كما يألف الهندوسى والبوذى الفلك عند كويرنيكوس، والذي لا يعدو شطراً صغيراً من متونه الدينية، وهذه الاندفاع تُعزى إلى المسيح كنتيجة مقصورة للبحث، كذا، فهي مطروحة على منوال يصدِّقه المؤمنون بأي دين وليس المسيحية وحدها دون الآخرين"¹².

وقد كانت المقارنة بالفلك الكويرنيكى تبعث على الإعجاب، ولاشك أن هذا وصفٌ ظاهريٌّ تماماً حيث لا يترك ضرورة لذكر الصليب الوردى ولا اسم شتاينر، وقيل فحسب إن الجمعية الأنثروبوصوفية ترأسها لجنة من كارل أونجر *Karl Unger* ومارى فون سيفير *Marie von Sivers*¹³ و ميكال باوير *Michael Bauer*، وكان مقرها في برلين، وحتى نتعرف على شيء من فكر شتاينر لابد من الرجوع إلى أعماله، وسوف يتضح أن مذهبه وجهة نظر بعينها لما يسمى الجوانب المسيحية، ولا زال ذلك معنى لا يختلف كثيراً عما وجد بهذا الاسم عند الثيوزوفيين، وفيما يلي مثال لذلك،

"وعلى هذا المنوال يُعمد دارسو الروح بالأسرار الأعظم التي ترتبط باسم المسيح، حيث يتجلى المسيح بنفسه للمعمد كمثل عظيم للإنسان على الأرض.

"والذين تعرّفوا على المسيح في عالم الروح في تعميدهم تصبح الأحداث التاريخية على الأرض التي جرت بعد الحقبة الأطلنطية الرابعة أموراً مفهومة بدورها، فإن تدخل ابن الرب في تطورات الأرض في ذلك الزمن وأعماله في هذا التطور تصبح تجربة مباشرة ومعرفة شخصية"¹⁴.

12 *Ibid.*, pp 4-5.

13 وقد أصبحت مارى فون سيفير فيما بعد زوجة رودولف شتاينر.

14 *An Outline of Esoteric Science* p 347.

وليس الأمر هنا مسألة اختفاء 'بودهيساتفا' في الواجهة الشرقية الزائفة للثيوزوفية بل حضور 'الكائن الشمسي الأعظم' المقصود، والذي ربما تماهى مع ما نقصد 'بالكلمة Logos' في مفهومنا، وكذلك ما اعتقدت مدام بلافاتسكي أنها قد فهمته من الأفلوطينية الجديدة، وكما فهمه أتباعها¹⁵، والذين صنعوا منه 'الرئيس الأعظم للمحافل السبع الكوكبية'، ومنها إلى منظومة الرهبان الأشداء الذين تعلموا على الرباني ذاته¹⁶ بفضل هذا الترابط، ولذا اختلف شتاينر عن مسز بيسانت في رؤيته للمسيح تجلياً لمبدأ أسمي، وإن لم يكن تجلياً مباشراً للمبدأ ذاته من واقع اختزال عدد من أعداد الكيانات الوسيطة، فهناك دائماً طرق لتصالح الانحراف في هذه الأمور بحيث نقدم حسن النية للطرفين، ولكنهما لم يبدءا الشقاق بعد.

أما عن عمل شتاينر الذي اقتبسنا منه عاليه فيحسُن الإشارة إلى أمر غريب، فقد نُشر في لايبزيغ عام 1910 كتاب بعنوان *La Science Occult*¹⁷، وقد ظهر في السنة السابقة في سييتل واشنطن عمل آخر بعنوان 'مفهوم الصليب الوردى للإخاء العالمي *The Rosincrian Cosmo-Conception*' للكاتب ماكس هايندال، وقد دفع بالنظريات ذاتها وفي مجملها، ومن النظرة الأولى قد يخطر للبرء أن شتاينر لا يفسر هوية التوكيدات التي دفع بها هايندال، وأنها استعارة منه، ولكن من ناحية أخرى فقد أهدى هايندال الكتاب إلى شتاينر، فيمكن افتراض إنه تلقى تعاليمه على شتاينر قبل أن تظهر للعلن، ذلك ما لم يكن كلاهما قد استقى من منبع مشترك، وعلى كلٍ فإن الاختلاف بينهما هو أن هايندال لم يتردد في أن يعزوها إلى تراث الصليب الوردى، في حين أن شتاينر عزاها إلى 'علوم غيبية' على نحو ضبابي عام، وربما كان أكثر حذراً، والواقع أن من الصعب رؤية الشطر الأعظم عند كليهما مقتبساً من 'المذهب السري *The Secret Doctrine*' ببعض التعديلات الثانوية، ولكنه اعتنى بتجنب المصطلحات الشرقية، ولكن هذه المفاهيم نصيبها قليل في الصلة مع المذهب الأصلي للصليب الوردى، وحتى إن ما يُطرح باعتباره 'مصطلحات الصليب الوردى' كان دائماً وأبداً من اختراع

15 See especially *Le Credo Christien*, by C.W. Leadbeater.

16 *L'Occultism dan la Nature*, p 202.

17 *The German original was entitled Die Gheinwissnschaft.*

بلافاتسكى، ومن منظور آخر أن في جعبة شتاينر برهان لما يسميه مهارة، فقد قيل دائماً إن عضو الصليب الوردى الأصلي لا يُظهر نفسه بل يتخفى، وألا يعلن في نشراته أنه كذلك، ولكن ذلك لا يمنعه من أن يسمح بتخمينه، ولا شك أنه سيحزن إن لم يصدّق أحد ذلك الارتباط، ونضيف إلى ذلك أنهما اختلفا بدليل اختفاء 'مفهوم الصليب الوردى للإخاء العالمى' من الطبقات التالية، وقد شكّل هايندال آخوة للصليب الوردى في كاليفورنيا كان مقرها في أوشن سايد¹⁸، وقد هايندال كتب في عمل له عام 1916 أن أول مبعوث في الأخوة المذكورة قد نشر مذهبها قد رسب في اختبار بعينه، ولذا لم يكن مناص من اختيار هايندال ذاته¹⁹، ورغم أن الأول لم يأت له ذكر فقد كان شتاينر على وجه اليقين.

أما عن منظمة 'الجمعية الأنثروبولوجية' ففيما يلي بعض المعلومات عنها من نشرة اقتبسنا منها عليه،

"وسوف تكون الجمعية من مجموعات حرة في تشكيل نفسها كيفما أرادت في كل بلد وكل مكان، وتظل هذه المجموعات منفصلة أو تتوحد في جمعيات أشد تحرراً كما تقتضى الأحوال المحلية في كل حالة وغاياتها الواقعية، ولم تكن الجمعية المقصودة جمعية بالمعنى الصحيح، فالعلاقات بينها وبين أعضائها لم تكن قائمة على أية تنظيمات ولا أى هيكل ظاهرى".

18 وبعد وفاة ماكس هايندال عام 1919 أدارت أرملته أخوة الصليب الوردى، وحررت مقالا بعنوان 'شعاع من أخوة الصليب الوردى'، والذي عالجت أساساً من منظور التنجيم *Astrology*، وأضافت إلى تنجيمها خبراً غريباً مؤداه "إن الأخوة قد أرسلت في العام الماضى اثنى عشر لوحة من أعمال الفنان كاميل لامبير *Camille Lambert* الذي يملك مرسماً في جوفيزى *Juvisy*، ويمثل كل منها تصويراً لبرج من دائرة البروج"، وسوف تعرض هذه اللوحات في إكلاسيا *Ecclesia* لأغراض إنسانية، كذا، في أوشدسايد، وهناك فرع فرنسى لهذه المنظمة يديره كراوس *L. Kraus*، والذي كان منشغلاً بالدعاية حينها، كما افتتح فرعاً أسبانيا عام 1922.

19 *The Rosencrucian Mysteries*, pp 12-14.

ونجد في هذه العبارة الأخيرة فكرة قد تكون مهمة، وخاصة من واقع أن التبعية لأخوة حقيقية للصليب الوردى لم يجر تأسيسها أصلاً كجمعية، فلماذا نستخدمها في عنوان المنظمة ذاتها؟

"وليس إلا ثقافة العلوم الروحية بالمعنى المثلثى هي التي تضىء على العضو سمة متكاملة مخصوصة، إلا أن هذا اللقب يتطلب القيام بشعائر منها قراءة الأعمال الروحية المقصورة على الأعضاء²⁰، وصلاحيات أخرى من هذا النوع، وهكذا نرى من الوجهة الظاهرية أن 'الجمعية الأنثروبوثيوسوفية' لا تختلف عن غيرها مما وجد في جمعية الأنثروبولوجيا"²¹.

ومن الواضح أن ذلك يعنى 'وجهة نظر داخلية'، وهي رابطة من نوع آخر ولكن لم يظهر لها تفسيراً، ومن ثم نرى هنا ما يساوى الفارق في الجمعية الشيوزوفية بين 'القسم البرانى' و'القسم الجوانى'، والواقع أن التعاليم المشار إليها لا تُلقى على كل التلاميذ جميعاً بلا تمييز إلا جزئياً، ولكنها مقصورة على 'الدائرة الداخلية' للجمعية الأنثروبوثيوسوفية التي اخترعها شتاينر من قبل، والتي لم تُنشر عنها أى بيانات، وتسمى نفسها من ضمن أتباع الصليب الوردى، وكانت تستقبل أعضائها بإشارات تشبه التي تستخدمها الماسونية²²، فهذا سبب بين أسباب أخرى للاعتقاد بزيفها كفرع من الصليب الوردى، وما علينا إلا تذكُّر ما أوردناه سلفاً بهذا الصدد، فغالبية الجماعات التي تظاهرت على هذا المنوال تدعى انتماءً وهمياً فحسب أو معرفة نظرية على أكثر تقدير، وقد يكون ذلك لو أحبت انتماءً إليها بالنية، ولكننا لا نصدِّق شيئاً غير ما رأينا فيها ما لم يدعوا أن استخدام الرموز يكفي لتأسيس الصلة الفعلية²³، وبالطبع يجوز لنا القول لأسباب

20 وقد شكلت محاضرات شتاينر مجلداً ضخماً بلغت محتوياته 21 محاضرة عام 1013.

21 *Esquisse des prencipe d'une Societe Anthroposophique*, pp 4-5.

22 وهناك وصف تفصيلي للتعميد في المرتبة الأولى في نشرة الأخ دي جراندميزون *Grandmaison* بعنوان 'الشيوزوفية الجديدة' *La Nouvelle Theosophie* ص.36-37، وهنا لا بد من قول إن تلك النشرة تنطوي على استنتاجات عن نقاط بعينها لا نقبل بها، وخاصة عن أصول الصليب الوردى، ص. 22-24، وكذلك عن أصول الشيوزوفية في الهند.

23 ويجوز أن شتاينر في البداية قد التحق بجماعة 'الاستنارة المتجددة' *Renovated Illuminism* التي أسسها إنجل *Leopold Engel*، لكننا لا نؤكد على إطلاقها.

أقوى عن صلتها بأسراريات الزمن القديم التي ذكرها شتاينر كثيراً في أعماله²⁴، وسوف نرى أن فكرة 'إحياء الأسرار' قد وجدت كذلك عند مسز بيسانت ومن تبعها، ولكنها تقوم على 'الحدس' و'العرافة'، ولذا يجب اتخاذ أقصى الحذر.

وأيّاً كان الأمر فيمكننا رؤية الجمعية الأنثروبوثيوصوفية واستقلاليتها التامة بمثابة وعد للجماعات الخارجية المتنوعة التي لا تختلف في الاتجاه، ويكفى أن يكون في هذه الجماعات 'متعمدين' في مظلومات باطنية وليسوا على رأسها بالضرورة، ولن تكون مسؤوليتهم إصدار أوامر بل تقديم اقتراحات، وعلى هذا المنوال تجرى كل شؤون التجمعات من هذا النوع، زد على ذلك أن غايات الجمعية الثيوزوفية تتضمن إنجاب هذه التجمعات المستقلة الإدارة على نطاق قومي، وهو ما لا يمنع القيادة المركزية من فرض سلطة تكاد أن تكون مطلقة، وهناك كذلك 'القسم الجواني' الذي يفرض قسّم الطاعة على أعضائه بما يوفر الإمكانية ذاتها، وقد صيغ ذلك الاستقلال بحيث يُغرى الغافلون عن أنه مجرد وهم، ولا شك أن ذلك كان وراء اجتذاب الجمعية الثيوزوفية لأعداد غفيرة من المريدين في كل البلاد، حتى إنها فتحت فروعاً عدة في كل من إنجلترا وفرنسا، وسنذكر أشهرهم فحسب، وهو إدوار شورى الذي تحدثنا عنه عاليه، و إيوجين ليفي، ومدام آليس بيللكروا، وجول ساورفاين محرر صحيفة *Le Matin* و مترجم أعمال شتاينر.

ومن جانب آخر نجد أن شتاينر أراد أن ينشئ ديراً ثيوزوفياً في دورناش من ضواحي بيزيل على غرار فكرة فرانز هارتمان في الجمعية الثيوزوفية²⁵، فبنى معبداً "حيث يعيش فيه

24 ونقصد كتابه 'المسيحية كواقع أسراري والأسرايات القديمة *Christianity as Mystical Fact and the Mysteries of Antiquity*'، وكان من الغريب ملاحظة أن القس السابق لويزي *ex-Abbe Loisy* نشر كتاباً بعنوان '*Les Mysteres paiens et le Mystere chretien*'، وهو عنوان يكاد يتماهى مع أحد عناوين أعمال شتاينر.

25 ولا شك أن سويسرا تقدم تسهيلات سخية لتأسيس مجتمعات ثيوزوفية وما جرّجها، وقامت 'تعاونية ثيوزوفية' عرفت باسم 'منطقة النجمة *Domain de l'Etoile*' في *Celigny* بالقرب من جنيف، وتولة إدارتها بوريل *Rene Borel*، وكانت غايتها "إنشاء مستعمرة صغيرة تعيش بعملها وتجمع الذين يرغبون في بيئة روحانية".

المتفرغون للعلوم الروحية ويتعلمون ويتقدمون في مكان يناسبهم"²⁶، وهذا التوصيف غريب يلزمه بعض الاقتباسات،

"وتعكس المنشأة بعناية مذهب شتاينر كما فسره في عدد كبير من مؤلفاته ومؤتمراته، فيتكون من قبتين هائلتين على رأس التل، والذي يُشرف على الغابات المحيطة المتدرجة على سفحه، ويتوجه بقايا خرائب قديمة... وأحد القبتين أكبر من الأخرى، وترمز إلى الكون بتناسقاته ومراحل تطوراته، وحيث إن عدد 7 عند الغيبين يمثل تفتح الأشياء في الزمن فكذلك القبة المحمولة على سبعة أعمدة جسيمة من ناحيتين، وتتخذ الأعمدة شكلاً نحاسياً مبنياً من مثلثات متراكزة بدقة بالغة، ويعلو كل عمود تاجاً مزخرفاً يمثل أحد الكواكب التي تشكل عالمنا... أما القبة الصغيرة فيمكن تصورها بداخل القبة الكبيرة وأنها قد خرجت لتوها، ويحكم عدد 12 ما تحت هذه القبة، فتمثل الأعمدة الاثني عشر قوى الأبراج التي تنزل على الجرم الأصغر أو 'عالم الإنسان'، ونوافذ من زجاج ملون متوهج رسمها شتاينر بنفسه لمراتب تقدم النفوس، ويعتقد رودلف شتاينر أن المنشأة التي يدرس المرء فيها قوى الطبيعة لا بد أن تعبر كل تفاصيلها عن الجهد الدائم والتحول الذي يسم تقدم الكون"²⁷.

26 وقد احترق المعبد المعروف باسم جوثيرانوم *Gotheeanum* ليلة 31 ديسمبر 1922، حيث كان كله مبنياً بالخشب، ودمر كل ما فيه، لكنهم بدأوا في بنائه على الفور بالحرسانة هذه المرة، وقد عُرِى هذا الحريق إلى مجهول، لكن البعض اتهم الثيوزوفيين بالمسئولية عنه، واتهم غيرهم بالطبع الجيزويت، وقد كان أحد آثار الحريق هو لفت الرأي العام إلى الجمعية الأنثروبوصوفية ومؤسسها، وظهر في الصحافة أنباء على منوال ما يلي،

"لو كان علينا تصديق الأساطير فإن د. شتاينر صاحب النظريات المختلطة قد أسدى إلى الإنسانية خدمة جلية لتخليطه عقل الكونت فون مولتكي *von Moltke* رئيس الأركان في اللحظة الحاسمة لمعركة مارن *Marne*، إلا أن الاستراتيجية الألماني ظل تلميذا له... ففي العام الماضي جمع النبي 35 مليون مارك وأنشأ شركة مساهمة سماها 'اليوم الآتي *The Coming Day*' والتي اتجهت إلى صناعة السجائر لتمويل حملة الدعاية القادمة، وقد كان هذا التنازل للضعف الإنساني سيئ الأثر على منافسيه، ومن ثم بيع مصنع السجائر عام 1923".

27 *Le Matin, Mar. 1, 1914.*

وحتى ندرك أن تكاليف الإنشاء قد بلغت ثلاثين مليوناً فقد أنشأ عقاراً سماه 'جمعية القديس يوحنا Society of Saint John' إشارة إلى أخوية قديمة في الماسونية العاملة، وكان من المفروض أن ينتهي بناء المعبد في نهاية عام 1914، لكن أحوال الحرب تقاطعت مع البناء فلم يكتمل إلا عام 1920، وكان يحتوى على قاعة مسرح لتمثيل 'الدراما الجوانية' من أعمال شتاينر و شورى²⁸، ولنصف أن شتاينر قد فرض نفوذاً شديداً على تلامذته²⁹، والذين بلغ تعدادهم ما يقرب من أربعة آلاف كان

28 وقد ترجمت ماري فون سيفر مسرحياته الأخيرة إلى الألمانية، إلا أنه يبدو أن شورى قد انفصل عن شتاينر أثناء الحرب بسبب تجريم النشرات التي كتبها، ومنذ ذلك الحين تصالح مع الثيوزوفية، حيث ألقى بها عدة محاضرات عن 'الروح الكلتية'.

29 وقد توفي شتاينر في 26 أبريل عام 1925، ومنذ ذلك الحين أدارت الجمعية الأنثروبوصوفية لجنة من المديرين، ولا يبدو أنهم حلوا بخليفة للمؤسس، وقد كان كثير من المنظمات المشابهة على اتصال بالجمعية الأنثروبوصوفية، ومنها مدرسة يورثيمي Eurythmy ومدرسة جيويثيانوم Geotheanum التي أنشأتها وأدارتها ماري شتاينر وألحقت بها مدرسة للمسرح، ومعمل أريشيم Airlleshm التي دار حولها جماعات تمرير وملاجئ للأطفال والبالغين، وها هنا تقرير عجيب عن تطبيق نظريات شتاينر الطبية،

"لقد حاول د. كوليسكو Kolisko من فيينا استنباط نوع جديد من 'الطب' أو الصيدلة على الأقل من مذهب الأنثروبوصوفية لمعلمه شتاينر، وكانت عبادة العدد 3، كذا، بناءً على الطريقة البابلية '؟' والتي تقوم بدور في العلاج أشبه بطريقة العلاج القديمة بالنظائر homeopathy، ويزجى د. كوليسكو إلى الإنسانية المعذبة دواءً كلياً من الكبريت، والذي حاول أن يجعل منها إنسانية 'مكبوتة sulphered humanity' وقد نظرت جمعية الأطباء في فيينا بشك إلى تلك الإجراءات التي كانت أصالتها تقوم على تبرير استخدام الأدوية المعروفة بأغرب الأسباب الأسرارية، وهكذا يرفع الثيوزوفيون، كذا، شأن استخدام أية محاليل كانت لعلاج السرطان بقراءة أسطورة هولدر رب الشتاء الذي يقتل بولدر رب الصيف".

وقد كانت الجمعية الأنثروبوصوفية تقوم في العقار رقم 3 بطريق المرصد، وكان لسانها مجلة 'العلم الروحاني La Science Spirituelle' التي تصدر في أوقات مختلفة، كما أن على المؤتمر الدولي الذي انعقد في لندن عام 1928 أن يعلن عن التطبيقات العملية للعلم الروحاني، وفيما يلي مقتطف من البيان الذي صدر بهذه المناسبة،

"إن العلوم التحليلية والمنطق القاطع والعقيدة الصلبة قد عملت عملها... وقد حان الحين لكي يُبنى الإنسان قدراته الأسمى بالمعرفة، ولا مناص أن يكون ذلك بطريق العلوم الروحانية، والتي ستلقى ضوءاً جديداً على التجسيدات الربانية ورسالة المسيح، ولكن لن يتيسر تحصيل الفهم العميق لرسالة المسيح إلا لو أدركنا الاتجاه الصحيح لتطور الأرض ككل،... فينتبين في نور هذه

منهم سيدات كثيرات يَكْنُون له إعجاباً وتبجيلاً يناهز ما يجرى في الشيوزوفية
'الأرثوذكسية' التي تتحدث عنها مسز بيسانت.

.....

المعرفة الدورالذى لا بد أن تتكفّل به كل أمة على الأرض، وسوف تقوم الفردية
individualization والحرية *freedom* وحسن النية بتكوين الوقائع الروحية التي ستسرى في كافة
أعمال الإنسان،... ولكل عصر مرشديه، وفي العصر الراهن أُلقيت على الإنسان مهمة اكتشاف
مرايض الحكمة، وعندما يجدها سيقوم ببناء المنشأة التي يقوم عليها العصر الجديد على أسس
صلبة".

23 مَحْفَلِ نَجْمَةِ الْمَشْرِقِ وَمَلْحَقَاتِهِ

هل يتحتم تصديق أن رؤساء الجمعية الثيوزوفية قد أُحْبَطُوا بفشلهم المذكور عاليه وقرروا ترك رسالتهم الماشيكانية؟ ولدينا أسباب للظن بأن هذا ليس الحال بصورة أو أخرى، وبمَعونة آلَكِيُون أو بدونها¹، وسوف تستمر حركة 'مجموعة الخدم' في العمل كما كانت في الماضي، وبالطبع سوف نتناول هنا المجموعات الواقعية وليس الشخصيات الخيالية التي يسميها الثيوزوفيون بالاسم ذاته، ويعتبرونها خلفية مناسبة لحضور بودهيساتفا، كما أن المسألة المهمة ليست فرادة المجموعات المختلفة ووضوح تمايزها عن الجمعية الثيوزوفية ولكنها من إنتاجها وتحت إدارتها، ومجمل هذه الجماعات هو ما تسميه الجمعية 'خدمات الجمعية الثيوزوفية'، وسنعود إلى هذه المسألة فيما بعد، أما الآن فنريد فحسب ملاحظة أن بعض الجماعات التابعة وأولها 'مَحْفَلِ الشَّمْسِ المَشْرِقَةِ' في بنارس التي نظَّمها آرونديل Arondale ثم تحولت إلى 'جمعية مستقلة' باسم 'المَحْفَلِ المَسْتَقِلِ لِنَجْمَةِ المَشْرِقِ'² في 11 يناير 1911، وكان آلَكِيُون رئيسها الاسمي، وكانت مسز يبسانت 'راعيتها' حتى تجمع كل الذين يعتقدون بحجى 'المعلم الأسمى للعالم' كما نأمل سواءً أكانوا ثيوزوفيين أم غير ذلك.

"... وأن أعضائها سينجزون شيئاً على المستوى المادى لتوجيه الرأى العام إلى استقبال فكرة مجيئه بالتعاطف والتبجيل، وأن توحيد إرادتهم سيعمل على ترقيةهم إلى مستوى الأدوات التي يمكن للمعلم استخدامها".

1 وكما رأينا فإن الثيوزوفيين الذين لم ينكروا مشروع الماشيكانية بل على عكس ما اعتقدنا حينها عندما كتبنا هذا الكتاب كان آلَكِيُون مكلفاً برغبته أو بدونها ليكون 'أداة' للمعلم الأعظم كما قالت مدام بلافاتسكى.

2 ولا ينبغي الخلط بين اسم 'مَحْفَلِ نَجْمَةِ المَشْرِقِ' وبين مَحْفَلِ قَدِيمِ بِاسْمِ 'مَحْفَلِ نَجْمِ المَشْرِقِ' الذى يرجع تأسيسه إلى عام 1855، والذي كان ملحقاً نسوياً فى الماسونية الأَمِيرِكِيَّة.

ولا يستثنى هذا المحفل أحدا، ويستقبل أتباع كل الأديان أياً كان دينهم ليشاركوا في الأمل، والاتفاق على المبادئ التالية هي كل المطلوب للاتحاق بالمحفل،

'1' إننا نؤمن أن المعلم الأعظم على وشك الظهور في العالم، ونسعى إلى تنظيم حياتنا حتى نستحق التعرف عليه حينما يظهر، '2' وسوف نفكر فيه ونعمل باسمه بكل طاقتنا لكل عمل نُكَلِّف به في حياتنا اليومية لاسمه، '3' وسوف نجاهد بقدر ما تسمح واجباتنا اليومية لعمل محدد مكرس للإعداد لمجيئه، '4' وسوف نجعل من الإخلاص والمثابرة واللطف سمات حياتنا اليومية، '5' وسوف نستمر في بدء اليوم ونهايته بجملة قصيرة نطلب مباركته لكل ما نعمل من أجله وباسمه³، '6' وباعتبار ما سبق واجبنا الأول والرئيسي سنحاول أن نتعرف على العظمة بغض النظر عن الشخصية، والتعاون بقدر طاقتنا مع الذين نعتقد أنهم رؤسائنا.

أما عن علاقة المحفل بالجمعية الثيوزوفية ففيما يلي ما قال ليدبيتر في حضور ألكيون في لقاء مع القسم الإيطالي في جنوة،

"في حين كانت الجمعية الثيوزوفية تطالب بالاعتراف بالإخاء الإنساني كان محفل نجمة المشرق يأمرنا بالإيمان بمجيء المعلم الأعظم والخضوع لمبادئه الستة، ومن ناحية أخرى يجوز للمرء التسليم بمفاهيم المحفل دون أن يقبل بعض تعاليم الجمعية الثيوزوفية، وقد كشف لنا ميلاد المحفل عن شعوب شتى في الأرض تنتظر مجيء المعلم، ويستحق الشكر على جمع هذه الشعوب معاً... فعمل المحفل يتماهى مع عمل الجمعية، وهو تكبير لفكرة المسيحيين الذين يعتقدون أنه ما من خلاص خارج كنيستهم الصغيرة حيث تقول لهم إن كل الناس يمكن أن يكونوا من الناجين... وعند معظمنا أن مجيء معلم عظيم لا يعدو اعتقاداً، ولكنه يقين عند آخرين، وكثير من الناس يعتقدون أن سيدنا مايتريا هو مجرد اسم في حين كان عند آخرين كياناً عظيماً رآه كثيرون وسمعه كثيرون"⁴.

3 ويتلقى أعضاء المحفل صيغاً مخصصة لهذا الغرض، والتي تتغير بين وقت وآخر.

4 Le Theosophy, Oct. 16, 1912.

وبعد هنيهة من الزمن جاء اعتراض جزئي عليها من آرونديل الذي أكد باسم الكيون أن "المحفّل لا يُعرّف هذا المعلم العظيم الذي أنشئ من أجل مجيئه" وقال أيضاً "ليس لأى عضو حق قول إن المحفّل ينتظر مجئ سيدنا المسيح أو سيدنا مايتريا"، وأنه "سيكون من قبيل التحيز لمصالح المحفّل والجمعية الثيوزوفية معاً أن نعتبرهما متماهيان من حيث الغايات"⁵ وقرأنا من مصدر آخر مايلي،

"ولو كان هناك عضو يعتقد أن معلم العالم سيستخدم جسده أو جسد غيره فإن ذلك رأى شخصي وليس اعتقاداً يتعين على الأعضاء الإيمان به".

ولعل الأمور قد تكون أفضل لو كانت نتائجها حسنة، وعلى كلٍ فقد كانت الكيفية التي تلاءموا بها مع الأحوال بحسب الفرص المتاحة والمظاهر التي تسمح لهم بتخلل الجماعات الأخرى لتجنيد مساعدين لتحقيق خططهم.

وقد تشكلت منظمات تتلاءم مع الغايات التي تريد المجموعتان كلاهما الوصول إليها للشباب وحتى الأطفال، وهكذا تأسست إلى جانب محفّل 'نجمة المشرق' محفّل آخر باسم 'خدم النجم *Servants of the Star*'، و'حاميا' كريشنامورتي، ومديرها نيتياناندا، "ولابد أن يكون كافة أعضاء هذا المحفّل تحت سن الواحد وعشرين فيما عدا أعضاء الشرف، كما يمكن لأصغر طفل أن يلتحق بها"⁶.

وقد سبق ذلك منظمتان من النوع ذاته هما 'السلسلة الذهبية' و'المائدة المستديرة'⁷، والأولى "جماعة تربية روحية" يجوز التحاق الأطفال بها في سن السابعة، ويعبر عن غايتها صيغة تقال كل صباح،

5 *The Daybreak, Aug., 1013.*

6 *The Daybreak, Oct., 1913, p 151.*

7 وقد كان هناك غير 'السلسلة الذهبية' و'المائدة المستديرة' منظمة ثيوزوفية باسم 'النجم الوردى *Rose Star*'، وكانت مهمة بالأطفال الصغار مثل الأولى، وقد كتبت الآنسة آيمي بليخ "وكل هذه المنظمات لا تتنافس ولا تناقض بعضها بعضاً، فالرحمة لا يمكن أن تكون مخصصة، كما أن الجميل والحقيقي والطيب لا يمكن أن تتخذ مظهرها حاداً كما هي طبيعة زماننا، وقد قيل إنه

"إنى حلقة فى سلسلة من المحبة تلف العالم بأجمعه، ولا بد أن أظل قوياً وناهباً، وأرغب فى أكون لطيفاً عطوفاً مع كل المخلوقات الحية، وأن أحمى الضعفاء، وأساعدهم، وأن أفكر فى أمور طيبة وأتكلم بكلمات جميلة طاهرة، وأعمل أعمالاً طيبة، ولعل الحلقات الأخرى تقوى وتتوهج"⁸.

وتبدو الغاية مشاكلة لما يسمى 'فرق الرحمة *Bands of Mercy*'، وهى طائفة أميريكية ولكنها دخلت أوروبا على يد جيروم بيرنييه من جنيف⁹، والواضح أن هذه الفرق من إلهام بروتستنتى، ويتعين على أعضائها التوقيع على تعهد "إنى سأحاول أن أكون طيباً مع كل الكائنات الحية وأن وأمنع الغير من إيذاءها"¹⁰، ويقال إن هذا الالتزام بالشرف تعمد يربى الطفل على كرامة الرجولة، كما أن فرق الكشافة كانت دعماً لها، ورغم أنها ولدت فى إنجلترا إلا أن لها ارتباط بالتيوزوفية، وحتى فى فرنسا تبنى الشيوزوفيون 'رابطة التعليم القومى' عام 1911 للترويج لفرق 'الكشافة'.

ولو كان موضوع قدوم 'المعلم الأعظم' ليس مفتوحاً للجدل فى محفل 'السلسلة الذهبية' فيمكن قول الشيء ذاته عن محفل 'المائدة المستديرة' حيث يمكن للعضو أن يلتحق بها فى سن

زمن تحول لإعداد المستقبل".

8 وقد اقتبسنا هذ النص من مقال مدام مانزيارلى ظهر فى مجلة *Le Theosophy, Mar., 11, 1914*.

9 وقد كانت مدام إيوجين سيمون رئيسة شرف 'رابطة التعاطف *League of Kindness*' عضواً فى الجمعية الشيوزوفية، ولعبت دوراً مهماً فى الحركة النسائية، وكان الطفل الذى يلتحق بها يوقع على بطاقة مطبوعة بما يلى "1" أتعهد بأن أعمل عملاً طيباً كل يوم، '2' وأن أعطف على الحيوانات، '3' وألا أقول كذبا، '4' وأن أحمى الضعفاء وأعين البؤساء، '5' وأن أكون شاكرًا لوالدى وكل من عطف على، '6' وأن أظهر امتنانى للهدافعين عن الوطن، '7' وأن أحترم المسن والمعوق، وهذه القواعد شبيهة بقواعد 'الكشافة'، وفى السياق ذاته ظهرت جماعات للرفق بالحيوان فى محفل نجمة المشرق، وتكونت فى جماعات الكشافة فرق شيوزوفية خاصة، وقد جاء فى *Bulletin Theosophique, Apr. 1923* خطاب من 'لجنة الإرشاد للكشافة الزرق لمحفل المائدة المستديرة فى جرينوبل'، وقد كانت الروح التى تحرك الكشافة عموماً كما عبرت عنها مسر يسانت منذ سنوات بتنصيب نفسها 'حامية لكل كشافى العالم'، بينما كان جنرال بادن باول رأسها الأكبر، وليس ذلك بلا صلة بدور الجمعية الشيوزوفية كأداة لخدمة الإمبريالية البريطانية.

10 *Le Theosophe, Sep., 16 and Oct., 1, 1913.*

الثالثة عشر في مرتبة 'زميل' و يترقى في الخامسة عشر إلى 'رفيق' وفي الواحد والعشرين إلى 'فارس'، حيث لا بد للعضو أن يُقسَم على السرية، وأن...

"...ينتج منهاج الملك الأعظم الذي يسميه الغرب 'المسيح' ويسميه الشرق 'بودهيساتفا'، وحيث إننا نعيش على أمل عودته القريبة فيحسُنُ نستعد له بخدمته ابتداءً من هذه اللحظة، والذين ينضمون إلى الرابطة مطالبون بالتفكير فيه يوميا، وأن تعمل عملا لخدمته عندما يأتي".
وتعتبر هذه الرابطة من أوائل المنشآت التي اتجهت إلى 'الكشفية' والفروسية الجديدة، وفي فترة وجيزة كان لها مراكز في إنجلترا واسكتلندا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا والمجر وأميركا وأستراليا ونيوزيلاندا¹¹، وإيجازاً فهي مراكز للتعبة لمحفل نجمة المشرق الذي يدعى أنه نواة 'دين جديد' ونقطة انطلاق لكل من ينتظر 'مجيئ سيدنا المعلم'¹².

ومن ناحية أخرى قامت 'أخوة أسرار الرب' في فرنسا وبلجيكا عام 1913 والتي يبدو أنها اتخذت اسمها من 'الأخوة المشتركة لأصدقاء الرب' التي أسسها تاولر، والتي طُرحت على المنوال التالي،

"إن فكرة 'الأسرار المسيحية' مألوفة عند قراء الجوائب المسيحية وبعض أعمال مييد، وقد انتشر بين بعض التلاميذ رجاء جامع في استعادة تلك الأسرار على منوال غير متوقع¹³، وهكذا يتحقق الوفاء بالاحتياج العميق عند الكنيسة المسيحية، ويرافق هذا الرجاء قناعة بأن الوقت قد حان، ومن ثم قامت 'أخوة أسرار الرب' على غايتين هما '1' جمع المسيحيين المتواضعين المستعدين للخدمة في أخوية وتكريس حياتهم للمذاكرة والصلاة والعمل في جسد واحد برباط من الوعود الملزمة في مكان واحد على أمل عودة الأسرار، '2' الدراسة العامة للأسرارية

11 *Le Theosophe, Aug., 1, 1913.*

12 وقد وجدت سلفا جمعية ثيوزوفية أخرى باسم 'جمعية المائدة المستديرة' الى كان لها شخصية مختلفة، وقد أسستها جماعة من نزلاء سجن فولسوم في كاليفورنيا "بغرض التهذيب الأخلاقي ودراسة الثيوزوفية"، *Lotus Blue, Apr., 27, 1895.*

13 وقد أُلقت مسز بيسانت محاضرة في مؤتمر ستوكهولم عن 'استرجاع الأسرار' كما ذكرنا، وهو أحد الغايات التي طرحها شتاينر.

المسيحية وأساطير التراث وكذلك اللع المتناثرة التي تتعلق بالأسرار المسيحية،... ولا بد من تحديد أن الغاية الأولى للأخوية قائمة على فكرة الظهور الوشيك لسيدنا، والتي تفترض الإيمان بها، ونأمل أن يجد العدد الغفير من المسيحيين في محفل 'نجم المشرق' المهتمون بالشعائر والرموز الفرصة للالتحاق لتمهيد طريقه"¹⁴.

وأخيراً فلا شك في أنها تحاول منافسة منظمة الصليب الوردى التي أنشأها شتاينر، والتي اتخذت اتجاهًا مخالفًا تمامًا، وقد بنت معبدًا جديدًا للصليب الوردى والقبالة والتنجم والماسونية والرمزية والقداسات المسيحية والغيبية والتراث الغربي¹⁵، ويبدو في كل ذلك أمور تبعث على القنوط، فعلى سبيل المثال ماذا يفعل التنجم *astrology* هنا، خاصة وأن الثيوزوفيين عندهم منظمة خاصة لدراستها، ويديرها ألان ليو ولسانها مجلة 'التنجم الحديث'¹⁶ في إنجلترا و ميدفيل في فرنسا، كما أن ذلك ليس الغاية الجوهرية لمعبد الصليب الوردى، ورغم أن لها علاقات رسمية مع محفل نجمة المشرق إلا أنها لا ينبغي أن تتورط في العمل العام، أى تمهيد الطريق لسيدنا، وتقدم أساس الصور الشعائرية والمظهر الاحتفالي 'للدين الجديد'¹⁷، لكن يبدو أن كل ذلك لم يكفِ الجمعية الثيوزوفية لكي تشكل جسداً لهذا الدين، فقد أرادو كنيسة مسيحية

14 *Le Theosophe, Apr., 16 1913, Revue Theosophique belge, Jul., 1913.*

وعن كل ما يتعلق بهذه المنظمة في فرنسا راجع ريمون فان مارل، وفي بلجيكا راجع ويتمانز *F.Wittebans* وهو حالياً نائب في البرلمان، والذي نشر مؤخراً 'تاريخ منظمات الصليب الوردى'، والذي ضمّ بالطبع بعض المفاهيم الثيوزوفية، وغصّ بأشد التوكيدات الخيالية.

15 *L'Acacia, a Masonic Review, Apr., 1913.p237* وهي مجلة ماسونية تحدثت أيضاً عن تأسيس 'جماعة موسيقية في الجمعية الثيوزوفية'، وفي يناير 1928 ظهرت جريدة جديدة باسم *Cahiers de l'Etoile* والتي ارتبطت بعشرين جريدة من النوع ذاته في أنحاء العالم، ويقع المكتب الدولي لها في هولندا، و رئاسة تحريرها بلا اسم رغم أننا نعلم أن مدام مانز ياريللي رئيسة تحرير الجريدة الفرنسية، والتي نشرت قصائد بالانجليزية لكريشنا مورتى، ويحتوى العدد الأول على صورة له إلى جانب تمثال لبورديل، والذي يبدو بدوره ثيوزوفياً مخلصاً.

16 ولم يُهمل الجانب التجارى لهذه المنظمة، فنجد قائمة لفئات أسعار التنجم التي تختلف بحسب العمل الذي يطلبه العميل، 'ويُقيّم كل تنجم يقل سعره عن 50 فرنك بحسب معطيات علمية صارمة، وكل الاستشارات التي تزيد عن 50' فرنك سترفق بحكم حدسي، كذا، للسيد آلان ليو.

17 *The Daybreak, Aug. 1913.*

حقيقية وحتى الهيمنة الكاثوليكية، وهذا ما سوف نرى ما الذى أنجزه هذا المشروع فى السنوات الأخيرة.

24 الكنيسة الكاثوليكية القديمة

بدء الناس فى أوائل عام 1914 يتسامعون عن 'الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية'، والتي تسمى أيضاً 'الكنيسة الغالية' *Gallican Church*، وقد كان هناك 'كنيسة غالية' أخرى يديرها الأب فوليه، وكان لها نشرة تسمى *The French Catholic*، ومن خصائص هذه المنظومات أن تتضاعف بما يكاد يجلب عن الحصر على منوال الطوائف البروتستنتية، وأحياناً ما تتنافس معاً بلا ضمير، وقد وُضعت الكنيسة الجديدة مؤقتاً فى رعاية آرنولد هنرى ماثيو، كونت لاندفال فى توماستاون، وهو المونسينيور الكاثوليكي السابق للندن 'متروبوليتان بريطانيا العظمى وأيرلندا'، وينتظر الترسيم كذلك مونسينير 'متروبوليتان فرنسا والمستعمرات' وويكاه العام بيير ريند مطران لينياندر، ويبدو فى الواقع أن هذا الأخير كان يُدعى لورين ببساطة، لكن ولع وجهاء الكنيسة بالألقاب مثلها يصاب بعض الناس بهوس الزخارف الخرافية، وهكذا طفق الأسقف فيلات الذى أثارت أعماله ضجة منذ فترة على اختراع 'محفّل تاج الشوك'، وأياً كان الأمر فقد كان أمراً فريداً أن تسمى الكنيسة 'فرنسية لا رومانية'، والتي كانت مؤقتاً تحت إدارة رجل انجليزى، وقد عُرفت فى أول الأمر بأنها مثل كنيسة فيلات من واقع الهبات التي يغدقها

القساوسة الانفصاليين على الكنائس التي حُرمت من كهنتها نتيجة المصاعب التي تجدها البلدية في التعامل معهم¹.

وسرعان ما ظهرت أربعة أعداد فقط من مجلة شهرية باسم *The Catholic Awakening* من مارس إلى أغسطس 1914 ثم توقفت بداية الحرب والتعبئة العامة التي أعلنتها مجلة *Archbishop Metropolitan*²، وقد نشرت هذه المجلة قائمة للأساقفة الجانسينيين *Jansenist* حتى تبرهن على 'التداول الرسولي' لأسقف أوترخت الجانسيني الذي رسمه المطران جيرار جول، وكذلك كبار الأساقفة والأساقفة في هولندا منذ زمن بوسويه *Bossuet* ثم الكاردينال باربريني *Baberini* ابن عم البابا أوربان الثامن، ويمكن قراءة 'التقسيمات' الدينية في فرنسا إلى بطريركية وثمانية مطرانيات إقليمية، وقد ترسم معظمهم أساقفة، وكان منهم اثنان من 'الكنيسة الأرثوذكسية اللاتينية' هما المطران جيرو و جواني بريكو، والأخير معروف في الدوائر الغيبية، وكان قد سمي نفسه منذ فترة 'بطريك الكنيسة الغنوصية العالمية' *Patriarch of the Universal Gnostic Church*، أما اليوم فيدعى خلافة بابوس في رئاسة المحفل المارتياني وعدة منظمات أخرى، ولكن لا بد من ذكر أن لهذه الألقاب معارضين من الغيبين الآخرين، وسيصعب تعداد الكنائس والمحافل التي يدعى بريكو ارتباطها به إما بالتتابع وأما بالتزامن، ولو لاحظنا أن حضور هذا الغيب بين قساوسة الكنيسة موضع شك فذلك لأنه مثل للعلاقة القائمة بين كثرة من الجماعات يوحى أنهم جميعاً غرباء عن بعضهم بعضاً، ولكن ليس في الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية أثر للثيوزوفية ومثلوها وما يبدو وجوده محدوداً عابراً كما هو الحال في معظم الانشقاقات، وقد وُلدت الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية من الكنيسة الكاثوليكية البريطانية القديمة، لكن الثيوزوفيون بدأوا في التخيل بأنفسهم.

وقد كان رئيس الأساقفة ماثيو رأس الكنيسة الكاثوليكية القديمة، وهو آرنولد هنري ماثيو المولود في مونبلييه من والدين أيرلنديين كان في أول أمره في سبيل الإعداد للالتحاق

1 ويمكننا الرجوع إلى كوميون شيفرييه في أنها تلقت مثل تلك الهبات.

2 وقد كانت الإدارة في *5 rue du Pre-aux-Clercs* والعبادة في 'كنيسة جوان دارك' 18 طريق قصر الفنون الجميلة.

بالكنيسة الرسولية لاسكتلندا... *Episcopal Church of Scotland*، ثم تحول إلى الكاثوليكية في 1875، ورُسم قسيساً في جلاسجو في يونيو 1877، وتركها في 1889، واتخذ في أكتوبر 1890 اسماً إيطالياً هو *Arnoldo Girolamo Povoleri*، وأعلن في جريدة *Times* عن هذا التغيير، وتزوج في يونيو عام 1892، وسمى نفسه *Vicenza Reverend Count Povoleri di* أي 'صاحب النيافة كونت بوفوليري دي فيتشينزا'، كما اتخذ في الوقت ذاته لقب 'كونت لانداف'، ولنصف أنه ظهر مؤخراً باسم 'مركيز بوفوليري'، وكان في صحبته ابنه وابنته في أحد استقبالات الإمبراطورة أوجيني في بيزووتر حيث اجتمع خليط من الناس³، وقد بدا في أحد المناسبات أنه قد تصالح مع الكنيسة الكاثوليكية، ولكن ذلك استمر لبرهة قصيرة، وفي عام 1908 رسمه د. جيرار جول أسقفًا، والذي كان رأس الكنيسة الكاثوليكية القديمة في هولندا التي قامت على أنقاض الجانسينيين *Jansenist* وبعض المنشقين الذين رفضوا عقيدة 'العصمة البابوية'، أما الكنائس الكاثوليكية القديمة فتر أن البابا 'بطريك الغرب ومثاله'، وقد رسم الأسقف الجديد بدوره قسيسين تأهين من إنجلترا، هما *Ignace Beale* و *Arthur Howorth*، وبعد أقل من ثلاث سنوات أسس 'الكنيسة الكاثوليكية الغربية الرشيدة *Catholic Orthodox Church of the West*'، وأنكر الخضوع لأوترشت وروما، وقد اتخذت هذه الكنيسة بالتتابع أسماءً مختلفة لا طائل من ذكرها، في حين طفق رئيسها في التفاوض مع *the Holy See* بوساطة الكاردينال ميرى ديل فال، ثم مع الكنيسة الأنجليكانية بوساطة رئيس أساقفة كنتبري وقص لندن، وحتى مع الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بوساطة أسقف بيروت⁴، وأخيراً حكمت عليه كنيسة هولي سي باللعنة *excommunicated* عام 1911.⁵

3 *L'indpendence Belge, May 10, 1910.*

4 ونلاحظ أن هناك حالياً جهوداً للتحالف بين الكنيسة الأنجليكانية وبعض أجنحة الكنيسة الأرثوذكسية، وربما كانت لأغراض سياسية وليست لأسباب دينية.

5 وهذه البيانات الشخصية والتفاصيل التالية مقتبسة من نشرة تغص بالوثائق، والتي ظهرت في إنجلترا بعنوان *The Origin & Purpose of the so-called Old Catholic Church disclosed* كتبها ستانلي موريسون.

وفي 1913 انضم إلى الكنيسة الكاثوليكية القديمة لبريطانيا العظمى عدة أعضاء كلهم من القساوسة الأنجليكانيين أو الثيوزوفيين علناً، مثل جيمس إنجال ودجوود *Wedgwood* السكرتير العام للقسم الانجليزي في الجمعية الثيوزوفية، وروبرت جوتليت سكرتير 'مُحفل الشفاء' المتفرع من الجمعية الثيوزوفية، وروبرت كينج أخصائي في 'الاستشارات النفسانية' على أساس الطواع، وريجينالد فارر، وفي عام 1915 استشرع رئيس الأساقفة ماثيو الذي لا يعلم شيئاً عن الثيوزوفية خوفاً من أن ويدجوود وزملاؤه يعتقدون بماشيح قادم، فأغلق الكنيسة الكاثوليكية القديمة وأعلن خضوعه لروما، وانكب على الفور على تأسيس *Catholic Uniate Church of the West* ولكنه لم يستطع الحصول من ماثيو على الترسيم الرسولي الذي كان يأمل فيه، وحاول ويدجوود أن يستعين بالأسقف فيرنون هيرفورد الذي كان مديراً لكنيسة نسطورية في أكسفورد، وقد كان أوفر حظاً في استعانة فريدريك صامويل ويلوبي *Willoughby* الذي رسمه ماثيو عام 1914 ثم طُرد بعد عام واحد من الكنيسة الكاثوليكية القديمة، فقد رسم ويلوبي أولاً كينج وجوتليت ثم ويدجوود في 13 فبراير 1916، وإبان ذلك العام خضع لمُحفل *the Holy See*، ومن ثم سافر إلى سيدني حيث رسم تشارلز وبستر ليدبتر أسقفًا لآستراليا، هو قسيس أنجيليكاني كما لاحظنا سلفاً، وقد ساعد ويدجوود الذي رسم جوليان آديان مازل الهولندي 'ملحقاً لآستراليا'⁶، وفي 20 إبريل 1916 عُقد مؤتمر قساوسة وأساقفة الكنيسة الكاثوليكية القديمة في بريطانيا العظمى والتي تبنت دستوراً جديداً نشر بتوقيع ويدجوود، ولم يحتو على أية إشارة إلى الثيوزوفية ولا إلى الماشيخ المنتظر، وفي نوفمبر 1918 كان هناك إعلان آخر للبهادى جاء فيه تغيير اسم 'الكنيسة الكاثوليكية القديمة' إلى 'الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية'.

وتذكرنا هذه التسمية الأخيرة بمحاولة جرت منذ اثني عشر عاماً لإنشاء 'كنيسة كاثوليكية ليبرالية' في فرنسا⁷ برعاية بعض الغيبين، وخاصة ألبير جونييه *Albert Jounet*، وهو أحد الذين يُشاهدون في منظمات لا تتقاسم مع وظيفته على أقل تقدير، حتى إنه كان مؤسساً للتحالف

6 يحذف.....

7 ويقع مقر هذه الجمعية في الأبراشية السويدنبورجية في شارع توين *Thouin*.

الأرواحي 'Spiritualist Alliance' الذي كان يفخر بتفعيل تصالح المذاهب جميعاً، ولكنه لم ينجح بأكثر مما نجح 'مؤتمر الإنسانية Congress of Humanity'⁸.

وقد تحدثت مسز بيسانت في مجلة *the Thiosophist* عن حركات بعينها رأت أنها مُقدّرة لمهام تتعلق بالعالم أجمع، وقالت،

"إن الحركة التي لا تكاد تُعرف باسم الكاثوليكية القديمة هي كنيسة مسيحية قائمة حية⁹، وسوف تنمو وتتكاثر مع الزمن، وأمامها مستقبل واعد، وربما تُدعى مستقبلاً لكي تكون 'كنيسة المسيحية' عندما يأتي".

كما ذكرت الحركات الأخرى في المقال ذاته، وهي 'أمانة التعليم الثيوزوفى'، أى حُرمة من الأعمال التعليمية التي تديرها الجمعية الثيوزوفية والماسونية العاملة، والتي سيأتى ذكرها لاحقاً، وقد كانت هذه أول مرة يأتى فيها ذكر الكنيسة الكاثوليكية القديمة والأمل المعقود عليها في أدبيات الجمعية الثيوزوفية، كما أن وجود ذاته الذي أصبح متحفظاً في بياناته الأسقفية كان صريحاً أمام زملائه من الجمعية الثيوزوفية، وقد عبر عن نفسه في تقرير للمؤتمر الثيوزوفى عام 1918 كما يلي،

"إن الكنيسة الكاثوليكية القديمة تعمل على نشر التعاليم الثيوزوفية على المنابر المسيحية، وأهم واجباتها إعداد قلوب الناس وعقولهم لمحجى المعلم الأعظم"¹⁰.

8 وقد التحق جونه بالجمعية الثيوزوفية في السنوات الأخيرة، لكنه تركها بعد فترة وجيزة.

9 والعجيب ملاحظة أن تعبير 'الكنيسة الحية' الذي استخدمته مسز بيسانت في 'كنيستها الأرثوذكسية' يعنى في روسيا 'منظمة حداثة' بحيث تصبح الكنيسة الأرثوذكسية 'كنيسة ميتة'، ولا شك أن مسز بيسانت كانت تتغيا المقصد ذاته حيال الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

10 وقد كتبت *The Vahan* لسان الجمعية الثيوزوفية و *The Messenger* في كروتونا كاليفورنيا في سبتمبر 1918 "إن ألتك الثيوزوفيين الأميركيين الذين بقوا على ولاء لمسز بيسانت قد اختاروا كروتونا مقراً لقيادتهم لأن اسم هذا الموضع هو اسم الموقع الذى أسس فيه فيثاغورس مدرسته، وكذلك لأن الطوائف الغيبية مزدهرة في كاليفورنيا، وقد اختيرت لتكون مهداً للجنس الأم السادس"، وفي أغسطس 1917 أسس ليدبيتر الكنيسة الكاثوليكية القديمة في كروتونا، وسيكون واعظها القس شارلز هامبتون.

وقد كانت غاية الثيوزوفيين من الاستيلاء على هذه الكنيسة كما أشرنا عليه هو ذاته ما دعى إلى تأسيس 'مُحفل نجم المشرق' باختلاف وحيد، وهو أنه يطرح ذاته على الجميع بلا تمييز، في حين أن غاية الكنيسة الكاثوليكية القديمة هي اجتذاب الذين ليس لهم مبادئ دينية واضحة معلومة إلا أنهم يرغبون في تسمية أنفسهم 'مسيحيين'، ويحافظون على المظاهر البرانية، وهنا إذن نجد التحول الأخير عند ليدبيتر حتى الآن على الأقل، والمهمة الجديدة التي يكرس لها 'العراف' نفسه،

"إن الأسقف ليدبيتر يبحث في الجانب الغيبي للطقوس، ويُعدُّ كتاباً كاملاً عن 'علم الطقوس'...¹¹ وسيكون مزوداً بالرسومات التوضيحية لخطوات تناول القربان، كذا، حيث إنها تجرى طوال القدّاس مع شرح لغاية كل شيء ودوره، وهكذا يتم العمل لا على الجانب النظرى ومعناه فحسب بل الصورة الكاملة أو البنية المعمارية للطقس... وقد كان الحدث الرئيس في سيدنى للأسبوع هو فدّاس صباح الأحد حيث كان الأسقف ليدبيتر حاضراً على الدوام، وعموماً كان يُصرّح بالموعظة أو يلقيها بنفسه"¹².

فأى نوع هذا من الإخلاص؟ فالمهارة الزائدة عند قادة الثيوزوفية في تفكيك نواياهم وفي الآن ذاته يقومون بأعمال متناقضة من حيث المظهر على الأقل حيث إنهم يتوهمون أنهم يعملون لتحقيق مخططاتهم.

11 delte

12 The Messenger, Krotona, Nov., 1918.

ملحق 1

وقد توفي الأسقف ماثيو منذ عدة سنوات، وعلمنا في أوائل عام 1928 عن وفاة 'يونيجهير' مازيل، وبالتالي جرى ترسيم أساقفة آخر للكنيسة الكاثوليكية الليبرالية في سيدني، ومنهم إيرفين س. كوبر، وكان وراء ذلك لجوء ليدبيتر إليها بعد أن أُجبر على الخروج من الهند وفضيحة محاكمة مدراس، ويجوز الظن أن اللاأخلاقية التي اتُّهم بها كانت قضية منفصلة في الدوائر الشيوزوفية، ولكن لم يكن الحال كذلك لسوء الطالع، والوقائع التي سنتناولها فيما يلي هي التي أشارت إليها مسز بيسانت في نهاية الفقرة التي أشرنا إليها في حاشية رقم 3 باب 22، وقد كانت تلك الأحداث سبباً أساسياً لانفصال فرع آجني في نيس، راجع حاشية 26 باب 23، وفي نوفمبر 1922 أرسلت كونتيسة بروزر مديرة الفرع رسالة لكل الفروع في فرنسا تعلن فيها أن الجمعية الشيوزوفية 'ستقوم بجهد للتطهير، وإلقاء الضوء على سوء استخدام السلطة والازدواجية والسلوك اللاأخلاقى للرئيسة أولاً و مستر ليدبيتر ثانياً، وقد استقبلت هذه المبادرة استقبالاً سيئاً، ونشرت *Bulletin Theosophique* في يناير 1923 مذكرة للمجلس إدارة القسم الفرنسى بأن هناك أسباباً لرفض هذه المبادرة باعتبار أن غرضها 'زرع الشقاق في قلب الجمعية الشيوزوفية ذاته'، إلا أن فرع آجني استمر في إطلاق سلسلة من النشرات 'لأعضاء الجمعية الشيوزوفية فقط'، وقد اختتمت بخطاب جماعي للاستقالات التي جرت في 11 فبراير 1923، وقد احتوت تلك النشرات على وثائق مهمة رغم أنها حقيقية تماماً، حتى إنها استلزمت جهوداً مريرة في ملاحظاتها من قبل صدور النشرات المذكورة، ولم يجدوا سبيلاً إلا الإنكار، وفيما يلي مقتبس عن *Bulletin Theosophique* بتاريخ فبراير 1923،

"هل نضع أنفسنا من هذه الاقتراءات في موضع المفترى أم المفترى عليه؟ كما أن من بيننا يستطيع ادعاء الطهارة التامة من الخطايا حتى يلقي حجراً على إخواننا المخدوعين؟ ولنسع في هذه الأزمة إلى تعلم درس منها، حتى لو كانت المحاكمة التي تُضخّم آرائنا مما يستلزم احتمالاً أشد وفهماً أعمق، ومثالاً أعلى للأخوة النبيلة المباركة...".

وما لم تُعمِّ الأحقاد المرء فمن الصعب اعتبار هذه الموعظة إجابة مُرضية، ويحتوى المنشور الذى أطلقه فرع آجنى على خطاب مؤرخ فى 20 مايو 1921 من مارتين T.H. Martyn من سيدنى إلى مسز بيسانت نقتبس منه ما يلى،

"لقد كنت فى لندن عام 1906 وقاتلت فى الدفاع عن قضيتكم وقضية مستر ليدبيتر الذى تهددته الإدانة القضائية، وقد طلب منى شاب من رفاقه أن أساعد فى دفع الاتهام وإلا لن يجد مناصباً من الاعتراف بسلوك ليدبيتر اللاأخلاقى، لكن الاتهام لم يتم،... وفى عام 1914 جاء ليدبيتر للإقامة معنا فى سيدنى، وقد قبلت آراءه التى كانت تضاهى آرائك، واعتبرته رهاباً آرهات، وقد وقعت تحت نفوذه برغبتي، وسعدت بتنفيذ مشروعاته، إلا أن كثيراً من الأمور أثارت دهشتى حياله،... مثلها حدث فى يوم من يوليو عام 1917 قيل لخمسة منا أننا تلقينا عدة تعميمات، ولم يتذكر أحد أياً منها، وكانت مسز مارتين تُعانى من إقامة ليدبيتر فى منزلنا،... وانتشر مرض الحصبة فى المنزل مما تسبب عنه طرد ليدبيتر وصبائه، ولم تفلح كل جهودى فى إقناعها لفتح منزلنا له، وفى عام 1919 سافرت إلى أميرىكا والتقيت بالشاب فان هوك فى نيويورك، والذى تحدث بصراحة عن لأخلاقية ليدبيتر وخداعه فى 'حيوات آلكيون'، وهكذا توفر لى شاهدين من المراهقين على ليدبيتر، كان أولهما الصبى الذى سعى إلى عام 1906 و الشاب فان هوك فى نيويورك، وأضيف إلى ذلك الأمور الغريبة التى حدثت فى بيتى، وقد أدى كل ذلك إلى استنتاج أن ليدبيتر منحرف جنسياً، وأن عاداته كما اكتشفت مؤخراً معروفة فى سجلات الجرائم الجنسية".

ولا علم لنا بما إذا كان الشاب الذى قابلناه عام 1906 هو الذى قيل عنه أنه تجسيد ل فيثاغورس أم أنه يتماهى مع الذى شهد ضده فى قضية مدراس بتوقيع D.D.P.، التى انتهت بالسطور التالية،

"إننى أعلن ذلك لغرض تنبيه الآباء حتى يحموا أبناءهم من تعليم أشخاص متوحشين ولكنهم يمثلون أمام العالم كمرشدين أخلاقيين، وأعمالهم تدمر الصغار والكبار".

أما عن الشاب فان هوك الذى ربما كان قريباً للدكتور Weller Van Hook السكرتير العام للفرع الأمريكى للجمعية الشيوزوفية، وهو من أشد المدافعين عن ليدبيتر، ويدفع برسالة قيل إنها إملاء من أحد 'المعلمين' ووافقت عليها مسز بيسانت ومؤداها 'إنه ليس من الإجرام أو

الخطأ تعليم الصغار الأمور المذكورة التي ليست إلا نصيحة ملهمة لمعلم حكيم، وأن ظهوره في العالم الثيوزوفي مقدمة لأن يظهر في العالم الخارجى كله، فهذه الأمور مقدر لها أن تشكل مستقبل الإنسانية! ونضيف أن د. فان هوك قد خلف ألكساندر فولرتون الذى خلف جادج في وظيفة السكرتير العام للقسم الأمريكى، والذى انقلب إلى مناوى راجع باب 16، وبعد القبض عليه في 18 فبراير 1910 بموجب خطاب لا أخلاقى كتبه إلى مراهق، وأودع فولرتون في مستشفى أمراض عقلية في ولاية نيويورك، وكتب إليه ليدبتر في 27 فبراير يشير بصراحة بقدر الإمكان إلى النصيحة التي أسداها إلى تلاميذه 'حتى يتخلصوا من الأفكار غير المرغوبة، وأن يؤجل مخالطة النساء إلى فيما بعد، وأضاف أن الطبيب قد يعترض على أساس أنها قد تؤدى إلى إدمان العادة السرية *self-abuse*، لكن هذا الأمر يمكن علاجه بتفسير صريح، ولكن لنعد إلى خطاب مسز مارتين،

"ويعيدنى ذلك إلى 1919 وزيارتى إلى لندن،...فقد ذهبت في اكتوبر لزيارة مسز سانت جون، ووجدتها مضطربة للغاية وأخبرتني أن الشرطة تبحث عن أربعة قساوسة من الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية هم ويدجوود و كينج و فارار و كلارك، وأرادت أن تحذر ويدجوود في استراليا، ولكنها لم تعرف كيف تفعل ذلك دون أن تتورط في التواطؤ، وقالت إن فارار خرج من البلاد، وأنها متأكدة من أن الشرطة لن تجده، وقرر كينج أن يبقى في لندن حتى النهاية حيث إن فارار كان آمناً... وحينما عدت إلى لندن علمت بالطبع عن اتهام ويدجوود بالشذوذ الجنسى من ميجور آدامز وآخرين، وقد وصلت إلى في سيدنى تقارير عن الموضوع ذاته، لكن ما أثار دهشتى ما قالته مسز سانت جون، وبعد أسبوع... قلت لى أنك ترغب في الاتصال بويدجوود فى سيدنى، لكن ذلك عمل مباشر يؤدى إلى اتهامك بالتواطؤ، وأعطيتنى خطاباً إلى جيناراجاداسا، فلا بد أن يستقيل ويدجوود من T.S. و E.S. إلى آخره، وقلت لى إنه تعرض لمؤامرة خطيرة، وأنت تشعر أن واجبك هو الحفاظ على سمعة الجمعية، وتذكرت ساعتها محاضرة ألقيتها الأحد الماضى عن السحر الأسود والشذوذ الجنسى فى الجمعية الثيوزوفية، وتساءلت ما إذا كنت تقصد ويدجوود فقلت نعم،... ثم طرأت مسألة تعميم ويدجوود، فقلت لى أنه ليس معمداً... وبعد أن تركتك وسافرت إلى أميركا جاء لزيارتى بعض الذين عرفوا أن حقيقة ويدجوود قد ظهرت أخيراً، وقالوا أنه اعترف لآحدهم فى لندن،...وعندما وصلت إلى سيدنى كان 'راجا' قد تسلم منه خطاباً أعطاه لى بامتعاض واضح،... وقد كانت

أهم مسألة بالنسبة له هي إنكارك لتعميد ويدجوود، وفهمت أن سقطته لن تعن شيئاً إلا انهيار ليدبتر كراهب للنفوذ الرباني في الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية، وتجريده من ادعاء التعميد المفترض، واعترافه ببعض التاس ككلاميد له إلى آخره..، ومن وجهة نظر راجا أنه ليس بين هذه الأمور ما يخص الناس جميعاً، ولا ينبغي الاعتراف بها بأى ثمن كان من أجل سلام الأعضاء وغايات الجمعية عموماً، واكتشفت أن راجا يردد أفكار ليدبتر الذى لا بد قد أوحى إليه بغيبته مباشرة وأن راجا قبلها بحسن نية... والحق إننى لم أصدق أن ليدبتر وويدجوود غولان يمارسا أعمالاً محرمة وراء ستار الأمور الإنسانية، والذين يعملان بحبث ومهارة نتفقا مع هذه الحالات، وأياً كان رأى الناس فأنى سأتمسك بأى تفسير معقول لتلك الوقائع".

وفي العامين التاليين لما ذكرنا توأ كان وجهاء الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية يتأمرون على جعل هذه المسألة المقررة أمر لا يثير القلق لو كانت شرطة إنجلترا تبحث عنهم، ولا شك أن هناك جهات بعينها قد عملت على إبقائهما في الخفاء، وفي 28 فبراير 1922 أرسل ريجينالد فارار إلى مسز بيسانت استقالته من عضوية 'الماسونية العاملة Co-Masonry' مع الاعترافات التالية،

"إن الاتهامات ضدى وكذلك ضد ويدجوود و كينج و كلارك فى خطاب السيدة مارتين لها أساس متين، ولكن أتوسل إليك اعتبار أننى قد أغريت بالرديلة من الذين كنت أعتبرهم أساتذتى أخلاقياً وروحياً... وأن السبب الذى دفعنى إلى كتابة هذا الخطاب هو الأمل فى تخفيف تأنيب الضمير... أما ويدجوود فقد رفض الإقلاع عنها تماماً، وقد كان أكونا المدموغ بهذه الرديلة كان ولى أمر أحد 'أصدقائه' فى 'مُحفل الموائمة Emulation Lodge'."

وقد أودع هذا الخطاب لدى جونز W. Hamilton Jones الذى قال إن فارار قد ترك إنجلترا فى اليوم نفسه، ولكنه التقى مع ويدجوود الذى وصله خطاب من مجهول يحذره من القبض عليه إن لم يترك أوروبا قبل أول مارس، ودفع ويدجوود ببراءته، ولكنه اختفى مساء اليوم ذاته، ويضيف جونز "إننى كنت أثق فى ويدجوود حتى وقت قريب، ولكننى عرفت من الوقائع التى من هذا النوع ما أزال عنى الوهم فى هذا الصدد، وترك ويدجوود إنجلترا وجاء إلى باريس حيث أسس فرعاً من الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية مؤقتاً فى الكنيسة الإنجيلية باسم 'كنيسة فرنسا الكاثوليكية الحرة' ونظمت نفسها فى جمعية قيل إنها قانونية، وقد

ظهر هذا البيان في الجريدة الرسمية بتاريخ 13 إبريل 1992، وقد قال البعض إن وجود ذهب إلى أميركا في حين ادعى آخرون إنه مختبئ في فرنسا، وأياً كان الحال فقد مر زمن طويل قبل أن يطفو في باريس وحتى في لندن، ويجوز القول إن أحواله قد استقرت أخيراً بفضل عدة جهود سياسية، أما عن كنيسته في باريس فقد انتقلت إلى 72 rue de Sevre حيث نشرت مانيفستو نقتبس منه الفقرة التالية،

"إن الكنيسة الكاثوليكية الحرة لا تسعى إلى معارضة أية كنيسة أو جماعات دينية أو

شعبية، بل العمل في سلام وإحسان، وتقديم خدماتها لكافة النفوس الطيبة، وتأمل في مدارس كافة المشارب المسيحية في كنيسة كلية *Univesal Church*، والتي ستعمل بشكل فعال في مملكة الرب، وتلتزم تماماً ببرنامج مؤتمر 'الإيمان والنظام *Faith and Diplicine*'، والتي تجمع العدد الأكبر من الكنائس المسيحية بدلاً من التفاصيل والأنوية العقيمة، وتنتوي تحقيق كاثوليكية تراثية تقوم على أساس الدين الرسولي والتوحد، لا على أي تساوي مفروض ولكن بالاحترام المتبادل والأخوة الصادقة، والعمل على رفع العالم نحو القداسة والتوحد في مملكة العدالة والمحبة التي تسود في آخر الزمان".

ويقصدون بالعمل في 'مملكة الرب' الإعداد للهاشيع الشيوزوفي الجديد، وأما عن 'قداسة' كنيسة وجود و ليدبتر فيمكن تقييمها من واقع ما طرحنا لتونا! ونضيف إلى ذلك المعلومات الواردة من مقال في جريدة أميركية بتاريخ 5 فبراير 1919 تنير لنا تقييم مدى 'رسولية *apostecity*' هذه الكنيسة،

"لقد برهنت الوقائع على أن التداول الرسولي الذي يدعيه وجود أمر زائف، فقد رسمه قسيس مشلوح من الكنيسة الكاثوليكية القديمة كما طرد من الكنيسة الإنجليكانية، ويسمى ويلوبى بسبب حياته الفاسقة، وباختصار نظراً لعلاقته الفاسدة بالصبيان الذين تحت رعايته، ومن هذا القسيس المنحرف تلقى وجود الحق في أن يكون تابعاً في سلسلة التداول الرسولي من المسيح ذاته، كما اكتسب حق إسباغه على آخرين بمن فيهم ليدبتر وعدة قسس في أميركا، وكل القسس الذين رُسموا في الكنيسة الكاثوليكية الحرة، ولا بد لهم من تتبع أسلافهم الروحيين إلى هذا المستنقع الأخلاقي، وفي حاشية مكتوبة عام 1911 عن 'صلاحية محافل الكنيسة الكاثوليكية الحرة'، وقد استنتج عضو في محفل سيدني متهاً "إن مستر ليدبتر كثيراً ما نوه عن أنه يستطيع التفرقة بين قسيس حقيقي من التابع الرسولي وبين قسيس

منشق بفضل قدرته على العرافة، وها هو هنا في أول اختبار عام يختار قسيساً فاسداً 'لترسيمه' دون أن يدري!".

وأما عن 'الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية الحرة' فلا بد من إضافة أن الشيوزوفيين واجهوا بعض المصاعب، فالأسقف فينيرت *Winnaert* الذى كان على رأسها بعد ترسيمه على يد ويديجود كان شماساً رومانياً كاثوليكياً سابقاً، والذى انضم إلى جناح أوترشنت *Utrecht* المنشق، وخدم لفترة في الكنيسة 'الكاثوليكية القديمة' في بوليفار بلانكى، وحينما ظهرت رسائل 'المهاتمات' أعلن احتجاجه على الروح التي ألهمت تلك الرسائل، والتي حكم عليها بالإلحاد والمادية، وسافرت مسز بيسانت على عجل إلى باريس للتفاهم معه، لكن التصالح الذى جرى لم يعش طويلاً، وأخيراً بعد نشر كتاب جيناراجاداسا بعنوان 'أول تعاليم المعلمين *The First Teachings of the Masters*' انشق القمص فينيرت على طاعة الشيوزوفية عام 1924 للأسباب ذاتها، وطرح تفسيراً مطولاً عن موقفه في كل من جريدة *L'Unite Spirituelle*, *July-August, 1924*، وخطاب الاستقالة في 30 يوليو موجهاً إلى ويديجود، وجاء في ختامه ما يلي،

"... وأنا مضطر إلى إنكار كافة الروابط مع 'الكنيسة الكاثوليكية الحرة' مهما صغرت، والتي أصبحت عندي كنيسة زائفة، وسواءً أكان ذلك قصداً أم لم يكن، وهي خيانة لاجتذاب النفوس، وبناءً على تعبيرك "التلويح بالمبادئ الشيوزوفية على المنابر المسيحية"، وكان يجب ألا أقبل الترسيم الرسولى من مثل ذلك المصدر لو أننى اكتشفت الأسرار وراء 'الكنيسة الليبرالية'، وأكرر واقع أننى أبقيت على جهل تام بالنفوذ الغيبي الذى قامت عليه وأدارته، فقد كنت أتوهم أننى صادفت كنيسة تراثية لكنها تحررت من اللاهوت المنصرم، ولكن الأمر واقعياً كما لو كان انزلاقاً تحت عنوان المسيحية إلى ترويج أفكار غريبة عنها تماماً لم يلاحيا أحد بالفعل، ورغم تعاطفى مع الأشخاص الضالعين فلن أكون متواطئاً في هذه المؤامرة. ومن ثم بدأ الشيوزوفيون في إعادة ترتيب كنيستهم 'الكاثوليكية الليبرالية' عندما مر ويديجود في باريس، وهى الآن قائمة في شارع *Campagne Premiere*.

ولم يتردد أعضاء فرع آجنى في كتابة خطاب جماعى لمسز بيسانت بتاريخ 11 يشجبون فيه 'الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية'، والتي تماهت أكثر فأكثر مع الشيوزوفية ذاتها بصفتها،

"طائفة لها أخلاقيات خاصة لم يُعلِّها أى دين كان، وسوف يكون انتشارها أحد الأعمال الظلامية التي تعزوها المسيحية إلى أدوات الشيطان، وتعزوها الثيوزوفية الغيبية إلى رهبان السحر الأسود".

وقد أصبح من الثابت أن ترويح هذه الأخلاقية الخاصة لها فرسان متحمسين، فقد اعتذر د. فان هوك لمسر بيسانت عن ليدبيتر والذي رأته أنه مكتوب تحت 'ضغط شديد'، فقدم الأمر باعتباره طرقاً 'وقائية' *prophylactic* لهذا المعلم الغريب كما لو كان وحيًا "تقدمه الثيوزوفية للعالم نكدمة تمتد آثارها إلى المستقبل البعيد لتقدم الإنسانية"، زد على ذلك أنه قيل لنا "إن أعضاء القسم الجوّاني يواجههم اختيار بين الدفاع عن هذه البذات والتماهي معها وبين الاستقالة"، وربما كانت هذه هي "الأمر التي تناقض ضميره" التي تحدث عنها شفرنيه *Chevrier*، والذي فضل الاستقالة بدوره على سبيل الشرف، وفي أحوال كهذه رأى الغاضبون في نيس "مستقبلاً مظلماً للجمعية الثيوزوفية"، وفي دوائر مماثلة من الأرواحيين والغيبيين على سبيل المثال حيث نجدهم يبعثون على الامتعاض كذلك، وقد لفتنا النظر إلى هذه الطواهر في كتابنا 'أباطيل الأرواحية' *The Spiritist Fallacy* في الباب العاشر، ونقتصر هنا على تقارير الوقائع وشهادات الشهود، ولكن ما استجد في المسألة التي تشغلنا حالياً ويضفي عليها ثقلاً هو محاولة نشر نظريات ليدبيتر وشركائه 'للعالم الخارجي'، فأى نوايا شيطانية تقبع وراءها؟ وقد وجّهت أسئلة شتى من أعضاء فرع آجني إلى مسر بيسانت قد تعيننا على فهمها،

"ولم يعد الأمر مسألة ليدبيتر والنظام الذي يحاول أن يصل به إلى 'علاج المراهقين من عاداتهم القبيحة'، وهذا هو النظام الذي اتبعه وأوصى به د. فان هوك بموافقكم، ومن ثم نفشى في الجمعية بكاملها، وهكذا يتخذ المفهوم التأملى الذى كتبت عنها فى الثيوزوفى شكلاً، حيث يستقى المنطق الباطل من القاعدة الأخلاقية له، ألم تحرر الكائنات التي تهيمن على التطور مدام بلافانسكى من العناصر الخبيثة فى الكارما ودفعتها لتصميم على العمل؟ فلماذا لا يستطيع تلامذتهم من مَعمدى سيدنى استخدام وسائل مشاكلة لتحرير تلامذتهم من رذائل المستقبل التي أدركتها تلك الكائنات؟ ولا بد أن يطرأ اعتراض حتى من أشد الناس انشكاعاً بها، أليست الأمور المقصودة إضافة إلى الخوف من النساء إلهامات تحطم فيهم الانجذاب الطبيعي الذي يحول المجانسة إلى حب ربانى متسام؟ فبأى حق يفرض أحد كبت هذا الدافع الذى يعمل على كافة مراتب الوجود الإنسانى؟ ألم يكن التشريع فى بلاد شتى وخاصة فى إنجلترا يُجرِّم كل

ما يؤثر على غريزة التناسل التي يعتمد عليها حفظ الجنس البشرى؟ ويبدو أنكم توقعتم هذا الاعتراض، فالتحوض فيها مقدماً يبدأ بالاعتراض على الأهلية في تناول هذا الأمر، ولكنه اليوم أصبح شاغلاً للعالم الدينى والعالم المتعلم كليهما، وتحمل أحد النقاط المبدئية بصمة المالتوزية الجديدة *neo-Malthusianism*، والتي أوصيتم بها خيراً فيما سبق ثم عارضتموها منذ برهة وجيزة، فإما كان ذلك التنويه خالياً من أى معنى وأما كان معناه التراجع عن الرأى فيما تعلق بليديتير ومذهب فان هوك والأعمال 'الوقائية' التي تتمخض عنه، وسوف تزيد حدة التراجع بالقدر الذى "تحده عملية النمو العقلى الذى يتجه إلى إضعاف الغريزة الجنسية وقوى الإبداع العضوى"، فهل تعتبرون أن نهاية الجنس أمر مرغوب فيه؟ فهل هذا رأيكم فى الإعداد لمقدم الجنس السادس؟ أم إنسانية تعيث فى شقاء التطور البوذى، فهل حان أو ان العودة النهائية إلى البذرة الأخيرة *the final androgyny*؟ وعليه فهل تعتبرون أن هناك فى الأخلاق ما يحفز تحقيق هذا الهدف وهذا المستقبل حتى يكون ملائماً للتطور؟ والمرء على وشك الاعتقاد بذلك باعتبار التعليقات التى تنسب من القسم الجوانى إلى جسد الجمعية الثيوزوفية بكامله".

وهنا لا نملك الإسهاب فى كل ما تعنيه السطور الأخيرة، فالصياغات الأدبية الثيوزوفية محملة بأفكار عتيقة تتمثل فى وجود كثيف، وسنضيف فحسب أن الكاتب الذى يبدو ملماً بالأمر تماماً قد لاحظ 'انقلاب الآراء' بمعنى "إن كل شىء يحدث حسب مخطط محكم" كما لو كان هناك منافسون لا أخلاقيون يطيعون ذلك الشعار"، وليست إدارة الثيوزوفية هى التى صاغت ذلك الشعار ولكنها تطيعه، وتعمل لتحقيقه بوعى وبدونه كما يفعل غيرهم فى حقول مناظرة، فأى فساد وأى خراب يكمن وراء كل ذلك فى العالم الغربى، وربما ظهر جواب فى المستقبل أن الوقت قد فات لمصارعة الشر بشكل فعال، وهو شر لا يكف عن اغتصاب أرض جديدة، والذى لا يراه العميان، فتذكروا انهيار روما!

ملحق 2

وقد ظهر كتاب ليديتير 'علم الطقوس' *The Science of the Sacrament* بالانجليزية والفرنسية، ذلك إضافة إلى معلومات ادعى أنها من قبيل العرافة *clairvoyance*، ويحتوى على مقارنة بين الكهانة فى الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية وبين كهانة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والحق إنها مقارنة مُعلّبة، فهى تبيّن أن الأولى مُعدّلة لإعداد العقول لقبول النظريات الشيوزوفية دون ضرورة لتعليمها صراحة، وبالطبع لا يتحتم أن يكون المرء عضواً فى الجمعية الشيوزوفية لكى ينضم إلى الكنيسة الليبرالية، وقد ظهرت كثيرٌ من التنويهات يصعب على العامة فهمها، لكنها بالغة الوضوح عند من اعتاد على تناول النظريات المقصودة التى تسلت فى الطقوس، ولا بد أن نلاحظ كذلك أن التعبد للقلب المقدس مُستخدمٌ بحيث يقارب مجئ الماشيح الجديد، ومن الأخبار التى وصلتنا من أسبانيا أنهم يدعون "أن حكم القلب المقدس هو حكم روح سيدنا مايتريا، ويعنى إعلانها أنها صورة محجبة لمجيئه الوشيك".

لكن هناك أكثر من تغير الطقوس، فالإنجيل ذاته قد تغير بموجب ضرورة العودة إلى 'المسيحية البدائية'، وبناءً عليه جرى تداول نسخة من الإنجيل بعنوان 'إنجيل القديسين الاثنى عشر'، الإنجيل الأصيل الكامل، وقد صدر فى كتيب صغير بعنوان 'المسيحية البدائية فى أنجليكانية القديسين الاثنى عشر' تأليف أودنى *E. Francis Udny* قسيس الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية، ويحسن ملاحظة أن الزمن الذى كُتب فيه هذا الكتاب كان لا يزال هناك غموض يلف شخصية ماشيح المستقبل، فقد قيل إن الماشيح سيختار فى كل بلد من يرشدها بإلهامه حتى لا يتجشم عناء السفر بالجسد، وأن يتحدث أينما شاء فى بلد أو آخر، وقد جعلنا عنوان الكتيب فى أول وهلة نعتقد أنه إنجيل زائف *apocryphal Gospel*، حيث انتشرت أمثاله بعدد عظيم، ولكن لم نستغرق وقتاً لكى نعرف أنه ليس إلا تدليساً ساذجاً، فهذا الإنجيل المزعوم يدعى أن النسخة الأصلية بالآرامية محفوظة فى دير بوذى فى التبت، وقد أُمليت النسخة الانجليزية بالتخاطر مع القس الأنجليكاني أوزلى *Ousely*، والذى قام بنشرها بدوره،

كما قيل لنا "إن القس كان مُسنًا وأصمًا وشبه أعمى وقد هدّه العمر الطويل"، أليس ذلك سبباً لكي يقوم ذلك المسكين بدور المغفل في تلك المسألة؟ ولكن لنتقل من هذه الحكاية الخيالية إلى أصل تلك الترجمة، فقد كان 'المعلم R' في أحد تناسخاته فرانسيس بيكون كما زعموا أن أسلوب بيكون يمكن التعرف عليه بمضاهاة هذه الترجمة بإنجيل الملك جيمس المعتمد، والذي كان بيكون رئيس تحريره، ونذكر بالمناسبة أن الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية في حماية سانت ألبان والذي كان أحد تناسخات 'المعلمين Masters'، فقد كان هذا الاسم من ألقاب بيكون، وعندنا كثير من الحكايات الغريبة التي تتعلق 'بإدعاء موت المعلمين feigned deaths' أو تلاميذهم 'النجباء'، ولكن سنقتصر على اقتباس من أحدهم على سبيل الاستطلاع،

"وقد حدثت إبان القرن التاسع عشر حالة 'إدعاء موت' مارشال نبي Marshal Ney الذي كان شجاع الشجعان، والذي عاش بعد إعدامه في فرنسا كموطن محترم في روان كانترى شمال كاليفورنيا".

ولكن الأشد إدهاشاً أن نعلم أن في الإنجيل المذكور "تعاليم خاصة أدى غيابها إلى إفقار الدين ولا زال"، ولا تعدو هذه التعاليم أمرين، أولهما المذهب الشيوزوفي عن التناسخ، والآخر هو الغذاء النباتي والإقلاع عن الكحوليات العزيزة عند 'أخلاقية moralism' أنجلو ساكسونية بعينها، وهو ما كنا نرجو أن تقدمه المسيحية، ويدعون أنها كانت ضمن تعاليم الإنجيل الأصلي حتى حُجبت حوالى القرن الرابع فيما عدا إنجيل القديسين الاثنى عشر الذى اجتنبت ذلك الفساد، لكن ما يُدهش أكثر من ذلك هو أن نعلم أن التعاليم الخاصة التى كانت فى الإنجيل المذكور 'جزء جوهري من المسيحية الأصلية'، والحق إن ذلك خدعة فظة، ولكن للأسف نجد كثيراً من الناس يستسلمون لها، ولا بد من الوعي بعقلية زماننا التى يصعب إقناعها بأمر من هذا القبيل، كما أزعج إيلينا عرض عن عملية شاسعة الأفق، فيقال فى الكتاب نفسه "إن الكاتب يعتقد أن إنجيلاً أقل حجماً سيكون متاحاً لدى الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية التى يحتمل أن تُجزئه، ولكنه هو المسئول عن اتخاذ هذا القرار، فمن الضرورى بالطبع أن يصدر إنجيل أفضل"، لكن ذلك لازال اقتراحاً، إلا أن من السهل فهم أن غايته دمع كافة الكتب المقدسة بالترفيف، وهذا تحذير لنا، فعندما يُقال عن اكتشاف مخطوط يحتوى على أى متن غير معروف من التوراة أو الإنجيل فيحسن الحذر عن ذى قبل.

25 الشيوزوفية والماسونية

وقد طفقت مسز يبسانت على استكمال كتاب من نوع آخر عن الماسونية، وقد توازى مع دينها الزائف، وقد رأينا وجود كثير من الماسونيين في الجمعية الشيوزوفية وما حولها، كما أن مثالياتها عن 'الأخوة الكلية' *universal brotherhood* التي ترى فيها الجمعية أحد غاياتها الأولى هو أمر تشارك فيه الماسونية، إلا أن ذلك كان في حدود تقدير شخصي لم يتدخل فيها أية منظمات ماسونية، ولم يحدث مطلقاً أية علاقات بما يسمى 'الماسونية المعتادة' *regular Masonry* ربما لأن الماسون يرون في الشيوزوفية روح التآمر، وربما لأسباب غير ذلك، ولن نحاول حلّ هذه المعضلة هنا، فمن المحتمل وجود ماسونيين بعينهم كانوا شيوزوفيين كذلك بلا أدنى شك، ويذهبون بعيداً في اعتبار أمانيتهم أمراً واقعاً حينما يكتبون أموراً من هذا القبيل، "إن الماسونية والشيوزوفية لهما عقل واحد أياً كان القول عن الأخيرة، ويكفل أحدهما الآخر ويتوحد معه في الجوانب التعميدية التي تتماهى بينهما، وهما من هذا المنظور شيء واحد من قديم الأزل"¹.

ولو كان هذا المنظور مقصوراً على المذهب فإنه ادعاء شيوزوفي بأن لهم مذهب هو منبع كل المذاهب الأخرى، وهو ادعاء يطبقونه على الماسونية كما يطبقونه على كل الأديان، ولكنه لا أساس له لأن الشيوزوفية ذاتها اختراع حديث²، ومن ناحية أخرى من المنظور التاريخي

1 'معبد الحقيقة في الماسونية ومذهبه الحق' الذي كتبه ميشا *Micha A.*، وقد اقتبس بيكول *Goerges Pecoul* منه الفقرة الحالية في أمر يتعلق ببيرجسون، وقد كان مخطئاً في قبول ما تنص عليه في مجلة *Les Lettres, Dec. 1920 pp 676-678*.

2 ويدعى الشيوزوفيون أن الماسونية نوع من الفيض *emanation* أو لو أحببت 'تجلياً مستتراً لمذهبها' يرتبط مباشرة في عقولهم بفكرة أن المعلم *R* هو الرأس الحقيقية للماسونية، وهو تأييد لما طرحه من قبل وكنا نتابعه قبل أن نبدأ العمل في هذا الكتاب بزم من طويل، ولم نرغب في الكتابة عنه حيث لم نجد صادراً عن أحد قادة الشيوزوفية.

يسهل الحديث ببساطة عن الماسونية عموماً ككيان لا ينقسم، فهذه الأمور في الواقع شديدة التعقيد، فهناك عقيدة أتباع الصليب الوردى *Rosenincrucianim* التي لا بد أن نعرف تمييز الفوارق بينها وبين الماسونيات *Masonries* المختلفة التي نقصدها، وأياً كان رأينا الشخصي في غياب العلاقة بينها، ولذا كما حريصون على التنويه عن أن كلامنا يتعلق بما يسمى 'الماسونية المعتادة' *regular Masonry*، والتي لا يعرف العامة عنها شيئاً، والتي تشتمل على عدة منظمات يتصل بعضها بالغيبية عن قرب، وعموماً فإن هذه الجماعات كثيرة ولكنها تدفع بأنها أسمى من الماسونية المعتادة، في حين تعاملهم الماسونية باحتقار عميق وتعتبرهم عواماً زائفين.

وقد كان الانجليزي ياركر *John Yarker* أحد الشخصيات الغربية من تلك 'الماسونية غير المعتادة' والذي توفي عام 1913 كاتب لعدة أعمال في التاريخ الماسوني والرمزية، وقد اعتنق وجهات نظر في هذين المجالين تخصه وحده، ودفع في أحد هذه الآراء الغربية بأن "الماسوني المَعْمَد قسيس لكل الأديان"، ومبتكر للشعائر ومجدد لها، وكان في الآن ذاته على صلة بجمهرة من الجماعات الغيبية الذي كان بعضهم مُعَمِّداً، وكان عضواً شرفياً في مَحْفَل الصليب الوردى في إنجلترا *Societas Rosicruciana in Aglia*، والذي كان قاداته أعضاءاً في منظمته حتى لو كانوا على اتصال بِمَحْفَل 'الماسونية المعتاد' رغم أنه قد هجره منذ زمن، وقد كان صديقاً لماسيني *Mazzini* وغاريبالدي *Garibaldi* والمقربين منهما، وقد عرف مدام بلافاتسكي وجعل من نفسه عضواً شرفياً في الجمعية الثيوزوفية منذ بدايتها، وأسبغ عليها لقب 'وَلِيَّة العهد *Crown Princess*' بعد نشر كتاب *Isis Unveiled*، وهي أعلى مراتب 'الجدارة'، أما هو فقد أطلق على نفسه لقب 'العارف الأعظم *Great Hierophant*'³، وهذه المجاملات المتبادلة عادة بين قادة تلك الجماعات، وقد نجد أن لقب 'وَلِيَّة العهد' لا يكاد يشاكل مظهرها الفقير الخرافي حتى إنها تبدو نوعاً من التهكم، ولكننا عهدنا أشخاصاً آخرين أسبغ عليهم اللقب ذاته دون أن يجتازوا التعليم الابتدائي، وقد ادَّعى ياركر أنه حظى بلقبه المذكور من غاريبالدي، لكن مشروعيته

3 وهي إشارة إلى أن هذه الواقعة موجودة في مجلة *Lotus Blue, July 7, 1890*، في بداية مقال بعنوان *Le Maillet de Maitre* التي كانت بداية سلسلة عن الرمزية الماسونية، لكن المقال الثاني لم يُنشر قط.

وسلسلة تداوله كانت تُقَابَل بالاستنكار دائماً في إيطاليا، حيث هناك منظمة باسم 'مَحْفَل ممفيس ومصرائيم' والتي أكدت استقلالها عن 'العارف الأعظم'، وقد ظهر في السنوات التالية ملحقاتاً رئيسياً لياركرك باسم ريوس *Theodore Reuss* الذي تحدثنا عنه في سياق ذكر 'مَحْفَل فرسان المشرق'⁴، وهذا الريوس الذي يسمى نفسه الآن *Reuss Willson* ألماني مقيم في لندن، وكان موظفاً في 'دار النشر الشيوزوفية'، ولا يملك العودة إلى موطنه كما قيل دون أن يخاطر بالقبض عليه بتهمة 'الخشونة' في أمور بعينها، لكن ذلك لم يمنعه من تأسيس 'مَحْفَل المشرق الأعظم' للإمبراطورية الألمانية، والذي يشتمل وجهائه على فرانز هارتمان، ولنعد إلى ياركرك لنلاحظ أنه الشخص نفسه الذي شكل 'مَحْفَلًا سويدنبرجياً' وادعى أنه 'بدائي أصيل'، وكان وصف 'مَحْفَل ممفيس نفسه' قديماً وبدائياً من اختراعه، ولا صلة له بأية محافل ماسونية، والتي كانت تشغى في القرن الثامن عشر، وقد كانت غالبيتها تستلهم من أفكار سويدنبرج وكان من بينها 'مَحْفَل' الشيوزوفيون المستنكرون *Theosophical Illuminati* الذي أسسه بنيدكت كاستانيه *Benedict Chastanies* في لندن عام 1767، وأن 'مَحْفَل مستيرو أفينيون *Illuminati of Avignon* قد أسسه البندكتيني بيرينيتي *A.-J. Perinety*، ومن المؤكد أن سويدنبرج لم يؤسس بنفسه أية محافل ولا ككأس رغم وجود كنيسة سويدنبرجية، وتسمى 'عن أورشليم الجديدة *of the new Jerusalem*' والتي تنتمي إلى طائفة بروتستنتية، أما عن 'مَحْفَل ياركرك السويدنبرجي فلدينا قائمة بأسماء وجهائه بتاريخ 1897، والتي تناظر عام 7770 A.O.S. في تقويمهم المخصوص، وكان كولونيل أولكوت مبعوثاً رسمياً للمجلس الأعلى للمَحْفَل الأعظم ومعبد بومباي، ولنضيف أن بابوس حاول عام 1900 تأسيس 'مَحْفَل سويدنبرجي في فرنسا يتصل بالمَحْفَل ذاته، ولكن جهوده راحت سُدى، وقد سَمَّى بابوس ياركرك عضواً في المجلس الأعلى للمَحْفَل المارتينيزي *Martinist Order*'⁵، ومن ثم وفر له ياركرك عضوية في المجلس الأعلى للمَحْفَل السويدنبرجي برتبة مشير *Grand Marshall*.

4 عن ثيودور ريوس و'مَحْفَل فرسان المشرق' راجع كتابنا 'خطل الأرواحية' باب 10. ترجمات تراث واحد قيد النشر.

5 وكان مفروضاً أن يضم المجلس الأعلى واحداً وعشرين عضواً، لكننا عرفنا منهم أكثر من

ومن وجهة نظر الماسونية فإن كل ما نحتاج ملاحظته حيال مدام بلافاتسكي وكولونيل أولكوت هو أن أولكوت كان عضواً في محفل أميركي ماسوني 'معتاد' قبل تأسيس الجمعية الثوزوقية، ولكن ما أرضى مؤسسي الجمعية لم يُرض مسز بيسانت لسببين، أولهما المناخ الإعلاني المتزايد الذي دفعها إلى تفضيل الاتصال المباشر بالمنظمات المنتشرة، وقررت أن تقوم بدور فعال ولا تكتفى بدور تشريفي، فلم تنفق نزعها النسوية الشديدة مع 'محافل التبنى grades of adoption' التي تلحق للسيدات بعيداً عن العمل الجاد، وكانت تحتاج إلى ماسونية تسمح بعضوية النساء بالتساوي مع الرجال، وهو ما كان يناقض الأعراف الماسونية، إلا أن هذه المنظمة للماسونية المختلطة قد وجدت في فرنسا عام 1891، وقد أسستها ماريا ديرايسم والدكتور جورج مارتان، وعُرفت باسم 'حقوق الإنسان'⁶، وقد كانت ماريا ديرايسم في حينها أحد مديرات الحركة النسائية، والتي عُمّدت عام 1882 مخالفة لدستور محفل بيك Pecq، والذي أسسه محفل المفكرين الأحرار تابعاً للمحفل الرمزي الأعظم لاسكتلندا، وقد اعتبر ذلك التعميد كأن لم يكن، ومن ثم بطل مشروع المحفل من جراء تلك المخالفة، وقد كان دكتور مارتان مستشاراً سابقاً للشئون البلدية وسيناتوراً عن مقاطعة السين، وقد اشتهر كسياسي عندما دعى إلى منح النساء حق الانتخاب، لكن جهوده في ضمهن إلى الماسونية 'المعتادة' باءت بالفشل، ومن ثم حاول مع ماريا ديرايسم تأسيس ماسونية جديدة، والتي لم تلق اعترافاً بالطبع سواءً في فرنسا أم في خارجها، وقد توفيت ماريا ديرايسم عام 1894، واحتلت مدام جورج مارتان موقعها على رأس الماسونية المختلطة التي كانت لا تزال 'رمزية' حتى ذلك الحين، أي إنها زاولت مراسم ثلاثة مراتب فحسب، ومن ثم ظهرت ماسونية المراتب العليا تبعاً للنظام الاسكتلندي الذي يشتمل على ثلاث وثلاثين مرتبة، وقد تأسس 'المجلس الأعلى للماسونية المختلطة' عام 1899، والذي أصبح منذ ذلك الحين هو القوة المحركة، وقد عُرف ذلك 'المجلس الأعلى' بالأوتوقراطية التي أثارَت في فرنسا انشقاقاً عام 1913، فقد كوَّنت بعض المحافل سلطة مستقلة

ستين.

6 وفي عام 1926 أسس سيناتور ويتمان محفل 'حقوق الإنسان' في أنتورب، وكان في بروكسل محفل آخر، لكنه كان بلا حيوية.

باسم 'المِحْفَلِ الأعظم للماسونية المختلطة في فرنسا' والذي أقر ثلاث مراتب تعميديّة فحسب، والذي قدّته بلاد مختلفة رويداً رويداً خاصة في إنجلترا و هولندا و سويسرا و الولايات المتحدة، والذي دُشن كأول مِحْفَلٍ انجليزي له في لندن في 26 سبتمبر 1902 باسم 'الواجب الإنساني *Human Duty*' إلا أن المحافل الفرنسية استمرت باسم 'حقوق الإنسان *Human Rights*' متبوعة برقم مسلسل.

وقد التحقت مسز بيسانت بأحد هذه المحافل، وسرعان ما وصلت إلى قمته كما فعلت في الثيوزوفية، فأصبحت 'معلماً عظيماً *Grand Master*' في مِحْفَلٍ لندن، وأسست مِحْفَلًا آخر في آديار باسم 'الشمس المشرقة'، ثم أصبحت نائباً لرئيس مجلس إدارة المجلس العالمي الأعلى للماسونية المختلطة، ومفوضاً قومياً لبريطانيا العظمى وتوابعها في المجلس ذاته، ونظمت بموجب سلطاتها مِحْفَلًا باسم 'الماسونية المختلطة *Co-Masonrt*'، ونجحت في توسعتها وتمكينها من استقلال نسبي، وقد استطاعت حمل المجلس على التنازل لشروطها التي انتوتها مما ينم عن سيطرة نفوذها في هذا الوسط، وقد منحت مِحْفَلها صلاحيات للتلائم مع العقلية الأنجلوساكسونية، والتي اختلفت عما كان ولازال متبعاً في الفروع الفرنسية، ويتضمن ذلك تغيير صور الشعائر القديمة المستقرة، والتي كانت سارية في محافل ماسونية إنجلترا و أميركا على الدوام، وعلى الخصوص الرجوع إلى الإنجيل في المحافل، وكذلك عبارة "لمجد مهندس الكون الأعظم" التي غيرها مِحْفَلُ المشرق الأعظم الفرنسي إلى "لمجد الإنسانية"، وفي عام 1913، وفي إبّان هذا العام كان على رأس الماسونية الانجليزية المختلطة مجلس أعلى كانت سيده الأعمام مسز آني بيسانت ومساعدتها برايت *SA Ursula Bright*، والتي كانت تقيم معها عندما تزور إنجلترا، وكان رئيس سكرتيريتها ويدجود *FA James I. Wedgwood*، وهو حالياً أسقف الكنيسة الكاثوليكية القديمة، وكانت ممثلتها في الهند فرانثيسكا آرونديل *SA. Francesca Arundale*، عمّة مدير 'الكلية الهندوسية المركزية' وهو أحد وجهاء 'الماسونية المختلطة'، كما كان النفوذ الثيوزوفي متوغلاً في الفرع الأمريكي لها، وقد دُشنت مسز بيسانت 'مِحْفَلِ شيكاغو'⁷ في

7 مقتبس من نشرة *Bulletin mensuel de la Franc-Maconnerie mixte* وقد أعادت نشرها

L'Acacia, Jan. 1910, pp 70-78

21 سبتمبر 1909، وكانت الثيوزوفية المخضّمة أليدا ليو SA Alida Leeuw نائب رئيس مجلس الإدارة للاتحاد الأميركي American Federation، وفي الفرع الفرنسي كان الثيوزوفيون والغيبون لازلوا أقلية حتى مؤخرًا، حتى لو كانت ثيوزوفية واحدة بين المؤسسين، هي ماريا مارتين أخت فرانسيسكا آرونديل، والتي أصبحت رئيسة السكرتارية العامة للمجلس الكلي المختلط، وعندما توفيت حلت محلها ثيوزوفية أخرى هي مدام إميلي جيداج Mme Amelie Gedage، والتي خلفت حاليًا رئاسة إدارة المجلس الأعلى بعد وفاة مسز جورج مارتين عام 1914، ولا مناص لنا من الاعتقاد بأن الثيوزوفيون قد وُطنوا أنفسهم على التفوق، كما يبدو أن قادة الثيوزوفيين يتوقعون أن الفرع الانجليزي سيدعى قريباً لاحتلال الفرع الفرنسي الذي نشأ منه حتى أصبح المنظمة المركزية للماسونية المختلطة، وحتى لو بقي هذا المركز في فرنسا رسمياً فسوف يخضع منذ ذلك الحين لنفوذهم المباشر، وهي أحد أمثلة الاحتكار التي شهدناها من الكنيسة الكاثوليكية القديمة.

وقد كانت الماسونية المختلطة في بدايتها خالية من الأمور الغيبية وحتى الأرواحية، وها هنا أفكار د. جورج مارتين عن روحها وغاياتها،

"إن المحفل العالمي للماسونية المشتركة أول محفل ماسوني في العالم ينشأ ويعمل بقوة الفلسفة والتقدم والإنسانية philanthropy، والتي تربأ بنفسها عن الانخراط في مشاغل الفلسفة أو الدين... وينتوى المحفل أن ينشغل أساساً بالمصالح الحيوية للإنسان على الأرض، ويعمل على دراسة وسائل التحقق في معابده ليحقق السلام بين كافة الشعوب والعدالة الاجتماعية، والتي ستستمتع بها الإنسانية طوال حياتها في أسمى سعادة أخلاقية ورفاهية مادية".⁸

وقد قرأنا في موضع آخر "إننا لاندعى وحيًا ربابيًا ولا نحن نصرخ بأنها ليست فيضًا من العقل الإنساني، فهذه المؤسسة الأخوية ليست عقائدية not dogmatic بل عقلانية rationalist"⁹، ورغم كل شيء وحتى بصرف النظر عن أي تدخل ثيوزوفي في الماسونية

8 La Lumier Macosonique, Nov.-Dec. 1912, p 522.

9 Ibid., pp 472-473.

المختلطة فقد تطورت العلاقة تدريجياً بطبيعة الأمور بمؤسسات ماسونية 'غير معتادة' بمن فيهم من غيبين معروفين، وعلى سبيل المثال قائمة بعضاء المعلمين الغابرين من المحفل الأسباني القومي الذي أسسه *F Δ Villarino del Villar*، وله علاقة وثيقة مع جون ياركرك، ونرى رؤوس الماسونية المختلطة بمن فيهم مسز بيسانت جنباً إلى جنب مع رؤوس المدارس الغيبية، والذين لا يمنعهم شقاقهم من تحالف من هذا النوع كما أسلفنا القول¹⁰، ومن العجب أن نرى الإصرار بل الزندقة التي تدعيها كل من هذه الجماعات بأنها تحتكم على أنقى مذاهب الماسونية والماسونية المختلطة هي 'غير معتادة' بما هي إلى أقصى درجة، وتفتخر باستعادة التراث الأولاني كما يتجلى في البيان التالي،

"إن الماسونية العالمية المختلطة تعيد تأسيس العادة القديمة الأزل لقبول مشاركة الرجال والنساء على حدٍ سواء في الأسرار التي نبتت منها الماسونية، والتي تقوم على الإخاء والحقيقة والفضائل الأخلاقية"¹¹.

زد على ذلك أن كل الشقاكات أو المهرطقات من أى نوع كان تطرح نفسها كعودة إلى النقاء القديم، ألا ترغب البروتستنتية في أن تتزيا بالروح الأنجليكانية باعتبارها تجلياً للمسيحية البدائية؟

وقد كان تعبير 'إعادة التأسيس' المذكور هو أحد أسباب وجود 'جوانب مسيحية' حتى تبدو إلى جانب الماسونية المختلطة كما لو كنا وجهان لعملية واحدة، ولنتذكر أيضاً أن الماسونية عموماً تدعى أنها تشكل حلقة وصل بين كل صور العبادات، وسوف يفهم المرء المعنى الكامل لهذه الكلمات التي قالتها مسز بيسانت منذ زمن بعيد،

10 وقد حدث خطأ فكهى، فقد طُبع علنا في هذه القائمة مسز آنى بيسانت و ميس مارى جورج مارتين.

11 وقد كانت أول عبارات هذا البيان جديرة بالاعتباس كمثال باهر على اللغو الذي تأسس غالباً على وثائق من هذا النوع "إن محفل الماسونية المشتركة العالمى يقوم على حرية الفكر والتوحد والأخلاق والإحسان والعدالة والتسامح والإخاء، وهو مفتوح لكل الرجال والنساء بلا تمييز في الجنس ولا في الدين".

"...وما علينا فعله الآن هو الانكباب على فترة من الإنشاء تحاول الجمعية الثيوزوفية في سياقها أن تكون مركزاً لكل أديان العالم من بوذية ومسيحة وإسلامية وكل الطوائف التي تشكل منه أجزاءً لا تتجزء،... والواقع أننا فحسب الذين يمثلون الكنيسة الكاثوليكية الكلية، ونعتبر إخواننا في الإنسانية كل من له دين يسعى إلى الحقيقة والعدالة"¹².

وقد تبدو هذه الادعاءات شطحا، والحق إنها كذلك، ولكن المرء الآن أقل ميلاً للابتسام حين يرى مثابة جامحة طوال ربع قرن وقد تحققت في الواقع.

12 بيان من مسز بيسانت إلى ستيد W.T. Stead في مجلة *Borderland*, Oct. 1897.

26 المنظمات الملحقة بالجمعية الثيوزوفية

لقد أشرنا سلفاً إلى وجود جماعات كثيرة ملحقة بالجمعية الثيوزوفية، والتي عملت على تمكينها من التخلل والعمل في دوائر متنوعة، وعادة بدون أية إشارة إلى مذاهبها الخاصة، ودونما إعلان عن أى شيء سوى 'الإخاء العالمى' وبعض الأخلاقيات التي تخفى أغراضها ولا يبدو منها خطراً، وعلى كل فإن المرء لا ينبغي أن يعمل على إزعاج الذين يحاولون أن يجتذبه ليشارك وهو غافل في دعاواهم، ويمدنا تاريخ الكنيسة الكاثوليكية القديمة بأمثلة عن هذا الادعاءات، فالثيوزوفيون تُحركهم دوافع الدعاية رغم الادعاءات التي تناقضهم لكي يبرهنوا على 'غريبتهم' حيث إن العقلية الشرقية وخاصة الهندوسية تمتعض من الثيوزوفية ووسائلها البروزيلية وهوسها بتخلل الكيانات الذي يذكرنا بالطوائف البروتستنتية.

كما لا ينبغي الاعتقاد بأن هذا السلوك مقصور على الفترة المتأخرة من تاريخ الجمعية الثيوزوفية، فقد تنامي فيها هذا السلوك منذ بدايتها، ونقرأ ما يلي في أحد أعمال مدام بلافاتسكى،

"... ألم تسمع كيف أن المنتديات والأحزاب القومية التي نشأت في أميركا بعد نشر كتاب بيلامى *Bellamy*?¹ والذي جعلهم الآن في المقدمة، وسوف يستمروا على ذلك ويزيدوا عليه مع الزمن، وقد بدأت معظم هذه النوادي القومية في بوسطون برئاسة وسكرتارية ثيوزوفية، وكان أولها ينتمى إلى الجمعية الثيوزوفية، وبهذا الصدد كان من الواضح أن الحزب المشار إليه قد تشكل بالنفوذ الثيوزوفى، وأساسهم جميعاً هو مبدأ الإخاء العالمى كما تنشره

1 Looking Backward, Edward Bellamy, first edition, 1888.

التيوزوفية، وقد جاء في إعلان المبادئ "إن مبادئ الإخاء العالمى حقيقة أزلية تحكم تقدم العالم على منوال يميز بين الإنسانى والحيوانى"، فما الذى يمكن أن يكون أكثر من ذلك تيوزوفية؟².

وقد تأسست قُرابة الوقت ذاته 'جمعية غيرية' *Altruist Society* فى نانتيس، والتي كان برنامجها يغطى بموضوعات تتراوح بين الأمور الصحية والأخلاق والفلسفة وعلم الاجتماع، كما اشتمل على فرع للدراسات التيوزوفية أصبح فيما بعد 'الفرع الغيرى للجمعية التيوزوفية' والفرع الثانى لها فى فرنسا.³

ونجد فى ذلك مثلاً لكل من التمطين الإداريين اللذين لا بد أن نوضح طبيعتهما، فهناك التى ليس لها علاقات رسمية بالجمعية التيوزوفية إلا أنها تُقاد أو تُلهَم من نشرات الجمعية التيوزوفية على منوال 'النوادر القومية الأميريكية' التى ذكرتها مدام بلافاتسكى، وحتى تقتصر على هذه التجمعات فى فرنسا لوقت قريب فسوف نقطف عشوائياً من المنشورات التيوزوفية، وهى 'رابطة منظمة التقدم' و'الجمعية النباتية الفرنسية' والدعم المعنوى المستقل' و'التجمع النسائى للإجازات' و'علم الإجرام الاجتماعى وحماية المجتمع' و'جمعية المثاليين' وهو الاتحاد العالمى للترقى بالآداب والفنون والفكر' وهناك غيرها كثير على وجه اليقين، وفى اتجاه الأفكار ذاتها الدور الذى لعبه التيوزوفيون فى 'حركة الكشافة'، ونضيف كثافة حضورهم فى الدوائر البروتستنتية على منوال 'الإيمان والحياة' *Faith and Life*.⁴

أما عن التجمعات فهناك 'الجمعية الغيرية' فى نانتيس التى لا تعلن عن اسمها أحياناً ولا بد أن تكون من ملحقات الجمعية التيوزوفية وخاضعة لها تماماً، وقد ذكرنا سلفاً أن هناك ما يسمى 'مُحفل خدمات الجمعية التيوزوفية' والذى يصف نفسه كما لو كان محاولة لتطبيق المنظور

2 *The Key to Theosophy*, pp 44-45.

3 *Lotus Bleu*, Apr., 7, 1890.

4 وقد تفضل علينا بعض القادة فى مُحفل 'الدين والحياة' بذكر أنهم لا يتعاطفون مع التيوزوفية، كما أن عنصر المحافظون فى البروتستنتية الفرنسية كانوا مناوئين للهيول الأنجلوساكسونية البروتستنتية السائدة التى نشأت منها أصلاً، ونشعر بالرضا لذكر هذه الواقعة هنا.

التيوزوفى بالوفاء باحتياجات كل طبقات العالم الإنساني، وها هنا قائمة بتخصصات الفروع المختلفة 'لمحفّل الخدمات' مع ذكر مكتبها الرئيسي⁵،

التعليم 'رفع مستوى الطبقات الفقيرة' آبلبي، 'رابطة التعليم' في رانجون بورما، 'التعليم التيوزوفى' في أمستردام، 'التعليم الأخلاقي' في باريس، 'التعليم المتوازن' في لاهاي، 'التعليم القومي' في موزابور في الهند، 'رابطة تعليم الفتيات' في بنارس في الهند، 'رابطة التعليم' في بروكسل، و'السلسلة الذهبية' و'المائدة المستديرة' للشباب.

إصلاح المثالب الاجتماعية 'تحريم الجراحة والختان والتطعيم' في لندن ومانشيستر و بورنماوث، 'تحريم الجراحة' في نيويورك و'ميديكال' في لندن، و'علم المجتمع والمشاكل الاجتماعية' في مانشيستر، و'تنمية النقاء الاجتماعي' في شيكاغو، و'تنمية السلوك والأخلاق' في سورات بالهند، و'المثالات السامية' في سبوكين بالولايات المتحدة، و'أعمال السجن والمستشفيات' في سييتل، و'تحريم زواج الأطفال' في الهند، و'الرفق بالحيوان' في آديار بالهند، و'الميمات السبعة Seven m's'⁶ في بويتنزورج بألمانيا، و'رابطة الصحة العقلية للسلام' في ريو دي جانيرو، و'اتحاد الصحة العقلية للسلام' في كوبا، و'السلام العالمي' في لاهاي، و'الرابطة البلديكية التيوزوفية للسلام العالمي' في بروكسل.

ترويح التيوزوفية، و'ترجمة كتب الحكمة الإسلامية' في مظفر و بور بالهند⁷، 'لغة برييل' في لندن وبوسطون، و'الجامعة التيوزوفية' في شيكاغو، و'الواحة'، لنشر التيوزوفية بين عمال الموانئ

5 والجزء الرئيسي في هذه القائمة مأخوذ من تقرير نشرته مجلة *Theosophie* بتاريخ 1 أغسطس 1913، وقد أضفنا إليه منظمات قليلة بعد هذا التاريخ.

6 وحروف M السبعة هي الحروف الأولى لسبعة أمور لا بد من الاستنكاف عنها.

7 كما وجد أيضا 'محفل صوفي' يتصل بالجمعية التيوزوفية أنشئه عنايات خان في أميركا عام 1910، ولها اليوم عد فروع في إنجلترا وفرنسا، ويجدر ذكر أن الصوفيين الحقيقيين لم يقيموا محفلا أو أى تجمع من أى نوع كان، وقد توفي عنايات خان عام 1927، ويبدو أنه تشاجر في سنواته الأخيرة مع التيوزوفيين، لكننا لا نعلم أسباب الشجار على وجه الدقة، وبعد وفاته سيطرت العناصر النسائية والأنجلوساكسونية على المحفل، وكاد أن يتحلم بسبب النزاع على خلافة 'المعلم'، وكما يجرى عادة في مثل تلك الجماعات، وقد قام البارون آيختال بتحرير مجلة 'الصوفية Sofism'، راجع كتاب إدموند بيل *L'Islamism Esoterique* عن تطويع الصوفية للتيوزوفية.

في تولون، والاتحاد الأخرى لنشر الثيوزوفية بين الطبقات العاملة في باريس، والعلوم والآداب والفنون في بروكلين، وبودهاالايا في بومباي، والإرسالية الثيوزوفية في نيويورك، ورابطة الفكر الحديث في آديار، ورابطة إسبيرانتو الثيوزوفية⁸، ورابطة التأمل اليومي في لندن.

أهداف متنوعة، 'آيسكليبيوس' في بنارس بالهند، وأخوية العاملين في الشفاء في ليدن، ومحفلة المساعدين⁹ في ملبورن، والرابطة السويسرية لخدمات الأخوات والاتحادات في نيوشاتيل، ورابطة المثاليين البلجيك في أنتورب، والتجمع الفكري لإعداد العالم لمقدم المعلم في كيبوتاون، والمحفلة المستقلة لنجمة المشرق، وخدم النجمة، ورابطة القديس كريستوفر لعلاج الكارما الجسدية في لندن، ورابطة الخلاص لحماية النساء والبنات، ومحفلة القيثارة لتنمية التقدم والتواصل مع الطبيعة في جنيف، والرابطة الأوروبية لتنظيم المؤتمرات الثيوزوفية¹⁰.

- 8 ويستحق النظر اهتمام الثيوزوفية والماسونية بالترويج للغة إسبيرانتو، فهذه الحركة صلة بالحركة الكشفية، كما أن جماعة 'السلام بالقانون' قد عملت على جمع مكتبة لمطبوعات هذه اللغة.
- 9 ولا شك أن ذلك يعني 'المعونة اللامنظورة التي أسسها ليدبيتر في سياق 'أعمال التنجيم'، ونرى أنه قد استقر في استراليا حيث قيادة المحفل المذكور.
- 10 ويمكن إضافة 'رابطة المراسلات الدولية' التي تأسست في 1920 إلى قائمة المنظمات التي تشكل 'محفلة خدمات' الجمعية الثيوزوفية بغرض تشكيل نواة للأخوة العالمية وتقوية الصلات بين الجمعية الثيوزوفية وبين العالم الخارجي والتعاطف بين كافة ثيوزوفيو العالم، وقد كان السكرتير في فرنسا هو ديماركيت J.C.Demarquette الذي كان كذلك رئيساً لمنظمة أخرى باسم 'المجتمع الطبيعي والحضارة الإنسانية'، وقد انتسب إلى 'الرابطة القومية لمكافحة الكحوليات'، وأسس ديماركيت في عام 1928 'الجامعة الشعبية للطبيعيين'، والتي بدأ أنها تعتقد بالغاية ذاتها، لكنها تخاطب دوائر أخرى، أما عن مسألة اهتمام الثيوزوفية بالتعليم، وذشير إلى أنهم أصبحوا مرّوجون لمنهاج مونتيسوري الذي اخترعها، وفي أكتوبر 1911 افتتحت حضانة باسم 'المركز الثيوزوفى للتعليم' الذي طبقت فيه المناهج المذكورة، وقد قرأنا خطاباً لرئيسا لمسز بيسانت جاء فيه،

"إن المعلم الأعظم قد أمرنا بنفث الأفكار الثيوزوفية في نظام التعليم، وقد جرى ذلك أوروبا بأكملها بنتائج فعّالة، وقد كان منهاج مونتيسوري أحد نتائجه... ولا نقصد فرض الشعارات الثيوزوفية على الأفكار التعليمية الجديدة بأي شكل كان، فالأفكار ملكية على المشاع بين الجميع، ويكفى

وسوف نتحدث لاحقاً عن الخصائص العامة لتلك التجمعات، والتي يمكن تلخيصها في كلمة 'أخلاقية morality'، ولكن لنلاحظ أولاً أن التعليم له الأولوية فيما يسمى النشاط الظاهر للجمعية الثيوزوفية دون الحديث عن الكليات والمدارس في الهند وغيرها، والتي تنتمي إلى الثيوزوفية بدورها، وقد تحدثنا عن الجهود المبذولة لتجنيد الأطفال على نحو غير مباشر في سن صغير للغاية، وقد أنشأت مؤسسات خصيصاً لهذا الغرض، ولكن لنلاحظ وجود جريدة شهرية قبل الحرب في باريس باسم 'الثيوزوفى الصغير Le Petit Theosophe' للشباب بين السابعة والرابعة عشر، إلا أن هناك ضرورة لقول إن أعمال التعليم لا تتجه فحسب إلى تعليم الصغار بل هناك غيرها للبالغين، وهكذا يظهر الثيوزوفيون اهتماماً بالمدارس الصيفية Summer Schools، والتي كانت 'ملتقى من يتشاركون في الاعتقاد بمثل يجعل من إجازاتهم قضاء الوقت معاً، ويعلمون بعضهم بعضاً ويمتاحون من التواصل مع نفوس متعاطفة وقوى جديدة للكفاح في الحياة اليومية'، ونورد هنا مقتبسات من مقال في الصحيفة الثيوزوفية يتحدث عن هذه الطريقة المدهشة للإعلان 'الذى يزداد فائدة من الحركات التي نثغيا تقدم الإنسانية'

"وهناك نوعان من المدارس الصيفية، فبعضها من أعمال جمعيات بعينها ومقصورة على أعضائها مثل المدارس الناجحة التي أقامتها جمعية النباتيين في مانشستر أو الجمعية الفايبية، وقد انتشرت بأعداد كبيرة في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، أما النوع الآخر فيرتبط بمشاركة الآراء في موضوع بعينه مهما كانت فضفاضة على منوال المدرسة الصيفية الأرواحية، والتي تجمع عدداً هائلاً من ممثلي الطوائف البروتستنتية في إنجلترا لاشتراكهم في فكرة الإخاء، وقل مثل ذلك عن المدرسة الصيفية التي تعقد في برايتون إيان العامين الأخيرين، وتجمع بين 'المفكرين الأحرار' والأرواحيين والثيوزوفيين والغيبيين والمناهضين للجراحة والنباتيين وحتى الماديين،... ويجوز القول إنها توفر مجالاً للتفاهم وتبادل الآراء حتى إنها صارت بمثابة 'تعاونية للأفكار Cooperation of Ideas'، ونعتمد أن الوقت قد حان لتقديمها في فرنسا كأداة للتقدم،

.....

أن تنتشر في المناخ العقلي حتى تصيدها العقول الواعية".
ومن الواضح أن العبارة الأخيرة تلوح إلى أفكار الذين يشكون في امتيازها، وهكذا تسرى الدعاية الثيوزوفية بكفاءة أعلى من حيث إنها شعار يسهل تنكره.

♦ ونوى إنشاء مدرسة في ضواحي باريس وربما في غابة فونتابلو، أما عن عدد المشاركين فإن

النجاح مضمون من واقع توكيد اشتراك كثرة من الشيوزوفيين والنباتيين والإيقاعيين والهارمونيين والطبيين في تأييدها"¹¹.

وقد منعت الحرب تحقيق هذا المشروع، ولكن لن يدهشنا أن نراه يوماً من الأيام في سبيل التحقق بصورة أو أخرى، فن السهل تصور الاتحادات الغريبة التي قد تتشكل من هذه الجماعات اللامتجانسة، إلا أنها رغم كل شيء تتواصل بتماهيها الخفى.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة هي أن الدعاية غالباً ما تتكاثف في أحياء الطبقة العاملة، ففي القائمة المذكورة عاليه رأينا محفل باريس يتبنى هذه الغاية رسمياً، والتي تتم ممارستها في أحياء العاملين بالترسانة البحرية في تولون بشعارات 'الأخوة' و'الأخلاقية'، والذين يبدو أنهم وسط مفضل لكل أنواع الدعاية الخفية، فالمعلوم أن عمال الترسانة كانوا الحضن الدافئ لكل النزعات الثورية، وسيكون من المهم معرفة ما إذا كان هؤلاء العمال يقبلون بنقاط بعينها من التعاليم الشيوزوفية لو فسرناها لهم، فهل سيسعدون مثلاً لو علموا بأنهم ليسوا إلا 'حيوانات قمرية' وصلت إلى الإنسانية في الزمن الحاضر فحسب من 'السلسلة الكوكبية'، وأن بعضهم فقط خلال 'الدورة round' الحالية سيصل إلى مكانة البرجوازية في الدورة الأسبق؟ ونحن لا نخترع شيئاً من هذا، فإن هذا ما يقوله ليديتر جادا¹²، لكن هذه الأمور ربما يحسن السكوت عندما يكون الجمهور عمالاً، وأياً كان الأمر على هذه الأرض 'الديموقراطية' فإن الشيوزوفية أنسب لإغراء أنصاف المتعلمين، وتجذب نفسها في تنافس عضال مع الأرواحية *spiritsm*، والتي هي أيسر إغراءً للعقول غير المتعلمة، والحق إنه ليس هناك ما يزيد صلابة عن الدعاية

¹¹ وقد كانت نشرات الدعاية تؤيد 'العلوم المسيحية' في مجلة *La Science et la Vie* يفسره واقع أدركاه فيما بعد، وهو أن هذه المجلة ليست إلا فسيلة من 'الباريسي الصغير *Petit Parisien*' التي كان محررها ديوي *Paul Depuy* المعروف بحماسة 'للعلوم المسيحية'.

¹² وإميل كوى *Emile Coue* الذى جعل من نفسه موضوعاً للحديث في السنوات الأخيرة عن العلاج بالإيحاء *autosuggestion*، من 'الروحانيين *Mentalists*' أو 'علماء العقل'، وتختلف بعض الشيء عن المفهوم الأميركي، فلها أصولها الخاصة وسماتها التي تقوم لا على الإرادة بل على الخيال فحسب.

الأرواحية، وخاصة في مناطق بعينها حيث تُحول الطبقة العاملة إلى ضحايا، فهناك طائفة أرواحية تسمى 'الأخوية *Fraternism*' تتركز في دواي *Douai*، والتي جندت آلافًا من عمال المناجم في الشمال الفرنسي، وكان ذلك صحيحًا قبل الحرب، والتي لا بد قد خلقت اضطرابًا، فقد ظهرت في بلجيكا جماعة أرواحية مشاكلة تسمى 'الإخلاصية *Sincertism*'، ويرأسها ماسوني من المرتبة العليا التي تسمى 'كليمنت فارس القديس مرقص'، وفي المنطقة ذاتها نجد مثالاً آخر يثير الدهشة من حيث انتشاره في بلجيكا، حتى إن له معبد في باريس منذ 1913¹³، ومؤسسه 'الأب أنطوان' الذي توفي عام 1912 والذي كان أحد عمال المناجم الأمين، وكان يعمل بالشفاء وغالبًا ما يخالط الأرواحيين والمنومين المغناطيسيين، أما عن 'إخلاصية' فراجع كتابنا 'أباطيل الأرواحية *The Spiritist Fallacy, chp. 10*'، وتقرير عن العملية التي كشفت الجانب التحققي البشع للثيوزوفية، خاصة وأن الشخص المكلف تصور أن الحديث عن أعمال ليدبيتر فكرة صائبة، وقد تعرض للتعنيف، وقد خصصنا بابًا كاملًا للأنتوانية *Antoinism* وتعاليمها التي يتخذها تلاميذه إنجيلًا جديدًا، في حين لا تربو عن أخلاقيات ثيوزوفية مختلطة بالأرواحية بسذاجة تبعث على الشفقة، فبعضها مكتوب برطانة عامية لا سبيل إلى فهمها، ويحظى الذكاء على الدوام بإنكارهم بوصفه أعظم الشرور، وتضاهي تمامًا 'رسائل *communications*' ثيوزوفية بعينها، كما أن رئيسها الأب أنطوان كان الرئيس السابق لجماعة أرواحية تسمى 'زراع كروم الرب'، ويعتقد تلاميذه بالتناسخ على منوال الأرواحيين والثيوزوفيين، وعندما اندلعت الحرب كان 'الدين الأنطواني' على وشك الاعتراف به رسميًا،

¹³ ويفسر تعاطف الثيوزوفية مع الميول 'الديمقراطية' و'السلامية *pacifist*' تعاطفهم مع الحركات التي تشاكل حركة مارك ساننيه *Marc Sangnier*، والتي وجدنا عنها مقتطفًا له مغزى،

"لقد انعقد في باريس توا 'المؤتمر الديمقراطي الدولي' من 4 حتى 11 ديسمبر 1912، ويقوم على تنظيمه صحيفة *La Jeun Republique* التي يرأسها مارك ساننيه، وقد حضره ممثلون من 18 دولة أوروبية، وغاية هذا المؤتمر تقوية الأواصر والتوحد بين كل الذين يطمحون إلى تحقيق العدالة والأخوة العالمية، والحق إن هذا البرنامج من النوع المفضل عند أعضاء الجمعية الثيوزوفية للالتحاق به، ونعلم أن عددا من شخصياتنا كانوا حضورا في هذه المناقشات، وكل ما كان ينقص لتحويله بالكامل إلى الروح الثيوزوفية كان أمرا متروكا لتقدير المؤتمر"، *Theosophist, Jan. 1922*.

وقد قَدِّمَت في هذا الشأن عريضة من سناتور تشارلز ماجنيت وسيناتور جوبليت دالفيلا، وهما من قادة الماسونية البلجيكية، ومنذ ذلك الحين دارت حكايات عن الاحترام الزائد الذي يُعَامَل به الألمان المعابد الأنطونية، وهو عِيْنَة من التي يعزوها الأعضاء إلى حماية 'أبيهم'، وهذه الطائفة من العاملين في فنون الشفاء *healers*، وليسوا الوحيدون من نوعهم، فهناك طائفة أميريكية تُعرف باسم 'العلوم المسيحية *Cristian Sciences*'، والتي تحاول أن تؤسس لها فرعاً في فرنسا، ويبدو أنهم مستمتعون بالنجاح في دوائر مختلفة¹⁴، وقد أعلنت مؤسسها مسز ماري بيكر إيدي أنها سوف تعود إلى الحياة بعد ستة شهور من موتها، إلا أن واقع عدم تحقق هذه النبوة لم يمنعهم من الازدهار في كثير من الدوائر، فبعض الناس قادرون على تجرُّع أى شيء كان¹⁵، ولكن لنعد إلى الأنطونية، وقد كان ما أدهشنا أن الشيوزوفيين قد أظهروا التعاطف حيالها، وكما يبين الاقتباس التالي،

"... وحيث إن غاية الشيوزوفية أخلاقية وميتافيزيقية وعلمية وجوانية في الآن ذاته فليس من المستحيل القول بتماهي تعليماتها مع الأنطونية، ولكن من المؤكد أن هناك اتفاقاً في كثير من النقاط بين الأخلاق الأنطونية والشيوزوفية، كما أن 'الأب' لا يرغب إلا في تجديد تعاليم عيسى الناصري، والذي على وشك التجسد في زماننا بالأديان التي تعبد هذا الكائن الأسمى¹⁶.

ومن المنظور الأصولي فإن ذلك التوازي ليس مديحاً للشيوزوفية، ولكن لم يعد يدهشنا شيئاً، فرغم الجهل والانحطاط الفكري التي أظهرها 'الأب أنطوان' كان يُعتبر عند بسطاء الغيديين "أحد الأساتذة الاثني عشر العظماء المجهولين من الصليب الوردى"، كما أضافوا الادعاء ذاته على غيره من العاملين في فنون 'الشفاء'، وخاصة فرانسيس شلاتر الألزاسي الذي

¹⁴ ومنذ بداية عام 1919 نشرت مجلة *La Science et la Vie* لسان تبسيط العلوم والصناعة التي نستكف عن احترامها لو كانت تنشر مقالات مسلسلة للدعاية للعلوم المسيحية.

¹⁵ ولنلاحظ كذلك أن وجود شبيه لها في أميريكيا باسم 'علماء العقل' الذين يدعون بإمكان الشفاء بمجرد تجاهل المرض، ولذا عرفوا باسم *Deniers*.

¹⁶ المقال بعنوان *Une religion spirituelle* المنشور في مجلة *Theosophe*, Dec.1,1913.

هاجر إلى أميريكيا، والذي اختفى بشكل غامض حوالى عام 1897¹⁷، فلماذا لا نحول هذه الشخصيات إلى 'مهاجمات' من نوع أو آخر؟

كما تسرى كل أنواع الدعاية الثيوزوفية فى الأوساط الأدبية¹⁸، ولدينا عينة حديثة منها، ففى باكورة عام 1918 ظهرت مجلة تسمى *L'Affranchi* والتي تم أعدادها على أنها استمرار لمجلة أسبق، وفى أغسطس عام 1918 فى الوقت الذى ظهر فيه تهديد بهدم منزل بالزك، وكان المدير حينذاك كارلوس لاروند أمين البلدية الذى أعلن أنه سيصبح اتحاداً للفنانين ومركزاً

¹⁷ 'تاريخ الصليب الوردى' تأليف *Sedir* ص 55، كما أن الكاتب يعتقد أن هذه العبارة خطأ، ويحكى الكاتب الغيبى أوجست سترينديرج قصة خيالية عن شلاتر فى كتابه *inferno*, pp 110-113.

¹⁸ سيكون البحث عن آثار النفوذ الثيوزوفى مفيداً فى الصور المختلفة للأدبيات الحالية بما فيها الروايات، كما أن ذلك النفوذ يسرى غالباً دون علم الكُتاب أنفسهم، ويسجل الثيوزوفيون هذه النتائج بالرضى كما يبدو مما يلى،
"إن الظواهر النفسية فى الغيبية والثيوزوفية المشار إليها فى الأدبيات الأميركية والأفلام المعاصرة قد تركت آثاراً واضحة فى نوع من الأدبيات على شاكلة *Nos Morts nous froilent* الذى وصلنا مؤخراً، *Bulletin Theosophique*, Jan., 1922."

وهنا نجد أمراً عجيباً، فالسطور التى جاءت قبل الفقرة السابقة تعلن عن ظهور الطبعة الأولى للكُتاب الحالى التى نوردها فيما يلى على سبيل المعلومات،

"لقد ظهر كُتاب يحتوى على انتقاد له ما يبرره ضد الثيوزوفية ومعلمها بعنوان *Theosophy: History of a Pseudo Religion* للكاتب رينيه جينو، ولا نملك أن نصمت عن ذكره، فهو كُتاب مُحكم لا شك أنه سيصيب بالدهشة الذين لا يعرفون كثيراً عن تاريخ جمعيتنا ولا يعلمون شيئاً عن الثيوزوفية ذاتها، ولن نشغل أنفسنا بما يقوله البعض فالحقيقة قادمة حتماً ولن يعترضها شئ، ونحن نحتكم على قدر كاف من الثيوزوفية، ولن نشغل أنفسنا بما يقولون أو يكتبون، فنحن نحتكم على قليل من الحقيقة تُدعمها البحوث النفسية والأرواحية التى تبرهن على أن الإنسانية تشاق إلى التحرر من عقائدية الكائنات وإلى أن تنضج بفهم التناسخ والكارما.

وتتعرف هنا على الإجراء المعتاد فى الرد على عبارات موجزة بسبيل من الادعاءات الوضيعة مثل أن 'الحقيقة قادمة'، أليس ذلك الغناء هو ذاته ما دار بعد قضية درايفوس؟ ولكن المهم هنا هو ضبط الثيوزوفية متلبسة بالضلوع مع الأرواحية، والتى يبرهن انتشارها كموضة ذهنية على المرض العقلى العام لكثير من ناس زماننا، وتشير عبارة 'لا نشغل أنفسنا' إلى عجز عقلى، ولو كان تحرر الجنس البشرى من عقائدية الكائنات بلا استثناء فقد ظهر فى 'الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية'.

لإحياء الآداب والفنون، وينبغي العلم بأن الشيوزوفيين ينفقون مبالغ هائلة على الدعاية، ومن ذلك المبنى الضخم الذي أنشئ في باريس مؤخراً في ميدان *Rabb* لكي يكون مركزاً لقيادتهم، وتمتلكه جمعية *Societe Immobiliere Adyar* التي يرأسها تشارلز بليك السكرتير العام للقسم الفرنسي للجمعية الشيوزوفية في المؤسسة القابضة، وقد أنشئ في أعلاه دورين مغلقين 'للجمعية الأسرارية *Tala*' و'المركز الرسولي'، وكلاهما شيوزوفي على نحو واضح، وأعلنوا في مايو 1919 ما يلي،

"إن القصد من إنشائه تأسيس مدرسة تركيبية *synthetic* للتعليم حيث تنمو ملكات الطفل بالتوازي، وحيث تلقى الملكات الخاصة عناية تصل بها إلى الحد الأقصى، ويحتل كل فرد وظيفة تتناسب مع موهبته".

وقد غيرت هذه المؤسسة اسمها إلى 'المراقبون *Watchers*'¹⁹ والتي استغرقت في محاولة أمور تذكرنا باليوتوبيات الاشتراكية في أوائل القرن التاسع عشر فيما عدا التي كتبها ريفيل *Gaston Revel* وشكواليه *Rene Schwaller*²⁰، والتي لا تنتبأ بالخير في المستقبل²¹.

¹⁹ كما كان من الشخصيات الرئيسية في هذه الجماعة ميلوز *Lubicz Milosc* الممثل الرسمي للحكومة الليثوانية في باريس.

²⁰ وقد كان اسم 'المراقبون' بالصدفة يُضفي على 'المحفَل البروتستنتي الثالث' الذي أنشأه القس *Pastor Wilfred Monod* عام 1922، كما كان هناك بالاسم ذاته جماعتان شيوزوفيتان إلا أنهما اختلفتا، ويبدو أن شكوالر قد أسس منظمة جديدة في سويسرا على غرار 'معهد *Eurythmotherapeutic* للعلاج' باسم 'مدرسة الإيورثمية *Eurythmy*'، والتي التحقت فيما بعد بأنثروبوصوفيا شتاينر، وأقامت فرعا بالاسم نفسه في دورناك، وقد خلفت مادلين ليفيفر في الإدارة بعد ريهوي *Simon Rihouet*، والذي نعتقد أنه كان تلميذا في الفلسفة في المعهد الكاثوليكي في باريس.

²¹ ولم يقصّر الشيوزوفيون في نشر دعاياتهم بين الجنود، وذرخوا من أجل ذلك نشره بعنوان كوروكشتراسم المعركة وميدان القتال في ملحمة ماهاهاراتا، وإضافة إلى أنواع الدعاية المذكورة في هذا الباب أمرا آخر يبدو غريبا عن الشيوزوفية وأقرب إلى الطوائف الأميركية، وهو ما تسميه مسز بيسانت 'الدعاية العقلية *mental propaganda*'، وتفسره كما يلي،

"إن جماعة من الرجال على اعتقاد واحد مثل جماعة من الشيوزوفيين يستطيعون تحقيق الكثير من الدعاية الشيوزوفية في دائرتهم المباشرة طالما كانت أرواحهم واحدة، واقترض أن مجموعة صغيرة

وقد ذكرنا في سياقنا مدى إعجاب الثيوزوفيون بالرئيس ويلسون، والواقع أن فكرة 'عصبة الأمم' *League of Nations* كانت بالتأكيد إغراءً شديداً للثيوزوفيين ملأهم 'حماساً إنسانياً' *Humanitarian*، وهكذا نشأ 'اتحاد تحرير الشعوب' *Union of People's Emancipation* من لجنة دائمة الاتعقاد عام 1918 في مكاتب مجلة *Affranchi*، وكان بيانها يقتر بالامتنان للرئيس ويلسون رجل الضمير الإنساني، وأضاف المتحدث باسمه ما يلي،

"إن عصرًا جديدًا يشرق على جنس الإنسان، وقد انتهت الحرب بما أسسمها²²، وسوف تقف عصبة الأمم ضد التهديد بالعنف وهزيمة الروح، ويشتمل برنامج السلام الذي وضعه الرئيس ويلسون على 'حق الشعوب في تقرير مصيرها'، وهو الضمان الوحيد للعدالة والاتساق... وفي انتظار الرأي العالمي فإن محفل 'اتحاد الشعوب' سيكون خير متحدث باسم القوميات إبان فترة التحرير التي بدأت بالفعل، وستكون عوناً لكافة المجتمعات الإنسانية في التطور نحو الخير العميم".

وفي سبتمبر من العام ذاته طلعت هذه المجموعة علينا بنشرة جديدة تسمى 'الراية الزرقاء' *Le Drapeau Blue* بصفتها 'جريدة العالم الجديد ولسان الأمم والطبقات'، وشعارها "تطوروا

.....

قد قررت أن تمارس التأمل معا في التناسخ للهداة عشر دقائق يوميا يتفوقون على موعدها، ولمدة تتراوح بين ثلاثة وستة شهور، فإن كثيرا من الأفكار ستأخذ صوراً تجتاح أية منطقة يختارها المرء، وسوف تتخلل فكرة التناسخ عددا وفيرا من العقول، وسوف تجتذب إلى الثيوزوفية نقرأ كثيراً، وعلى المرء أن يبحث ويقرأ عن الموضوع ويحضر المناظرات عنه بعد هذا الإعداد، وسوف يجتذب الحضور جميعاً، وسوف يتحقق تقدماً لا يقاس به الوسائل العضوية التي تتحقق عندما يتفق الرجل والمرأة على الاهتمام بهذه الدعاية العقلية".

ومن المهم مراعاة أن العادة الشهيرة باسم 'لحظة من الصمت' التي أوجهاها الأميركيين إلى أوروبا، والتي أصبحت عنصراً أساسياً لكل احتفالات التأين الرسمية التي تتعلق بالحرب، وسيكون هناك كثير من الكلام عموماً عن هذه 'العبادة المدنية' *civic worship* التي تنتمي إليها تلك العادة.

وقد اخترع اثنان من الثيوزوفيين هما الدكتوران *A. Auvar* و *M. Schultz* مذهباً مخصوصاً أطلقوا عليه الاسم الهمجي *evolism*.

24

22

نحو التوحّد بالمحبة"، فقد تملكّ الثيوزوفيين هاجس التطور²³، ويبدو أن الراية الزرقاء عندهم 'رمز' للطاقة والتعاطف والتركيب للنظام العالمي²⁴، ولدنا في ذلك مثلاً للتفاخر والتعبيرات الفارغة التي صارت مادة للجماعات من هذا النوع، ومنها ما يكفي وزيادة للتأثير على البسطاء، وبعد فترة وجيزة وجدنا جماعة إيطالية من أتباع الراية الزرقاء قد اتخذت اسم 'جمعية التطور العالمي *Societa per l'Evoluzione Natzionale*'، والتي كان لسانها مجلة *Vessilo* التي كان شعارها "إلى الأمة كفردٍ وإلى الإنسانية كأمة"، ويذكرنا كل ذلك بالمؤتمر الشهير باسم 'مؤتمر الإنسانية' المذكور عاليه، فهي تابعة من الإلهام ذاته، والأرجح أنها ليست أشد منها ذكاءً، فهل يمكن لهذا الأمر أن يكون غير ذلك حتى عندما يتعلق الأمر رسمياً بعصبة الأمم *League of Nations*، ولا يمكن أن يعيش طويلاً بعد ما شهدنا بوادر انهياره؟ وعلى كلٍ فإن الواقع أن الجماعات التي نعالجها هنا وما شاكلها دُعاة سلام *pacifist* و'عالميين *Internationalists*'، إلا أن 'عالمية' غالبية الثيوزوفيون حقيقية وأمينه، وتساءل ما إذا كان قادتهم الذين ضربوا لنا أمثلة تدعو إلى الشك في أمانتهم في كافة الأمور؟ وسوف نحاول الإجابة على هذا السؤال.

²³ وقد اعتمد الاسبرانتيون *Espirantists* راية خضراء شعارا لهم، ويناظر هذا اللون الاسم الذي أسبغوه على 'اللغة العالمية المساعدة *international auxiliary language*' التي ينتون الدعاية لها، كما أنهم اتخذوا علامة 'النجم الساطع' في الماسونية رمزا لهم، ويظهر النجم الفضي على صدور الأعضاء الذين يحملون لقب 'مرتبة نجم المشرق *Order of the Eastern Star*'، ولو أراد المرء يرى خطابا من النوع نفسه فهل يمكن أن يرجع إلى مكاتبات للنجم الأزرق الذي يعتبر رمزا لطائفة مناهضة للكحوليات؟

27 الأخلاقية الشيوزوفية

وقد لاحظنا بعد موت مدام بلافاتسكى أن الجانب المذهبي فقد كثيراً من أهميته في الجانبين الأخلاقي والعاطفي، وليس ذلك للقول بغياحه من قبل، فقد كان 'الإخاء العالمى' أول الأهداف الثلاثة للجمعية الشيوزوفية، وفي هذا الشأن لم تكن 'دعاية'، بل كانت مدام بلافاتسكى ذاتها التي بادرت بها في دوائر الطبقة العاملة، وفيما يلي ما كتبتة عام 1890.

"وقد أسسنا في لندن التي تعتبر مركزاً للمادية والرفاهية أول منتدى في حي إيست إند للنساء العاملات، وكان يخلو من كافة العقائد والمحرمات اللاهوتية، واتجهت كافة جهودنا إلى 'الإخاء الإنسانى'، ولا نعتبر الفوارق الإيمانية أسواراً ولا حواجز".¹

وهكذا كانت المسألة تنافساً مباشراً مع مؤسسات خيرية ذات طبيعة إيمانية في منظور المؤسسة، ولا بد أن تُمارَس في مجالات أخرى خصوصاً مجال التعليم، وهذا هو المعنى المقصود لفهم البيان التالى،

"وحيث كانت غاية 'الإخاء العالمى' واجباً على كل الشيوزوفيين في ترويح كافة على نحو عملي، ونشر فكرة التعليم اللاطئفى في كل البلاد".²

لكن قبول أعداد غفيرة من الشيوزوفيين قد أدى إلى تحويل كثير منهم اليوم إلى مناوئين فقد اتخذ العمل التعليمى مساراً طائفيًا *Sectarian* ملحوظاً في ظل إدارة مسز بيسانت للجمعية، كما يعتقدون أن ذلك التطور التعس كان أمراً محتوماً، فسواءً أحببنا أم كرهنا فإن الجمعية الشيوزوفية طائفة على شاكلة الطوائف التي كانت، وحتى دينها الزائف ينوّه إلى أنه سيصير أشد

¹ Lotus Blue, Oct., 7, 1890. p 237.

جلاءً، وهو ما يعنى أن تغطى الجماعة حركتها بصبغها بالدين، فى حين يصدرن التوكيدات على أن ذلك ليس غر ضهم على الإطلاق، وأن قادتهم الحالين مصرون على 'الأخلاقية moralism'، فهم يعتقدون مع البروتستانت بمفهوم أن هذا أمر ضرورى فى كل الأديان، وكما قال ليدبير ما يلى،

"فكل الأديان ترحح الفضائل ذاتها وتدمغ الرذائل ذاتها... وأن المؤمنين بكل الأديان يتفقون على أن استحقاق صفة 'الرجل الصالح good man' رهن بكونه عادلاً وعطوفاً وكرماً وصادقاً"³.

وقد كانت النية ذاتها عند الشيوزوفيين اليوم خصوصاً هى ابتكار نظريات على منوال 'الكارما' و'التناسخ'، ويتفكرون على مهل فى جانب 'العزاء'⁴، ويجدون فيها عزاءهم على الأقل، لكن غيرهم قد يراها غير ذلك، وتعود جذرياً إلى اختلاف الميول العاطفية للفرد، لكن الأمر المهم فى ملاحظة العقلية الشيوزوفية هو رؤية سمة العزاء التى تسهم فى قبول نظريات كهذه وغض النظر عن أى تفسير منطقي، وهو ما لا يلجأ إليه إلا ناقص المروءة، ويبين واقع اتخاذ هذا المنحى نقص القدرات الفكرية فى قادة الشيوزوفية، لكن هناك أمر آخر، ألا وهو أن التنافس الدينى الذى يجرى بصورٍ مختلفة عن التى افترضت سلفاً، وحتى تنافس الأديان يستلزم تقديم فوائد تضاهى ما يكسبه المؤمن العادى منها، ولا مناص من أن تتحول الشيوزوفية إلى طائفة دينية إن عاجلاً أم آجلاً، وسواءً أنكروا أم قبلوا فلن يتغير منها شيئاً، ولا بد أن ميولهم تشاكل الطوائف البروتستنتية، وهو ما حدث فى الواقع، وهذه الميول 'الأخلاقية' هى أشد سماتهم جلاءً.

ولورجنا إلى قائمة المنظمات الملحقه بالجمعية الشيوزوفية فى الباب السابق لتيسرت رؤية أن الغايات المعلنة موحدة بين كل تلك المنظمات حتى بغض النظر عن السمة الشيوزوفية الظاهرة، والتى تتعلق بأفكار إرشادية تعود أصلاً إلى عاطفية الإنسانياتية والسلامية ومحاربة

³ L'Occultism dans la Nature, p 44,

⁴ مثل النشرة بعنوان 'إلى الذين يعانون A ceu qui souffrent' لدموازيل بليك Aimee Blech.

الكحول والدعوة إلى الغذاء النباتي، وكلها عزيزة على العقلية البروتستانتية الأنجلوساكسونية، وهناك حركات بعينها مثل حملات مكافحة الكحوليات لها خلفية يحسنُ تحييدها⁵، وسوف يكون مفيداً أن نتابع نفوذ البروتستنتية من ناحية ومن الناحية الأخرى نفوذ الماسونية والجمعيات السرية، ونضيف إليها الحركات 'الذسوية' بلا ارتباط بالماسونية المختلطة التي توهنا عنها، والتي ستكون أقل فائدة من المنظور ذاته، وسنقتصر على اقتباس بعض الأمثلة من جماعات مكافحة الكحول والغذاء النباتي⁶، وبالطبع ليس للمنظمات المذكورة علاقة مباشرة بالثيوزوفية لكن من الثابت أنهما نابعان من عقلية واحدة.

أما أميريكافيهها جمعيتين سرّيتين أحدهما ذكورية والأخرى نسائية، وتسمى والثانية 'بنات يوناداب Jonadab' بناءً على الآية التالية من التوراة،

فقالوا لا نشرب حمراً لأن يوناداب بن ركب أبانا أوصانا قائلاً لا تشربوا حمراً أتم ولا بنيكم إلى الأبد⁷.

وكل من ينقض هذا العهد لن يكون عضواً له شأن، وهناك جمعية مشابهة تسمى 'أبناء الصبر Sons of Temprance' للرجال فقط لكنها لها ملحق باسم 'بنات الصبر' للنساء وملحق آخر باسم 'تلاميذ الصبر'، أما عن سؤال "لماذا يكون لهذه الجمعية أسرار؟"، ويجيبون بقول ما يلي،

"هناك حكاية قديمة تقول إن 'الحسد' و'البطالة' تزوجا في يوم من الأيام، وأنجبا ولداً سموه 'حب الاستطلاع Curiosity'، ولازال هذا الولد على الأرض كائناً خفياً يعيش على سرقة قليل من هذا أو ذاك وشيئاً من كل واحد، ولذا اعتمدت طريقتنا أسراراً تمنع غارات هذا الكائن الوخّ".

⁵ ولا شك أن الجمعيات الأميركية السرية التي ذكرناها ملهمة إلى حد كبير من حملات منفذو قانون 'التحريميين pehibitionists' على كافة أنحاء الولايات المتحدة.

⁶ وبلتقى محفل 'الأرض والحرية Eearth and Liberty' التابع للمحفل المستقل للفرسان الطيبين في قاعة Vegetarian Hearth بشارع مايس، وتوصف أعمالها بانها واقية من البؤس الإنساني.

⁷ مرأى إرميا 33-6.

وقد ذكرنا هذا الاقتباس لأن له سمات عقلية بعينها تسود في هذه الجماعات، ولا نعتقد أن أيًا من كان قبلهم قد حلّم بتكوين جمعيات سرية تنتهي على نحو مؤسف، وقد كان في الماسونية الإنجليزية محافل تسمى محافل 'الصبر' *Temperance*، ويتعهد أعضاؤها بألا يقربوا المشروبات الكحولية، وأخيراً نصل إلى 'المحفل المستقل للفرسان الطيبين' *good Templars*، وهو جمعية من أصل أمريكي، والتي تشترط قسماً على السرية بدعوى تعويد الأعضاء على ضبط النفس، ولهذا المحفل صلوات عديدة بالماسونية، ويقبلون الأعضاء منذ سن السادسة عشر للجنسين على قدم المساواة، كما أن لهم محافل شبابية وحضانات أطفال في كثير من البلاد الأوروبية بما فيها إنجلترا ودول سكاندينافيا وألمانيا والمجر وبلجيكا وفرنسا، وفي عام 1906 كان 'الرئيس الأعظم للتمبلار' مستر فوفرينسكي *Mr Wawrinski* نائب البرلمان السويدي، وكان رئيس الفرع الفرنسي في ذلك الحين د. لارجين *Dr Largin* طبيب ملجأ الأمراض العقلية في مدينة يفراد ⁸ *Evrad*.

كما أن مكافحة تعاطي الخمر شطر من التعاليم الثيوزوفية، وقد كتبت مدام بلافاتسكي ما يلي،

"إن النبيذ والمشروبات الروحية لها تأثير مُحِبٌّ للتقدم الروحي على نحو أشد مما تفعل الخمر، فالكحول في كل أشكاله له تأثير الهديان على الأحوال النفسية"⁹.

أما عن الغذاء النباتي فإن الثيوزوفيين ينصحون لأسباب متنوعة، وهنا أيضاً يطرحون نظريتهم عن 'التطور الروحي'،

"وعندما يأكل الإنسان لحم حيوان فإنه ينقل إليه نفسياً خصائص الحيوان الذي أتت منه، كما أن العلوم الغيبية تبرهن على هذه الحقيقة لتلاميذها بمشاهدات غيبية، كذا، وتبين أن تأثيرها يشتد كلما كان اللحم من حيوانات أضخم، وأقل منها الطيور ثم الأسماك والحيوانات

⁸ وقد كان د. لارجين في الآن ذاته عضواً في الماسونية، وكان عام 1901 فقيهاً لمحفل أورشلين *La Jerusalem Ecossaise*.

⁹ *The Key to Theosophy, p 262.*

ذات الدم البارد، وأقلها جميعاً حينما يأكل الخضروات فحسب، ... ونصح التليذ النابه أن يأكل أقل ما يعطل مخه عن العمل وما يؤدي إلى ثقل جسده حتى لا يعطل نمو بصيرته وقواه الباطنة"¹⁰

وحيث تبين هذه الكلمات من منظور 'الجاذبية النفسية' أن النباتية هي الأفضل إن لم تكن مفروضة على أعضاء 'القسم الجواني'، ولكن لو كانت مدام بلافاستكي تصدق ما تقول فإنها لم تلتزم به قط، ولكننا لا نملك اتهام مسز بيسانت بالتهمة ذاتها، وبالطبع كان ما يُستنتج منها قابلاً للدحض لكنها أقل حُققاً من الاعتبارات العاطفية التي تُضاف لتبرير النباتية عموماً، والتي لازال الثيوزوفيون اليوم يتبعونها بتشدد، ويقولون "إننا إخوة للحيوانات، ولا ينبغي للأخ أن يلهتهم أخيه حتى لو كان أقل 'تطوراً' منّا"، وقد تكون الإجابة إن فهمنا التطور على منوالهم فإننا أيضاً إخوة للنباتات وحتى المعادن، ولو أن منطقهم فُرض بلا هوادة لمتنا جوعاً، إلا أن ذلك هو الدافع الذي يتمسك به الثيوزوفيون بالغذاء النباتي، ويضيفون أحياناً البيض واللبن والتي ليست أقل حيوانية من حيث المبدأ، والواقع أن النباتية لها أنواع عدة ومراتب، وليست المسألة من منظورنا إدانة النباتية على إطلاقها، لكن ما يمكن قوله إنها مسألة مناخ وجنس ومزاج، وقد نجح بابوس في أن يقول مصيباً "لا بد أن يكون المرء جاهلاً كالثيوزوفيين ليفرض على الانجليز أن يتبعوا نظام التغذية الهندوسي"¹¹، وبصدد ذلك يحكى ما يلي،

"لقد رأينا في جمعية سرارية في لندن عضوتين هما الكونتيسة W ومدام M ¹² تكادا أن تموتا جوعاً حتى تجتبا أكل 'كائنات حية'، في حين استغرق المؤسسين بدعوى المرض في التهام أطباق سمك ضخمة ويتبعها تلال من الأرز والخضروات المتنوعة، وقد كانت السيدتان ترغبن في تحقيق 'رؤية' سرارية، وفي انتظار المؤسسين أصيبتا بحالة حادة من الأنيميا المخية"¹³.

¹⁰ Ibid, pp 260-261.

¹¹ Traite elementaire de la Magie pratique, p 128.

¹² ولا بد أن تكون الأولى هي الكونتيسة فاتشمايستر، ولا علم لنا بهوية الثانية.

¹³ المرجع السابق ص 130-131.

وقد ذكرنا من بين البدع الثيوزوفية 'جمعية النباتيون الفرنسيون'، والتي كان لسانها الرسمي بمشاركة 'الجمعية البلجيكية لدراسة الصحة' هو مجلة *Hygie*، وقد سبق أن وجدت نشرة مماثلة باسم 'الإصلاح الصحي' التي اقترحت "محرابة التطعيم وطرق باستير في التعقيم"، وعن هذه النقطة الأخيرة لاحظنا عالية مدى العداوة بين د. آنا كينجفورد وبين باستير، وكذلك وجود ما يسمى 'مُحفل خدمات الجمعية الثيوزوفية' وأن في إنجلترا جمعية أخرى باسم 'منع التطعيم والتختين'، وهي آراء سديدة بذاتها، لكن المدهش هو خلطها بكل أنواع البلاهة والغثاء العاطفي والإنسانياتي، والتي تُفقدُها الجدية في عين كثير من العاقلين.

ونجد في 'النباتية' تشابهات بما وجدنا في 'الكحولية'، ونقول في البداية إن المذهب الأنطواني المذكور في الباب السابق يوصى كذلك بالتغذية النباتية، ومن ناحية أخرى عرفنا عن جمعية إنجليزية سرية تسمى 'مُحفل التكفير *Order of Atonement*' لها مراكز في برايتون و'جراند تمبل' في باريس وأورشليم ومدراس، وتعرّف هذه المنظمة نفسها بأنها 'نباتية' و'تمبلار' صارمة، وهما أمران يصعب الربط بينهما بأية علاقة منطقية، ومن جهة أخرى فإن تسمية *Good Teplars* تنطبق على جمعيات مكافؤ الكحول، وهو بدوره ليس أقل صعوبة في التفسير من سابقه، ويزعم 'مُحفل التكفير' "أن أصوله تعود إلى معبد *luoua*، كذا، في المدينة المقدسة"، أي بمعنى المعبد الذي بناه سليمان في أورشليم، وكما تقول الماسونية كذلك، وتحض الماسونية أعضاءها على تسخير كل قواهم لتسريع قدوم 'العصر الذهبي'، والمقصود بهذا التعبير هو الزمن الذي يكف فيه الإنسان عن أكل لحم الحيوان، وهو ما يذكرنا بقيام جماعة عام 1895 في إنجلترا باسم 'مُحفل العصر الذهبي' ويسمى أعضاؤه أنفسهم 'فرسان التكفير' على سبيل التواضع، ويذهبون إلى أبعد من الثيوزوفيين في مسألة 'النباتية' الصارمة، بل يأكلون الثمار فحسب *fruitarians*، ويمتنعون عن الطعام المطبوخ تماما، ويصعب أن توجد أحوال أسوأ من ذلك، ولهذا المُحفل الذي يدعى 'مثالياته' بفخار وعنجهية لهم أتباع في شمال أمريكا، وليس ذلك مستغربا، بل حتى في الهند، ويختارون أتباعهم من بين الجينيين، ومن وجهاء ذلك المُحفل د. وو- تينج- فانج الذي كان وزيراً في الحكومة الانتقالية في رئاسة سون-يات- سين¹⁴، وأخيراً

¹⁴ وبعد وفاة سون يات سين تفرق أتباعه السابقين وذهب بعضهم إلى الشيوعية، وما يثير العجب

يزعم أعضاء المحفل أيضاً بصفتهم أكلة فاكهة أن رئيسها المكسيكي فرانثيسكو ماديرو الذي كان في الوقت ذاته غيبياً وماسونياً من المراتب العليا، وتُزهرُ هذه العلاقات أموراً يصعب توقع ما بينها، ولكن يكفي ذلك عن هذا الموضوع، والذي قد يعتبره البعض تافهاً لا يستحق الملاحظة، ولكن لو كنا قد تفكرنا فيه بعض الشيء فذلك لأنه لا يسبب امتعاضاً رغم شطحاتها، ويمكن أن تهمل كمرقبة سطحية عابرة، كما أنها تعبر بوضوح عن تيارات العقلية الحديثة السائدة، والتي كانت الشيوزوفية صنواً لها، ونعتقد أن التنويه عن هذا الأمر ليس بلا فائدة.

.....

أنهم كذلك بروتستنت وخاصة من الطائفة الفقهية *Methodists*، كما أنها مرتبطة بنادي الشباب المسيحي *Y.M.C.A.*، والذي كان دوره غريباً للغاية في الأحداث التي توالى في الشرق الأقصى، ولا بد أن نضيف إلى قائمة الجمعيات السرية تلك التي كان شعارها 'حياة أكثر رفاهية'، وتشتمل على الكوزموبوليتانيين والذباتيين والجمعيات الغيبية التي كان راعيها *J.Canguilhem* من بوردو.

28 الشيزوفية والبروتستنتية

يبدو لنا فيما وراء مسألة ميول شيزوفية بعينها وخاصة فيما تعلق بما أسميناه 'أخلاقياً moralist' ينمُّ عن سلوك بروتستنتي، وعلى الأخص في الأنجلوساكسونية، ولسنا نرغب في قول إن هذه الميول حكر على البروتستنتية لكنها مسيطرة عندهم، ومن عندهم انطلقت إلى العالم الحديث، كما نجد تشاكلاً آخر بينها وبين الشيزوفية في استبدال تدين غامضٍ بدينٍ بينٍ، فقد أدت سيطرة العوامل العاطفية على المنظور الفكري إلى حدِّ كبتة تماماً أو تكاد، ألم يسع الحداثيون الذين تشكلت عقليتهم في البروتستنتية كما أسلفنا إلى تحقيقها في قلب الكاثوليكية ذاته؟ وكل هذه الميول مترابطة بإحكام، والمدهش أن الشيزوفيون يسمون أنفسهم كاثوليكين ويستعرضون ميولهم 'الحداثية' في كل أينٍ وحين¹، كما ذكرنا أن 'الأرواحية الجديدة' عادة ما تلتصق بالبروتستنتية في البلاد التي تولد فيها وتنمو وتتكاثر على نحو مدهش، وينذرُ بخللٍ خطير في توازن العقلية الدينية، ولكن الشيزوفية هي الوحيدة من بينها فضلاً عن بعض الجماعات الأرواحية هي فحسب التي تتميز 'بالورع pietistic' الذي يذكرنا بالروح البروتستنتية.

ولو تفحصنا الوسائل التي تستخدمها الشيزوفية للتوسع فمن السهل رؤية أنها تتماهى مع وسائل الطوائف البروتستنتية، فكلاهما يتميز بالحجِّية البروزيليتية ذاتها، وكلاهما يلوِّح بالنعومة ذاتها للوصول إلى الجماعات المستهدفة، والتي تخلق شتى الارتباطات التي قد تبدو مستقلة عن بعضها بعضاً لكنها تتوحد في أداء الغرض ذاته، فهل نحن بحجة إلى تذكر نوادي الشباب المسيحي Y.M.C.A. وما جرُّها والدور الذي قامت به في كل البلاد²، حيث تقبل عضويتها كل

¹ وارجع إلى نشرة بلا توقيع بعنوان 'جماعة عيسى المسيح والشيزوفية'، رد من كاثوليكي.

² وقد كان بين هذه في فرنسا أعمال 'مجمع الجنود Foyers du Soldat' الذي لا بد من ذكره، وتعني حروف Y.M.C.A. رابطة الشباب المسيحية، وهناك كثير مما يمكن قوله عن الهوس الحالي بالتسمية بالحروف الأولى، والتي لا يحصى من أن تكون ذات أصل أنجلوساكسوني وأميريكي

الأديان بلا تمييز؟ وليس ذلك كل شيء، فالجماعات التي على شاكلة النوادي المذكورة تنكر أنها دينية إلا أنها تقرُّ بأن الإلهام البروتستنتي يوجهها، ولكن إلى جانب ذلك هناك آخرون ممن يدعون الحياد التام، لكنهم ليسوا أقل ارتباطاً بالإلهام ذاته، وذلك مثل 'فتيان الكشافة' التي تعمل علناً جنباً إلى جنب مع الجماعات البروتستنتية³، ويصدق الأمر ذاته على رابطات مكافحة الكحول والجمعيات السرية ونصف السرية التي عرضنا لها في الباب السابق، ورغم أنها 'لامتحيزة' في ظاهرها لكن أصل جوهرها بروتستنتي بالضرورة، وهي السمات التي نجدتها في كثير من المنظمات التابعة للثيوزوفيين، وسواءً أكانت بغاية ضمهم إلى الثيوزوفية أم عكسها، وقد قال أحد الثيوزوفيين السابقين مصيباً أنهم "يذكروننا ب جيش الخلاص"⁴، ويجد المرء المذاق ذاته عندما يقرأ النشرات الثيوزوفية، والتي يشاكل أسلوبها المواعظ البروتستنتية تماماً، وليست هذه الصلات مصادفات اعتباطية، وبالطبع لا نرغب في قول إن الثيوزوفية قد نبتت من فرع بعينه من البروتستنتية، ولكن لا بد من فهم أن الأمر يتطلب حالاً عقلياً بعينه وعقلية بعينها، وهما ما يدرك التشاكلات التي عرضنا لها، فهي تنتمي إلى الثيوزوفيين بدرجات مختلفة كما تنتمي إلى الثيوزوفيين الجدد، ونكرر أنها تنتمي كذلك إلى البروتستنتيين المحدثين والفيضييين *immanentism*، وقل مثل ذلك عن المجال الفلسفي، والذي يتبع البراجماتية والحدسية، ولكن ذلك لا يمنع من وجود تيارات فكرية في المنطلقات الجماعية أو الفردية التي تُمارس على نحو خفي، وهي مفضلة في أعمالها عن متاهة وعثاء كل هذه الجماعات والمدارس حتى لو كانت الانحرافات بينها سطحية وأقل أصولية من الميول المشتركة، وكم لو كان المرء يشهد زحاماً من جهود شتى تحاول كل بطريقتها أن تسهم في تحقيق مخطط واحد.

ولازال هناك سؤال يتعلق بالصلة بين الثيوزوفية والبروتستنتية، فلو كان معلوماً أن الثيوزوفية مناهضة للمسيحية من حيث المبدأ وستبقى على هذا الحال رغم توهمات المسيحية

.....

واضح، ويرى البعض فيها باكورة نفوذ جمعيات سرية وشبه سرية نشأت إما بالنفوذ الماسوني وأما تقليد له.

³ See *La Question des Boy-Scout ou Eclairsur en France*, by Copin-Albanelly.

⁴ *Lettre ouvert a Mme Besant*, by Emile Sigogne in *Mysteria*, Feb. 1914.

الجديدة، ألا يجوز استنتاج أن البروتستانتية ذاتها لو اندفعت إلى نهايتها ستناهض المسيحية بدورها؟ ومهما كان تناقض هذا الاستنتاج من الوهلة الأولى فهناك وقائع تجعل لها احتمالاً مهما تضاءل، وخاصة أننا نذكر أن كثيراً من البروتستانت يصفون أنفسهم بالمسيحية بدون تخصيص ولا يقول حتى 'إنجليكياً'⁵، وتعتبر هذه الخصيصة 'البروتستانت الليبراليين' على أكل وجه، وهي التي لا تسلّم بربوبية المسيح، أو قد يسلمون بها على سبيل الكلام، ولا تربو عندهم عن أخلاقية متنكرة بدين زائف، ونرى أن ذلك الانحطاط منطقياً أكثر من الاصطلاح الوسطى الذي تقوم عليه جماعة البروتستانت 'الأرثوذكس'، حيث لا وجود لقاعدة تمنع التفاسير الفردية!

زد على ذلك أنه لا بد من ملاحظة أن الأفكار الماشيحية *messianic* والألفية *millenarist* عند الأدفنتستيين *Adventists* شائعة في بعض طوائف بروتستانتية بعينها⁶، والذين يعلنون عن نهاية لعالم والحضرة المحيدة للمسيح في وقت ليس ببعيد، كما أنهم يدعون اليوم أكثر من ذي قبل أنهم أنبياء ومسحاء وهم غارقون في الغيبة، وقد عرفنا عدداً من هذه الجماعات ناهيك عن آلكيون والثيوزوفية، ولا زال غيرهم يُستنبت في تجمعات الأرواحية، فهل نرى في ذلك علامات الزمان؟ وأياً كان الأمر دون مخاطرة بأى تنبؤ نتذكر كلمات الإنجيل لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً⁷، ولم نصل إلى ذلك بعد، فالذين ظهروا حتى الآن قد 'أعطوا' عجائب خائبة، وربما كان من تبعهم سهل الإغراء، ولكن من ذا الذي يعلم ما يأتي به الزمان؟ ولو تفكر المرء

⁵ والنتيجة أن المقال لصالح ليدبير بتوقيع تيموثى المنشور في *Echo du Mareilleux* بتاريخ 15 يوليو 1912، وليس هذا المقال متفقاً مع منظورنا، ولكنه انتهى بهذه الكلمات "بعد أن تفكرت في الصفحات التي كتبتها مسز آنى بيسانت عن المقدم الوشيك لمعلم العالم مؤسس الدين العالمي، وسوف يضطرون إلى رؤيته في المسيح الدجال لتحصيل الحاصل".

⁶ وقد اعتنت مسز بيسانت بالإشارة إلى أن طائفة الإرفينيين *Irvingite* التي تؤيد فكرة المجيء الثاني للمسيح على منوال خاص للغاية، وهو برهان بين على الصلة بين ماشيكانية الطوائف البروتستانتية والثيوزوفية.

⁷ متى 24,24.

فى المسحاء الكذبة لوجد أنهم لا ىربون عن أدوات لا واعية تحركها يد الذى صنعها، ولو نظرنا إلى محاولات الثيوزوفيين لاعتقدنا أنهم ليسوا إلا تجربة سوف تتجدد بصور أخرى حتى تصل إلى النجاح الكامل⁸، وفى الآن ذاته فإن كافة جهودهم لا تتمخض إلا عن إرهاب لبعض العقول، كما أننا لا نصدّق أن الثيوزوفيين والغيبيين والأرواحيين يحتكون على مروءة تمكنهم من النجاح فى هذه العمليات بذواتهم، ولكن ألا يمكن وراء تلك الظواهر أمر أشد رعباً؟ وربما لم يعرفه قادتها أنفسهم، أليسوا مجرد أدوات؟ ونحن لا نطرح هذا السؤال بقصد الإجابة عليه هنا، فذلك يستلزم طرح اعتبارات بالغة التعقيد تنبونا عما اتتويناها فى هذه الدراسة.

⁸ وتبين محاولات كريدشنامورتي للإفلات من أن يكون ماشيحا أنه ليس إلا أداة، ونقول من ناحيتنا أنه ضحية لمشروعات لن تساوى إرادته فيها شيئاً، والتطور الحالى الذى يتردد ضجيجه فى العالم الخارجى أو هن مما يحب البثيوزوفيون، ولكنه لا يغير شيئاً مما كتبناه من قبل عن الأحداث الأخيرة، ولا بد من قول إن قادة الثيوزوفية الآن يعتقدون أن الأمر أكثر من مجرد محاولة لا بد أن تلتقى فى الإعداد لتنفيذ مخطط شاسع بالغ التعقيد.

29 الدور السياسي للجمعية الثيوزوفية

وقد بقي أمامنا الحديث عن الدور السياسي الذي لعبته الجمعية الثيوزوفية وخاصة في الهند، وقد وصف هذا الدور على أوجه متنوعة¹، ولا شك أن من الصعب تكوين فكرة واضحة عنه حيث إن الثيوزوفيين يعتبرونه سرّاً أعمق من جَوَانِبِهِم الزائفة، ودائماً ما أكّدوا على عدم انخراطهم في السياسة، ويعلنون أن "منظمتهم عالمية بالمعنى الأكل"²، إلا أن دورهم السياسي أمر قائم، فلو كانت صبغة الجمعية عالمية بجمالها إلا أن قادتها أصبحوا انجليزاً صرفاً، وبالتالي وأياً كانت المظاهر فنحن واثقون أن الثيوزوفية أداة في خدمة الإمبريالية البريطانية، ولا بد أنها كانت كذلك في بدايتها أو تكاد، فالمراقبون الموثوق بهم قد أكّدوا أن مدام بلافاتسكي كانت تتلقى هبة سنوية ضخمة من السلطة الانجليزية، ويبدو ذلك كما لو كان مكافئة لتأمرها مع بلدها الأم، زد على ذلك أنها أنكرت روسيتها وادعت أنها أمريكية الجنسية، وقد قال هودجسون Hodgson الذي تقلد درايته بهذه الأمور عن دراسته للظواهر النفسية إنه يشك في أنها جاسوسة روسية، ولو كان الأمر كما نعتقد فإن هذا الشك قد أوحى به بعض كبار الموظفين في الحكومة، فذلك لأنهم لا يعلمون أكثر مما يعلم، وأن الشرطة السياسية في الهند خارجة عن سلطة الإدارة، ورغم أن بعض العاملين فيها يعملون كذلك في الإدارة، وعلى كلٍ فإن الحكومة التي كانت تعلم طبيعة الموقف قطعاً لم تأبه باتهام هودجسون حيث كانت الجمعية

¹ وكذلك اعتقد د. فيرو Ferraud Dr أن الجمعية الثيوزوفية عالمية حقاً ودفع بأنها تنطوي على ميول عدوانية حيال أية حكومة رسمية، كما أن الميجل جرانمبون Rev. Grandmaison الذي يسلم بأن هذه كانت الحال في خدمة السلطة الانجليزية في الهند، إلا أنه يعتقد أن موقف الجمعية قد يتغير أحياناً.

² The Key to Theosophy, p 231.

الثيوزوفية تعمل لانجلترا بالفعل، وفيما يلي مذكرة كتبها سينيت³ الذي كان موظفاً حكومياً في أول مؤلفاته،

"إن كثيراً من الهنود المسنين والكتب العديدة عن التمرد الهندي يتحدثون بطريقة غير مفهومة تنتقل بها الأنباء إلى الأسواق قبل أن تصل إلى الأوروبيين في المنطقة ذاتها رغم استخدامهم أسرع الطرق المتاحة للاتصالات، وقد كان التفسير الذي سمعته "إن الإخوة أي 'المهاتمات' الذين أرادوا في ذلك الحين الحفاظ على الحكم الانجليزي لأنهم يعتقدون أنه أصلح لحكم الهند من أية حكومة محلية"، وقد انتشر هذا الخبر بوسائلهم حيث كان له تأثير مهدي للقلق الشعبي وإحباط التمرد المحتمل⁴"، وقد كانت المشاعر التي حركتهم حينذاك هي ذاتها التي تحركهم اليوم، وأن الحكومة ستكون حكيمة لو أنها زادت من نفوذ الجمعية الثيوزوفية في الهند، وقد أصبحت الشكوك التي أحاطت بمؤسسي الجمعية مجرد معاذير، لكن طبيعة الحركة اليوم أنها أصبحت أيسر فهما، ويحسنُ بالموظفين في الحكومة البريطانية في الهند لو واتهم فرصة إفتعال التعاطف مع دُعاة الجمعية الذين يتجشمون واجباً غير مشكور حتى بالتعاطف"⁵.

والواقع أن الجمعية الثيوزوفية لم تفتقد الدعم المالى والمعنوى من الحكومة حتى إن لم يكن كذلك عند بعض الموظفين، كما حظيت كذلك بدعم بعض الأمراء المحليين الذين عرف عنهم ميولهم الأنجلوفونية، وقد كان مهراجا كوش بيهار ثيوزوفياً وعضواً مرموقاً في الماسونية البريطانية، وقد توفى في إنجلترا عام 1890، وكان قد انتُخب عام 1893 مديراً لفرع دارجيلينج⁶، وكان صهرا لكيشاب شاندراسين مؤسس براهما ساماج، وسميت 'كنيسة النعم الجديدة Church of new Dispensation' والتي ربما كانت أوضحها ميلا إلى المسيحية البروتستنتية، وكان

³ و سينيت هو رئيس تحرير جريدة *The Pioneer* اللسان الرسمي للهند الانجليزية.

⁴ والواقعة المقصودة حقيقية وتكرر تأييدها لا في الهند فحسب بل كذلك في الدول الإسلامية، أما عن التفسير المذكور فلا يربو عن خيال شأنه شأن المهاتمات المزعومين.

⁵ *Le Mond Occult*, p 157.

⁶ *Lotus Blue*, Dec., 7, 1890 and Mar, 1885.

المهراجا الحالى وابنه وخليفته أعضاء فى الماسونية الانجليزية ومن وجهاء محفل 'المراقب الخفى' *Secret Monitor* التى تعتمد على الماسونية، كما أن الجمعية الثيوزوفية كانت من حمايتها ومموليها، ولم يكن مهراجا كابورثالا من أعضاء الجمعية لكنه أوقف مبلغ ألفى روبية سنوياً لإحياء ذكرى *H.P.B.*⁷ ونشر ترجمات شرقية⁸، وفى ذلك واقعة بسيطة تسمح لنا باستنتاج دورها، ففى عام 1910 كان رئيس الشرطة السرية نائب 'الأستاذ الأعظم *Grand-Master*' فى المحفل البنجالى، وقد خلف مهراجا كووش بيهار.

وبالطبع كان ذلك مبرراً للحكومة فى تأييد أعمال التعليم فى الجمعية الثيوزوفية، ولكنه كان له على الحقيقة مبرراً للصراع الذى تخوضه الجمعية فى عملها التعليمى، وقل مثل ذلك عن منظمات أخرى تعارض مؤسسة التراث الهندوسى، وخاصة فيما تعلق بنظام الطبقات، وذلك لعجزهم عن فهم مبادئها العميقة التى تقوم عليها، كما أن التراث الهندوسى بأكمله يقوم على الميتافيزيقا المحض، ويستتكف التراثيون الذين لا يملكون إلا أن يكونوا تراثيون عن مخالطة هذا الوسط، كما لا يغفرون للثيوزوفيين تشويهمهم للمذاهب الشرقية، وينظرون بامتعاض إلى مواطنيهم الذين التحقوا بهم، وكذلك الذين التحقوا بالماسونية، فى حين أن البريطانيين يُعاملونهم بتفضيل بالغ ويمنحونهم وظائف متميزة، فمن عدة سنوات مضت أصبح الثيوزوفى تشاترجى *J.C, Chatterji* رئيساً لإدارة الآثار فى كشمير، وهو كاتب له عدة أعمال⁹ بغض النظر عن عناوينها وادعاءاتها تقوم على منظور التطور فى فلسفة هربرت سبنسر أكثر مما تقوم على المذاهب التراثية.

أما عن مسز بيسانت فإن ادعاءها صداقة الهندوس لم تؤخذ بجدية فى الهندوسية بأكملها، وكان عام 1894 هو الزمن الذى كانت لا تفتأ تقول "إن التحول إلى المسيحية أسوأ من

⁷ وعادة ما يسمى الثيوزوفيون مدام بلافاتسكى بالحروف الأولى.

⁸ *Lotus Blue, Sep, 27, 1892*، وسنذكر كذلك أن مهراجا بوربونجها كان عوا فى الجمعية الثيوزوفية ومنحها 25 ألف روبية.

⁹ *Philosophie Esoterique de l'Inde, Vision des Sept Sages de l'Inde, La Realism Hindou.*

انلخوض فى فلسفات الشك أو المادية" فى حين تدعى أنها قد صبأت إلى الهندوسية¹⁰، وقد كتب موكهوباداايا فى صحيفه *Light of East* إن هندوسيتها هراء محض، وأن هناك ما لا يربو عن بضعة مئات من الشيوزوفيين أتباع تلك البوذيه الوهميه يلاحون مئتين وخمسين مليوناً من الهندوس، ويعتبرون مسز بيسانت مجرد عميل سياسى للإنجليز، ويختم بتحذير مواطنيه منها وينصحهم بمقاومه كل أنواع التدخل الأجنبيه أكثر مما مضى، وقد حكم الهندوس الوطنيون على أعمال مسز بيسانت بقسوة بالغة،

"ربما برهنت مسز بيسانت على جدارتها فى كثير من الأمور فى حياتها المغامرة، ولكن دورها الأخير فى لعب دور العدو الخفى الخطير للشعب الهندوسى، والذى تنفث فى أنحاء كالحفايش فى ظلام الليل ومثل السيرينيات اللائى تغنين لتغرى الرجال إلى هلاكهم، فهذه المرأة الموهوبه الفصيحه تغرى الشباب إلى حتفهم بلسانها الذى يقطر عسلًا بكلمات كاذبه، فسموم كلماتها الفضيحة التى يتجرعها المستمعون المنبهرون لهو أقذع من سموم الحيات... ومنذ قيام ' الكليه الهندوسيه المركزيه' فى بنارس غرقت أكثر فى وحل النفاق والكذب، وربما كان نخرها باتمائها إلى الجنس الأسمى قد ركل حميتها الدينيه، وقد كانت على الدوام قلقة فى ربطها النتائج بالأسباب، وقد أدت هذه الخاصيه العقلية إلى أن يشخصها ستييد *W.T,Stead* بأنها "المرأة التى بلا عقيدة ثابتة"، وأياً كان الحال فيقينا أنها حالياً على اتفاق تام مع المخططات الأجنبيه التى تحكم الهند، ولا بد من اعتبارها من أعداء الهند... فما هى وظيفتها فى هيكل العملاء الرسميين؟ وما هى المناهج التى تسير عليها؟ وقد كُلفت بالمهمه الدقيقه لنسف الدين الهندوسى من داخله، فحكومتنا لا تجرؤ على المساس بالدين علناً على نحو مباشر، لكن البيروقراطيه الأجنبيه لن تتوان عن فرض نفوذ واسع على أى مؤسسه تحاول توحيد الشعب المهزوم، ولذا تتكّر الجواسيس والأفاقون لكى يتسللوا إلى قلعه الهندوسيه ويخدعون سدنتها، وتعمل مسز بيسانت وزملاؤها فى بنارس مثل د. ريشاردسون ومستر أرونديل من الإمبريالون الانجليز، والذين يحاولون السيطرة على الحياه الدينيه الهندوسيه، وهم ذئاب فى إهاب

¹⁰ *The Two Wrlds, Apr. 20, 1894.*

حَمْلان، ولا بد من الخوف منهم ودمغهم كأعداء للهند،... ولذا ترجمت بها جافاد جيتا وأُسست 'الكلية الهندوسية المركزية'¹¹، وهي حالياً تتركس كل جهودها للدعاية الإمبريالية لبريطانيا العظمى"¹².

وكان على العكس منهم ألك الذين اعتبرهم الوطنيون الهنود خونة لقضيتهم، والذين كانوا يكيون المديح لمسز بيسانت وأعمالها، والبرهان على ذلك دفاعهم الفاتر بتاريخ يونيو 1913 بمناسبة محاكمة مدراس في مجلة *Rajput Herald*، كما نُشر عرض لها في لندن، وقدمت نفسها 'كمخلصَة للإمبريالية'، وكان غلافها خارطة للإمبراطورية 'التي لا تغرب عنها الشمس'، ولا جدال في موالسة الصداقة، ألم تُصدر مسز بيسانت من آديار مجلة دورية تسمى *The Commweath* تتوجه إلى الهند بالذات، وتحمل شعار 'الرب والتاج والوطن'؟!، وقبل ذلك بوقت طويل كانت تفتخر بحصولها على صورة موقعة للملك إدوارد السابع بوساطة أميرة ويلز¹³، ألم تكن هي التي كتبت تحت شعار الماسونية المختلطة "إن الماسونية تشتترط على أعضائها الولاء للملك"¹⁴؟ والمعنى الذي يفهمه الانجليز لكلمة 'ولاء' في الأمور السياسية أمر معلوم، وكل ذلك لا يترك مجالاً للشك حتى بدون غيره في تأييد منظورنا، وفي الآن ذاته وسياق الأفكار نفسها يمكننا اقتطاف نصوص قليلة معلّته، فنذ اثني عشر عاماً أعلنت مسز بيسانت في لاهور "إن الغزو الأجنبي غالباً ما كان يخدم التنمية، وينبغي على الهندوس أن يُقلعوا عن كراهة الانجليز"، ونقارن هذا التصريح بوثيقة أقرب زمنياً عن أن إخوان 'مُحفل خدمات الجمعية الثيوزوفية' الذي نشأ في الهند إبان 1913 وكان على أعضائه المخلصين "إدراج اسم الجمعية الثيوزوفية في الحياة اليومية والحل الثيوزوفى للإصلاح الاجتماعى"، وها هنا نص القسم الذى لا يترك بدايته مجالاً للشك،

¹¹ ونضيف إلى ذلك أن هذه المنشأة وجدت نفسها فى تنافس مع 'كلية دياناندا الأنجلو فيدية'، وهى أحد منشآت آريا ساماج، ومن هنا كانت مسز بيسانت إلى جانب أعمالها تنتقم بين آن وآخر للأضرار التى سببها لمدام بلافاتسكى.

¹² *La Sirene indienne, extract from th Hindu journal Bande Matram, Mar. 1911.*

¹³ *Letter to Leadpeter, Jul., 4, 1906.*

¹⁴ بند 7 من لأئحة الماسونية المختلطة.

"بناءً على أن مصالح الهند الأصولية هي التنمية الحرة تحت راية المجتراء، والتحرر من العادات التي تثبِّط توحيد كل السكان، وضرورة أن نضفي على الهندوسية مرونة اجتماعية وحياء من الأخوة الصادقة، فإنني أتعهد بما يلي '1' ألا نفرق بين الطبقات، '2' ألا نزوج أبنائنا في سن الصبا ولا بناتنا قبل السابعة عشر، '3' التبيه على بناتي ونساء الأسرة أن من صالحهم تشجيع تعليم البنات ومعارضة عزل النساء، '4' تشجيع تعليم الناس بقدر الإمكان، '5' أن نتجاهل اختلاف اللون والجنس في المجتمع وفي السياسة، ونعمل على تحرير الأجناس الملونة وتساوي حقوق المواطنين والمهاجرين البيض، '6' مكافحة مقاطعة الأرامل اللاتي تزوجن مرة أخرى، '7' تشجيع قيام اتحادات العمال في كل المجالات الروحية والتعليمية والاجتماعية والسياسية بتوجيهات البرلمان الهندوسي القومي"¹⁵.

ويحسُنُّ مراعاة أن الإدارة الانجليزية هي التي صنعت ما يسمى 'البرلمان الهندوسي القومي' بتعاون الثيوزوفية وربما بإلهامها¹⁶،

"حينما بدأت القلاقل السياسية انعقد المؤتمر القومي بناء على مخططنا وتولى قيادته أعضاء منا كمبعوثين إلى المؤتمر"¹⁷.

وقد كان هذا المؤتمر بكامله تحت سيطرة مسز بيسانت، وكانت غايته الحقيقية هي احتواء الأمل في الاستقلال واستبداله بوهم يبدو مرضيا، وقد بزغ مشروع 'الحكم الذاتي

¹⁵ وقد اقتبسنا هذا النص من *Bulletin Theosophique* بتاريخ ديسمبر 1913 ..

¹⁶ ونضيف كذلك معلومة عجيبة من النوع نفسه كوقائع متعددة مما ذكرنا،

"وبعد حضور اللقاء مع كريشنامورتى ونياناندا سافرت رئيستنا مسز بيسانت 9 ديسمبر 1921 في صحبتهما إلى بومباي عن طريق بنارس حيث أسبغ عليها المعهد الهندوسي القومي دكتوراه في الآداب اعترافا بخدماتها للتعليم القومي، كما أسبغت في اليوم نفسه على أمير ويلز *Prince of Wales* " *Bulletin Theosophique Feb 1922* .

ولهذه الصلة بين مسز بيسانت وأمير ويلز مغزى عميقا، وخاصة عندما نعلم أن مرافقيه الهندوس كانوا مهرة في عزله عن الأنظار تماما.

¹⁷ *Lotus Blue, Oct. 7, 1890, pp 235-36.*

الأيرلندي *Home Rule* من السياسات ذاتها، كما حاولوا تطبيقه في مصر، ولنعد إلى 'أخوة الخدمات'، فليست مؤسسة تضيف على الشيوزوفية احترام الهندوس الحقيقيين، وكان عليها فحسب الاعتقاد الفارغ 'بالتقدم' و'الأخوة' و'التعليم الإلزامي'، وذاهلون عن عملية تحويل زوجاتهم وبناتهم إلى نادلات، أما الهندوس فلن يقنعهم شيء بإلقاء مقدساتهم تحت الأقدام بحجة 'هضم' حكامهم الأجانب، فالهندوسى يرى أن التعهد بترك الفوارق الطبقيّة بمثابة الكفر الصراح.

لكن هناك المزيد، فقد حاولت مسز بيسانت فى محاكمة مدراس أن تؤثر على القاضى فلم تتردد فى استعراض الخدمات التى أدتها للحكومة، وادعت أن الغرض الحقيقى من وراء هذه الحملة الموجهة ضدها واضحة المعالم، وكتبت ما يلى فى العريضة التى قدمها الدفاع،

"... إن المتهمه تدفع بأن هذه القضية لها أسباب سياسية فضلاً عن سوء النية وقصد الضرر بها وتحطيم سمعتها وحياتها جزاءً على نصيحتها للمتعلمين أن يمتنعوا عن اتباع مؤامرات المتطرفين فى محاولتها إلهامهم بالولاء للإمبراطورية، ومنذ الوقت الذى تدخلت فيه لوضع حد لاستهلاك الشباب وجمع السلاح فى ماهاراسترا أثناء حكم لورد كورزون نائب الملك، وكانت عقبة أمام الدعاية التى تدعو إلى العنف بين التلاميذ، وأصبحت حياتها مهددة فى كل من الهند وأوروبا... وتطالب المتهمه بحماية هؤلاء الشباب بحكم قضائى من نفوذ الآراء التى تجعلهم يكرهون الانجليز بدلاً من أن يحبهم ويخلصوا لهم، والتى ستجعل منهم مواطنين منحطين"¹⁸.

ومن جهة أخرى فقيما يلى بداية التقرير عن مبررات القضية ضد مسز بيسانت كما كتبها مستر أرونديل،

"لن يمكن فهم القضية ضد مسز بيسانت كحدث منفصل عن الحركة التى بدأت منذ زمن بغاية تحطيم نفوذها على الشباب فى الهند، بل هى شطر منها، ودائماً ما كانت تستخدم هذا النفوذ لكبت العنف السياسى عند بعضهم، وتشغل الشباب عن الالتحاق

¹⁸ Le Proces de Madras. pp46-47.

بالأحزاب المتطرفة¹⁹، ولم تذهب حملات مستر تيلاك في الهند إلى اغتيالها، بل إلى تثبيت أثرها على الشباب الهندي، وقد بدأ الكاتب الشهير كريشنافارنا الحملة على مسز بيسانت في جريدته بترجيح اغتيالها لو كان الغرض تحطيم أثرها على شباب الهندوس، وقد كانت الحركات المتطرفة بقيادة أوروبيندو جوش و تيلاك، وقد انتقل مستر جوش حالياً إلى الهند الفرنسية 'بونديتشي' ومستر تيلاك في السجن، لكن جريدته استمرت في الهجوم على مسز بيسانت، وحتى في مدراس كانت جريدة *The Hindu* تقوم بما تستطيع²⁰

ونأتى إلى خاتمة التقرير ذاته،

"... وأياً كان الحكم في هذه القضية فلا شك أن المؤامرة لو نجحت في تحطيم نفوذها في الهند فإنها كانت أحد العوامل الرئيسية في الاتفاق بين إنجلترا والهند"²¹.

وأساساً لم يكن اللوم واقعاً على الحكومة البريطانية في استخدامها لتلك الوسائل التي يسهل إنكارها لو تطرقت الأمور إلى الحرج أو البلاهة، وقد عبرت جريدة *Times* في أثناء نظر قضية مدراس في 7 مايو 1913 عن الرغبة في "أن تستنكف الحكومة عن الموافقة على كل ما ينحو نحو الحركة الشيوزوفية"، وهو ما يعنى للمطلعين على طبيعة الأمور أن تلك الحركة كانت على أشدها بموافقة الحكومة حتى تلك اللحظة، أما عن الآخرين فقد تجشم مستر ويدجوود عناء الرد على هذا المقال بتذكر أن

"أن كبار المسؤولين في الهند كانوا يعتبرون الجمعية الشيوزوفية وأعمال السيدة بيسانت في الهند كانت مثمرة للغاية في إلهام الهندوس بالتعاطف مع الحكومة الانجليزية"²².

¹⁹ وقد اعترفت مسز بيسانت في خطاب بتاريخ 15 سبتمبر 1913 بأن الحزب 'المتطرف' لم يشجع فكرة الاغتيال، واتهمت مسز تينجلي التي كانت تتبع چادچ بتمويل مناهضها.

²⁰ *Ibid.*, pp 7-8.

²¹ *Ibid.*, p 13.

²² وقد كان أحد البراهين على دور مسز بيسانت السياسي موقفها العدائى من حركة غاندى المناوئة للحكم الانجليزية، وأعلنت أن الموافقة على هذه الحركة تجب عضوية 'القسم الجوانى' وفيما يلي ما

وهذه وسائل سياسية مهما كانت مفضزة عند البعض، لكنها تستخدم على نحو روتيني، ونذكر منذ بضع سنوات أن حكومة فيينا جندت بعض الجماعات الغيبية لإقناع الوطنيين التشيك في بوهيميا الذين تشك فيهم الحكومة، وقد كان أحد مديري تلك المنظمة مدير الشرطة السرية سافراً، كما يحفل التاريخ المعاصر للغيبية في روسيا بعدد وافر من هذه الأمور، ويقع اللوم في هذه الحالات على الذين وافقوا على استخدام هذه الوسائل مع علمهم بأنها ليست مشرفة على الدوام، كما أنها ليست آمنة تماماً من الخطر، وقد سمعنا مسز بيسانت تشكو من أن حياتها مهددة، والحقيقة إنه لم تحدث أية محاولات لذلك واقعياً، لكنها تبالغ في الاحتياطات الأمنية التي تحيط بها نفسها، وقد كانت ترتدي حزاماً من الصخور أثناء سفرها في الهند، وفي 1916 جرت محاولة لتحسين صورتها عند الهندوس لو توفر لهم شيء من عنصر الثقة، وتحديد إقامتها الكاذب في فيلا جولستان الذي لم يمنعها من عقد لقاءاتها، ولكن هذه الكذبة لم تقنع أحداً، ولكن اعتقد بعض الأوروبيين أن يكون ذلك من جراء تغير في ولائها السياسي، والآن يتضح لماذا ربط الهندوس اسمها ب روديارد كينيلج²³، والذي كان كاتباً عظيماً بالتأكيـد، لكن مغامراته المتنوعة تعكس على شخصيته شحوب فضائله وتمنعه من دخول وطنه الأم، كما أن هناك ما يؤيد هذا التشابه في أن كلاهما من أصل أيرلندي، ولنلاحظ في سياق حديثنا

.....

كتبته بنفسها في هذا الصدد،

"وحيثما ظهرت بوادر الروح الثورية في العصيان المدني، كذا، بقيادة غاندي عام 1919 ثرت على هذه الروح التي تحطم الحرية الحقة، وتعادي التقدم السياسي والمثال الذي كنت أطمح إليه وأناضل من أجله في الهند طوال ستة وعشرين عاماً".

وهو ما يعني أن 'التقدم السياسي' و'الحرية الحقة' لن تتحققا إلا تحت السيطرة البريطانية، أليس ذلك مبالغة في السخرية؟ وفي زمن حكم رامسي مكدونالد دونت مسز بيسانت مسودة لل دستور الهندي وسلحتها إلى الحكومة، والتي ترجع إلى الروح التي نفتتها في 'المؤتمر الهندوسي القومي'، والذي يبدو أنه لم يصل إلى شيء حتى الآن، إلا أن هذه الواقعة تخفي معنى بعينه حينما يعلم المرء أن رامسي مكدونالد معدود عند الهندوس من بين أشد أعداء الهند.

وقد نشر كينيلج عام 1923 'حكايات من البر والبحر للكشافة والمرشدين'، وتبين هذه الواقعة كذلك الصلة بين الكشافة والإمبريالية البريطانية، أما مسز بيسانت فقد جمعت محاضراتها التي ألقتها في لندن إبان يونيو ويوليو عام 1912 في كتاب بعنوان 'الحضور الوشيك L'Avenir Imminent'، وقد اقتصر الباب الأخير على مسألة العلاقة بين إنجلترا والهند.

عن روديارد كيلنج أنه كتب رواية بعنوان *Kim*، ولولا بعض التفاصيل لأمكن اعتبارها سيرته الشخصية بما فيها الجانب التاريخي عن العداء بين روسيا وإنجلترا في المناطق الشمالية من الهند، وقد وردت به تفاصيل عجيبة عن الجاسوسية السياسية واستخدام الإنجليز لمنظمة سرية تسمى 'سات بهاي' أي الإخوة السبعة، وقد كانت هذه المنظمة قائمة بالفعل، وقدمها بعض الضباط من الجيش الهندي في إنجلترا عام 1875، وهو العام الذي نشأت فيه الجمعية الشيوزوفية. ومن نافلة القول إن ازدواجية رؤوس الجمعية الشيوزوفية أمر لا يساوره الشك، كما أن إخلاص الذين أتبعوها من غير الإنجليز ليس موضع شك هو الآخر، ولكن المرء لا بد أن يميز في كل هذه الأمور بين الأفاقين وضحاياهم من المغفلين الذين أتبعوهم، ولا نملك إلا احتقار الأول والشفقة على الآخر ومحاولة تنويرهما إن لم يكن عمهما مستعصياً على العلاج، ونقتبس فقرة مدهشة من الكتاب الذي يعالج 'حيوات آلكيون'،

"وأن لم تتبع الأسرة النظام الطبيعي في اجتماعها حول الأب والأم تفتشى الفوضى، وكذلك الحال في دول العالم، فلا بد أن يكون بينها 'دولة أب' و'دولة أم'، فتعيش في اتساق تام وإلا تفتشت الحرب، وربما كانت إنجلترا هي التي ستقوم بدور الأب على منوال المشرع مانو، ومن جهة الأمومة أو بودهيساتفا لدينا الهند، وهكذا سيعكف مانو و بودهيساتفا على تسوية أمور العالم فيما تعلق بالدول"²⁴.

وتترجم هذه الفقرة إلى لغة طبيعية إلى أن الهند تحت الاحتلال الإنجليزي لا بد أن تقع بالدور 'الروحي' بتقديم شخصية كريشنامورتى كسند لتجلى 'المعلم الأعظم'، أما إنجلترا فعليها أن تسن القوانين للعالم لتحقيق 'الولايات المتحدة العالمية'، ولكن برعاية 'الدولة الموجهة' وقصراً على مصالحها، وهكذا لم تكن 'عالمية internationalism' قادة الجمعية الشيوزوفية إلا أقصى شوط من الإمبريالية البريطانية، وهو أمر مفهوم إلى حد ما، ولكن ماذا نقول عن بلاهة الشيوزوفيين في فرنسا الذين يقبلون نشر هذه 'التعاليم'؟

²⁴ De l'an 25000 avant Jesus-Christ a nos jours, by G.Ravel, p 60. See L'Ere d'un nouveau cycle, and L'Avenir Imminent, by Mrs Besant.

ولم يكن هذا المفهوم للعلاقة بين إنجلترا والهند جديداً، ولا تستحق السيدة بيسانت إسناد الفضل إليها، والواقع أننا نقرأ في كتاب 'الطريق الحق' تأليف أنا كينجزفورد وإدوارد ميتلاند ما يلي،

"حيث إن الاتحاد الروحي بين بودها والمسيح سيتحقق في الخلاص القادم للعالم فإن العلاقة على المستوى العضوي بين الشعبين تصبح موضوعاً خاصاً للاهتمام والأهمية، وتنتقل العلاقة بين الهند وإنجلترا من هذا المنظور من النطاق السياسي إلى النطاق الروحي"²⁵.

وقد تناولنا فكرة هذين الكاتين عن البوذية والمسيحية فيما تقدم باعتبارهما عنصران من دين واحد، لكنهما نسيا أن البوذية قد كُفّت عن الوجود في الهند منذ زمن طويل، ولكننا نقرا فيما بعد،

"ونجد في توقع المستقبل القادم²⁶ مفتاح سياسات العالم الروحية التي انتقلت من نطاق المقدرات إلى نطاق الدنيويات، وسيكون 'ملوك الشرق' هم الذين يسودون أقاليم هندوستان، ويعنى اللقب احتكاهم على معرفة 'سحرية' أو على مفاتيح عالم الروح لكي يصبح المرء ساحراً *Magian*، وفي كلا المعنيين فإن هذا اللقب ينتمى إلينا، وكانت التوراة أحد المستودعات الرئيسية للمعارف السحرية، وكانت بلادنا منذ زمان طويل من أول سدنته وأبطاله²⁷ طوال ثلاثة قرون ونصف قرن²⁸، وهي 'عام الأعوام'²⁹ وعصر

²⁵ *The Perfect Way*, p 250.

²⁶ وقد اتخذت مسز بيسانت هذه العبارة عنواناً لأحد أعمالها.

²⁷ وذلك تنويه عن لقب *Defensor Fidei* الذي أسبغ على ملوك إنجلترا منذ حكم هنري الثامن، ويؤيد هذا التنويه مرور ثلاثمائة وخمسين عاماً على الانشقاق الأنجيليكاني.

²⁸ دانيال 7، 25.

²⁹ أي 365 عاماً، أو بالتقويم القمري العبري 355 عاماً، والتي تساوي 345 عاماً شمسياً فحسب، أما عن عام 1534 فهو تاريخ الانفصال الذي فرضه هنري الثامن، وحتى عام 1879 الذي ذكره إيلفاس ليفي نجد بالضبط 345 عاماً، وقد كان التوافق صارماً حتى ليظن المرء أن تاريخ 1879 محسوب على أساس ما أشرنا إليه تواء، ويقول سفر التكوين إن إخنوخ عاش 365 عاماً، وكلهبة

البطل الشمسى إخنوخ، أليست بريطانيا هي التي أحببت 'الحرف' وبجلته رغم عدم فهمها، وهو ما وُجد تفسيره حالياً³⁰، وهو النموذج الأولى 'مترجماً' إلى نطاق الروح، ويحتكم على الغنوص *Gnosis* من حيث الشكل والموضوع، وسوف تكون بلادنا مناسبة لما هو أكثر اتساعاً بموجب هيمنتها على إمبراطورية مادية... وبناءً عليه فإن كل ما يربط إنجلترا بالشرق من المسيح، وكل ما يفصلها عنه من المسيح الدجال"³¹.

ويذكرنا هذا القول خاصة في خاتمه بمصادفة فريدة، فقد أعلن إيفاس ليفي قيام 'مملكة عالمية' جديدة في عام 1879، وسوف تكون في يد من يحتكم على مفاتيح الشرق، وأن هذه المفاتيح لن يمتلكها إلا 'الأمة التي قامت بأوفر الأعمال ذكاءً'، وكان ذلك في الوقت الذي أسست فيه مدام بلافاتسكى مركز جمعيتها في الهند، وقد ظهرت هذه النبوة المذكورة عن إيفاس ليفي في مخطوط محفوظ لدى غيبي في مارسيلىا من تلاميذ ليفي، وهو البارون سبيدالييري، والذي أعطاها لإدوارد ميتلاند، ولم يعد هناك شك في مصدر الإلهام للسطور التي اقتبسناها من المخطوط³²، كما أن الخطاب البليغ من سبيدالييري الذي تحدثت عما لا يقل عن 'معجزات الترجمة' قد وجد طريقه إلى مقدمة كتاب 'الطريق القويم *The Perfect Way*' بلا تسمية لكاتبه، ولكنه وُصف بأنه "الصديق والرفيق والوريث لأدبيات الساحر *Magus*

.....

'شناه' أى 'سنة' عبرية وعدد 355 مكتوبة على المنوال ذاته، وتسمح بذلك بازدواجية المعنى في التعبير عن 'عام الأعوام' بين التقويمين الشمسى والقمرى. ونشكر أنا كينجزفورد على استلهاها الحدسى.

30

³¹ *The Perfect Way*. p 253.

³² وقد نشر سبيدالييري مقتطفات من الخطابات التي تلقاها من إيفاس ليفي في حضور كاتبين كورمز *Courms* في مكاتب مجلة *Theosophit* بين عامي 1881 و 1884 كما أرسلها إلى ميتلاند، والذي جاء إلى مرسيلىا في صحبة أنا كينجزفورد في حفل استقبال مدام بلافاتسكى لعودتها من آديار، وقد ظهرت الطبعة الأولى من 'الطريق الحق' عام 1882، ولكن حيث إن ميتلاند كان بالفعل يرسل سبيدالييري فمن المحتمل أن الأخير قد أعلن نبوة أستاذه الذي كلفه بذشر المخطوط الذي وهبه له بعد عشرين عاماً من وفاته، وقد كان المخطوط الذي نشره د. وين وستكوت بعنوان *The Magical Ritual of Sanctum Regnum* مدسوس في غلاف رسالة *Trithemius De Setptm Secundeis*، وكان اسمها الأصلي *La Clavicule Prophetique de Septem Secundis*.

الأشهر الراحل الأب كونستانت، ويكفى ذلك لأن يعرف المعمدون جميعاً أنه 'إيفاس ليفي'، وقد أعطى ميتلاند المخطوط للدكتور ويسكوت الساحر الأعظم بجمعية *Societe Roseicruciana in Anglia*، والذي نشرها عام 1896 بعنوان *The Magical Ritual of the Sanctum Regnum*، وبالطبع كان الانجليز شأنهم شأن الألمان يسارعون بادعاء إنهم أصحاب الأولوية العرقية، كما هرع الانجليز إلى ادعاء أن النبوة تنطبق عليهم حيث إنهم سادة الهند، وقد رأينا أنهم لم يضلوا في ذلك، لكن المفتاح المادى لم يكفِ الشرق، فقد غاب عنهم المفتاحان الفكرى والروحى، وكان لابد من الاعتراف بأنهم خدعوا، وقد كان ذلك مشاكلاً لمحاولة فهم الإنجيل من الجوانب المسيحية الجديدة، وسواء أكانت بمفهوم أنا كينجزفورد أم مسز بيسانت.

وبالطبع عندما نذكر نبوة إيفاس ليفي فلا نقصد إضفاء أهمية بالغة عليها، ولكن بعض الانجليز قد اعتقدوا بجديتها الشديدة حتى إنهم بدأوا في محاولة تحقيقها على نحو أسرع، ولابد من معرفة مصدر إلهامها لو كنا نرغب في تقويم حقيقتها، ولكن المؤكد أن كاتبها كان له علاقات وثيقة بالدوائر الدبلوماسية³³، ويدعى الشيوزوفيون من جهة أخرى أن الربع الأخير من كل قرن أفضل لتجليات غيبية بعينها، والتي لابد لهم من عزوها إلى 'المحفّل الأبيض العظيم'، وأياً كان حال هذه التوكيدات التي لا نقبل بها على الصورة التي تطرح بها فإن عام 1875 والسنوات التالية كانت منطلقاً لأعمال ملغزة مثل التي ذكرناها بدءاً بالجمعية الشيوزوفية ذاتها³⁴، ونلفت النظر إلى أن محفلاً يسمى 'إخوان النور' *Fratres Lucis*³⁵ الذى أسسه

³³ وما يجعلنا نعتقد أن إيفاس ليفي كان يفكر في إنجلترا هي الحسابات التي ذكرناها عاليه.

³⁴ ولنتذكر كذلك في هذا الصدد أن الكونتيسة بومار لاحظت أن عام 1882 هو الذى ظهر فيه كتاب 'الطريق الحق'، والذى تعتبره بداية عصر جديد، وربما كان متماهيا بصدفة فريدة مع تعاليم محفل 'HB of L'.

³⁵ ولا ينبغي خلط ذلك المحفل الذى كان مركزه برادفورد في يوركشير بمحفّل آخر من واقع تشابه الأسماء هو 'إخوان كنز النور' *Fratrenitas Thesauri Lucis* التابع للصليب الوردى وذات أصل أميريكى كما يُقال، ومقرها في لوس أنجيلوس كاليفورنيا، كما ذكرنا 'أخوة النور' في سياق الحديث عن 'الأخوة الهرمسية في الأقصر' *H B of L*، ويبدو أن الاسم الأول مقصود لإثارة الخلط بالثاني، كما ظهر في أميريكاً 'محفّل النور'، والذى أشرنا إلى وجوده في باب 'برلمان الأديان'.

مستشرق انجليزي إسرائيلي باسم موريس فيدال بورتمان، والذي كان عضواً في بلاط لورد لايتون نائب الملك في الهند³⁶، وأعلن في ذلك الحين عن أن ذلك لم يكن إلا إعادة تركيب لمنظمة قديمة بالاسم ذاته في فلورنسا عام 1498، وقد دار في دوائر ثيوزوفية بعينها ما يلي، "لقد كان سويدنبرج و باسكواليس³⁷ و سان مارتان و كازوت و حالياً إيفاس ليفي ينتمون إلى محفل 'إخوان النور *Fratres Lucis*' في حين كان سان جيرمان و ميسمير و كاليوسترو وربما راجون³⁸ أيضاً ينتمون إلى الفرع المصري للأخوة ذاتها".

كما أضيف بشيء من الغلّ أن الفرع المذكور لا علاقة له بمحفل الأخوة الهرمسية في الأقصر بل هو اختراع أنجلوأميريكي³⁹، كما تأكد أن كونت سان جيرمان و مدام بلافاتسكي كانا مبعوثان للمركز ذاته⁴⁰، وحيث إن مدام بلافاتسكي قد أقامت في مصر زمناً فقد كان

³⁶ وهنا لا بد من تصحيح الاضطراب بين الشخصيات بما لا يغير من ملاحظتنا عن الصلات بين الغيبين و السياسة، فقد كان لورد لايتون نائب الملك في الهند هو ذاته الذي كان سفيرا في باريس، ولم يكن هو الذي كتب *Zanoni* ولكنه كان ابنه، أما الكاتب الغيبي سير إدوارد بولوار لايتون فقد وُلِدَ في 25 مايو 1803، ومات في توركاى في 18 يناير 1875، وقد نشر *Zanoni* عام 1842، وتعرّف على إيفاس ليفي في لندن، وقد ذهب ليفي لزيارته مرة أخرى في صحبة الكونتيسة ألكسندرا برانيسكي عام 1861، وسمي بولوار لايتون 'الراعي العظيم' لجمعية الصليب الوردى في إنجلترا، وقاما سويا بالتسييح على سطح البانثيون في لندن، وفي ديسمبر التالي أرسل كينيث المندوب العلمى للجمعية إلى باريس لمقابلة إيفاس ليفي، وحيث إن كتاب 'التاريخ الغريب *L'Estrange Histoire*' قد ظهر عام 1862 في مجلة *Revue Britanique* فكان من المفروض أن العلاقة بين بولوار لايتون وبين إيفاس ليفي قد توطدت بموجب أمر في إلهام هذا العمل.

³⁷ وهو مارتينيز دى باسكواليس مؤسس 'محفل الكهنة المختارون *Elect Coens*'، وقد كان لوى كلود تلميذه قبل أن يطلع على بوهم و جيشتل.

³⁸ وقد كان السبب وراء الاقتراض الأخير أن راجون قد ترجم من الألمانية إلى الفرنسية مخطوطا نشره عام 1821 لأحد الماسونيين الألمان بعنوان *Crata Repoa* عام 1770 يقال إنه يشتمل على طقس التعميد في الأسرار لكهنة مصر القديمة.

³⁹ *Les Cycles* by E.J. Coulomb, in *Kotus Blue*, Nov. 27, 1893. ولو كان ما قيل لنا عن شخصية ميتامون صحيحا فإن إنكار مدام بلافاتسكي عن محفل *HB of L* كان مسليا حقا.

⁴⁰ *Lotus Blue*, Sep., 27, 1895.

المقصود خلق انطباع بأنها على صلة بمحفل *Fratres Lucis*، وهذه الأخويات كانت منبثقة عن المحفل الأبيض العظيم، ولا شك أن هذه طريقة مبهرجة لكثافة التاريخ، وكن لنعد مرة أخرى إلى الأمور الجادة، ونشير إلى أن لورد لايتون الذي ورد اسمه في *Fratres Lucis* على أنه الكاتب الشهير لكتب *Zanoni*، *The Strange History*، و *The Future Race*، وكان 'الراعي العظيم' لجمعية الصليب الوردى، وكان ابنه سفيراً إلى باريس، ولم يكن من قبيل الصدف أن يظهر اسمه في كل منحى من تاريخ الغيبية، فقد كان اسم أحد أقاربه قطعاً في لندن، وقد قام إلفاس ليفي بأدعية أبلونيوس التيانى، والتي وصفها بأنها "عقيدة كبار السحرة وشعيرتهم"، ويبد أن غايتها معرفة سر اجتماعى بعينه، وكل هذه المعلومات ضرورة لمن يدرس الجانب الخفى للسياسة فى الغيبية المعاصرة والمؤسسات التى ارتبطت بها على نحو غير مباشر، ولا شك أن هذا الجانب الخفى له أهمية أكثر من الشوشرة التى تحيط بها بحجة تسويغها فى عيون الدنيويين.

30 الخاتمة

لقد كان غرضنا من هذه الدراسة قبل أى شئ آخر توفير مصدر للمعلومات بجمعها في وثيقة توفى بهذا الغرض، وقد كانت عناصرها مبعثرة في كل أين، وكان بعضها عصياً على اطلاع كل من لا تساعده في بحثه ظروف استثنائية، أما عن المذاهب ذاتها فلولا أننا اعتقدنا في فائدة طرحها على نحو أوفر مما فعلنا فإن ذلك راجع لعدم ثباتها الواضح، وقد وفرنا هنا الاقتباسات اللازمة لدحضها اتفاقاً مع مناهضوهم، وأسلم الطرق لتفنيدها هو طرحها باختصار كما يتحدث روادها¹، ونرى أن أفضل الطرق لمقاومة الثيوزوفية طرح تاريخها بما هي، وترك للقارئ استنتاج ما يسهل إدراكه، فقد أوردنا بالتأكيد ما يكفي الذين صبروا على متابعتنا حتى نهايته لكي يحكموا عليها حكماً قاطعاً، ونقول لغير المنحازين أن الثيوزوفية تبدو كفكاهة سخيفة لا أمراً جدياً، لكن لسوء الطالع أن كثيراً من البسطاء وقعوا ضحايا لها، ولا زالت في سبيل تضليل غيرهم، وتقول مسز بيسانت "إن الجمعية الثيوزوفية والمنظمات التابعة لها قد بلغ تعدادها عشرين ألف عضو عامل عام 1913"²، وهذا هو السبب الرئيسى الذى جعلنا نتجشم عناء هذا

¹ *La Nouvelle Theosophie, by Rev. de Grandmaison, p 54.*

² 'قضية مدراس' ص 54، وقد نشأت في هذه الحقبة 'جمعيات ثيوزوفية قومية' في كل من إنجلترا واسكتلندا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وسكاندينافيا وألمانيا وبوهيميا والمجر وسويسرا وإيطاليا وروسيا وفنلندا والولايات المتحدة وأمريكا الوسطى والهند وأستراليا ونيوزيلاند وجنوب أفريقيا وأسبانيا وأميركا الجنوبية، وكان لها فروع ثيوزوفية أخرى يدير كل منها 'نائب الرئيس'، ومن الثابت أن تعداد الثيوزوفيين قد ارتفع بدرجة ملحوظة بعد الحرب العالمية الأولى، ويدعون اليوم أنهم بلغوا خمسين ألفاً عدداً في مؤتمر باريس الذى شاركت فيه 33 دولة. وتشتمل الجمعية الثيوزوفية على 36 قسماً 'قومياً' للجمعية كما ورد في *Bulletin Theosophique* في أميركا وإنجلترا والهند وأستراليا والسويد ونيوزيلاند وهولندا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وكوبا والمجر وفلاندا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا وجنوب أفريقيا واسكتلندا وسويسرا وبلجيكا والهند الهولندية وبورما والنمسا والنرويج ومصر والدانيمرك وأيرلندا والمكسيك و شيلي والأرجنتين والبرازيل وبلغاريا وأيسلاندا وأسبانيا والبرتغال وويلز.

العمل، ولا بد من قول إن الجمعية الثيوزوفية ليست بلا فائدة بذاتها، فقد كانت معلّمة في جوانب متنوعة، حتى إنها طرحت أسئلة نادرة أشرنا إليها عَرَضاً في سياقنا، لكن معالجتها على نحو أعمق ستجبرنا على الاستفاضة في أمور تخرج بنا عن حدود الدراسة الحالية.

ولا ندعى أن معالجتنا قد بلغت الكمال في كل نقاطها، ولكنها كافية لعلم أصحاب النوايا الطيبة، كما أنها مفيدة للثيوزوفيين ذاتهم لكي يعرفوا أننا على علم بتاريخ بعض الدقائق، ونؤكد لهم كذلك أننا على علم أفضل مما يعلم كثير منهم لكي نوفر عليهم وصمنا 'بالجهل' الذي يهتمون به مناوئوا جمعيتهم، والحق إننا لاحظنا آسفون أن البعض قد عرّض نفسه للملام إما من حيث المنظور التاريخي وأما من حيث المعالجة النظرية، وبهذا الصدد نقول إن نشرة بعنوان 'الكنيسة والثيوزوفية' *L'Eglise et la Theosophie* التي تردد ما جاء في محاضرة ألقاها أحد الثيوزوفيين ردّاً على هجوم بعينه³، والذي ذكر فيه بلا تعليق دراسة أخرى لنا بعنوان الدراسة الحالية إلا أنها كانت أقلّ تدقيقاً، وقد نشرناها في مجلة *Revue de Philosophie*⁴، وكانت لاتزال في بداية إعدادها⁵.

³ وقد كانت محاضرة جورج شيفرييه بتاريخ 6 مارس 1921 في مقر قيادة الجمعية الثيوزوفية، وكان رئيس 'القسم الجوّاني' في باريس، وهو ما يضيف شيئاً من الأهمية على تصريحاته، وفي أكتوبر 1922 استقال شيفرييه من رئاسة 'القسم الجوّاني'، وخلفته آن بليخ شقيقة السكرتير العام للجمعية الثيوزوفية الفرنسية.

⁴ وإبان الفترة من يناير شهرياً إلى أغسطس 1921، ولا ينبغي خلط اسم مجلة *Revue de Philosophie* بمجلة أخرى باسم *Revue Philosophique*، وهي مجلة جامعية، ولو لفتنا النظر إلى ذلك فلأن ثيوزوفياً ظن أنه يجد عدم مقابسة بين ما جاء في مقالنا المذكور وبين كتابنا هذا، كما اعترض على عدم احترامنا لما يسمى 'العلوم الرسمية' *Official Science*.

⁵ وحيث إن الإشارة عن محاضرة شيفرييه عن *L'Eglise et la Theosophie* قد طُبعت في عدة مناسبات كما أنها نُشرت مؤخراً بإسهاب أكثر فإننا نؤكد مرة أخرى على استقلالنا التام، كما نصرّح بالأسباب الحقيقية لكتابة هذا العمل، وأولها ما كان جلياً لكافة الأفهام هو رؤية أن الثيوزوفية من أخطر الرزايا على العقلية المعاصرة، ونرى أن من المناسب إنكار هذا الخطأ عندما بدأ في الانتشار على نحو لا سابق له في خضم الخلل الذي أعقب الحرب العالمية الأولى، وهو أمر ذكرناه سلفاً في سياق الحديث عن الأرواحية *spiritism* بعد فترة وجيزة، كما أن السبب الثاني كان الأهمية الخاصة التي أضفت على هذا المشروع طابع الاستعجال هي الحديث عن مذاهب التراث الهندوسي الأصيل، ورأينا ضرورة بيان انعدام العلاقة بينها وبين

أما الكاتب المناوئ للنشرة المذكورة فقد لقي نقداً مبرراً لأنه كرر عرض نظريتنا 'التناسخ' و'الكارما' دون أن يذكر 'التطور' حتى مرة واحدة، ونعتقد أن لهذا النقد ما يبرره، لكنه لا ينبغي أن ينطبق علينا قصور الذاكرة ذاته، فقد طرحنا فكرة التطور باعتبارها قلب المذهب الشيوزوقى، وكان يجدر الهجوم على هذه الفكرة قبل أى شىء آخر، فلو أشهدنا الناس على فهايتها فسوف ينهار كل شىء تحت ثقله، وهو دحض فعال على نحو أشد من الادعاءات العاطفية التى تناقض 'الكارما' والتناسخ، ولا قيمة لها أكثر من زعم الشيوزوفيون أنفسهم، وبالطبع لن تتمكن من النقد التفصيلى لنظرية التطور هنا، وهو أمر سهل، ولكننا فحسب نبتغى بيان أن الشيوزوفية أحد الصور التى تلبسها التطور، وهو نقطة انطلاق ما يقرب من كل الضلال الحديث، وترجع سمعته فى زماننا إلى ككلة وحشية من الحقد.

وقد صادفنا ملاماً آخر فى المنشور ذاته من جراء قولنا إن "الاضطراب بين طبيعة الوسائل المعرفية التى يعزى إليها الأدب الشيوزوقى" ودون الغوص إلى جذورها لمعرفة ما إذا كان ذلك 'الاضطراب' شديداً كما يزعمون، ونقدّم ملحوظة بسيطة، إن المناوئ المقصود كان مخطئاً فى عزو 'نظرية المعرفة' إلى الشيوزوفية، والواقع أنه لا يكافئ منظورهم، وكان الاضطراب ناشئاً بين المنظور الشيوزوقى بما هو وبين الفلسفة، وبالتدقيق 'الفلسفة الحديثة'، لكن الشيوزوفيون بالطبع لديهم ما يكفى ويزيد من الغباوه، وليسوا بحاجة إلى اعتبار غباوة الآخرين! ونعتقد أن هناك ملحوظة أخرى، وهى أن البعض يندهش من أن كل ما كتبنا يخلو من كلمة 'الشرك' *panthiesm* التى توجد فى جميع الأديان، ولكن ذلك كان مقصدنا من الاستنكاف عن استخدامها، ونحن على وعى تام بأن الشيوزوفيين أو بعضهم على الأقل يفخرون بأنهم 'مشركين'، لكن هذا الاصطلاح مزدوج الدلالة *equivocal*، وقد استخدم فى مذاهب عدة حتى إن المرء لا يعلم فى النهاية ما تعنى تحديداً عندما تُقال، وتتطلب عدة احتياطات قبل

.....

الشيوزوفية، والتى كان مناوئها أنفسهم يلتزمون بادعائها كما أضحنا سلفاً، وحتى نحل التخليط التى فشا فى العالم الغربى كان لا بد لنا من إثبات زيف الشيوزوفية، كما أن بعض الأصدقاء الهندوس الذين كانوا مرجعاً لنا قد راودتهم فكرة هذا الكتاب منذ زمن، ورجم كل ما زعمه الشيوزوفيون الذين نتفق مع مصالحتهم فى شن الهجوم على أصول الترائيين من أمثالنا، ولم يقم بدور فى هذه الحملة أحد من الكنيسة ولا من الجيزويت ولا أية مؤسسة غربية.

استخدامها لتجنب الاضطراب، كما يبدو أنها عند البعض تتخذ موقع أى اتهام جاد، وبمجرد استخدامها فى أى مذهب سواء أخطأوا أم أصابوا فإنهم يعتقدون أنهم لا غبار عليهم ولا حاجة بهم إلى فحصها وتحيصها، وهذه أساليب فى الجدل لم تكن ولن تكون من شأننا.

ولا زالت هناك نقطة ثالثة فى الإجابة ذاتها ننظر إليها برضى غامرٍ بموجب أنها تؤيد طريقتنا فى رؤية الأمور، وهى فى الواقع احتجاج على "وضع الثيوزوفية على قدم المساواة مع البراهمانية والهندوسية"، ولم يكن الثيوزوفيون على الدوام يتحدثون على هذا المنوال بل يتعدون عنه حيث إنهم أول من أوجد هذا التماهى المغلوط، وهو خطل أشد مما يدعونه اليوم، ولو كانوا قد وصلوا إلى هذه النقطة فذلك لأن التماهى المغلوط الذى كان سنداً لهم أول الأمر قد أصبح عبئاً محرّجاً لهم فى 'جوانيتهم المسيحية'، وكان بالتالى خطل آخر يضاف إلى أخطائهم، وبدون أن ننصح كل الناس نعتقد أن معظم المناوئين للثيوزوفية عليهم الحذر من الوقوع فى أخطاء أخرى فى المستقبل بدلاً من استخدامهم نقد الثيوزوفية مبرراً لإهانة الهندوس كما سمعنا عن الكاريكاتير الذى صوراً به الهندوسية التى لا يعلمون عنها شيئاً، وكان يجدر بهم ككفاء طبيعيين فى هذا الصراع، وفضلاً عن هذا السبب يَكُنُّ الهندوس احتقاراً عميقاً للثيوزوفية، ولا يقبلونها كما لا يقبلها المسيحيون، أو بمعنى عام كل الذين ينتمون إلى مذهب تراثى بحق.

وأخيراً هناك فقرة لا بد لنا من اقتباسها، وخاصة لأسباب تتعلق بنا، فبعد أن قال

المحاضر إن الثيوزوفية لا تناقض أى دين كان يترسل كما يلى،

"...وسوف يقال لنا إن كل شىء على ما يُرام، لكن يبقى حقيقياً أنك تهاجم الدين

بموجب ادعاء نظريات تناقض حقائق هذا الدين، ولكن لماذا لا نحيل هذه القضية إلى 'العلم الرسمى official science'، وخاصة أن علماء الأحياء فى كلية العلوم قد أعلنوا عن نظريات لها مقولات فى صالح هذه النظرية...؟ فهل تُسبغ على العلم حقاً أنكرته على الثيوزوفية لأنها قد تكون فى منظورك ديناً أو بالحريّ 'دين زائف pseudo-religion' كما قال الكاتب، والذى نشر

كتابه على حلقات في مجلة *Revue de Philosophie*؟ وهذا رأى لا نستطيع قبوله، ورغم أننا نسعى إلى الحقيقة بمنهج غير مناهج العلم الحديث فإن لنا الحق في قول ما نعتقد أنه الحق⁶.

ولا نعلم ما قد يرغب الآخرون في قوله بهذا الصدد، أما نحن فإن ردنا بسيط للغاية، إننا لا نحترم على الإطلاق كل ما هو علم 'حديث' ولا علم 'رسمي' من حيث مناهجه ونظرياته، وقد برهننا على ذلك في موضع آخر فيما ذكرنا عن 'التطورية' *evolutionism*، ولذا لا نعترف للعلم الحديث ولا للفلسفة الحديثة بحقوق إلا بقدر ما نحمل للثيوزوفية، وبالمناسبة فإننا على استعداد لو أُتيحت الفرصة لدحض كل ما يفعله الدارسون 'الرسميون'، إلا أننا نُقرُّ لهم بالصرحة التي يفتقدها الثيوزوفيون، ولا نأمل إلا استنارة أكبر عدد ممكن، فنحن نعلم أن كثيراً من 'الرسميين' قد انضموا إلى الجمعية الثيوزوفية على سبيل حب الاستطلاع أو الوهم الباطل أو الجهل بتاريخها وبكافة تعاليمها، وربما كانت عقول ألك أقل تشوهاً، ولكن بمرور الزمن ومخالطة تلك الدوائر ينتهي بهم إلى اتباعها نعلًا بنعلٍ.

ونضيف هنا كلمات قلائل، فلسنا من الذين يعشقون 'الحديث باسم العلم' أو باسم 'الكنيسة' لأننا نفتقد المؤهلات لكليهما، ولو كان الثيوزوفيون قد توهموا شيئاً من ذلك فليتخلصوا من أوهامهم، كما أننا لا نصدِّق أن معارضوهم من الكهنة يفعلون ذلك باسم الكنيسة بل بأسمائهم الشخصية، ولم نندخل الكنيسة في هذا الأمر إلا مرة واحدة أدانت فيها الثيوزوفية وأعلنت رسمياً "استحالة أن تتفق مذاهبها مع الكاثوليكية"⁷، وعلى كلٍ فإن المسلك الذي اتخذناه حيال ما نعلم أنه خطئٌ خطير على العقلية المعاصرة وقد جرى تبنيه باستقلال تام عن الأصول، ولا صلة لنا بأية حملة كانت حتى إننا لا نرغب في معرفة ما إذا كان هناك حملة أم لم تكن، لكنه أمر يبعث على الشك، ولو كان الثيوزوفيون يرغبون في أن يعلموا سبب

⁶ *L'Eglise et la Tesophie*, p 8.

⁷ قرار المجمع المقدس في 19 يوليو 1919، *Acta Apostolica Sedis*، في 1 أغسطس 1919 p 317، وقد سوغ هذا القرار الأب جيوفاني بوسنللي في مقال بعنوان 'ثيوزوفية واللاهوت' في مجلة *Gregotianum* في يناير 1920، وظهرت له ترجمة فرنسية في مجلة *Documentation Catholique* عدد 10-17 سبتمبر 1921.

سلوكنا هذا فإننا نؤكد لهم "إننا نعتبر أن ترجمتهم للهندوسية واغتصابها على هذا المنوال من قبيل الصفاقة، وعندنا أنه ليس هناك حقوق تعلق على الحقيقة".

عروض الكتب

Eugen Lennhoff,

Histoire des Sociétés politique secrètes au XIX et au XX siecle.

يطرح هذا الكتاب تصويراً مدهشاً لما ذكرنا في موضع آخر من منظمات سرية، وقد كان عنوان 'سياسي' *politique* يشتمل على أمثلة من الأنواع التي وصفناها، مثل الديسمبريون في روسيا والجماعات الأيرلندية واليد السوداء في الصرب والبوسنة، والتي لم تكن إلا جماعات من المتآمرين السياسيين، ولكننا نرى في الكاربوناري أمراً آخر من حيث إصولها على الأقل، ولكن هذا العرض التاريخي المختصر لن يسمح إلا باقتباس عبارات من شعائرها، وربما كانت 'جمعية هونج' الصينية باسم معتاد يتجمع تحته عدة منظمات مؤقتة، والتي ذكرنا سلفاً أنها من أصل التراث الطاوي رغم أنها تستعير أحياناً من التراث البوذي، وحتى من التراث المسيحي في حالة جمعية تاي بينج، وأخيراً جمعية كو كلوكس كلان التي نشأت في أميركا، والتي ليست إلا أحد الكاريكاتيرات الشائعة للمنظومات التعميدية التي تجل عن الحصر، ومعظمها ليس خبيثاً، أما الأخيرة فقد أدينت في كثير من جرائم القتل والحرائق، ويبدو أن الترح كان الغرض من تأسيسها كما هو الحال غالباً، ويبدو أن الكاتب لم يع هذه الفوارق بوضوح، ويجوز لومه على وضع كل الأمور على المستوى ذاته، إلا أن الكتاب إسهام مهم في دراسة ما يسمى 'تاريخ العمل السري' في زمننا.

Ludowic Réhaut .

L'Instructeur du Mond, Krishnamurti.

لاشك أن هذا الكاتب هو الثيوزوفى الوحيد الذى جرؤ أن يكون أميناً دون أن يحاول إخفاء 'أو مصالحة' شيء ليبين الخلاف الذى نشأ بين كريشنامورتى وقادة الجمعية الثيوزوفية، وهو أعظم إدانة دامغة، فقد كانوا أحد نماذج الازدواجية الذى لا سابق له، والكاتب فى هذا الصدد وثيقة تستحق أعظم اهتمام، أما عن إعجاب الكاتب بشخصية كريشنامورتى وشكوكه فى أنه حقاً 'معلم العالم' فذلك بالطبع أمر آخر ولا بد من تحفظنا حياله، وقد كان كريشنامورتى محققاً على وجه اليقين فى رفض النير الذى فرض عليه فرضاً، ونسلم بأن مثل هذا الأمر يتطلب شجاعة عظيمة وقوة شخصية تستحق الثناء، ولكن ذلك لا يكفى للبرهان على أنه كان يحمل 'رسالة' غير عادية، إلا أنها مختلفة عما قصد إليه المدرِّبون، حتى إنه احتقر 'الجمعيات' والاحتفالات، وهو كذلك أمر طيب، ولكن هناك متاهة بين ذلك وبين عدائه لكل الأديان ورفض أى نوع من التعميد، وله العذر فى ذلك لأن الدين الذى عرفه كان لم يجلب سوى التزييف على منوال الكنيسة الليبرالية الكاثوليكية والماسونية المختلطة والمدرسة الجوانية فى الجمعية الثيوزوفية، ولكن لو كان كما يقول حقاً لعرف أن ما يسمى الدين والتعميد أمر مختلف تماماً، والواقع أنه لم يعرف ما يشكل جوهر كل الأديان،... فإذا عن 'المعلم' الذى لا يعلم شيئاً وليس عنده ما يعلمه؟ وينكر صراحة أن له مذهب، ولكن لأى غرض يتحدث؟ وباختصار فإن كل شيء عنده قد تحدد فى صيغ غامضة، وهذا الغموض خطر بموجب أن المرء يرى فيه ما يجب أن يرى، لكن الذين لا تُضللهم الكلمات لن يجدوا فى ذلك مسرّة، ولنشر إلى واقعة عجيبة بهذا الصدد، فقد أُجرى بحث فى كافة السوترات البوذية والأناجيل ورسائل القديس بولس عن أى شيء يتفق مع أقوال كريشنامورتى، ولكن لو وجد شيء يناقض ما أرادوا لاعتبروه 'دسياسة مُقحمة'، وهذه الطريقة جديرة بالاتباع فى تفاسير الحداثيين وتناسبهم تماماً! وأخيراً نقول لو كان كريشنامورتى قد 'تحرر' أى أصبح 'جيفان موكتى' بمعنى الكلمة فلن يتماهى مع 'الحياة' بل سيكون فيما وراءها، كما سيكون كذلك حيال أى أمر آخر مشروط بالوجود العرّضى، وهذا النوع من الفيضية 'الحيوية' لا بأس به فى خضم ميول العالم الحديث، وهو هنا ثمرة تدل على شجرة... وحينما يتكلم كريشنامورتى عن "الذين سيكونون اللهب" فنذا الذى يجرؤ على تفسير هذا التعبير؟

يمكن اعتبار هذا الكُتيب 'تصويراً' لما طرحناه سلفاً عن الاضطراب السائر بين 'النفسي' و'الروحي'، والتعريف التالي فحسب هو القول الفصل في المسألة، "إن الأسرارية ذاتها علم تجريبي للاشعور، والتي تسرى تماماً في أسرار القوى النفسية الغامضة للمنظومة الإنسانية"، ويبدى الكاتب احتراماً زائداً لعلم النفس الراهن لأن "الاشعور يقوم بدوره الجسمي في استعادة وظيفته الأولانية في حياة الإنسان، ويعتمد وعينا الهش على ظلامه الحى الذى لا يدرك في حركته إلى الأبد"، ويرافق كل ذلك 'تطورية' بعينها في منظورها 'الكوزمولوجي' البعيد المنال، ومن ناحية أخرى هناك مبالغة غريبة في تحديد دور الجسد، ولاشك أنه يمثل حالاً من أحوال وجودنا، ويرتبط عن قرب بصيغ كياننا، ولكن ذلك لا يعنى أنه 'بنية من النفس الصرف pure psych'، ويعنى أقل من ذلك أنه 'بنية روحية'، وهنا نجد مرة أخرى غياب أية فكرة عن بنية أحوال الوجود، فنحن في حال اضطراب سابغ، كما أن هناك اضطراب خاص يتعلق بالأسرارية ذاتها، ولا يعلم الكاتب معنى قولها "الأسرارية المتكاملة *integral mysticism*" في الأسرارية الغريبة، ولكنه وجدها فيما تسميه "الأسرارية الآسيوية"، والتي هي على الحقيقة أمر مختلف تماماً، زد على ذلك أن مفهومها لتلك الأسرارية المتكاملة أنها لا تكتمل إلا في التبت، فلماذا كانت التبت وليس أى بلد آخر من الشرق إن لم يكن صيت التبت زاخراً بإنتاج 'الظواهر الخارقة'؟، فالتراث التبتى تعميدى وليس أسرارياً، ولا يرى هنا إلا في جوانبه النفسية أو حتى النفسية العضوية، وهو ما يعنى اتخاذ الوسائل كغايات، وكل ذلك لا يعنى إلا أن الكائن عبارة عن حال 'اغتراب حى' ينتهى إلى "الغوص في محيط النفس الذى لا قرار له"... والحق إن ذلك شىء مرعب، فهو أمر يتعلق بإمكانات الكائن، لكن التعميد يمكن للإمكانات الدونية لها حتى ينتصر عليها في النهاية، وتكاتب كهذا يترك انطباعاً مؤلماً، وما ينصح به الإنسان أن يخطو خطوة إلى الخلف لن تأخذه إلى الروح الحق بل إلى 'توحد كوني cosmic communion' مع القوى السفلية للإنسان، ذلك لأنها ليست 'قوى روحية' تحكم محيط النفسية العنصرية العميق بمعنى لكلمة!

إن محتويات هذا الكتاب الجسيم يمكن أن تكون مادة كافية لبعض الكتب، والاستطرادات الشتى تزيد من صعوبة متابعة المعنى كما تفتقد الصلات الدلالية بينها لو كان لتلك الصلات وجود،... أما عن الأفكار السويدنبرجية ذاتها وخاصة ما تعلق منها بصلة العقل بالجسد، وهو ما أسماه *Jimbo*، لكن الكتاب على كلٍ يتميز بأهمية تاريخية، لكن الاعتراضات على الأرواحية التي دفع بها الكاتب على شيء من التهافت، وذلك أمر محتوم بموجب أن الأرواحيين يحتكمون على مسوغاتهم الأساسية، أى إمكان الاتصال الحقيقي بالموتى حتى إن الاستنكاف عنها أفضل كثيراً من معالجتها، لكن أهمية ذلك ثانوية، كما ركز طرح التناسخ على 'موضوعات جانبية'، وقد كررنا مراراً أن العامل الوحيد الحاسم هو البرهان الميتافيزيقي على استحالتها، أما عن طرح باقى الأمور فليس موضعها هنا، والتي رأى سويدنبرج أنها 'العالم الروحى *spiritual world*'، وربما كانت اللغة أحياناً عائقاً للفكر، لكن العجيب هو أن العالم الروحى لا يحتوى إلا على أرواح من أصل إنسانى بما فيها الملائكة ذاتها، وهو تحديد غريب لكلية القدرة!

Dr Alexander Cannon,

L'Influence invisible.

إن هذا الكتاب مطروح بصفته 'وحيًا من الأسرار التبتية'، ويعقب الكاتب على اسمه بعدة سطور من المسوغات الأكاديمية والألقاب الطيبة يتبعها "يوجى كوشوج جنوب التبت والمعلم الخامس للمحفل الأبيض العظيم فى الهيمالايا"، وقد علمنا بعد قراءته أنه استضاف 'اللاما الأعظم نونيرى'، كذا، وهو أعلى مرتبة بلقب *Knigt Commander of Asia* والتي تكافئ لقب كونت فى المملكة المتحدة! وكل ذلك عميق الأثر حتى إنه يزيد من الثقة، والواقع أنه عندما تفحصنا الكتاب وجدنا أن هذا 'الأستاذ *Master*' يتحدث عن التنويم والتخاطر وبعض الظواهر النفسية، ويطرحها على منوال غربى صرف، ولم أجد فى هذا الركام 'سراً' واحداً حتى لو كان شاحباً وسواءً أكان تبتياً أم غير ذلك، ولم يرد فيه أى ذكر للمذهب،... ويجوز لنا القول إن هذا الكتاب ركيك التأليف ولا يربو عن ركام من الحدیثات والطرائف

بلا رابط إلا عنوان المسلسل لما يسمى 'محاورات' جرت في سياق رحلته، ولسنا واعون بمن كان يحاوره، كما أنه ينطوى على أمور لا احتمال لها على منوال أن شخصاً قرأ كتاباً لفيثاغورس أو 'لرجل حكيم' ثم يستسلم لتنويم ثعبان!! وقد كانت بعض ذكريات الكاتب مصدر انطباع بأش لنا، لكننا قابلنا كثيراً من ذلك غيره، وحتى استطراده في حكاية النبي الكسيح التي جاءت خلفية لكل هذا الطين تذكرنا بقصة قرأناها في الصبي، وللأسف لا نذكر بياناتها، فلا داعي لإرهاق ذاكرتنا بما لا تطيق، زد على ذلك أن الكاتب يناقض نفسه، وربما نسي أنه بنى مشهده في كهف كما تطلبت تجربته، حيث وضع به مائدة تزينها ساعة! وأخيراً إشارته لعودته إلى 'انجلترا العزيزة' بعد شهور أمضاها في بيداء التبت، والتي تتم عن حقيقة عقلية هذا المتعمد في الشرق... ورأينا منذ عدة سنوات مضت حتى الآن أفواجا من 'المتعمدين في الشرق' تجمع بينهم صفة أنهم مُرسلين من 'المحفل الأبيض العظيم' الذي اخترعه الثيوزوفيون، ولا مناص من أن نضيف نقطة أخرى عن ماهية النوايا التي تستر وراء كل ذلك؟ ومن دواعي الأسف أن كثيراً من الناس قد انخدعوا بهذه الأمور، وهو ما جعلنا نشعر بالتزام الحديث عنها بأكثر مما تستحق، وقد تكون بلا فائدة إلا أن مخاطرها الحقيقية تتفاقم في زماننا.

Rudolf Steiner,

L'Evangile de Saint Jean.

تشتمل هذه الترجمة الفرنسية على اثني عشر محاضرة ألقيت في هامبورج عام 1908، ويبدوها الكاتب مصيباً بانتقاد مناهج التفسير الحديثة ونتائجها الوخيمة، إلا أن محاولته في مصالحة إنجيل يوحنا على مفهومه الأنثروبوصوفي كانت مُغرقة في الخيال على أقل تقدير، ويبدو في الواقع أنه حاول صياغة فكرة 'التطور' الإنساني على منوال يذكرنا بكتاب مدام بلافاتسكي *Secret Doctrine* أكثر من تراث الصليب الوردى، كما أن ما أسماه 'العلوم الروحية' لن يكون كذلك لولا الاضطراب الحديث الذي عاجلناه في موضع آخر، فيبدو أنه يرى أن 'الروحانية *spiritual*' مرادف قريب من مفهوم 'الخفية *invisible*'، كما أن مفهومه للتعميد قد تأثر سلباً بهذا الخلط، فهو يدفع بأنه جاء من المسيح الذي أتاح لكل الناس معرفة الأسرار القديمة المحفوظة للمختارين القلائل من الصفوة، وهكذا فقد التعميد غاية وجوده، كما يتحدث عما أسماه

'التعميد المسيحي' و'تعميد الصليب الوردى' الذى يفرق بينهما كما يبدو، وليس من السهل إدراك كيف 'يتصالح' كل ذلك!

Alice A. Baley,

Les Trois prochaines années

إننا نذكر أننا صادفنا محتويات هذه النشرة من قبل فى عدة مقالات فى مجلات مختلفة ذات مذاق ثيوزوفى بتوقيع Tibetan مجهول الاسم، ألا يكون هذا التبتى المجهول هو مسز بيلي ذاتها؟ أم كان وجوده 'نجمياً' *Astral* فحسب، وهو ما يربو إلى الأمر ذاته؟ والحق إننا لسنا على يقين تام لأن 'التبتى' المذكور يشبه شخصية ظهرت لنا تجلياتها من نواح عدة... وليكن فى ذلك ما يكون، لكن من المفروض أنه قام فى 'بنية' *hierarchy* افتراضية لا يستعصى فيها التعرف على 'المحفل الأبيض العظيم' المشهور، والذى جرى اعتباره 'صحبة من البصائر المستنيرة'، ويُفترض أنه قام بتأسيس 'جماعة حرفيو العصر الجديد' لتنفيذ هذا 'المخطط'، ويقال إن أعضاء هذه الجماعة يتواصلون مع بعضهم بعضاً ذاتياً وحدسياً وأحياناً بالتخاطر، وحسب ما قيل فإن أعمالهم يجوز أن تجرى فى أشد الأمور دنيوية، وقد نجد بينهم سياسيين ورجال أعمال! وليس فى ذلك كله بذاته ما يثير اهتمامنا إلا الإشارة مرة أخرى إلى تلك القصص الخيالية التى تدور فى أيامنا والخطر الذى تنطوى عليه، ولا بد أن الذين يُلهمون بها لديهم 'خطة مشبوهة' على منوال 'مناهضة التعميد' أو 'التعميد الزائف'، وربما كان هناك 'دسائس' أبعد مما نحب تصديقه...

Rudolf Steiner,

Mythes et Mysteres Egyptienes

وقد استنكف الكاتب طوال المحاضرات الاثنى عشر فى لايبزيغ عام 1908 عن تفسير الرموز بإصرار غريب، ويطمح إلى أن يرى فيها ما سماه 'حقائق روحية'، والذى يعنى بها أحداثاً وقعت فى برهة من تاريخ الإنسانية النفسى، وحتى لو كانت فى النطاق الأثيرى، فإن

مفهومه 'للروحانية' شديد الغموض كما أشرنا في كتاب آخر... ونجد فيه قصصاً لا تُستساغ عن 'أجناس *races*' و'فروع أجناس *subraces*'، وما يُدهش دائماً واقع أنها مأخوذة مباشرة من كتاب 'المذهب السرى' لمدام بلافاتسكى.

Rudolf Steiner,

L'Apparition des Sciences naturelles

وهذا الكتاب كسابقه من سلسلة محاضرات ألقاها في دورناك عامي 1922-23 عن 'تاريخ الأفكار' التي يعالجها بطريقته الخاصة، ولا جدال في أن العلوم الحديثة تتصل اتصالاً وثيقاً ببناء عقلية مختلفة تماماً عن عقلية الزمان الأقدم، لكن الطبيعة الحقيقية للتغير الذي جرى في القرون الأخيرة ليس ما يوصف هنا، كما أن وجهات النظر التي تتعلق بمناهج المعرفة عند الأقدمين تذكرنا بروايات 'العرّافين *clairvoyants*' ولا تستحق النظر.

Peter Deunov,

Le Maitre parl

لقد كانت كلمات ذلك الأستاذ البلغاري ساذجة بشكل مؤسف، وكان المبرر الوحيد لذكرها أنها كانت تصف "أخوة كلية نبيلة"، والتي يبدو دستورهما مثل دستور 'المحفل الأبيض العظيم'، وبتكاثر الروايات من هذا النوع إلى درجة أن نرى فيها عَرَضاً يثير القلق.

Paul Brunton,

A Search in Secret Egypt

وقد نشر قبل هذا الكتاب كتاباً بعنوان *A Search in Secret India*، والذي عرضنا له بعد نشره، وقد انكب الآن على تأليف كتاب آخر يشاكله في العنوان عن مصر، ولكن لا بد أن نقول بمنتهى الصراحة أن الكتاب الثاني هابط عن الأول بشوط واسع، وقد أصبحت الميول

'الصحافية' التي لاحظناها في الكتاب السابق تعيثُ فساداً في هذا الكتاب، وهو على شاكله كل الأجناب مهم بمصر القديمة أكثر من اهتمامه بمصر المعاصرة، فلم تكن علاقته بها في صالحه، وعجبنا لما جعله يرى أهمية 'الفقير طاهرة بك' الذي يستطيع صنع 'ظواهر'، وهو معروف في صالات الرقص في أوروبا وأميركا، وهو مالا يتفق وعنوان الكتاب،... كما أن هناك باباً عن 'ساحر' بلا اسم، ورغم أنه يدعى إنه "الساحر من جانب الله" إلا أنه لا يربو عن مهرج ماهر، وفي باب آخر يتحدث الكاتب عن منوم مغناطيسى يعمل بوسائل غريبة سائدة، ورغم ذلك فإنه في الواقع يهودى مصرى أصيل، وقد خلط الكاتب بينه وبين رجل فرنسى تعرف فيه على الحديث "بالطريقة الحيوية التي يتميز بها جنسه"، ويتبع الفكرة الشائعة عن الفرنسيين عند الانجليز! وقد كان الباب الذي يعالج 'الرفاعي snake charmer' أكثر إمتاعاً حتى لو كانت تلك الوقائع أمور روتينيه، ويذهب من الضبابي الكالح إلى محاولة استنتاج بقاء ما سماه 'عبادة الثعابين snake cult' من قديم الأزل.

أما عن معالجته لمصر القديمة فلا نملك إلا ملاحظة أنه يسبغ على رؤاه وأحلامه أهمية زائدة، والتي لم تكن ضرورة لأفكار ما بعد الطوفان وأصل الأهرام وأبى الهول الأطلنطي، فيبدو لنا أن تلك الأفكار قد وردت في كثير من الكتب، وقد أمضى الكاتب ليلة في الهرم الأكبر حيث واثته رؤى عن التعميد، ولكنها اتخذت منحى يذكرنا بالتجسيدات النجمية astral replications العزيزة على قلوب الغيبين، ولا شك أنها كان من رواسب دراساته المبكرة، ونحن نسلم بأن الهرم الأكبر قد كان موضعاً للتعميد، ونرى في هذه الفرضية شيئاً يمكن تصديقه على الأقل أكثر من غيرها مما انتقده الكاتب، وحتى لو كان على ذلك برهان فسوف نبقى على جهلنا لطرق التعميد المصرية القديمة، كما أن بعض التنويهات عن قدماء الكتاب لا تكفى لتكوين فكرة أولية عنها، ويذكر الكاتب في النهاية لقاءه براهب! حدثه عن مخاطر بعض الحفريات في الجبانة القديمة، ولم يكن الحديث 'متعالياً' على أقل تقدير، ولا نشكك في إخلاص الكاتب بالطبع لكننا نعجب ما إذا كان مخدوعاً فحسب.

Georges Barbin,

Le Secret de la Grand Pyramide au la fin du Mond adamique.

سواءً أكان هناك حقاً 'سراً' للهرم الأكبر كموضع للتعميد كما أشرنا عالية أم كان بفضل اتجاهاته وتناسباته أم حتى لو صحَّ الأمرين كليهما فمن المحتمل أنها بقايا شائهة من تراث قديم، لكن ما يبدو بعيد الاحتمال هو أن يُفلح المحدثون في اكتشاف 'سرِّها'، وقد كُتبت كثير من الأدبيات حول هذه المسألة وعلى الأخص في أبعاد الهرم الأكبر، ويبدو أن سجلات بعينها تتعلق بالهندسة المستوية وهندسة المنحنيات *geodesic* والفلك قد ثبتت، وهذا أمر جدير بالاهتمام، ولكنه فيما وراء ذلك يبدو متشظياً على نحو يثير الخيال باعتباره واقعاً، فهل يمكن أن نعرف على وجه اليقين وحدات القياس التي استخدمها قدماء المصريين؟ ويبدأ الكاتب بسرد ملخص عن الأعمال التي طرحت هذا الموضوع بما فيها من فرضيات غريبة، وعلى شاكلة أن التكوين الداخلي للهرم خارطة لمنابع النيل، وأن 'كتاب الموتى' ليس إلا وصفاً أو تفسيراً للأمر ذاتها، ولا نملك من ناحيتنا المشاركة في تلك الأفكار عندما يقول إن الهندسة والعلوم الأخرى "ليست إلا تعبيراً عن المعرفة الإنسانية" ولا غير، وذلك برهان على أنه لا يفقه شيئاً عن طبيعة العلوم التراثية حتى إنه يخلطها بالعلوم الدنيوية... ولكن لنستمر، فليس ذلك هو الغرض الأصلي لهذه الدراسة، فحتى 'النبؤات' الخيالية التي يدعى أنها اكتشفت بقياسات لا تخلو من الاعتباط، وأن أبعاد الممرات والغرف في الهرم تناظر تواريخ الفترات والحقب، وقد شاعت منذ فترة في إنجلترا على الخصوص وقامت عليها دعايات عجيبة الشأن تدعو إلى الشك، فليست بلا انحيازات بعينها، وكان منها "القبائل المفقودة من بني إسرائيل" وأمور أخرى مرَّ الكاتب عليها بإيجاز، والتي يُحتمل أن تكون لها علاقة واهية بها... وليكن ما يكون في هذا الشأن فكل ذلك عبث واضح حتى إننا لنندهش أن أحداً لم يلاحظه، ولو افترضنا أن بناء الأهرام قد سجلوا بالبناء ذاته 'نبؤات' فذلك قد يكون في أمرين فحسب، فإما تعلق بتاريخ العالم والإنسان وأما كانت مصوغة بأسلوب مخصوص بمصر ذاتها، ولكنها ليست أحدها ولا الأخرى حيث كرس الداعون كل جهودهم قصراً على اليهودية ثم على المسيحية، وبما يدفع المرء إلى الظن أن الأهرام لم تكن آثاراً مصرية بل يهودية مسيحية *Judaio-Christian*! ويحسن أن نضيف أن كل شيء عندهم يُدرك بمرجعية ما أسموه 'التقويم التوراتي' الذي دُبجتة 'الحرفية' البروتستانتية، وهناك فيض من الغرائب المدونة، وهكذا يبدو أنه لم يظهر حدث في العالم بعد المسيحية يستحق التسجيل حتى إنشاء أول خط حديدي، ويبدو أن هؤلاء البنائون القدماء

كانوا يستمتعون بمفهوم حديث حقاً من حيث ترتيب أهمية الأحداث، وهو العنصر الجسيم الذى ينمُّ عن أصلها الحقيقى،...وربما كان من أشد الأمور غرابة أن تاريخ 15-16 سبتمبر 1936 بهذا التدقيق علامة على دخول الجنس البشري عصرًا جديدًا وُبداية تجدد روحى، ولكن لم يحدث فى ذلك اليوم أى حدث مما يزعمون، فإذا يعنى ذلك؟ ويذكر الكاتب فى هذا الصدد توقعات مشاكلة، ومعظمها يثير الشك سواءً أكان بذاتهم أم بطريقة استخدامها، ولكن من ناحيتنا فإننا تستنتج أمرًا واحدًا هو أن استخدام هذه الوسائل يجعل بعض معاصرنا يحاولون أن يصلوا بها إلى 'حال عقلى' يؤهلهم لانتظار تحقق 'شئ ما'، وهو جزء من مخططهم بلا ريب، ولا حاجة لقول إننا لسنا من الذين يمتنون النجاح لعملية 'الروحانية الزائفة'.

Rudolf Steiner,

L'Evagile de Saint Luc.

لقد أقيمت هذه المحاضرات عام 1909 فى بازيل على أعضاء الجمعية الثيوزوفية قبل أن يقطع شتاينر علاقته بها، لكن كثيراً من التفاسير المطروحة فى هذه المحاضرات لازالت خيالية، فيبدو أنه حين يقول القديس 'شهود عيان *eye witnesses*' يترجمونها إلى 'العرافين *clairvoyants*'، ولو كان ذلك ممكناً للثيوزوفيين العاديين، وانتقل من ذلك إلى السجلات الأكاشية *Akashic records* والاستنتاجات التى تنبئ عليها، فقد اكتشفا مثلاً أن بودها هو الذى ظهر للرعاة على شكل 'جيش سماوى'، وأنه كان هناك طفلان من عيسى المسيح أحدهما فى الناصرة والآخر فى بيت لحم، وأن آدم قد حلَّ فى أحدهما وحلَّ زرادشت فى الآخر، وكان لهما تحولات أخرى فيما بعد... ولا نفع فى التفكير فى هذه القصة المعقدة أكثر من ذلك، والحق إن المرء لو أراد أن يحول المسيحية إلى كوم من الركام لما استطاع أن يفعل أفضل من ذلك، وحتى إن لم يكن وراء تلك القصص نيةً مبيتة إلا أنه يجرى توكيدها كوقائع ثابتة مما يزيد من هذا الانطباع، ونقول من أجل الكاتب إننا نفضل أن يكون من اضطلع بهذا الدور واقعاً تحت تأثير إيجاءات لا يملك مقاومتها!

Rene Lacroix- à-L'Henri

Théories et pocédés radiesthésiques

إن في هذا الكتاب جهد واضح لتحديد معنى 'القنقنة'¹ في إطار حدود 'معقولة'، ويبدو أن الكاتب الذي أعلن أنه كاثوليكي كان أعمق وعيا من معظم زملائه بخطورة 'مبالغات' بعينها، فتطبيقات 'العِرافة' تُثير قلقه، وتتفق معه في هذه النقطة، ولكن حينما يقول "إن القنقنة الحقة لا تؤدي إلى الأرواحية بالضرورة" فإنه يخدع نفسه، فرسم الحدود بينهما يكاد يستحيل بأكثر مما تصوّر، أليست هذه التماهيات المغلوطة سببا أساسيا لإطلاق موضوع القنقنة في زماننا؟ كما أنه لا يملك إلا البحث بمناهج يسميها 'عقلانية *mental*' في حين أنها 'نفسية' بالتأكيد، وما يسميه بالطرق 'الصينية' و'المصرية' تقوم على تفسير خيالي لرموز بعينها، أو ما سماه 'عصا بلوتو'، وهو ما لا يُعفيه من التأنيب، أما قائمة 'الموجات السامة' فقد كانت قوى عضوية ونفسية مختلطة على نحو غريب، وحتى لو كان ينتوى تحويل 'القنقنة' إلى علم مادي كما يفهم في الزمن الراهن فلم ينجح كذلك في هذا الصدد، ونعتقد أن ذلك مستحيل ما لم يكن يتحدث عن شيء آخر غيرها، وننبه الكاتب أن المقال عن القنقنة الذي نشر في هذه المجلة منذ عام ليس من أعمالنا، ولكل ما عمل *suum cuique*.

Vladimir Ponzer

Le Mors au aux dents

يطرح هذا الكتاب صورة رومانسية كثيبة من موقف عدائي لسيرة البارون أونجرين شتيرنبرج المليئة بالأحداث، والذي كان من جانب مختلف موضوعاً لكتاب فيردينااند أوسيندوفيسكي 'وحوش وأناسي وأرباب *Beasts, Men and Gods*'، والغريب أن بعض الناس في ذلك الحين شككوا في وجود هذه الشخصية، وقد عاد الشك ذاته في أيامنا، لكن البارون ينتمي إلى أسرة معروفة في البلطيق، ومن أقارب كونت هيرمان كيسرلنج الذي ذُكر خطابه

¹ أي الشعور بوجود ما تحت الأرض مثل الماء أو الكنوز الخبيثة وكذلك الإشعاعات. المترجم.

في الكتاب المقصود، وقد يحسن بالذين قرأوا هذا الكتاب إلى الانتباه إلى أن القصة قد جرى خلطها عمداً، وحتى نوفيها حقها يكفي أن نقتبس فقرة من خطاب كتبه ماجور أنطوني أليكساندروفيتش عام 1924، وهو ضابط بولندي خدم كقائد للمدفعية المونغولية وتحت إمرة البارون أونجرين مباشرة عامي 1918-1919،

"... لقد كان البارون أونجرين رجلاً فائقاً للعادة، وشديد التعقيد نفسياً وسياسياً، ويمكن أن يوصف عموماً بما يلي، '1' إنه كان عدواً شديد المراس للبلشفية التي رأى أنها تعادي الإنسانية بأجمعها وقيمتها الروحية، '2' إنه كان يحتقر الروس الذين خانوا التحالف أثناء الحرب بالحنث في عهدهم بالولاء للقيصر ثم حكومتين ثوريتين، '3' ونادراً ما صالح روسيا وكانت صحبته دائماً من الأجانب، ويحترم بسطاء الروس أكثر من مثقفهم لأنهم لم يتخلوا عن أخلاقهم، '4' إنه كان بوذياً وأسرارياً وصاحب فكرة تكوين تجمع ينتقم من الحرب، '5' إنه قد تصور فكرة تأسيس إمبراطوية آسيوية تكافح الثقافة المادية لأوروبا وروسيا السوفيتية، '6' إنه كان على صلة بدالاي لاما وممثلين للإسلام في آسيا، وكان يحمل لقب 'قسيس' و'خان مونغولي'، '7' إنه كان وحشياً ولا شفقة عنده كما لو كان آسيوياً أو متعصباً، ولا حساسية عنده بشكل ينبو عن التصديق في كان لاجسداني لا يعرف الألم ولا البهجة ولا الحزن، ونفس باردة كالجليد '8' لقد كان ذكاؤه فائقاً ومعرفته شاسعة حتى إن له آراء حاسمة في كافة الموضوعات، وكان يحكم على الشخص بنظرة واحدة،... وقد تنبأ له أحد اللامات في يونيو 1918 أنه سيصاب بجرح في أواخر الشهر وأنه سيموت عندما يدخل جيشه إلى منغوليا، ومن ثم تعم شهرته العالم، والواقع أنه أصيب في 28 يونيو بطلقة نفذت فوق قلبه أثناء الهجوم البلشفي على محطة داوريا،... أما عن موته فقد صدقت كذلك نبؤة اللاما، فعندما مات عمّت أخبار انتصاره العالم أجمع."

وغالباً أصابت المبالغة العبارة الأخيرة عن نبؤة اللاما كما نوهنا في البداية، فإن البارون لم يقع أسيراً للبلاشفة، ورغم أنه كان لا يزال فتياً فقد مات ميتة طبيعية على عكس ما قال فلاديمير بوزنر، وبناءً على هذه المعلومات الصحيحة فإن قراء بوزنر يستطيعون إدراك أن مثل هذه الشخص لا بد أن يكون عميلاً لليابان، أو إنه كان واقعاً تحت تأثير قوى من نطاق مختلف تماماً، ولم يكن 'بوذياً حديثاً' كما أشيع، فقد جائتنا معلومات أن أسرته قد التحقت بالبوذية منذ

ثلاثة أجيال، كما أشير مؤخرًا إلى أن ظاهرة 'الأشباح' قد ظهرت في قصر أونجرين، ولعلها لم تكن مجرد 'رواسب نفسية' ارتبطت بهذه الأمور.

J. Evola,

I Protocoli dei Savi Anziana di Sion

لقد كانت تلك الترجمة الإيطالية للكاتب الشهير 'بروتوكولات حكماء صهيون' التي نشرت عام 1921 للدكتور بريزيوسي *Dr Giovanni Presiosi* مدير مجلة *Vita Italiana*، وقد أعيد تحقيقها ونشرها بمقدمة كتبها *J. Evola* الذي حاول استعادة نظامها بعد مناقشات مستفيضة للمتن والبحث في 'أصالته' و'مصادقته'، ورأيه أن الثانية أهم من الأولى، فالأصالة ليست مضمونة لعدد من الأسباب لن نتناولها هنا، ولكن نلفت النظر إلى نقطة واحدة ربما كانت أشدها حسماً، ويبدو أنها لم تلق عناية كافية، فالمنظومة السرية الحقة أياً كانت طبيعتها لا تترك وراءها أثراً مكتوباً، كما أن 'مصادرها' اكتشفت من العبارات التي وردت كثير منها في سياق البروتوكولات على منوال المحاورة عن جهنم بين ما كافيلى و مونتيسكيو، عند جولى *Mourice* فى *Joly* فى نشرة مناوئة لنابليون الثالث، وقد نُشرت فى بروكسل عام 1865، والموعظة التى كتبها رابى براغ فى مجلة *Biarritz* عام 1868، التى نشرها الكاتب الألمانى هيرمان جويدتيشك باسم مستعار هو سير جون راتكليف، وكان أحد 'المصادر' الأخرى التى لم تسبق الإشارة إليه رواية بعنوان 'البارون يهوى *Baron Jehova*' التى كتبها سيدنى فينيو، ونُشرت فى باريس عام 1886 بإهداء غريب "إلى الإنسان الحق جوينيو *A. de Gobineau* كاتب المقال 'عن ظلم جنس الإنسان'، والذى توفى فى 13 أكتوبر عام 1882"، ونشير كذلك إلى ميس روى *Miss Herselie Rouy* كاتبة 'مذكرات امرأة مجنونة' التى نشرها دى فاران *E. Le Norman de Varannes* باسم سيدنى فينيو على هيئة خطاب، وقد كان صديقاً للدكتور هنرى فافر الذى جاء ذكره سلفاً، وتذكر هذه القصة الغربية اسم *Jules Favre* الذى تردد ذكره فى أمور من النوع ذاته حتى ليصعب اعتباره من قبيل الصدف... وقد صادفنا فى كتاب فى كتاب 'البارون يهوى' ذكر ما يسمى 'كتاب زوربابل المقدس *Testament de Ybarzabal*'، والذى يشاكل البروتوكولات على نحو مدهش، فيما عدا أن اليهود كانوا أدوات لتنفيذ مخطط لم يدركوه ولم

يكن في نيتهم، كما لاحظنا تشابهه مع مقدمة رواية ألكساندر دوما 'Joseph Balsamo'، إلا أنها لم تكن عنده مسألة اليهود، ولكنها كما لو كان لها صلة بتجمع ماسوني وهمي، ونضيف إلى ذلك أن التجمع المذكور موصول 'بيرلمان الصليب الوردى' الذى وصفه الكاتب الأميركي ليبارد *George Lippard* فى كتابه *Paul Ardenheim, the Monk of the Wissahickon*، وقد اقتبس هذا الوصف فى كتاب د. كلايمر *Dr Swinburne Clymer* بعنوان 'The Rosincrutian' *Fraternity in America*، ولا شك أن كل هذه الأدبيات بأسلوبها الروائى تفتح إلهامها من 'تيار أفكار' واحد، وسواءً أكان لدحضه أم تأييده مما يعتمد على انحيازهم المخصوص، والتي يدفعون بأنها اليهود أو الماسونيين أو كثير غيرهم، وأخيرا فإن الأمر الجوهرى فى كل ذلك، ويجوز قول إن ما يشكل عنصر 'المصادقية' هو توكيد أن التوجه العام للعالم الحديث يتسق مع 'المخطط' الذى استقر وفرض نفسه عن طريق منظمة غامضة، ورأينا فى هذا الموضوع معروف حيث إننا تكلمنا عن دور منظمات 'مناهضة التعميد' وعملائها المعروفين والمجهولين حتى إننا لا نرغب فى تكرارها، والواقع أن الأمر لا يتطلب 'نبياً' لملاحظة تلك الأمور فى زمن تديج البروتوكولات، وربما كان ذلك عام 1901 قبل أن يعكف أحد من الكتاب المذكورين على الحديث عنه، أى فى أواسط القرن التاسع عشر، وفى ذلك الحين كانت تلك الأمور أقل وضوحاً مما أصبحت عليه الآن، وربما كانت ملحوظة بسيطة تكفى لرأب الصدع، ولكننا نلقى هنا بملاحظة عن ذكاء معاصرنا وليست مديحاً بحال، وهى أنه لن يصدق أحداً من يعبر عما يرى يصدق ولن يسمعه أحد أو ينتبه له، فى حين أنه لو قال إن تلك الآراء ذاتها قد جاءت من منظومة متطرفة فلما تتحول إلى 'وثيقة' تجعل الدنيا تطن، فكيف كان تأثير الخرافات عجيبة بعد دسها فى عقول المحدثين بحجة 'المنهج التاريخى' الشهير، فهى بذاتها من 'الأدوات' اللازمة لتنفيذ المخطط المذكور! ويحسن ملاحظة أن المنظمات المسئولة عن اختراع الأفكار الحديثة ونشرها للسيطرة على العالم على وعى تام بزيفها، ولا بد أن يكون الأمر هكذا، فهى تعلم تماماً أين تقف تلك الهوجاء، ولكن مهمة الأكاذيب ليست مرامها الوحيد، وهو ما يدفعنا إلى ملاحظة نقطة أخرى ذكرها إيفولا فى مقدمته لمقال مهور باسم 'آرثوس' بعنوان "تحولات العالم 'Transformazioni del 'Regnum'"، والواقع أن البروتوكولات تحتوى على 'تكتيكات' تتغيا تحطيم العالم التراثى، والذى ليس إلا جانبا سلبيا يناظر الحقبة الراهنة للأحداث، كما أنها تحتوى على الفكرة التالية لإنشاء 'مملكة Regnum' تعلق على القوميات كافة، وهو ما يُعتبر مسخاً

لفكرة 'الإمبراطورية المقدسة' ومفاهيم تراثية أخرى ذكرها الكاتب في المقال المقصود، ومن ناحيتنا فقد طرحنا الأمر ذاته في كتابنا 'ملك العالم'، وحتى نفسر أن 'آرثوس' كان يعلم عن ميول أو حتى 'انحرافات' واقعية لعناصر بعينها كانت تراثية حقا ولا زالت تحيا معتزلة بنفسها، أى إن 'الروح' قد هجرتهم، ويعمد الكاتب إلى ذكر ما تحدثنا عنه سلفا في مسألة 'الرواسب النفسية'، والانعكاسات التي تتعلق بالمراحل المختلفة للانحراف الحديث وإمكان تأسيس 'مناهضة فعالة للتراث' في آخر مراحلها تلك المملكة الشائبة، وهي تعبير اجتماعي سوف يسهم في توكيد هذا الجانب من المسألة تماما، وبغض النظر عن الحالة الخاصة للبروتوكولات فإنها ليست بلا فاعل.

Upton Sinclair

Comment je crois en Dieu.

إن مفاهيم الكاتب 'الدينية' التي يمكن وصفها بذلك بشرط ذكر دورها في أمور تزيد عن الدين *religiosity* كما هو دأب 'المثالية الأميركية' والنفعية 'البراجماتية' أو 'الذرائعية'، ويشعر بالحاجة إلى الإيمان بمثال غامض يسميه 'الرب *God*' لكي يناسب كافة الأحوال، ويبدو عنده أن الرب لا بد أن يكون له منفعة مثل أن يشفيه لو مرض حكا بالروايات عن 'الشفاء العقلي *mental healing*'، وأديان الشفاء *healing religions* التي اتخذت أهمية قصوى في كتابه، ونلاحظ في هذا الصدد أن 'تدريبات' كوى *Emile Coue* لم تكن مختلفة تماما عن تكهنات مسز إيدى *Mrs Baker Eddy* كما يظن، وربما كان ما لا يعلمه كوى قبل تأسيس مدرسته في 'الإيحاء الذاتي' *autosuggestion* كان تلميذا في مدرسة سينييو *Victor Segno* ورابطة 'النفسانيون *metanalists* الأميركيون' الذين يشاكون معتقدات 'العلم المسيحي *Cristian Science*'، وهذا المنظور 'المثالي' مرتبط بما سميناه 'النفسانية *Psychologism*'، فإن كفاءة مثال بما هو لا تربو عن عامل نفسي، كما أنه يدفع بأن الميل إلى التفسير النفسي لوقائع تنتمي إلى السحر أو العيافة ليصورها بصورة 'إيحاءات' ببساطة، إلا أنه كما يجرى غالبا في مثل تلك الأمور اليوم فإن كثيرا من العناصر تنشأ من 'النفسانية *psychism*' بموجب أنها اعتمادا على 'اللاوعي' الذي يتبع ولیم جيمس نعلا بنعل، وهو أستاذه في الذرائعية، وعلى استعداد فوري ليعزو القيم

الروحية إلى ظواهر نفسانية على منوال التخاطر *telepathy* والعرافة *clairvoace*، والتي لا تربو عن وهم مؤسف، ونعجب ما إذا كان يؤلّه ما تحت وعيه، والذي ليس مقصودا عليه ولا هو منه بمجمله... وتشتمل الترجمة على أخطاء أدبية غريبة مثل "إن خلايا المخ ليست خلايا العنق أو الرقبة، لكنها خلايا مخية"، ناهيك عن الخلط الناتج بين *sectarian* و *sectator* بحيث ينتج *!sectateur*

C. Kerneiz.

Le Yoga de l'Occident

يُطرح هذا الكتاب كفصل للكاتب ذاته في ممارسة هاثا يوجا، والتي عرضنا لها في حينها، وهو محاولة لتطويع الصور الملهمة من اليوجا أو بالحرّي المقلّدة لها، لإتاحتها للغربيين، ولا نقول إنه قد نجح، فالمحاولة ذاتها زائفة وخطيرة في الآن ذاته، ويبدأ الزيف فيها من فكرة أن اليوجا شيء مستقل عن أي تراث أو دين، وفي هذه الحالة سيقوم التابعون بشعائر زائفة، حيث إنها تفتقد النفوذ الروحي من مرتبة أعلى، وليس فيها إلا مؤثرات نفسية مشوشة، وما لا يقل عن ذلك زيفا هو منظوره 'المثالي' و'الذاتي' في آن، وهو ما ترك أثره على التفسير بكامله من حيث المبدأ، فهذه 'المثالية' و'الذاتية' ليست إلا آراء فلسفية حديثة أيا كان ما يقول الكاتب، ولا علاقة لها بأي مذهب تراثي، ألم يذهب في مسلماته عن اليوجا إلى الاستعارة من كانط و شوبنهاور؟ وكانت النتيجة لا تربو عن طريقة شعبية 'للإيجاء الذاتي'، ويقر الكاتب بهذا الأمر، إلا أنه يتوهم أن حصيلتها من النتائج صالحة روحيا، والواقع أنها لا نفع فيها ولو كان سلبيا، وسوف يكون نصيب الذين يمارسون ما يعظ به الإصابة بانهيار نفسى لا علاج له... ويرفق كل ذلك بنظريات يمكن حتى للبسطاء إدراك أنها غريبة فعلا على أقل تقدير، ونرى على وجه الخصوص تفسيراً بيولوجيا لآدم عليه السلام لم يتوقعه القبليون، كما كان فيه مفهوم 'الأسرارية الزائفة' المعتادة، وكذلك 'الأندروجين' الذي يتحقق باتحاد كائنين مختلفين الذي يؤدي إلى أوحم العواقب، وسنتجاوز عن الحديث عن الاعتقاد بالتناسخ والأفكار الأخرى التي يتعاطاها 'الأرواحيون'، ولكننا لا نملك التجاوز عن التعليق على فقرة عن 'الإختيار العرَضى للدين'، وتشتمل على خلط ينبو عن التصديق، وأولها اختيار دين تراثي يرتبط به المرء 'مثاليا' دون أن

يعبأ باستيفاء شروط قبوله فيه، فنقرأ "إن المسألة ليست في الإيمان به بل في العمل به كما لو كان المرء يؤمن به حقاً"، ولا نرى في ذلك إلا مهزلة، وينصحنا بأن "نُلقي جانباً تلك الصيغ الميتة حتى ننضوى في الجوانية وحدها"، فالجوانية أمر يختلف تماماً عن الدين، وعلى كلِّ فليس لأحد حق في أتباع أهوائه في الاختيار بين العناصر التي تشكل ديناً، فإما أن يقبل الدين بكامله أو أن يستنكف عنه تماماً، ونعجب عما يمكن لليهود أن يقولوا لشخص يريد أن "يصبأ إلى اليهودية شرط اختزالها إلى القبالة"! وأخيراً يقول في نهاية الفقرة "إن الماسونية يمكن أن تحلَّ محلَّ الدين فحسب حين تُعيده إلى الأسرارية المارتينيزية التي نشأ منها"، ومن لديه أقلُّ فكرة عن تاريخ الماسونية ويعرف ما هي 'المارتينيزية' لن يستطيع كتمان الضحك! ويفخر الكاتب في استنتاجاته بأنه "استخرج من أسرار المعبد ما كان سرا محفوظاً"، ولو كان يصدق بذلك مخلصاً لاستحق الشفقة، فليس ما اكتشفه إلا أوهامه الشخصية.

Eliphaz Levi,

Le Clef des Grands Mystères

يعلم قراءنا عن تحفظاتنا حيال أعمال إيفاس ليفي، وبالتالي نعتبر محتويات هذا الكتاب تعبيراً عن 'آراء شخصية' حيث إن الكاتب ذاته لم يدع الانتساب إلى أي تراث، والواقع أنه أعلن أنه مدين لأبحاثه في كل شيء كان، وادعاء غير ذلك يربو إلى قصص يرويها المعجبون المتحمسون، لكن المعجب في هذا الكتاب رغم منظوره العرَضِي ما ذكر من 'جوانب خفية' في الفترة التي كُتبت فيها، ولهذا السبب وحده يستحق إعادة نشره، كما أن من المهم ذكر الأشكال الهرمسية التي صورها نيكولاس فلأميل وترجمته لمتن أبراهام اليهودي في الملحق، والذي تفرَّق على الأبواب الثمانية للكتاب على شكل منفصل بلا مرجعية مباشرة لضمان أصوليتها، كما أنه أعاد صياغة الرسالة بكاملها 'كفرضيات' رغم صعوبة تبيين المدى الذي ذهب إليه نسَّاخ المتن في "تفريقه حتى يفهم"، وهو ما فعله إيفاس ليفي بنفسه.

عروض المقالات

لقد استمرت مجلة *La Revue Internationale des Societès Secrets* في جهودها لإحياء مسألة تاكسيل *Taxil*، وكما سنندهش لو لم تفعل، ونشرت في أعداد 7 و 14 و 21 يولية سيرة مطولة لديانا فويان *Diana Vaughan* التي ربما لم يكن لها وجود أصلا بصفتها جان دارك أخرى، وهو أمر مبالغ فيه، وقد سبق أن نُشر خطاب بتاريخ 23 يونيو من ديانا فويان إلى رئيس بيسونيس مما أتاح لنا ملاحظة مسليّه حيث إنها تتعلق 'بالأخ المجل *Fr Joseff*'، وأضيف إلى الحاشية التالية "وقد ذكر الاسم هكذا في المتن، وربما كانت إشارة إلى *Fr Tourmentin*، وهذين الحرفين *ff* فريدين في المتن حيث يُدوّن اسم *Saint Joseph* بهجائه الصحيح، ويبدو أنه خطأ غير مقصود من كاتبٍ من أصل روسي"، وقد جاء في تعليق بذيل الرسالة أن من يدعى أميريكيا كان في الواقع روسياً، وهو لا يناظر شيئاً مما ورد في السيرة المذكورة، ولكن حينما يغرق المرء في كل تلك القصص فلن يمارى في مجرد تناقض،... والأمر الوحيد الحقيقي هو أن *Fr Tourmentin* هو المقصود، لكن *Fr Tourmentin* مجرد اسم مستعار، وهكذا وجد خطأ ما، وكان تدوينه بحذف حرف *p* وإضافة حرفي *ff*، وتدوينه الصحيح هو *Josefff*، فهل كان محررو المجلة يجهلون اسم زميلهم السابق في معاداة الماسونية؟ وليكن في هذا الأمر ما يكون، وقد توقعنا أن نجد فكرة عن معنى الرموز المزدوج التي عالجنها كثيرا في أعمالنا، ولكن خاب أملنا تماما، أما عن خطاب ديانا فويان فقد جاء على صفحة عليها رمز مطبوع لذيل أسد يلتف حول هلال تنبت عليه زهرة، وتحت الحرفين الأولى لاسم ديانا فويان *D.V.* وشعار *Me juente cauda leonis loquitur!* فنجد في باب 'الغيبية' في المجلة ذاتها مقالا بعنوان 'عن الرمز المزدوج ومن هو *Dragon*؟'، لكن المقال يشير إلى *Dragon Elect* الشهير ووثيقة غريبة وتعليق أغرب منها، ونخاطر هنا بسؤال ربما كان متواريا، فقد قيل

أن الشعار المرسوم في صفحة 207 "مستعار من شطرة من عمل نادر لم ثبت صحته"، فما هو عنوان هذا العمل ومن هو مؤلفه ومن هو ناشره وماذا كان تاريخ نشره؟ وفي غياب كل هذه البيانات الحيوية راودنا الظن بأنه كان من الوثائق المرفوضة *apocryphal document*، كما أن من الصعب أن يحافظ المرء على جديته في خضم بلاهات أليستر كرولى، ولا مناص من استنتاج أن تلك الأفكار النافلة راجعة إلى الاتجاه النظرى الذى اتخذته مجلة *R.I.S.S.*، وأنها لن تُخبر القارئ عن ماهية *O.T.O.* وزعيمها الذى لم تعترف به أية منظمة ماسونية، ولو ظهر من كان من يسمى 'متعمدا من مرتبة عليا *High initiate*' أمام أقل محفل لأغلق في وجهه مع كل الاحترام الواجب لمرتبته! كما لاحظنا في المقال ذاته ما يعيننا على تقويم المعلومات التى نشرتها مجلة *R.I.S.S.*، وهو الإشارة إلى كاتب توفى مؤخرا بدون ذكر لاسمه، ولكن كان التعرف عليه سهلا من واقع وصفه 'بالقسّ المشلوح *defrocked priest*'، وتحدى الكاتب أن يبرهن على أقواله وإن ظل صامتا فسوف نظل على إصرارنا، وفي الآن ذاته تلقت مجلة *R.I.S.S.* تويخا من مجلس الرقابة لأسقفية باريس، لكن مجلة *R.I.S.S.* قد اكتفت بالعلم بذلك، وتجنبت نشرها نظرا لشدة ألفاظها، وحتى نعلن لقراءنا فيها هنا نص الوثيقة ذاتها في مجلة *Semaine Religieuse*

"في جلسة 31 مايو 1925 لمجلس الرقابة لأسقفية باريس تلقى المجلس كثيرا من الشكاوى من جماعات شباب الكاثوليك ضد مجلة *R.I.S.S.*، ويبدو أن الآراء التى نشرتها المجلة قد أثارت اضطرابا بين أسقفيات إقليمية بعينها وأن المجلس قد استدعى هيئة تحرير المجلة للمثول أمام محكمة باريس الكهنوتية لنظر الدعوى المقدمة من *J.O.C.*، ولكنهم لم يحضروا، وقد وجد المجلس بالإجماع أن أحكام التجريم لا مشروعية لها عندهم حتى إن كُتِّبهم يتجاهلون الخدمات الكنسية التى يقوم بها من برهن على جدارته وصدق صلاحه، ويندفعون إلى إنكار الأحكام الفقهية الموثقة، وأخيرا يسلكون طرقا معوجة تصل بهم إلى معارضة قرارات الفقيه الأعظم على منوال المسألة الرومانية، وبناءً عليه فإن مجلس الرقابة لا يملك إلا أن يُدين ذلك السلوك الذى يمس الكنيسة ذاتها وبعض من أخلص خدمها".

وكما توقعنا منذ زمن طويل دون أقل احتياج إلى العرافة أن تلك القصاص ستنتهى نهاية

سيئته.

وقد بدأت مجلة *R.I.S.S.* في نشر سلسلة من المقالات بعنوان 'هل وجدت ديانا فويان حقاً؟'، وهي محاولة لإثبات أن المذكرات التي كتبها هذه الشخصية الافتراضية لا يمكن أن يكتبها إلا شخص ينتمي إلى عائلة توماس فويان عضو الصليب الوردى، إلا أن البراهين التي دفعوا بها فيما كانت أمورا معروفة وأما كانت غير قابلة للتحقيق، وللنتظر النتائج... وقد لاحظنا في عدد 25 أغسطس من مجلة *Le Figaro* التي يُقال إنها 'اكتشفت طائفة جديدة صغيرة' في أميركا، والواقع أنها ببساطة منظمة تسمى نفسها *Mazdaznan* وهي معروفة منذ زمن، وتملك عدة مطاعم ومحلات تبيع أغذية خاصة في باريس ذاتها، ولو كانت المجلة ذاهلة عن ذلك الجهل فهل يجوز عزوه إلى 'الأخصائيين' في مجلة *R.I.S.S.*؟ وهل يستحق هذا الأمر الحديث مرة أخرى عن كلوتيلدا بيرسون وديانا فويان حيال 'طائفة' لا أهمية لها بحجة أن مسز آرينز *Arrens* هجرت زوجها وأطفالها حتى تتبع 'الأستاذ *master*'؟ ويشتمل عدد 8 سبتمبر من المجلة على بداية نشر دراسة بعنوان *La Franc-Maconry et son Oeuvre* كتبها *Koukol-Yasnopolsky*، ويبدو أنها ترجمة لكتيب بلا إشارة إلى موقع إصداره ولا تاريخ نشره، ويعالج الباب الأول 'الأصل الماسوني *The Masonic Origen*'، ولا يحتوى إلا على البلاهات المعتادة عن التملار وأخوة الصليب الوردى، وهو كتاب من الدرجة الثالثة أو الرابعة، وفي باب 'الغيبات' يعكف دى جيلبير *Henri de Guillbert* على استكمال دراسته عن 'المسألة اليهودية' التي تزدهم بعبارات غريبة الشأن، فوجد أحدها في عدد أول أغسطس تقول "إن المتعمد لا بد أن يستعين بالعقل وحده حتى ينتصر على الرباني"، وهذا ادعاء 'دنيوى'، أما الذين استطاعوا التحقق بملكة تفوق العقلانية فيمكن اعتبارهم متعمدون حقاً، وي طرح المقال ذاته ما وصفه بأنه 'كشف' ووثيقة تعميديّة" في رسم مأخوذ من كتاب بيوب *Pierre Piop* قصد به التعبير عن أفكار شخصية بعينها، ومهما كان ذكاًؤه فإنه لا يتصف بأية سمات تراثية، وفي المقالة التالية بتاريخ 1 سبتمبر يطرح تفسيراً 'سوسولوجياً' للمصطلح الهرمسي عن الذوبان والتخثر *solve coagula* أشد شطحا مما يمكن تصوره، ويمكن الاستطراد عن كثير من الأمور من هذا النوع لكننا نحدُ نفسنا، ولنشر إلى خطأ واقعي في تصريحه عن بروتستنتيين مثل شلايرماخر و هارناك أنهما يهود، ناهيك عن "أن رينان قد صبأ إلى اليهودية"، في حين أنه قد أصبح غريباً عن الأديان المعروفة جميعاً، ولا يحتفظ إلا بحالة من التدين *religiosity*، وليس فيها شيء ينم عن اليهودية، ولكنه يقول إنها آخر مخلفات المسيحية التي لم تتغير، وفي العدد ذاته من المجلة

يعالج تاران 'بعض رموز الماسونية المختلطة'، والتي يُصرُّ على تفسيرها بمعنى 'طبيعاني naturalistic' كثيف، والعجيب أن الذين يخترطون في هذه اللعبة الصغيرة لا يعلمون أن أعداء الكاثوليكية لا يستنكفون عن استخدام رموزها وإقامة شعائرها على نحو زائف، كما تحتوى المقالة على بعض الأخطاء الغريبة مثل استخدام الحروف الأولى لمرتبة باعتبارها الحروف الصامتة 'لكلمة مقدسة'، ويأخذون فترة 'دوام' المرتبة ذاتها مصدرا لطاقة سابقتها، ويقول الكاتب إنه كَفَّ عن محاولة فك شفرة 'المربع الماسوني'، ولنوفر عليه الجهد فإنه ببساطة *I.N.R.I.* وعهد السلام، وأخيرا هناك ملحوظة مسلية عن شعار منظمة الصليب الأحمر *Red Cross*، ويقول إن 'من الأفضل أن تُكتب *Rose Cross of Geneva*، وبهذا المعدل من الخطأ يسهل أن تكون *Rose-Cross*... أو على الأقل تحتفى عن عيون محررى *R.I.S.S.*!

وأمامنا الآن العدد الأول من مجلة *Bulletin des Polaires* التي بدأت في مايو الماضي، ومحتوياتها لا قيمة لها، وسواءً أكان ما نقرؤه صادرا من 'عظماء المتعمدين' في الهيمالايا أم من غيرهم فهو أمر مؤسف حقا، ولم نكن لنذكرها ما لم تكن تستخدم اسمنا كتوصية للذين تحاول اجتذابهم، والواقع أننا تابعنا إلى حد ما عروضهم عن منهاج يسمونه 'تنبؤات القوى النجمية' حينما لم يكن هناك تجمع يقوم على 'التعاليم' التي تتحصل عن تلك النبؤات، وقد حاولنا تنبيههم إلى بعض المسائل المذهبية لكن ردهم كان غامضا ومناورا، وبعد فترة طويلة رغم إصرارنا طرأت مسألة جديدة أدت إلى عبث محقق، وقد كان اهتمامنا في ذلك الحين يدور حول الجدارة التعميدية للذين يلهمون المنظومات التعميدية، وكان ذلك عندنا هو الاهتمام الوحيد، وكان حسبما تذكرونا في الفترة ما بين خطابنا إليهم وبين ردهم، فقد دار حديث لأول مرة عن اسم *Polar* بمعنى 'قطبي'، ورغم محاولاتهم في التصالح رفضنا رسميا أن نكون شطرا من هذه المنظمة على أى نحو كان، خاصة لأن قوانينها مفروضة 'بالطريقة' التي تتطوى على أشد الأمور صبيانية تستعصى على التصديق، وقد علمنا فيما بعد أن بعض الجادون الذين عاهدوا في أول الأمر على الولاء قد انسحبوا على الفور، ولن نندهش لو سقط كل ذلك في حمأة الأرواحية الغوغائية، ونأسف لأن بعض الأفكار التراثية التي عرضنا لها في كتاب 'ملك العالم' قد

اختلفت بهذه العملية، ولكن لا حيلة لنا في ذلك، أما عن 'الطريقة' ذاتها فكل من قرأ ما كتبنا عن 'علم الحرف'¹ سوف يدرك أن المسألة برمتها ليست إلا مثلاً لما يمكن أن يحدث لقصاصات من المعرفة الحقة وقد وقعت في أيدي من تمسك بها دون أن يفهمها.

وفي أول فبراير صدر أو عدد من *Nouvelle Revue Française* بعنوان رئيسي هو "الإخراج المسرحي والميتافيزيقا *La mise en scene et la metaphysique*"، ويقدم أنطونين آرتو آراءً مضطربة أحياناً ويمكن أن تكون تصويراً للانحطاط الذي جعل المسرح الغربي 'دنيوياً' فحاً في حين ظل المسرح الشرقي يحافظ على قيمه الروحية، ومن المدهش أن كلمة 'رمزية' لم ترد قط في سياق الدراسة، وكان من شأنها أن تضيء جوانب الفن المسرحي، فالواقع أن التعبير بأي شكل عدا اللغة ليس إلا رمزية، كما أننا لا نعلم لماذا تُعزى إلينا أية جملة مفيدة لم نكتبها، وليس الأمر هو أننا لا نوافق على منطوقها لكن كلماتها غريبة على مفرداتنا، كما أننا لا نستخدم *we* أو *us* حين نتحدث عن الغربيين، كما أنها من التعبيرات الزائفة *apocryphal* التي عُزيت إلينا عشرون مرة في مقال بول لو كور *Paul le Cour* في عدد يناير فبراير في مجلة *Atlantis*، والواقع أن هذه الأمور لا تدهشنا منه بعد أن رأينا أن اسمين لو كُتبا عشرين مرة على حائط يمكن أن تتحوّلوا إلى جملة مفيدة في اللاتينية، أما عن باقي الأمور فلا حاجة لأن يعزو مثل هذا الخيال الخصب لأحد عبارة لم يكتبها، وأحياناً ما ترد بمعنى يناقض مقصدها، فيكفي فصل شطر من جملة عن سياقها، وهناك أمثلة مشهورة في هذا الصدد، وعلى منوال "قال الله تعالى فويل للمصلين..."، وأياً كان الحال فقد كرس لو كور مقالين كاملين لشن هجومه علينا، وكان أحدهما عن كتاب 'رمزية الصليب' الذي ادّعى أنه عاجله بطريقته، والآخر عن الهرمسية وبعض أعمالنا المنشورة في *Voile de Isis*، كما يستعين بشهادة أناس لا يعلمون شيئاً عما يكتب، ولو علم مدى عدم اهتمامنا بما يكتب من 'نقد' دنيوي *profane* لا يتصالح تعريفاً مع أمور التعميد! ونحن نكتب لكي نرشد الذين يفقهون، ولا نبغى موافقة الجاهلين، كما أن ما نكتب لا علاقة له بالأدب *literature* رغم أنف بول لو كور الذي يخلط بين الهرمسية والجماليات *esthetics* ويستمتع بإحصاء الكلمات في عباراتنا، كما أنه يورد خطاباً ينتقدنا من

¹ 'رموز العلم المقدس' باب 6. المحقق.

مستر ألفارت *Alvart* الذى نعلم أنه كان من 'عبدة' مدام بلافاتسكى، وحيث إننا أشرنا ضمناً فى مقالنا الشهر الماضى أننا لن نتحدث فى هذه المسألة مرة أخرى لكننا لا نملك إلا ذكر اكتشاف لغوى جديد عند بول لو كور حين أعلن بوقار أن "كلمة 'مسيحي' قد تطورت عن كلمة 'صليب'، ولكن ماذا تقول عن امرئ يدعى أن اللاتينية مُشتقة من الأسبانية، فقد كتب "إن كلمة *hermoso* فى الأسبانية قد أصبحت *formosus* فى اللاتينية"؟ أما عن مقالنا 'منطق الطير'² فإننا نتمسك بما كتبنا عن أصل الكلمة اللاتينية *carmen* ومعناها رغم غرابتها وتأصيلها 'الطبيعى'، فربما استطاع لو كور أن يؤثر على بعض عقول تفتقد الحس النقدى، وبصراحة فأى نفع لنا فى تصديق ترهات المستشرقين؟ كما أننا حين نتحدث عن الطيور كرمز للملائكة فإن التراث الإسلامى صريح فى هذه النقطة، ونحن لا نعبر عن آراء فردية حيث تقتصر معرفتنا على التراث فحسب، ولا شأن لها بما يسمى 'song of the birds' التى قد يكون لها معنى آخر ولكنه ليس مقصدنا، والحق إن مناوئنا لا يبدو لنا كُفئنا لتناول هذه المسائل، وعلى كل فلنأمل أن التنويعات البليغة على الموضوع الذى يخوض فيه ليست 'أنشودة البجع'، والحق إننا لو قصدنا 'تسليّة' قلائل من الجهلة لنجعلهم يتوهمون أنهم أقوياء للغاية فإن لو كور يجعلنا نستغرق فى الضحك، وهذه مناسبة نادرة فى النهاية الكئيبة للعصر الأسود كالى يوجا حتى إننا نشكره.

لقد طرحنا سؤالاً فى عدد يونيو لمجلة *La Revue Spirite* عن الموت الغامض للدكتور ماريانى *Dr G. Mariani*، ولم نكن قد تسلمنا رداً عليه بعد، ولكننا رأينا أن الوقت قد حان للإشارة إلى بعض الوقائع، فقد كان موته الذى أشارت إليه مجلة *R.I.S.S.* بلا تعليق قد أُعلن فى مجلة *Libertée* على صورة روائية كما هى الموضحة فى أيامنا 'فى قعر الغيبية المعاصرة' لكاتبين كان أحدهما على الأقل صديق ماريانى الحميم، والذى كان قارئاً لكل أعمالنا، ففى عدد مارس نجد حواراً مفترضا بين شريكين طراً فيه ذكر 'ملك العالم' وقيل إنه يشاكل 'أمير العالم' الذى

² راجع 'رموز العلم المقدس' الباب السابع.

ورد في الأناجيل، ولا بد أن نعبر عرضاً عن إعجابنا بهذا الثناء الغامر، فالإنجيليون لم يذكروا قط شيئاً عن 'أمير هذا العالم'، والتي اختلفت حتى إنها تستلزم كلمتين في لغات بعينها، وتبعها الفقرة التالية،

"إن وفاة شاب كرس نفسه لاكتشاف الحقيقة عن هذا الأمر برهان على أن المسألة جد خطيرة، ولا بد أنه كان يعلم عنها أكثر مما يجب! وأنا أتحدث عن صديقي القديم جايتان مارياني".

وقد أصبحت الدعوى واضحة، كما أن الذين لا يعرفون من هو مارياني لديهم حاشية تقول إنه كاتب 'ملك العالم' الذي وُصف بأنه "كاتب نادر حقاً" حتى إنه نفذ فور صدوره! وكذلك تعرض كتابنا 'خطل الأرواحية' *The Spiritist Fallacy* لعزوه إلى شخص وهمي باسم *Guerinon*! وحيث إن كتبنا موقعة باسم *Rene Guenon* كما تتطلب أولويات الملكية عند الحديث عنه لكي نتجنب الخلط، وليس ذلك كل شيء، فقد قيل لنا إن موت جايتان مارياني كان في حادث سقوط طائرة مائية بالقرب من مسكنه في أواخر ديسمبر الماضي، وقد تذكرنا بهذا الصدد حادث الانتحار الزائف التي قام بها أليستر كرولي عندما جرفته أمواج البحر...، والواقع أن مصدراً موثقاً قال لنا إن هناك تشابهاً بين ضحايا الحادثين، فالاسم ذاته باستثناء حرف واحد، والاختلاف في السن لا يربو عن أقل من سنة واحدة، وموقع الإقامة واحد، لكن الثابت في النهاية أن المتوفى لم يكن مارياني بشخصه، ولكن لا بد أن نعتقد أن ذلك الاتفاق المدهش للأحداث كان مُتعلّقاً لغرض ظل حتى الآن خافياً، ولا ننسى إضافة أن جثمان الميت لا أثر له! وهكذا لم يكن الحادث إلا كوميدياً بشعة، ولو كان الأمر كذلك فهل كان الحادث من ترتيب 'مارياني' ذاته أم من تدبير غيره؟ وهل بلغت غفلة *R.I.S.S.* حداً لأن يخذعها متأمر في 'الاختفاء' الوهمي للضالعين فيه؟ وسواءً أصدقنا أم لم تصدقنا فإننا لا نضع هذه الأسئلة بغرض الاستمتاع بحل العُقد على منوال الروايات البوليسية، وحتى نصل إلى إجابة فسوف يتعين علينا تسجيل أسماء أبطال هذه الرواية الغريبة.

ملحوظة، ونطلب من القارئ أن يسجل ما يلي، 'I' حيث إننا لا نعلم 'تلاميذاً' وأنا رفضنا دائماً قبول أحد ككلمة لنا، فلا نسمح لأحد بادعاء ملكية هذا العنوان أو عزوه إلى غيرنا، ونرفض رفضاً باتاً أية مقولة تخالف ذلك فيما مضى أم في المستقبل، '2' وبناءً على النتائج المنطقية لهذا المسلك نرفض إسداء نصيحة لأي أحد كان، فليس ذلك دورنا لعدة أسباب في

اعتبارنا، ونسأل مراسلينا الامتناع عن توجيه أسئلة لهذا الغرض بدلا من إجبارنا على الرد بالرفض، '3' وكذلك لا نفع في سؤالنا عن أية بيانات من سيرتنا باعتبارها أمرا لا يخص العموم، كما أنها لا نفع فيها لأحد، فالمذهب فحسب هو المهم، وأمام المذهب تفتح كل الفرديات ولا توجد.

يشتمل عدد ديسمبر من مجلة *Action et Pensée* على مقال كتبه هيربير *Jean Herbert* بعنوان *Metaphysique et Psychagogie*، والمصطلح الثاني مستعار من أجندة المجلة ذاتها مما ينم عن سوء تفسير الموضوع، فكلمة *psyche* تترجم فيه بمعنى 'روح *spirit*'، وتتعجب ماذا يعنى بعبارة "*leading the spirit*" في حين أن الروح هي التي تقود كل شيء كان! وبالطبع ليس للمسألة علاقة بالروح، وهو السبب في وجود كلمة *Psychagogie* في العنوان بدون علاقة أيا كانت سواءً أمن حيث المجال أم من حيث الغاية في مناهج اليوجا الهندوسية أو أى شيء آخر، وقد عرضنا سلفا بوضوح كافٍ لهذه المسألة في موضع آخر لتجنب الخلط بين الميتافيزيقا و الفلسفة، والميتافيزيقا الحقة لا علاقة لها 'بفرضيات' ولا 'بعقائد'... كما أن هناك نقطة تتعلق بالجور، وكان هيربير مصيبا في الاعتقاد بأنه "يخضع لفترات طويلة ومراحل يمكن الاعتماد فيها على التعاليم من الوثائق التي تركها المعلمون الأصليون"، وهي دورة من التعليم النظرى، ولكنه يبدو فيما يلى أنه اغتصب موقع الجورو الذي لا يربو عنده عن تطويع 'التقنية' لكل حالة على حدة، في حين أن دوره الضرورى هو تأييد التداول التعميدى، والذي لا يذكر عنه شيئا في مقاله، وأخيرا يكتب حاشية عن القبالة الأسرارية عند فورتوني *Dion Fortune* والذي طرحناه مؤخرا، وهو ما يقطع بأن هيربير لا يعلم قيمة 'التلاميذ الغربيين' حق العلم... أما عن القسم الذى خصصه للفلسفة الهندوسية الحديثة التى اقتبس فيها أقوالا من شرى أوروبيندو التى لا تشبه علم النفس فى شيء، ولا علاقة لها بعلاج الأمراض العصبية والعقلية، ولا حتى بالسلوك فى الحياة كما يفهمه النفسانيون الغربيون.

وقد نشرت مجلة *Mercur de France* فى عدد 15 نوفمبر مقال بقلم ساكورازاوا *Nyoiti* بعنوان *Sakurazawa* 'الفلسفات والعلوم فى الشرق الأقصى'، وقد نشر هذا الكاتب منذ بضعة

سنوات مجلدا يعالج الأمر ذاته طرح فيه 'مفتاحا' و'مبدءً فريدا' لهذه 'الفلسفة' وتلك 'العلوم'، و'قانوننا كليا *universal law*'، والذي ليس إلا مذهبا كوزمولوجيا في المبدئين المتكاملين بين و يانج، يتحدث عن ذبذباتهما وتحولاتهما التي تنتج كل الأشياء الظاهرة وتعديلاتها، والواقع أن هذا المذهب له تطبيقات في نطاق كل العلوم، لكنه في هذا المقال يقتصر على اعتبارات تتعلق بالتطبيقات الطبية، وقد ورد في المقال بعض المعلومات المهمة لكنه احتوى كذلك على بعض التخليط الناتج عن إدماج المفاهيم الغربية الحديثة بالأفكار التراثية، ويبرهن ذلك مرة أخرى على التوازي الوهمي بين أمور تنتمي لوجهات نظر مختلفة، ونذكر أيضا مقالا كتبه فوليو *Paul Volliaud* في مجلة *on BloyéL* 'النبي الشهيد' الذي احتوى على تفاصيل غريبة عن أصل 'الرسالة' التي يعتقد هذا الشخص أنه مُكَلَّفٌ بها، وأكثر الجوانب تشويقا في هذه الأحداث ما تعلق برواية *La Salette*، وهي إحدى الحوادث التي تشتبك بتيارات تحتية، ويقدم زماننا أمثلة لذلك بغزارة، وكما يقول الكاتب إنها تعتبر على صلة بمسألة استقرار حياة لويس السابع عشر، وتستحق هذه الصلات الاهتمام بموجب أنها لا تتغير في كل الحالات من هذا النوع في القرن التاسع عشر، وربما كان الغرض من ذلك يؤدي إلى ما يسمى تاريخ المنظمات السرية في زماننا... كما أن *'Secret of La Salette'* التي تبدو حملة على الكهنوت شنها بلوى على الكنيسة الكاثوليكية وعلى كهنته على الأخص، فهناك 'علامات' تقطع بوجود 'نفوذ' فعّال وراء كل ذلك، وعندما يتضح أن لها عواقب ممتدة حتى الوقت الحاضر فقد يعتقد المرء أن الأمور لا تُطمئن، ومن ثم يدرك السبب في 'موضة' النبؤات التي لا بد تلهم بالقلق كل من لم يكن جاهلا تماما بهذه التشعبات.

وقد بُذلت جهود في مناطق بعينها لجمع الشمل الذي تفرّق من بقايا 'الحركة الغيبية' القديمة، كما ارتفعت أصوات تدعو بعدم ضرورة التعميد الفعّال للتداول الغيبي، وكان مفصلا محرجا لكل من يستطيع طرح تواصل 'مثالي' غامض لا فعالية له! وفي هذا السياق لا يستطيع أحد أن يفتخر بشيء، فيصبح تجنيس مالا يملك بديلا له، وقد نادى أحدهم بإنشاء 'تعميد براني' وهو مجرد تناقض اصطلاحى، فكافة الشعائر التعميدية بطبيعتها جَوَّانية، ولكن فهم ذلك يعتمد أولا على التمييز بين التداول التعميدي والتداول البراني على منوال ترسيم الكهنة، ولا ينتمي أيا منهما إلى نطاق الآخر حتى لو كان النطاقان لا غنى عنهما، كما نضيف أن ذلك التخليط يضع المنظومات التعميدية الأصيلة على مستوى بعض من أخبث أمثلة 'التعميد

الزائف،... والتي تنكر التراث الأولانى ذاته، إلا أن القرابة بين كل الأديان التراثية الرشيدة هى ما يوقع بهم فى الحرج، ذلك أن المنظومة التعميدية تعتمد على 'سلسلة' انتسابها إلى أصل التراث، ومن دون أية مبالغة يمكن تطبيق ما يقوله الزائفون عن المذاهب التعميدية عليهم أنفسهم، ولا جدال فى أنهم سيقون على جهلهم المريح باعتباره أقل عناء من السعى فى ضباب 'خفي' أو فى عالم القمر خارج كافة 'الأنساب' الأرضية، وهو "كذ لا طائل من ورائه وتخبط فى ظلام وطفولة عقلية".

كشاف الأعلام والمصطلحات

- 46 ,George Wyld
293 ,Gnosis
,33 ,30 ,28 ,26 ,23 ,22 ,21 ,H B of L
,295 ,193 ,127 ,112 ,96 ,92 ,36
296
21 ,Harrison
261 ,healers
280 ,61 ,Hodgson
287 ,Home Rule
249 ,Human Rights
307 ,Jimbo
247 ,Illuminati of Avignon
277 ,Irvingite
283 ,J.C. Chatterji
257 ,J.C.Demarquette
,149 ,129 ,87 ,85 ,24 ,19 ,17 ,Judge
152
90 ,Kabbala Denodata
154 ,83 ,Keightly
262 ,L'Affranchi
91 ,Lane
290 ,L'Avenir Imminent
299 ,L'Eglise et la Theosophie
295 ,L'Estrange Histoire
283 ,Light of East
53 ,Lucas
265 ,M. Schultz
292 ,Magian
54 ,51 ,28 ,المهاجمات'
74 ,53 ,adepts
265 ,Affranchi
250 ,Alida Leeuw
254 ,Altruist Society
250 ,American Federation
249 ,57 ,Arundale
84 ,Asgaard
86 ,Baron de Palmes
253 ,Bellamy
291 ,276 ,187 ,110 ,109 ,10 ,Besant
101 ,Bornouf
265 ,civic worship
249 ,Co-Masonrt
85 ,Cowes
102 ,de Rosny
74 ,Dougpas
280 ,Dr Ferraud
31 ,Dr. Speer
277 ,Echo du Mareilleux
24 ,Egyptological Society
296 ,Elect Coens
,100 ,89 ,51 ,45 ,Esoteric Buddhism
187 ,133 ,122 ,112 ,110 ,107
105 ,evolution
276 ,Foyers du Soldat
295 ,Thesauri Lucis Fratrenitas

- 52 ,Vaughan
 264 ,Watchers
 38 ,Wronski
 276 ,274 ,.Y.M.C.A
 11 ,Young Europe
 أبولونيوس التيانى, 166 ,20
 اتحاد تحرير الشعوب, 265
 إخنوخ, 292
 إخوان الظلام, 74
 أخوة الصليب الذهبي, 38
 آدم, 315 ,52 ,38
 إدوارد السابع, 285
 آديار, 42 ,59 ,60 ,61 ,62 ,63 ,64 ,71 ,79 ,82 ,83 ,84 ,125 ,126 ,152 ,153 ,157 ,189 ,196 ,200 ,249 ,293 ,285 ,256 ,255
 آرنولد, 73 ,77 ,79 ,103 ,175 ,223 ,225
 أرواحى, 12 ,17 ,24 ,125 ,197
 أرواحيين, 33 ,123
 أرونديل, 57 ,196 ,198 ,216 ,218 ,249 ,287 ,284 ,250
 آريا ساماج, 26 ,27 ,30 ,31 ,46 ,195 ,284
 أزجارد, 84 ,94
 أسبانيا, 210 ,241 ,298 ,299
 استراليا, 41 ,147 ,158 ,201 ,233 ,256 ,299 ,298
 إسحاق نيوتن, 7
 اسكتلندا, 32 ,298 ,299
 الأب كونستانت, 294
 الأخوة الكشميرية, 28
 الأخوة الهرمسية بالأقصر, 19 ,20 ,21
 الأخوة الهرمسية فى الأقصر, 295
 الأرجنتين, 299
- 91 ,Magica Adamica
 294 ,166 ,150 ,32 ,Magus
 48 ,Mars
 11 ,Mazzini
 264 ,mental propaganda
 100 ,48 ,Mercury
 5 ,neologism
 7 ,Neoplatonism
 53 ,Neuhaus
 21 ,11 ,occult
 23 ,Occult Magazine
 247 ,of the new Jerusalem
 264 ,Pastor Wilfred Monod
 248 ,Pecq
 247 ,Perinety
 46 ,Persival
 195 ,64 ,Rao
 264 ,Rene Schwaller
 280 ,Rev. Grandmaison
 51 ,Rishis
 264 ,Simon Rihouet
 294 ,Societe Roseicruciana in Anglia
 7 ,Tauler
 30 ,The Great White Lodge
 288 ,The Hindu
 The Magical Ritual of the Sanctum
 294 ,Regnum
 294 ,The Perfect Way
 281 ,The Pioneer
 246 ,Theosophical Illuminati
 63 ,Thurston
 265 ,Union of People's Emancipaion
 48 ,Uranus

الدعاية العقلية, 264	الأرواحيين, 11, 13, 14, 15, 16, 22, 46,
الدين الفيدي, 27	51, 74, 97, 111, 112, 114, 119,
الرسائل المترسبة, 45	124, 125, 126, 127, 128, 129,
الرهبان, 33, 38, 44, 49, 55, 58, 66, 76,	307, 260, 237, 159
127, 134, 168, 208	الاشتراكية, 113, 264
الرهبان السبعة, 33, 38, 44, 55	الأفلوطينية الجديدة, 7, 99, 208
الرئيس ويلسون, 265	الإمبراطور, 30, 31, 32, 33, 38, 40, 42,
السحر الآدمي, 91	55
السحر العملي, 32	الأنطوائية, 261
السويد, 153, 299	البراجماتية, 277, 320
الصليب الوردى, 18, 22, 29, 32, 33, 36,	البرازيل, 299
37, 39, 40, 43, 44, 51, 52, 54, 55,	البرتغال, 299
136, 165, 188, 199, 203, 205,	البرلمان الهندوسي القومي, 286
207, 209, 211, 221, 222, 245,	البروتستنتية, 27, 195, 253, 269, 275,
262, 295, 296, 309, 318, 325	278
الصين, 61	البلقان, 55
الطريق القويم, 294	التبت, 11, 26, 28, 30, 43, 54, 55, 60,
العبادة المدنية, 265	61, 63, 74, 84, 94, 161, 182, 242,
الغنوص, 293	308, 306
الغيبية, 11, 20, 21, 23, 28, 37, 42, 43,	التطور, 88, 105, 106, 110, 111, 126,
44, 54, 66, 68, 91, 107, 113, 115,	127, 208, 238, 265, 266, 268,
118, 124, 129, 143, 167, 171,	309, 300, 283, 272, 271
173, 179, 182, 204, 224, 228,	التطورية, 105, 111, 302
237, 245, 250, 251, 262, 271,	التناسخ, 23, 96, 97, 110, 111, 112, 113,
274, 278, 289, 297, 324, 330, 333	114, 120, 169, 183, 242, 263,
الفجر الذهبي, 31, 32, 33, 34, 37, 40	264, 268, 300, 307
القاهرة, 13, 14, 18, 45, 49, 59	الثيوزوفيون المستنبرون, 246
القبالة, 12, 20, 24, 34, 90, 92, 113,	الجمعية الفيلاذلفية, 7
132, 167, 170, 322, 332	الجمعية النباتية الفرنسية, 254
القبالة المصرية, 24, 92	الجوانية, 5, 6, 10, 23, 66, 84, 98, 124,
القس مونود, 264	141, 142, 165, 168, 171, 180,
القوقاز, 12	184, 214
الكاربوناري, 11, 12, 304	الحدسية, 170, 178, 277
الكارما, 114, 140, 141, 142, 143, 238,	الحرب العالمية الأولى, 298, 300
257, 268, 300	الحضور الوشيك, 290
الكساندر, 6, 10, 22	الحكم الذاتي الأيرلندي, 286
	الدائريك, 299

الولايات المتحدة العالمية, 291	ألكساندر, 62, 94, 181, 232, 318
اليابان, 85, 102	الكلية الهندوسية المركزية, 57, 249, 284
إيفاس ليفي, 82, 293, 295, 296, 323	الكنيسة الكاثوليكية القديمة, 223, 225
اليونان, 11, 53	226, 228, 235, 249, 253
أمريكا الوسطى, 298	الماسونية الأمريكية, 24, 40
أميرة ويلز, 285	الماسونية المختلطة, 248, 249, 250, 251
أميركا, 14, 15, 16, 19, 21, 22, 31, 32	327, 285, 252
34, 42, 52, 87, 121, 123, 149	ألمانيا, 7, 112, 137, 199, 298, 299
150, 158, 160, 182, 204, 231	المهاتمات, 41, 48, 51, 53, 54, 56
233, 234, 235, 249, 253, 256	المجر, 298, 299
261, 262, 269, 295, 299, 304, 326	المحفّل الأبيض العظيم, 30, 54, 74, 182
أميركا الجنوبية, 298	294, 194
آن بليخ, 299	المحفّل الأعظم للماسونية المختلطة في فرنسا, 248
آن كاثرين إيميريتش, 54, 55	المراقبون, 264
آنا كينجزفورد, 166, 167, 169, 170	المرنج, 48, 49, 106, 199
172, 291, 293, 294	المشترى, 48
أنثروبوصوفيا شتاينر, 264	المكسيك, 299
انجلترا, 21, 32, 35, 36, 42, 52, 62, 82	المهاتما, 61, 62, 69
114, 121, 136, 145, 147, 150	المهاتمات, 12, 15, 16, 23, 29, 38, 44
159, 188, 201, 212, 220, 222	45, 50, 54, 55, 57, 72, 79, 84, 86
225, 226, 234, 238, 245, 248	90, 92, 148, 155, 200, 236, 281
249, 256, 258, 270, 273, 282	النجم الساطع, 52, 91, 266
285, 288, 290, 291, 292, 293	النرويج, 299
294, 295, 298, 299, 308, 313	النمسا, 137, 299
أنسايريه, 22	الهند, 11, 12, 15, 18, 22, 26, 27, 30
أوروبا الشابة, 11	31, 41, 42, 49, 51, 53, 59, 63, 64
أوروبيندو جوش, 288	85, 91, 100, 101, 103, 110, 116
أوستند, 82, 83	124, 136, 150, 152, 155, 160
أوكسلي, 43	163, 179, 180, 182, 185, 194
أولكوت, 9, 11, 16, 17, 19, 20, 21, 22	197, 211, 230, 249, 255, 257
24, 26, 30, 31, 35, 36, 42, 47, 50	273, 280, 281, 284, 285, 287
52, 59, 60, 62, 63, 64, 70, 76, 78	288, 289, 290, 291, 292, 293
79, 80, 82, 84, 86, 87, 88, 90, 91	295, 298, 299
102, 103, 126, 146, 149, 150	الهند الهولندية, 299
151, 152, 153, 154, 156, 157	الولايات المتحدة, 16, 22, 24, 40, 85
167, 173, 174, 175, 178, 193, 247	163, 202, 249, 269, 298
أيرلندا, 299	
أيسلاندا, 299	

253, 254, 267, 271, 280, 282	إيطاليا, 12, 225, 246, 298, 299
284, 293, 296, 309, 310, 329	ایکھارتھاوزین, 10
بلجیکا, 221, 260, 298, 299	اینکوس, 73
بلغاریا, 299	ایولیس, 22, 33
بنیدکت کاستانیہ, 246	بابوس, 38, 73, 87, 113, 146, 173, 175
بہاجافاد جیتا, 284	224, 247, 272
بودھا, 48, 49, 93, 145, 160, 161, 164	بابولا, 59
168, 169, 179, 183, 184, 185	بارکر, 58
186, 199, 292, 315	بارلیہ, 22, 62
بودھیساتفنا, 44, 48, 135, 136, 168, 179	بارو, 72
185, 186, 191, 198, 201, 208	بافاجی, 59, 68, 69, 79
216, 220, 291	بایساک, 73
بورما, 101, 102, 255, 299	بایک, 24
بورنوف, 101, 133	براہما ساماج, 27, 155, 282
بورو, 85	برتراند, 78, 82, 85, 86
بوروز, 80, 148, 150, 156	برسیفال, 46
بولس میتامون, 10	بروکسل, 6, 10, 147, 160, 201, 248
بوہم, 5, 6, 9, 10, 90, 116, 170, 171	255, 256, 318
286, 296	بریتین, 92
بیرینیٹی, 247	بریستول, 32, 145
بیسانت, 6, 8, 10, 35, 47, 55, 56, 57	بلافاٹسکی, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13
80, 85, 88, 93, 98, 99, 100, 109	14, 15, 16, 17, 18, 19, 21, 22, 23
126, 127, 129, 132, 134, 140	24, 25, 26, 27, 28, 30, 31, 34, 35
145, 146, 147, 148, 149, 150	36, 37, 39, 41, 42, 43, 44, 45, 47
152, 155, 156, 157, 159, 163	49, 50, 51, 52, 54, 55, 56, 57, 58
165, 170, 174, 178, 182, 184	59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 68
186, 188, 191, 192, 193, 196	69, 70, 71, 72, 74, 76, 77, 78, 79
197, 198, 199, 200, 201, 202	82, 83, 84, 86, 87, 88, 90, 91, 92
203, 206, 208, 212, 215, 216	93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100
219, 221, 222, 227, 228, 230, 231	103, 110, 111, 113, 114, 115, 116, 118
232, 233, 234, 236, 237, 244, 247	119, 120, 121, 122, 125, 128
249, 251, 252, 257, 264, 268	129, 131, 132, 133, 134, 135
271, 277, 283, 284, 285, 286	139, 141, 142, 143, 148, 149
287, 288, 289, 290, 291, 292	150, 151, 153, 155, 156, 161
294, 298	165, 167, 170, 172, 173, 175
پیلامی, 253	178, 180, 181, 183, 185, 187
تاکسیل, 50, 51, 323	191, 193, 196, 200, 201, 203
تاولر, 7, 221	208, 209, 216, 238, 245, 247
تشارجی, 283	

- تشیوودی، 52
- تشیکو سلوفاکیا، 299
- تشینتامون، 26
- توماس فلامیل، 53
- تومسون، 30، 31
- تیلک، 288
- تیوئی، 277
- ثورستون، 63
- جابوریو، 76، 83
- جرائمیزون، 280
- جمعیة غیریة، 254
- جنوب آفریقا، 298، 299
- جوادی، 53
- جوبتا، 27
- جورج شیفریہ، 299
- جیش الخلاص، 276
- جیشتل، 9، 296
- چین لیید، 9
- چادچ، 17، 24، 85، 87، 129، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 156، 159، 160، 232
- چادچ، 19، 288
- حرکة الکشفة، 254
- حقوق الإنسان، 248
- حکماء الریشی، 51
- د. ریشاردسون، 284
- دالقیلا، 261
- دامیر، 83
- دایاداندا، 26، 27
- درامار، 73
- درایفوس، 137، 263
- دوجلاس هوم، 11، 20، 41
- دی بالم، 86، 92
- دی روزنی، 101
- دی روزیندوٹ، 90
- دی کوروس، 94
- دی مورجان، 18
- دیاداندا، 28، 92
- دیرایسم، 248
- دیمارکیت، 257
- رابطة منظمة التقدم، 254
- راجون، 296
- رامسی مکدونالد، 289
- راندولف، 22، 33
- راو، 60، 64، 84، 89، 91، 100، 195
- رایختز، 38، 72
- رودیارد کینلج، 290
- روسیا، 9، 11، 12، 68، 70، 227، 289، 298، 299، 304، 316، 324
- ریفیل، 192، 201، 264
- ریناتوس، 38، 53
- رینان، 84، 94، 181، 326
- ریہوی، 264
- سات بہای، 290
- ساراسواتی، 26، 27، 28
- سان جیرمان، 188، 296
- سبیدالییری، 293
- سبیر، 31
- ستانتون، 16، 28، 30، 31، 36، 42، 46، 90، 119، 126
- ستریندیبرج، 262
- ستیید، 80، 156، 284
- سفر مصرائیم، 38
- سوئیران، 24
- سوریا، 48
- سولوفیوف، 18، 50، 54، 59، 60، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 77

فوجان, 52, 205	سومانجالا, 23, 102
فیراند, 44	سویڈنبرج, 9, 170, 246, 296, 307
فیراند, 21	سویسرا, 39, 86, 212, 248, 264, 298, 299
فیرو, 280	سیراییس, 20, 23, 26, 28
فیکتور میکال, 12, 17	سیلان, 101, 103, 160
فیلاڈلفیا, 15, 18, 19, 33, 42, 45	سیناتور ویتمان, 248
فیلٹ, 19, 24, 26, 92	سینڈیفوجیوس, 52
فینسیا, 53	سینیت, 17, 42, 43, 45, 46, 47, 58, 59, 63, 65, 86, 87, 88, 89, 90, 99, 100, 107, 114, 122, 124, 125, 133, 148, 154, 156, 183, 186, 281, 188
قضیة مدراس, 197, 202, 232, 288, 298	سائرچی, 59
کارما, 64, 93, 115, 169	شکوالیہ, 264
کالیوسترو, 296	شلاتر, 262
کاوس, 86	شیلی, 299
کتاب الموتی, 26, 313	طائفة الإرفینیین, 277
کریشنافارنا, 288	عصبة الأمم <i>League of Nations</i> , 265
کریشنامورتی, 191, 192, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 218, 278, 286, 305, 291	عطارڈ, 48, 49, 100, 106
کشمیر, 283	عقد الثریا, 48, 49
کوبا, 256, 299	عن اورشلیم الجديدة, 247
کوروکشتر, 264	غاریبالدی, 12, 90, 246
کولومب, 13, 49, 59, 60, 62, 63, 65	غاندی, 201, 289
کولینز, 46, 82, 86	فاتشمایستر, 11, 26, 39, 56, 64, 66, 150, 152, 272
کونت سان جیرمان, 53, 55, 187, 188, 296	فاتشمایستر, 11
کووت هوومی, 35, 43, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 58, 59, 70, 84, 89, 100, 191, 187, 125	فاتشمایستر, 39
کوس, 85, 87, 92	فاتشمایستر, 66
کیدل, 62, 89	فاتشمایستر, 82
کیدیل, 46	فاتشمایستر, 150
کیدیل, 46, 58	فاوسیت, 82
کیمو ہیرای, 85	فایتشمایستر, 16
کینج, 15, 16, 17, 19, 20, 21, 28, 72, 234, 233, 226, 125	فرونسکی, 38
کینجزلانڈ, 85	فتلاندا, 299

ماكجريجور, 34, 39, 55, 166	كيوتو, 85
مالون, 73	كيتلي, 82, 83
مانشستر, 32, 255, 258	لاروند, 263
مانو, 44, 48, 179, 185, 187, 194, 291	لندن, 7, 10, 11, 12, 15, 17, 18, 20, 32,
مجمع الجنود, 276	33, 34, 46, 47, 55, 60, 61, 62, 76,
محفّل 'حقوق الإنسان', 248	77, 82, 85, 87, 91, 102, 125, 127,
محفّل الندى والنور, 33, 74	149, 154, 155, 159, 167, 187,
محفّل أنانتا, 74	197, 214, 225, 231, 232, 235,
محفّل بيك, 248	246, 249, 255, 256, 257, 267,
محفّل مستنيرو أفينيون, 247	272, 285, 290, 295, 297
مدام جورج مارتين, 248	لوثر, 7, 27
مدرسة الإيورثمية, 264	لورد لايتون, 295, 296
مصر, 11, 26, 125, 180, 181, 182, 287,	لوكاس, 53
311, 299, 296	لوى كلود دي سان مارتان, 5, 9
معهد Eurythmotherapeutic, 264	لويس الرابع عشر, 53
ملبورن, 147, 256	ليتل, 32
مهاتما, 11, 12, 20, 45, 80, 93, 194, 195	ليديتير, 20, 35, 45, 47, 48, 66, 67, 87,
مورجان, 18, 64	88, 89, 93, 95, 103, 107, 109,
مورسييه, 68, 73, 77, 173	122, 124, 131, 134, 140, 157,
موريا, 11, 20, 47, 48, 50, 80, 187,	178, 183, 185, 186, 188, 192,
194	194, 195, 196, 197, 198, 199,
موريس فيدال بورتمان, 295	202, 203, 204, 217, 226, 228,
موريس, 16, 28, 30, 31, 36, 42, 46, 90,	230, 231, 232, 233, 235, 237,
126, 119	238, 241, 256, 260, 268, 277,
موسيو, 91	ليفى, 24, 34, 82, 86, 90, 203, 212,
موكهبادايايا, 283	292, 293, 294, 297, 322
مونتروجي, 58	ليين, 91
ميتامون, 13, 22, 90, 296	ماتسيني, 11
ميتلاند, 167, 291, 293	ماتيسوس, 73
ميسمير, 296	ماثرز, 32, 167
ميلوز, 264	ماجوس, 32
نابليون الثالث, 11	مادلين ليفيفر, 264
ناريانا, 27	مارتينيز دي باسكواليس, 296
نيبال, 11	مارى بيكر, 261
	ماريا ديراسم, 248
	ماسى, 62, 63
	مافالانكار, 45, 59, 63, 89

هيووم, 18, 41, 58, 59, 63	نيوزيلاند, 298, 299
هيلاريون, 46	نيوهاوس, 53
هيووم, 45, 89	نيويورك, 15, 18, 24, 34, 45, 76, 79,
وايلد, 46	86, 92, 149, 153, 231, 232, 255,
وبستر, 25, 226	256
وسط آسيا, 53, 95	هارتمان, 37, 39, 44, 60, 63, 64, 68, 76,
وليم لو, 5, 9	154, 165, 203, 212, 246
ويستبروك, 25	هاريسون, 21
ويسكوت, 294	هربرت سبنسر, 27, 283
ويلز, 286, 299	هودجسون, 45, 61, 62, 63, 73, 280,
يورك, 32	هولندا, 52, 153, 222, 224, 225, 248,
	298, 299